

إمارة الرهكا الصليبية

دكتورة عليّة عبد السميع الجمنزوري



الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير

محمود الجزار

دكتورة عليّة عبد السمیع الجنتزوری

استاذ تاریخ العصور الوسطی
بكلية البعث جامعة هین شمس

إمارة الرها الصليبيّة

صلحة لها خطورتها في تاريخ الجهاد الاسلامي
والمحاولات العديدة التي بذلها الصليبيون في إمارة الرها
لتزريق وحدة المسلمين وإقامة حاجز بين بلاد العراق من
ناحية وبلاد الشام ومصر من ناحية أخرى .



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠١

الاهـداء

« إلى زوجي العزيز الذي كان لتجيبه
والسفر في أكبر الأثر في إنعام هذا البحث »

تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب المهم عن «إمارة الرها الصليبية، للأستاذة الدكتورة عليّة عبدالسميع الجنزوري، أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس. وقد صدر الكتاب في طبعته الأولى سنة ١٩٨٦، ونفدت طبعته. ونظراً لأهميته أعدنا نشره في هذه السلسلة.

وقد سبق لنا أن نشرنا للدكتورة عليّة الجنزوري بعض أعمالها العلمية، مثل: «هجمات الروم البحرية على سواحل مصر الشمالية»، «الحروب الصليبية، المقدمات السياسية».

والكتاب الحالي يتناول تاريخ إمارة الرها في عصر الحروب الصليبية، وهي أولى الإمارات التي أسسها

الصلبيون في العالم العربي في عام ١٠٩٨ ، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة في تاريخ تلك المنطقة ، حتى سقطت هذه الإمارة في عام ١١٤٤ م .

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسى بين الموصل وحلب ، وهما أكبر قوتين إسلاميتين في شمال العراق والشام ، فإنها لعبت دوراً مهماً في الحروب الصليبية ، إذ أصبحت عقبة في طريق قيام أية وحدة إسلامية بين شمال العراق والشام ، وفي الوقت نفسه فسبب ما اتصفت به هذه المنطقة من اختلاط عنصرى وتعميد دينى ومذهبى وتداخل حضارى ، فإن دراسة هذه الإمارة كانت من الصعوبة بمكان حتى تصدت لها الدكتوراة عليّة الجنزورى ، فأمكن تقديم هذه الدراسة الممتازة التى تسد فراغاً كبيراً فى المكتبة العربية .

وأملئ أن ينتفع بهذه الدراسة الباحث المتخصص والقارئ المثقف .

والله الموفق ، ،

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« تقديم »

ما زالت الحركة الصليبية بدوافعها الحقيقية واحداثها المثيرة ونتائجها المتباينة ، تستأثر بجهود كثير من الباحثين في ميدان التاريخ وخلاصة تاريخ العصور الوسطى . واذا كان معظم هذه الجهود قد انصب على نشاط الصليبيين في بلاد الشام بوصفها الهدف الاول للحملات الصليبية — فان هناك من بلاد الشرق الأدنى مثل مصر والعراق وآسيا الصغرى واطراف شبه الجزيرة العربية — ما تأثر تأثراً مباشراً بتلك الحركة ، بل لقد كان بعضها ميداناً كبيراً لنشاط صليبي واسع المدى ، لا يقل في بعض مراحله عن النشاط الصليبي بالشام .

من ذلك ما شهده اقليم الجزيرة في بلاد العراق من نشاط صليبي واسع النطاق في النصف الأول من القرن الثاني عشر . ذلك أن الظروف شاعت أن تقوم أولى الامارات الصليبية التي أسسها الصليبيون في الشرق الأدنى في الرها وما حولها من اراض وبلاد ، وهي منطقة ذات طبيعة معقدة من ناحية التركيب البشرى في ذلك العصر . وجاء قيام امارة الرها الصليبية سنة ١٠٩٨ ايذاناً ببداية مرحلة جديدة في تاريخ تلك المنطقة ، وهي مرحلة شهدت صراعاً عنيفاً — يظهر حيناً ويستتر أحياناً — بين مختلف العناصر والأجناس على اختلاف بللها ونحلها ، من ارمن وسريان ، واترك وتركمان وعرب ، فضلاً عن الوافدين الجدد من الصليبيين الغربيين الكاثوليك وهم الذين جعلوا من اتنسهم ارسقراطية حاكمة تتمتع بكثير من الحقوق مقابل نهوضها بمعب وحمية الكيان المسيحي وسط المحيط الاسلامي الكبير .

ولا شك في أن الموقع الجغرافي لامارة الرها الصليبية اسهم الى حد كبير في اضعاف قدر من الاهمية على الدور الذي قد تلعبه لامارة الرها في تلعبه على مسرح الاحداث حتى سقوطها سنة ١١٤٤ . وحسب هذه الامارة انها تقع على الطريق الرئيسي بين الموصل وحلب

وهما أكبر قوتين إسلاميتين في شمال العراق والشام في ذلك الدور .
 جعل منها مقبلة في طريق قيام أية وحدة إسلامية تربط بين شمال
 العراق والشام . هذا الى ان تطرف موقعا في الشمال الشرقى
 بالنسبة لبقية الإمارات التي أسسها الصليبيون في الشرق الأدنى جعل
 منها حاجزا وخطا دفاعيا يحمي البناء الصليبي في ذلك الاتجاه . ماذا
 أضفنا الى ذلك قربها من المجتمع المسيحي في أرمينية وشرق الأناضول من
 ناحية ومن بغداد مركز الخلافة العباسية من ناحية ثانية ، أدركت
 الدور الذي نهضت به إمارة الرها الصليبية في النصف الأول من القرن
 الثاني عشر للميلاد .

ومن الواضح انه ليس من السهل علاج هذا الدور بسبب ما اتصفت
 به المنطقة التي قامت فيها إمارة الرها من إختلاط عنصرى وتعدد دينى
 ومذهبى وتداخل حضارى . على ان حسن الحظ شاء ان تتصدى لعلاج هذا
 الموضوع الدكتورى عليه الجنزورى ، فوضعت هذا الكتاب الذى تقدمه
 اليوم للباحثين في حقل تاريخ العصور الوسطى . ذلك ان الدكتورى عليه
 الجنزورى — التى تطلعت علينا في الحصول على درجتى الماجستير
 والدكتوراه — اتصفت بكل ما يمكن أن يتصف به باحث ناجح ، من حيث
 الجراءة في التصدى لاختلاف الآراء ومناقشتها وتنفيذها ، مع التحلى بروح
 الصبر والمثابرة في تقصى الحقائق واستخلاصها وتنقيتها ، والمقدرة على
 حسن عرض المادة التاريخية وترتيبها وتنسيقها . ولعلنى لست بحاجة
 الى التوهم بالجهد الذى بذلته الدكتورى عليه الجنزورى في تأليف هذا
 الكتاب تحت اشرافنا ، وهو جهد استغرق سنوات طويلة من الكفاح
 الصائب ، قضتها الباحثة بين صفحات الوثائق والمصادر والمراجع .

ولا يسعنى اليوم سوى ان ابارك هذا الانتاج العلمى الثمين داميا
 للدكتورى عليه الجنزورى بالتوفيق في مواصلة طريق البحث . وانى لعلنى
 بعتين من اثنا — بفضل ما توافر لها من عزم وذكاء وخلق متين — ستقدم
 للمكتبة التاريخية الكثير من الزاد الاصيل ان شاء الله .

دكتور

سميد عبد الفتاح عاشور

استاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب — جامعة القاهرة

مقدمة

اجمع المؤرخون على أن الحروب الصليبية كانت حدثا هاما في تاريخ العصور الوسطى وخاصة منطقة الشرق الأدنى . فبالنسبة للعالم الاسلامي كانت هذه الحروب بمثابة زلزال مروع حل بيناء قديم ، فاصابه بشرخ عميق . ذلك أن الحملة الصليبية الأولى وصلت الى الشرق في وقت اشتدت فيه المنازعات بين حكامه حتى بلغت حد الشقاق بسبب الخلافات المذهبية والسياسية والعنصرية ، مما يسر للصليبيين أن ينشبوا مخالبهم في الأرض العربية ويقهقوا عليها فترة من الوقت .

وقد تمحضت الحملة الصليبية الأولى عن اقسامه أربع امارات صليبية في كل من الرها وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس . لعبت كل منها دورا كبيرا في الصراع الذي دار بين المسلمين والصليبيين على مسرح الشرق الأدنى في عصر الحركة الصليبية ، حتى انتهى الامر في نهاية القرن الثالث عشر للميلاد بطرد الغزاة الدخلاء وتطهير الأرض العربية منهم .

وإذا كانت الامارات الثلاث الأخيرة السالفة الذكر تقع في أرض الشام ، فإن اماره الرها تميزت بوقوعها في أرض الجزيرة بين النهرين ، مما جعلها تشكل خطا دفاعيا بالغ الأهمية بالنسبة للجبهة الشرقية للكيان الصليبي في الشرق الأدنى . ومعنى هذا أن اماره الرها صارت بالنسبة لباقي الامارات الصليبية بالشام بمثابة درعها الواقى من ناحيتي الشرق والشمال الشرقي ، ويشبهها من بعض النواحي في هذه الصفة اماره انطاكية في شمال بلاد الشام مع ملاحظة أن الخطر البيزنطي الذي تصدت له اماره انطاكية كان لا يقارن بخطر السلاجقة والتركمان الذي كان على اماره الرها أن تتصدى له .

ولا يخفى علينا أن جزء كبيرا من تاريخ الحروب الصليبية في الشرق الأدنى إنما يدور حول نشاط تلك الامارات . ولكن علينا في الوقت نفسه أن نذكر أن هذا النشاط لا يقف عند حد الحروب ضد المسلمين فحسب ، وإنما امتد ليشكل آفاق مجتمع صليبي قدر له أن يعيش عدة أجيال وسط أرض غريبة لها أوضاعها التاريخية والحضارية البعيدة كل البعد عن أوضاع المجتمع الصليبي . مما يتطلب منا دراسة كل من هذه الامارات

دراسة مستفيضة . وإذا كانت ملكة بيت المقدس الصليبية قد حظيت -
بحكم مكانتها - بالقسط الأكبر من جهود الباحثين ، فإن أمارتي إيطالية
وطرابلس مازالتا تحت أضواء البحث ، وظهرت فعلا بعض الدراسات
العلمية عنهما .

أما « إمارة الرها الصليبية » موضوع هذا البحث فالملاحظ أن نصيبها
كان ضئيلا من عناية الباحثين ، وإن ظهرت بعض الدراسات المحدودة
التي تعرضت لجوانب من تاريخ هذه الإمارة أنصب أغلبها على النواحي
السياسية والعربية دون الاهتمام كثيرا بالنواحي الحضارية ، ولعل هذا
هو الذي أثار احساسنا بحاجة إمارة الرها إلى مزيد من الضوء على
تاريخها ، مما دفعنا إلى دراستها دراسة متكاملة متخصصة في هذا
البحث .

وربما كان من الأسباب التي لم تشجع الباحثين على الخوض كثيرا في
تاريخ إمارة الرها الصليبية هو أن هذه الإمارة كانت بمثابة جزيرة أرمينية
وسط بحر إسلامي بيزنطي واسع ، مما جعل مصادر الدراسة الأصلية لها
لا تقتصر فقط على مصادر صليبية لاتينية ، بل أيضا تتطلب الرجوع إلى
مصادر عربية إسلامية ويونانية بيزنطية ، هذا فضلا عن المصادر الأرمينية
والسريانية .

وقد حاولت في هذه الدراسة أن استقى المعلومات التاريخية الخاصة
بإمارة الرها من كافة المصادر الأصلية المتوفرة السابقة الذكر ، فضلا عن
الاستفادة من آراء المؤرخين المحققين الذين كتبوا في تاريخ الحروب
الصليبية بالفرنسية والانجليزية ، وبذلت في ذلك جهدا كبيرا لرسم صورة
تاريخية واضحة لإمارة الرها من كل جوانبها السياسية والحربية ،
الداخلية والخارجية ، الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، مع الإشارة إلى
الدور الحيوي الذي قامت به هذه الإمارة القصيرة الأجل (١٠٩٨ - ١١٤٤)
- ١١٤٦م / ٤٩٢ - ٥٣٩ هـ) في الصراع الإسلامي الصليبي طوال
مدة تقرب من نصف قرن .

والحقيقة أن موضوع « إمارة الرها الصليبية » كان موضوع
رسالتي في الدكتوراه . ولما وفقت بمون الله في الحصول عليها ، رأيت
أن من أولى واجباتي تجاه حقل تاريخ المصور الوسطى ، أن أنكر جدبا
في نشر هذا المصور حتى يتسنى للمهتمين بهذا الفرع التاريخي الوقوف

على حلقة هامة من حلقات تاريخ العصور الوسطى في فترة الحروب الصليبية . وبذلك اكون قد اسهمت بقدر - هو اقصى ما سنحت به طاقتي وجهدي - في سد احدى الثغرات التي كانت بحاجة الى دراسة علمية متكاملة .

ولا يسعني الآن قبل البدء في طبع هذا البحث العلمى المتواضع ، الا ان ابدا برفع اسمى آيات الشكر للعالم الجليل الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور استاذ كرسى تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة القاهرة ورئيس قسم التاريخ بها ، الذى اشرف على هذا البحث وساعدنى في اختيار موضوعه . ولا يخفى ان الاستاذ الدكتور سعيد عاشور من رواد الدراسات التاريخية في العصور الوسطى في مصر والعالم العربى . وكان لى الشرف ان احظى باشرافه وان اتهل من علمه وادبه وتوجيهاته في المنهج العلمى وفي الرجوع الى المصادر الأصلية ، وان قلنى ليمجز عن اظهار مدى تقديرى لسيادته . والحقيقة انه كان باستمرار مخلصا في نصيحته ، عالما في نقده ، والدا في حلمه ، قويا في صبره ، مؤمنا صالحا في علاقته ، قاسيا امام الخطأ ، رحيبا عند القدرة .

كذلك لا انسى ايضا في هذا المجال ان اتقدم بخالص شكرى وعرفانى بالجهد الى استاذتى العاضلة وأمى الروحية الأستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف استاذة كرسى التاريخ الاسلامى والوسيط ورئيسة قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس - والتي اشتركت في الاشراف على بحثى هذا - لما قدمته لى أيضا من توجيهات كثيرة وارشادات جمة ولما ذللته لى من معاب واجهتنى خلال اعداد هذا البحث بالامانة الى رعايتها الكاملة لى مما شجعنى كثيرا في اتمام هذا البحث .

وفي النهاية لا يفوتنى ايضا ان اتقدم بشكرى الوافر الى بعض من كان لهم الفضل في تذليل الكثير من الصعوبات التي واجهتنى أثناء جمع مادة هذا البحث وأخص منهم بالذكر الزميل الدكتور حلمى عبد الواحد خفهره مدرس اللغة اللاتينية بالكلية الذى تفضل بشكورا بمساعدتى في ترجمة النصوص اللاتينية الجديدة القيمة المعاصرة لهذا البحث والتي امدادتنى فائدة جمة في سد الكثير من الثغرات أثناء كتابة هذا الموضوع . كذلك اقدم شكرى الجزيل لسيادة الاب منصور مستريح - عضو معهد الدراسات الشرقية المسيحية بالقاهرة والمتخصص في الدراسات الارمنية - الذى تفضل بشكورا بترجمة قصيدة رثاء الرها عن الاصل الارمنى الى اللغة العربية

وهذه القصيدة تعتبر من النقاط الجديدة المعاصرة لموضوع البحث والتي
تُنشر لأول مرة ، حيث أننى قد أوردتها بالكامل كملحق في نهاية هذا
الكتاب ، فقد كنت أشرعت فعلا عند عنورى على هذه القصيدة — ضمن
مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية .

— (Documents Arméniens, T.I.)

في توجبها بنفسى عن الترجمة الفرنسية الموجودة الى جانب
الأصل الأرمينى . ولكن الأب ديسان — أحد آباء معهد الدراسات
الشرقية للدومنيكان — اشار على بانه من المستحسن الاتصال بالأب
ملصور بمطرح ليقوم بترجمة القصيدة عن الأصل الأرمينى حتى لا تغير
الترجمة الفرنسية بعض معانى والفاظ النص الأصيل ، وبالفعل
تولى سيادته مشكورا مهمة تقديسى للأب منصور فحسب بتلك المهمة .
لذلك نقلت لسيادته نسخة من القصيدة ميكروفيلم حتى تسهل مهمة
الترجمة . وهكذا استطعنا في النهاية الحصول على ترجمة سليمة لهذه
القصيدة الجديدة الهامة في هذا البحث .

ولا أنسى أيضا ان أقدم بشكرى الجزيل الى السادة العاملين بمكتبة
الآباء الدومنيكان الذين أمدتني مكتبهم افادة كبرى وأخص بالذكر الابجورج
شحاته فتواتى مخير الدراسات الشرقية للدومنيكان والأب ديسان والأب
كورنيلياريه . كما أقدم شكرى الى العاملين بمعهد المخطوطات وعلى
راسهم الأستاذ رشاد عبد المطلب ، هذا الى جانب العاملين بدار الكتب
المصرية . كما اشكر ايضا العاملين بمكتبات جامعة القاهرة وعين شمس
والاسكندرية .

والله ولى التوفيق “

القاهرة يوليه ١٩٧٤

دكتورة عليه عبد السميع الجنزورى
مدرسة تاريخ العصور الوسطى
بكلية البنات جامعة عين شمس

دراسة تحليلية لمصادر البحث

اعتمدنا في بحثنا هذا على عدة مصادر ثقة أصلية ، لاتينية وبيزنطية ، وأرمينية وسريانية ، وعربية مطبوعة ومخطوطة . هذا الى جانب عدة مراجع حديثة عربية وأجنبية استفدنا منها في نقل بعض الآراء بل وفي الوصول الى بعض الحقائق التي أخذتها عن مصادر لم نستطع الوصول اليها .

وقد أفادتنا بعض هذه المصادر في غالبية اجزاء الرسالة اما البعض الآخر فقد أفادتنا في اجزاء محدودة دون غيرها .

ياتى في مقدمة هذه المصادر مجموعة المصادر اللاتينية التى كتبها المؤرخون الغربيون المعاصرون لامارة الرها الصليبية او من نقلوا عنهم مباشرة . وعثرنا على غالبيتها في مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية *Recueil des Historiens des Croisades* وسنكتفى هنا بالإشارة الى أهمها :

أولا : *Gesta Francorum* أو *Historia Iherosolymitana, Iherusalem Expugnantium*

للمؤرخ الفرنسى فولشردى شارتر *Foulcher de Chartres*

وكان فولشر هو التأسيس الذى حضر مؤتمر كليرمونت ١٠٩٥ م . وصحب روبرت الثانى دوق نورمانديا في الحملة الصليبية الاولى ١٠٩٦ م . (١) ثم انضم الى بلدوين البولونى-مؤسس امارة الرها الصليبية وقد اشار فولشر الى ذلك في كتابه (٢) - واصبح تسييسا لحملة (٣) . ويعتبر كتابه من أهم التواريخ المعاصرة للحملة الصليبية الاولى - فهو يغطى الفترة ما بين

(١) *Encyclopaedia Britannica*, V. 9, p. 908. (1960).

(٢) *Fulcheri Carnotensis ; Historia ... (R.H.C.), Hist. Occid.* T. 3, p. 337.

(٣) *Runciman : A History of the Crusades*, V. 1, p. 201.

مؤتمر كليمونت حتى وفاة فولشر ١١٢٧م وبالتالي فقد حاصر قسطنطين امارة
الرها وشهد ارضى ايام تاريخها ثم روى في تاريخه الاحداث التي شاهدها
بنفسه (٤) . والكتاب ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول من ١٠٩٥م الى
١١٠٠م والثاني ينتهي ١١١٨م . والثالث ١١٢٧م (٥) .

اما المصدر اللاتيني الثاني فهو : *Historia Hierosolymitanae Expeditionis* او *Chronicon Hierosolymitanum de bello Sacro* .
الذي لاه البيرت د/ اكس او الاكسي Albert d'Aix وهذا المؤلف
يتبع في اقسامه عشر كتابا . كتبه البيرت في الفترة الممتدة من ١١٢٥ الى
١١٣٠م . وهو يعتبر من اهم مصادر الحملة الصليبية الاولى ومملكة
بيت المقدس اللاتينية حتى ١١٢١م (٦)

حقبة ان البيرت لم يحضر الى الشرق ؛ لكنه استعان في تدوين كتابه
بالمصادر المعروفة في ذلك الوقت كما نقل عن اصول اخرى اندثرت
ولم تصل اليها واستمع الى عدد من اشتركوا في الحملة واطلع على بعض
المراسلات المتعلقة بها .

وبعد ذلك ياتي المصدر الثالث الذي امانا بدرجة كبيرة في كل اجزاء
الرسالة تقريبا وهو كتاب وليم الصوري (William of Tyre)
(١١٣٠ - ١١٨٦م) واسمه *A History of Deeds Done Beyond the Sea*
وهي الترجمة الانجليزية التي رجعنا اليها .

يعتبر كتاب وليم الصوري هذا موسوعة في تاريخ الحروب الصليبية
عامة (٧) . بدأ تدوينه من ١١٦٦م ويعتبر مصدرا أصليا من الفترة
الممتدة من ١١١٤ حتى ١١٨٤م (٨) .

اما الجزء الاول من الكتاب فقد اعتمد فيه وليم على كتابات الكثيرين

-
- | | |
|--|-----|
| Encyclopaedia Britannica ; V. 9, p. 908. | (٤) |
| جوزيف نسيم : العرب والفرس واللاتين ؛ ص ٧ . | (٥) |
| Encyclopaedia Britannica ; V. 1, p. 524. | (٦) |
| William of Tyre ; A Hist. of Deeds p. 4. | (٧) |
| William ; Ibid., V. 1, p. 37. | (٨) |

من المعاصرين للأحداث التي رواها مثل : كتابات المؤلف المجهول صاحب
 كتاب Raymond d'Aguilers. (Gesta Francorum.)
 Fulcher of Châtres, Albert d'Aix. (٩)

هذا الى جانب اعتماده في بعض اجزاء الكتاب على الرواية الشفوية
 وكذلك على الكتابات الأثرية على المباني (١٠) ونقل كتاب وليم الى الغرب
 من طريق (Matthew Paris) على احدى حوائش مخطوطة الأخير
 السماه (Historia Almor) ذكر انه نقل مؤلف وليم عن بطرس
 أسقف ونشستر Winchester الذي أحضرها من الأرض
 المقدسة ١٢٢١ م (١١) .

كان وليم رئيس أساقفة صور من ١١٧٥ - ١١٨٤ - ١١٨٥ م . وكان
 أصلاً مواطناً من مملكة بيت المقدس ، ولد حوالي ١١٢٠ م ربما في بيت المقدس
 نفسها . والراجح ان والديه كانا من الغرب ، وبالرغم من انه قد
 اسهب في الكتابة عن انساب الآخرين الا انه قد صبت صباً تاماً عن
 نفسه . وبذلك ظل نسبه دون أي سبيل الى فهمه حتى الوقت الحاضر .
 اتقن وليم العديد من اللغات أهمها الفرنسية التي كانت لغة
 البلاط في مملكة بيت المقدس الى جانب العربية التي شاركت الفرنسية في نقل
 التجارة ، ثم اليونانية التي كانت أيضاً تستخدم استخداماً واسعاً في
 الشرق . كذلك اتقن اللغة اللاتينية - لغة الكنيسة والمدارس - وذلك
 بحكم تربيته الدينية في الكنيسة . هذا بالإضافة الى الماه السطحي ببعض
 اللغات الشرقية مثل العبرية والفارسية (١٢) .

أما المصادر البيزنطية فيأتي على رأسها كتاب (الالكسياد Alexiad)
 للأميرة (انا كومنيننا Anna Comnena) وقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية
 لهذا الكتاب ، والواقع ان هذا الكتاب ظل أمداً طويلاً مصدراً لمؤرخي
 الإمبراطورية البيزنطية ولم يكتبوا عن الحملة الصليبية الأولى (١٣) . وقد
 ذكرت الأميرة (انا) انها الفتى كى تذكر فيه الأعمال التي قام بها والدها
 « كى لا تضيع في سكون (١٤) » .

-
- | | |
|--------------------------------------|------|
| William of Tyre : Ibid., V. 1, p. 29 | (٩) |
| William : Ibid., V. 1, p. 30. | (١٠) |
| William : Ibid., V. 1 p. 42. | (١١) |
| William : Ibid., V. 1, p.p. 4-9. | (١٢) |
| Anna Comnena : The Alexiad. p. vii. | (١٣) |
| Anna : Ibid., p. 1. | (١٤) |

ثم تكثرت سبب تصميمها على كتابة الألكسياد فقالت « كان زوجي هو القيصر نيقفور برنيوس ، وكان جديرا بالاعجاب في كل شيء ، محب لأخي هنا - الإمبراطور - في حديد من الحملات الحربية . . . ولما كان نيقفور غير قادر على ترك عمله الأدبي ، لذلك فقد كتب العديد من المذكرات اليومية المتأخرة ، وقد أصبحت الملكة كثيرا بكتابته وطلبت منه كتابة تاريخ لعصر الإمبراطور الكسيوس - أبى - يوضح فيه الأعمال التي تمت في عهده . فكانت فرصة طيبة عاد بها نيقفور إلى الدراسات التاريخية والأدبية التي كان يهواها وبدأ نيقفور فعلا في تدوين هذا التاريخ بداية مبكرة منذ عهد الإمبراطور رومانوس الرابع ، ولكن عندما وصل إلى عهد والدي وأبعد بسودة تلك الفترة وعاد بها إلينا من الخارج نصف منتهية ، كل للأسف قد عاد أيضا محملا بوزم خبيث داخلي كان يملأني منه بشدة ، مما جعله غير قادر على رواية القصة الحزينة لخبراته (١٥) لذلك قررت (أنا) تكملة عمل زوجها ، وبذلك أبرزت أعمال والدها الإمبراطور الخالدة بالانضافة إلى انتصارات زوجها العظيمة .

والمعروف أن الأميرة (أنا) ولدت ١٠٨٣م وتوفيت ١١٤٨م وكانت ذات معرفة واسعة بالأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافية ، وضمت كتاب الألكسياد باللغة اليونانية وهو يغطي الفترة الممتدة من ١٠٦٦م إلى ١١١٨م بدأت في تدوينه بعد ١١٣٧م وأنهته حوالي ١١٤٨م (١٦)

وقد أفادنا كتاب الألكسياد كثيرا وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات البيزنطية - الرومية .

أما المصادر الأرمنية الهامة التي اعتمدنا عليها ، فكان مركزه في :

Recueil des Historian des Croisades : Documents Arméniens, T.1

وهي حسب ترتيبها الزمني : مقتطفات من حوالية متى الرهاوي
Extraits de la Chronique de Mattieu d'Edesse. وحوالية الكاهن
جرجوار Chronique de Grégoire Le Prêtre وشميدة رثاء الرها للقسيس
Elégie sur la prise d'Edesse par Saint Nersès نيرسيس شنور هالي
Schnorhali

Anna : Ibid, p.p. 2-3.

(١٥)

(١٦) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٦
Encyclopaedia Britannica, V. 1, p. 992,

وتعتبر حولية متى الرهاى من أهم المصادر التى خدمتنا فى غالبية أجزاء بحثنا اذ تنقسم تلك الحولية الى ثلاثة أقسام الاول من ٩٥٢م الى ١٠٥١م والثانى ينتهى بعام ١١٠١م والثالث بعام ١١٣٦م (١٧) .

ويتميز تاريخ متى هذا بالدقة فى تقصى الاخبار والاعتماد على المصادر الرئيسية فى استقاء معلوماته (١٨) ولد متى الرهاوى بمدينة الرها (١٩) . كما يظهر ذلك من اسمه ، ولكن يبدو أن حياته لم يعرف عنها الشيء الكثير (٢٠) وقد توفى ١١٤٤م أثناء استيلاء عماد الدين زنكى على الرها (٢١) . ومعنى هذا أنه عاصر إمارة الرها منذ مولدها حتى سقوطها على يد زنكى .

أما حولية الكاهن جريجوار فنقد أكمل بها تاريخ متى الرهاوى وبدأت أحداثها بسنة ١١٣٧م . ويبدو أنه كان تلميذاً لمتى بدليل أنه حاكاه فى عدائه الشديد للبيزنطيين ، كما سهار على نهجه فى تقييم الأشخاص والأحداث . وهو كاهن أرمنى علمانى كان متزوجاً . أفادتنا كتابته كثيراً فى النقاط الخاصة بحملات حنا كومنن ومانيول كومنن على قيليقية وسوريا ، وكذلك فيما يتعلق بالاستيلاء على الرها ونهايتها . والواقع أن قلمه لم يكن أقل نشاطاً من أستاذه (٢٢) . وقد انتهى جريجوار فى كتابته الى أحداث ١١٦٣م (٢٣) .

ومن ناحية قصيدة رثاء الرها نرى من أهم المصادر الأرمينية المعاصرة لموضوع بحثنا والتي لم تنشر بعد وقد أفادتنا فى غالبية نقاط البحث تقريباً . لذا أوردنا الترجمة العربية لمقتطفات منها ضمن الملاحق

Mattieu d'Edesse ; (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 63. (١٧)

(١٨) 'عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبي ، ص ١٦٣ .

(١٩) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

Chronique de Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm. (٢٠)
'T.1, p. 151.

Michaud : Histoire des Croisades, V. 2, p. 107. (٢١)

-Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151. (٢٢)

(٢٣) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ٢١ .

كتب نيرسيس قصيدته هذه على شكل ملحمة ، على طريقة هوميروس — كما ذكر هو بنفسه في مقدماتها — وسرد فيها اثناء رثائه للمدينة تاريخها القديم وامجادها وغناها الاقتصادي ، ثم اشار فيها الى كل من روما وبيزنطة والاسكندرية وانطاكية وآتى وعلاقة كل منه بالرها . ثم استطرد في ذكر حصار زنكي للرها بالتفصيل وموقف أهلها منه حتى سقطت في يده . مع ابراز دور رجال الدين في ذلك الحصار وموقف زنكي من كنائس المدينة .

وقد نشرت القصيدة التي كتبت أصلا بالآرمنية بواسطة دولورييه Dulaurier بالفرنسية ضمن (R.H.C. Doc. Arm. T 1) طبعة ١٨٢٨م .

ولما كانت تلك القصيدة من الأجزاء الجديدة في بحثنا فإن هذا يدلنا الى التعريف بصورة مفصلة الى حد ما على مؤلفها .

كان سانت نيرسيس رابع البطارقة الأرمن الذين حملوا هذا الاسم . وشلور هالي Schnorhali معناها (المصذب) وقد لقب نيرسيس بالمصذب لخمسة أخلاقه وسلسلة شعره ، كما لقب أيضا جلايتشي (Glaitshi) نسبة الى قلعة الروم ، حيث أقام ربحا من الزمن .

ونيرسيس هو الابن الأصغر للأمير (Abirad) صاحب حصن (دزوفك Dzovk) في إقليم خرتبرت . ولد ١١٠٢م ونشأ هو وأخوه الأكبر جريجوار — الذي أصبح بعد ذلك Catholicos باسم جريجوار الثالث — في كنف أخى جده البطريرك جريجوار فجاياسير Vgalacer . وعندما تولى أخوه الكرسي البطريركي ١١١٣م اشترك معه في ادارة الشؤون البطريركية ، حتى توفي الاخ ١١٦٦م وعندئذ خلفه نيرسيس على الكرسي البطريركي حتى وفاته ١١٧٢م . ويعتبره الأرمن من أعظم قديسيهم فضلا عن أنه في نفس الوقت من أعظم شعرائهم (٢٤) .

ويكمل تلك المصادر الأرمنية مجموعة من المراجع الهامة الخاصة بتاريخ الأرمن والتي أحدثها كتاب Histoire de l'Arménie الذي

كتبه Hrand Pasdermadjian الذي ولد في تفليس عام ١٩٠٤ وتوفى في جنيف ١٩٥٤ عن خمسين سنة . كان أبوه من أسرة عريقة من أروم و كان وطنيا كبيرا ظل اسمه يدرج ضمن الأبطال الأرمن (٢٥)

أصبح (هراند بازدرمادجيان) استاذاً بجامعة جنيف عام ١٩٥٢ وساهم في كثير من المؤتمرات فيها وفي لندن وباريس وبرلين وكوبنهاغن وواشنطن وبوسطن . بين المؤلف سبب تأليفه إكتارة هذا بقوله « انه باعتباره عاصر جيلين لذا كتب هذا التاريخ ليقدّمه للجيل الجديد . . ثم يقول « بهذا التاريخ أكون قد أكملت عمل والدي وأنهيت بقلبي ما بداه هو بسيفه » (٢٦) .

وقد اعتمدنا على نسخة من كتابه الطبعة الثانية باريس ١٩٦٤ .

أما المصادر السريانية ناهبها حولية ميخائيل السرياني Chronique de Michel Le Syrien. وقد ترجمها الى الفرنسية J.B. Chabot

كان ميخائيل هو البطريرك اليعقوبى لأنطاكية من ١١٦٦م الى ١١٩٩م (٢٧) . ويعتبر تاريخه مصدراً هاماً لتاريخ سوريا بصفة عامة في ذلك الوقت فضلاً عن تاريخ الكنيسة السريانية . وقد استخدم ميخائيل في كتابته المصادر الدينية الأصلية للفترة المتقدمة من عصره (٢٨) . كذلك هناك تاريخ ابن العبري The Chronography of Bar Hebraeus. كتبه بالسريانية واطلعنا على ترجمته الانجليزية التي قام بها Ernest Wallis Budge الى جانب اطلاعنا على كتابه العربي (تاريخ مختصر الدول) الذي يعتبر اختصاراً لتاريخه المطول السرياني (٢٩) .

ويعتبر تاريخه المطول من أهم المصادر السريانية التي خدمت العديد من النقاط في بحثنا أيضاً . والواقع أن تاريخ ابن العبري يعتبر موسوعة تاريخية مليئة بالتفاصيل التاريخية والدينية واللغوية وعلقات الشعوب وتراجم الكثير من المحاربين والأطباء (٣٠) .

H. Pasdermadjian : Hist. de l'Arménie, p. 5. (٢٥)

H. Pasdermadjian : Ibid., p. 6. (٢٦)

Grousset : L'Empire du Levant, p. 312. (٢٧)

Burkitt : Early Eastern Christianity, n. 20-30 (٢٨)

(٢٩) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص و .

The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1. p V (٣٠)

واستحدث ابن العبري في كتاباته جولية ميخائيل السرياني . ويد
كتابه بنشأة الخليقة وانتهى بولياته ١٢٨٦م (٣١) .

وابن العبري هو جريجوريوس أبو الفرج بن هرون . ولد في ملطية
١٢٢٦م . كان يجيد اليونانية والسريانية والعربية واشتغل بالفلسفة
واللاهوت والطب عن أبيه وغيره من مشاهير أطباء زمانه . عمر أبو الفرج
ستين سنة وتوفي في مدينة مراغة من أعمال أذربيجان ١٢٨٦م (٣٢) .

أما عن المصادر العربية المطبوعة فاهمها كتاب « ذيل تاريخ
دمشق » لابن القلاسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م) وهو تاريخ لمدينة دمشق من
سنة ٣٦٣ هـ الى سنة ٥٥٥ هـ وهو ذيل لتاريخ هلال المداين .
ويذكر ابن القلاسي انه اعتمد في أجزاء منه على اللغات وفي أجزاء أخرى
على البحث والتنقيب بنفسه (٣٣) . والحقيقة ان الكتاب يعتبر
مصدرا هاما لتاريخ الشام وليس لدمشق فقط في عصر اماره الرها
الصليبية .

ثم يليه كتابي ابن الاثير الجزري (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ / ١١٦٠
١٢٢٣م) وهما :

١ - الكامل في التاريخ .

٢ - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالوصل) .

أما الكتاب الأول فهو من أهم الكتب التي خدمتنا في بحثنا هذا
في غالبية النقاط أيضا . والواقع ان ابن الاثير نال شهرته من
طريق هذا الكتاب ، كمؤرخ من مؤرخي القرن السادس باعتبار مولده
وباعتبار نصف القرن الذي عاشه فيه ، ومن رجال القرن السابع
باعتبار وفاته وباعتبار مدة ثلث القرن الذي عاشه فيه (٣٤) . وفي كتابه
هذا جمع اخبار العالم الاسلامي شرقه وغربه وما بينهما ، وهذا ما لم
يسبقه اليه احد . وقد بدأ تاريخه منذ نشأة الخليقة حتى سنة
٦٢٨ هـ (٣٥) .

The Chronography of Bar Hebraeus, V, 1, p. vii. (٣١)

(٣٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٥٠ هـ .

(٣٣) ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٢ .

(٣٤) مقدمة محقق التاريخ الباهر لابن الاثير : ص ١٤ - ١٥ منه .

(٣٥) نفس المختصر ص ١١٥ .

ولما الكتاب الثانی فهو الذي عاصر المؤلف أحداثه . وفي نفس الوقت عاصرت أحداث الكتاب أحداث بحثنا وكان من أهم المصادر الثقة لنا عند تناولنا للعلاقات بين إمارة الرها الصليبية وبين الموصل وعلى وجه الخصوص عند الكلام عن لتابكة الموصل وعلى رأسهم عماد الدين زنكى مؤسس « الدولة الأتابكية » ، موضوع كتاب الباهر نفسه (٣٦) - كذلك عند كلامنا عن سقوط إمارة الرها سواء في المرة الأولى ١١٤٤م ٥٣٩هـ أو الثانية ١١٤٦م - ٥٤١هـ على يد عماد الدين زنكى ثم على يد ابنه نور الدين .

كذلك كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) الذي عني بنشره وتحقيقه ووضع فهرسه الدكتور سامي الدهان . اعتمد ابن العديم على الآثار الباقية والسجلات والمخطوطات المكتوبة واتخذ النقود سبيلا الى تحديد أسماء الولاة والحكام والقضاة واتخذ الاحجار والنقوش والأبنية مصدرا لمعرفة السنين والشهور . وبسط العادات واللبسه والتقاليد ونقل الكتب والتوقيعات والرسائل ليصل الى الغاية التي أرادها وهو في هذه الخطة لا يختلف عن مؤرخي العالم الغربي اليوم ، ومن الغريب أن يتبع المنهج الحديث رغم وفاته سنة ٦٦٠هـ (٣٧) .

والواقع أن من أهم النقائص التي أفادنا فيها تاريخ ابن العديم ما يتعلق بالعلاقات الرهوية الإسلامية خاصة علاقة الرها بحلب .

هذا الى جانب الاستفادة من بعض أثار وردت في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤هـ / ١٠٩٥م - ١١٨٨م) (٣٨)

أما أهم المخطوطات العربية التي أفادتنا بصورة واسعة ، مخطوطة تاريخ الدول والملوك لابن الفرات . الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١١٧ تاريخ . والتي جاء في مقدمتها انه يزتب الحوادث في تاريخه على السنين وذكر الوقيات في آخر كل سنة . بدأ ابن الفرات من أول

(٣٦) المصدر السابق ص ١٥ .

(٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب . مقدمة الناشر ص ١٠ - ١١ .

(٣٨) أسامة بن منقذ : الاعتبار . مقدمة المحرر فليبي جنى ، طبعة برنستون ١٩٣٠ .

القرن السادس الهجرى اى سنة ٥٥٠١ هـ وقيل انه وصل فيه الى سنة ٨٠٣ هـ . لكن الذى بهذه النسخة ينتهى الى ٧٩٩ هـ ، فيبدو ان المجلد الأخير مفقود .

ولد ابن اللرات عام ٧٣٥ هـ وتوفى ليلة عيد النضر ٨٠٧ هـ واعتد في تاريخه على مجموعة هامة من مؤرخى التاريخ الاسلامى سواء المعروفين للباحثين فى التاريخ او هؤلاء الذين تقدمت مؤلفاتهم ولم تصلنا .

هذا الى جانب مجموعة كبيرة اخرى من المخطوطات اهمها مخطوطة (نهاية الارب وفنون الادب للنويرى (ت ٧٣٢ هـ) ، التاريخ المظفر لآبى الدم الحموى (٦٤٢ هـ) وهو ميكرو فيلم بالجامعة العربية وتاريخ ابو الهيجاء (ت ٥٨٩ هـ) وهو ميكرو فيلم ايضا .

وبالافسالة الى هذه المصادر فالتنا رجعتنا الى مدد كبير من المراجع الحديثة الانجليزية والفرنسية والعربية وكلها مذكورة في فبت المصادر والمراجع ، في نهاية البحث ، واستفدنا غادة كبرى مما فيها من آراء ووجهات نظر .

المدينة

نمل المدخل الطبيعي لهذا الموضع هو تفسير اسم الرها واعطاء فكرة موجزة من تاريخ هذه المدينة القديم واهمية موقعها ودورها في المسيحية وعلاقتها بالآرمن وبالدولة البيزنطية . . الى غير ذلك من النقاط التي تلقى ضوءا على احوال الرها عند استيلاء الصليبيين عليها سنة ١٠٩٨ م/٤٩٢ هـ .

اما عن اصل مدينة الرها ، فان ميخائيل المرياني يذكر في تاريخه نقلا عن باسيليوس (Basilius) مطران تلك المدينة انه « بعد الطوفان الذي حدث في عهد نوح ، بنى الملك (نيرود بن كتيان) هذه المدينة » (١) . يشترك في هذا الرأي ابن العبري (٢) وان كان يبدو في نظرنا ان هذه الرواية لا تعدو اسطورة من الاساطير العبرية القديمة (٣) . كذلك يذكر باسيليوس ان نيرود لما بنى هذه المدينة اسماها (اورهاى Ourhal) وهو اسم مبسوط للرها ناطق عليها لولا اسم (Our) اى مدينة ، ولما كان يستعمل الكلدانيون افسك الى الاسم (hal) لتصبح مدينة الكلدانيين مثل (Our-Salem) اى بيت

(١) Chronique de Michel Le Syrien : T 111. F. 11, p. 278.

(٢) Bar Hebraeus : The Chronography of Gregory Abul Faraaj, (٢) V. 1, p. 8.

فهو يذكر هنا « ان نيرود بنى ثلاثة مدن هي : الرها ونمسين وسلوقية » .

(٣) Duval : Hist., Politique, Relig. et Littér. d'Edesse, p. 20.

E.R. Hayes : L'Ecole d'Edesse, p. 16.

وهما يذكران ان تلك الاسطورة تتطابق مع مسير النكرين (L'Erek de la Genèse) بل ان الأخير يذكر ان ابراهيم قد زارها وهو ما ذكرته ايضا .

Encyclopaedia Britannica. V. 7. p. 969 (1768)

وان العرب قد اطلقوا لبئر لا يزال موجودا حتى الآن اسم (بئر ابراهيم) .
(م ٢ - السليبه)

المقدس (٤) :

أما ابن العبري فقد ذكر في مكان آخر من تاريخه : « أن اليونان القدماء قالوا أن (انوش Enoch) أو (هرمس Harmis Tris Maghistos) هو الذي علم الرجال أن يبنيوا المدن ، وفي أيامه بنيت مائة وثلاثون مدينة ، منها وأصغرها (Urhai - Edessa) » ويؤيد هذا الرأي آخرون (٦) .

وبما يكن من أمر ، فإن الاسم شكل لاسم الرها هو (Urhái) الأرمي الذي يظهر في اللاتيني (Orrhet) (٧) وفي اليوناني (Orrhoeme) (٨) والمدينة في إقليم يسمى (اوسروين Osrhoéné) في السرياني (Bet' Urháyé) الذي نطقه العرب الرها (er - Ruha) (٩) بل قبل أن العرب سموها كذلك تحريفاً من الاسم البيزنطي . (Callirrhoe) (١٠) . وهنا يشير دولوربيـة

Michel Le Syrien : Op. Cit. p. 278.

(٤)

وهنا يشير أحد القواميس
Dictionnaire (Orrhai) الأثرية إلى نفس الاسم بقوله
D'artheologie ... T. 4, Part 2, p. 2064.

وفي القاموس الجغرافي التاريخي الديني يذكر أن اسم الرها في السريانية الشرقية (Orháy) وفي السريانية الغربية (Orhoy)

R. Aubert : Dictionnaire d'Hist. et de Geog. Ecclésiastiques
T. 14, p. 1424.

(٥) هرمس هو رسول الإلهة عند الأفريق والـه الطرق والتجارة والكر (المنهل ، قاموس فرنسي عربي ص ٥١٥) ويذكر نفس القاموس ص ١٠٤٧ أن Trismégiste تعني عظيم ثلاثا وهو لقب كان اليونان يطلقونه على الإله هرمس .

(٦) القرمطي : أخبار الكول . Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 5.
Duval : Op. Cit., p. 20.

Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953. (٧)
Burkitt : Early Eastern Christianity, p. 6. (٨) وهو

يفكر أن الاسم ليس له معنى معين .
Encyclopaedia Britannica, V. 7., p. 953. (٩)

(١٠) Le Strange : The Lands of The Eastern Caliphate, p. 103.
ابن الأشتحة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ .

Dulaurier (١١) الى اسم الرها بقوله « أن البطريك السرياني ديونيسيوس Dionysius of Tell Mahré قال في تاريخه أن الرها تشق اسمها من (اورهوى) وهو اسم ابن الأمير خبيوا Hewyā أول ملوك الرها والذي بدأ ملكه عام ١٢٦ ق.م » (١٢) .

ما ياقوت الحموي الجغرافي الأديب الذي عاش في القرن السابع الهجري — الثالث عشر الميلادي (ت ٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م) فيذكر أن المدينة سميت باسم الذي استحدثها وهو الرها بن البلندي ابن مالك ابن دمر . وقال أيضا عن ابن الكلبي في الانساب ، الرها ابن مسند بن مالك بن دمر ، كما قال : انها سميت بالرهما بن الروم ابن لثطى بن سام بن نوح (١٣) . وفي موضع آخر ذكر انها سميت أيضا اذاسا (١٤) .

نعمت مدينة الرها للخراب بعد بنائها الأول ، كما ذكر ميخائيل السرياني ، وظلت مهجورة حتى عهد الاسكندر الأكبر (١٥) . وذكر ابن شداد انه « في السنة الاولى من تاريخ الاسكندر ملك سلوقوس على سوريا

(١١) هو المترجم الفرنسي لقصيدة رثاء الرها للشاعر الأرمني سيرسيس شنور هالي
Nersès Schnorhali : Elegie sur la Prise d'Edesse ; (R.H.C.)
والتي ستأتي مقتداً منها ضمن الملاحق
Doc. Arm., T. 1, p. 227 - 268.

(١٢) حاشية لدولورييه على البيت رقم (٤٠)
Nersès : Ibid., p. 239.
Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953. هنا تعلق
بانه لا هذا الاشتقاق ولا اي اشتقاق آخر يعتبر مرضيا حتى اليوم .
(١٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٩ ص ١٠٦ . وقد سماها (الرها) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٢٧٥ .
(١٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٢٧ .
Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278. (١٥)

ويابل وهذا الرجل بنى سلوقية وألغى الرها وحلب واللاذقية» (١٦) ويؤكد هذا (دوسو Dussaud) فيقول «تبرز الرها بين المدن التي أسست في سوريا على يد Seleucus Nicator والتي أعطى كلا منها اسما مغربيا مثل سلوقية Seleucie ، اللاذقية Laodicée الرها Edesse» (١٧) . والواقع أن سلوقس عندما أسس تشييد مدينة الرها سنة ٣٠٤ ق . م أسماها « ادسا الجديدة » تقديرا لعاصمة المقدونيين القديمة (١٨) . ويعقب ميخائيل النرياني على ذلك ويؤكد به قوله أن لفظ « ادسا » الذي أطلق على المدينة في ذلك الوقت كان معناه « عزيزتي » (Chérie) (١٩) بما يحمل في طياته روح الأجلال لعاصمة المقدونيين القديمة .

وقيل أن الرها عرفت باسم إيطليكية الكرونيه في عهد انطيوخس الرابع — Antiochus IV Epiphanès (١٧٥ — ١٦٤ ق . م) والدليل على ذلك ما كتب على السكة التي ضربت في الرها في هذه (٢٠) وقد ذكر ذلك الاسم أيضا (Pliny) ولو أن دوغال يذكر أن الذي دفعه إلى ذلك الاستعداد التباس اسم عاصمة (Osrhoëne) مع عاصمة سوريا (٢١)

(١٦) ابن شداد : الأملق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجليرة ، ج ١ ص ١٤ ذكر ذلك أيضا باقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٢٧ من يحيى بن جرير .

(١٧) Dussaud : Topographie de la Syrie, p. 103, Cam. Ancient. Hist. V. XII, p. 493 (1939).

(١٨) E.R. Hayes : L'Ecole d'edesse p. 16, Duval, Op. Cit., p. 23. ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشية ليوسف بن الياس مركيس الدمشقي) . وهنا تذكر

Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 993

أن ادسا اليونانية استحدثت اسمها من عاصمة مقدونيا (أيجيه Algal القديمة والتي أصبحت بعد ذلك فودينا — Vodena) . ثم يؤكد هذا أيضا ما ذكر في Cam. Med. Hist.

Vol. IV, Part 1, p. 178, 185, 317, 318, 319.

أن ادسا فيها بين النهرين غير ادسا المسماة فودينا وهي إحدى بلدان البلقان .

Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 278. (١٩)

(٢٠) ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٠٠ (حاشية ليوسف بن الياس مركيس الدمشقي) .

Duval : Op. Cit., p. 23. (٢١)

وقد سميت المدينة أيضا (Justinopolls) (أى مدينة
 جستين نسبة إلى الإمبراطور البيزنطى جستين الأول Justin I
 (٥١٨ — ٥٢٧ م) الذى أعاد تربيعها بعد فيضان أصابها (٢٢) .
 أما المؤرخون اللاتين فيعقدون أسماءها فمنهم من يذكر ادسا Edessa (٢٣)
 وهو شائع لدى الكثير منهم . وهو ما ذكره التمام الأرمى نيرسيس
 فى مرقته عن الرها بعد سقوطها (٢٤) ، بل هو اسم لا يزال الفرنج يطلقونه
 عليها إلى أيلنا هذه (٢٥) . كذلك بعض المؤرخين اللاتين يسميها Edissa (٢٦)
 أو — Edyessa (٢٧) . والبعض الآخر يسميها (Rages) (٢٨) . ومنهم
 من يسميها — Callirhoe (٢٩) . أو (Rohas) (٣٠) أو (Roas) (٣١)

- (٢٢) Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14 p. 1422
 كان ذلك الفيضان سنة ٥٢٥م (Evagre ; Hist. Eccl.) من
 Cafari Genuensis : Liberatio Orientis : Hist. Occid. T. 5, (٢٣)
 part I, p. 71, Documenta Lipsanographica IX Tractatus de
 reliq. S. Stephani, Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 317, 318,
 Baldrici, Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana,
 (R.H.C.), Hist. Occid. T. 4, p. 80. (حاشية)
 (٢٤) البيت ٤٠١ (أيه ادسا ، مدينة الرها)
 Nersès : Op. Cit., p. 239.
 (٢٥) على سبيل المثال لا الحصر
 William of Tyre : A Hist. of Deeds, Vol. 2,
 p. 116, Setton : A Hist. of the Crusades, V. 1, p. 389,
 Archer : The Crusades, p. 147.
 Theodori Paldensis : Narratio Profectionis Godefridi (٢٦)
 Ducis : Hist. Occid. T. 5, Part I, p. 194, Historia
 Gotfridi X - Anonymi Rhen. Hist. Et Gesta Ducis
 Gotfridi Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 504.
 Ad Historiam Gestorum : Viae Nostri Lemporis Hieroso (٢٧)
 lymitanae, Hist. Occid. T. 5, Part 2, p. 752.
 وهو يضيف أيضا أنها كانت تسمى عند تدوينه للكتاب باسم — Rahasia
 Baldrici, Episcopi Dolensis : Op. Cit., p. 80 William of (٢٨)
 Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 189.
 Guiberti Abbatís : Gesta Dei Per Francos: (R.H.C.), Hist. (٢٩)
 Occid. T. 4, p. 165.
 Alberti Aquensis : Historiae Liber V. (R.H.C.) Hist. Occid. (٣٠)
 T. 4, p. 436, Liber III, p. 352.
 Theodori Polkdensis : Op. Cit. T. 5, Part I, p. 194. (٣١)

أما الاسم الحالي للمدينة فهو أورفا Orfa أو Urfa (٢٢) الذى قيل أنه مستمد من اسمها الأرامى المبكر Urhai (٢٣) والواقع أنه مهما تعددت الأسماء فالشائع من أسمائها هو الرها العربية وادسا الأفرنجية وأورفا الحالية .

فاذا انتقلنا الى تاريخ المدينة القديم ، بعد ان اعيد بناؤها بواسطة سلوقس فى القرن الرابع (ق . م) فاننا نجد الرها ظلت بعد ذلك هينستيه الطابع وعاصمة لمملكة أوسروين (٢٤) التى كانت المعقل الرئيسى بين معقل الثقافة السريانية فى زمن الإمبراطورية الرومانية (٢٥). ثم كان أن انقسمت الدولة التى كانت تخص سلوقس بين الروم والفرس ، ووقعت أوسروين على الحدود بين الإمبراطورية الرومانية والفرسية (٢٦) وحتى نهاية القرن الثانى الميلادى كانت الرها خارج الإمبراطورية الرومانية وبالتالى داخل النفوذ الفارسى . وفى الحرب التى شنها الإمبراطور تراجان Trajan على الفرس قاست الرها كثيرا إذ حمرت ونهبت على يد القائد الرومانى لوكيوس كيوئوس Lucius — Quietus سنة ١١٤م (٢٧) وقيل سنة ١١٦م (٢٨) وفى ذلك يقول جيبون : « صار حكام أوسروين الضعفاء بين شقى الزحى بين

(٢٢) Grousset : وحاشيه لدولورييه (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 239
Hist. des Croisades, V. 1, p. 52, Cam. Anc. Hist. V. XII,
p. 493, Le Strange : Op. Cit., p. 104.
(٢٣) Encyclopaedia Britannica, V. 7 p. 968, (1768), Le
Strange : Ibid. p. 104 (AR. Ruhā)

ويذكر الأخير أنه تحريف للرها العربية
(٢٤) L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888.
p. 519

وكانت هذه المملكة تقع فى شمال غرب الجزيرة بحددها نهر الفرات والخابور وأنها استقلت عن مملكة السلوقيين فى القرن الثانى قبل الميلاد وصارت مملكة مستقلة عاصمتها الرها .

(Gam. Anc. Hist., V. XII p. 493).
(٢٥) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969. (1768).
(٢٦) Cam. Anc. Hist., v. XII, p. 493.
(٢٧) Cam. Anc. Hist., V. XI, p. 249.

يذكر ان ذلك القائد الرومانى خرب الرها ونصيبين واحرقهما فى هذه السنة .

(٢٨) Burkitt : Op. Cit., p. 8, Encyclopaedia of Islam, V. 3,
Part 2, p. 994 عن (E. Honigmann).

الامبراطوريتين المتنافستين ، وكانوا يميلون الى جانب الفرس ولكن كفة روما كانت أرجح فاكهتهم على الخضوع لقبعتها . . وبعد انتهاء الحرب الفارسية على يد ماركوس Marcus تشككت روما في اخلاصهم وولائهم لها ، فاقبلت الحصون في اجزاء عديدة من البلاد وثبتت حامية رومانية في بلدة نصيبين القوية ، كما أرسل أبجر التاسع Abgar IX آخر ملوك الرها مقيدا في الأغلال الى روما ، يعد ان حددت مناطق نفوذه وصارت بلاده ولاية رومانية . وبهذا حصل الرومان على مركز ثابت ودائم فيها وراء الفرات « (٣٩) . وهكذا دخلت الرها تحت الحكم الروماني سنة ٢١٦ . (٤٠) وقد دخلت المدينة لفترة من الزمن ضمن مملكة تدمر (٢٥٧ — ٢٧٣ م) (٤١) تحت حكم ابنه Oqainath وزنوبيسا — Zenobia — وذلك منذ ٢٦٠ الى ٢٧٣ م (٤٢) .

لما عن مكانة الرها في ظل المسيحية فقد ذكر أبو الهيجاء ان الرها كانت من اشرف المدن عند النصارى واعظمها محلا وهي احدى الكراسى المطرانية (٤٣) . فائرمها بيت المقدس ثم انطاكية ثم رومية ثم القسطنطينية والرها (٤٤) .

- (٣٩) Burkitt : Ibid., p. 8, 9.
 Burkitt : Ibid., p. 9, Dictionnaire d'Histoire et de Geographie, T. 14, p. 1422.
 (٤١) وهي التي سماها اليونان بالميرا 12. La Syrie p. Lammens :
 — Palmyra وهي تقع أقصى شمال دمشق في الصحراء الكبرى في واحة
 Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 1020.
 Dictionnaire D'Archeologie, T. 4, Part 2, p. 2087.
 Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 994, 995. (٤٢)
 (٤٣) أبو الهيجاء : تاريخه ، د ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث
 ٥٣٩ هـ .
 (٤٤) أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٤ ، ابن الاثير : الباهر ،
 تحقيق طليعات ، ص ٦٦ — ٦٧ ، ابن قاضي شهبه : الدر الثمين ،
 ميكروفيلم رقم ٢٣٧ . (١) الباب السابع ٥٣٩ هـ .

ويقال أنه من أسباب ارتفاع مكانه مدينة الرها الدينية ، أنها تضم رفات بعض الحواريين مثل توما وتداوس (٤٥) ، هذا فضلا عما اثار اليه أبو زيب اسقف قيصرية في كتابه من تاريخ الكنيسة من خطابه ملكها أبجر الى السيد المسيح (٤٦) .

وقد اشتهرت كنيسة الرها الأولى بأنها كانت مقر مطران ما بين القرنين (٤٧) وعندما قامت في الرها جالية مسيحية صارت أحد المراكز الأولى لهذه الديانة الجديدة ، واتخذت المسيحية فيها طابعا قوميا حيث أنها ظلت تتكلم السريانية واحتفظت بحكامها ولغاتها الوطنية (٤٨) .

لما عن الرسائل المتبادلة بين المسيح عليه السلام وأبجر ، وما يرتبط بها من صورة المسيح أو منحه له ، ثم اشتراك الرها في ترجمة الانجيل ملكها تقطع جذيرة بالانتماء . ذلك ان أبو زيب أكد ان الملك أبجر - الذي كان مصليا برفق مزمع لا ليل في الشفاء منه (٤٩) - أرسل الى المسيح خطبا مع حنان - Hananya أو Hannan

قال فيه : « من أبجر حاكم الرها الى يسوع المخلص الصالح الذي ظهر في نواحي اورشليم ، السلام . اكتبى الى أمرك وما تصنعه من

(٤٥) انجيل متى الفصل العاشر (٣) ، العهد الجديد مطبعة المرسلين اليسوعيين بيروت ١٩٣٧ .

Gesta Francorum : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid. T. 8 p. 543

William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 144, Archer : Op. Cit., (٤٦) p. 60.

Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 241. (٤٧)

Burkitt : Op. Cit., p. 10, 11. (٤٨)

E.R. Hayes : Op. Cit. p. 27, Burkitt : Ibid., p. 11 (٤٩)

وأبجر هذا هو الذي كانت كنيسة كنيته الأسود (Duval : Op. Cit., p. 83).

وهنا يذكر الدبس : تاريخ سوريا ، ٢ م ٣ ص ٥٢ - ٥٤ « ان الأسود من باب الانداد لأن مرفقه كان البرص وجسمه كله أبيض » ويشير نيرسيس في مراثيه للرها الى أبجر على أنه مؤسس مدينة الرها (البيتين ١٧٣ - ١٧٤) فهو يقول : « إذ أن الملك أبجر قد هادنني هناك لكن دولوريه يخطئ على ذلك بأنه Nersès : Op. Cit., p. 232 ليس المؤسس لكنه من أشهر من اعتنى بتعميرها وإصلاحها . والراجح أن ذلك التطبيق صحيح لأننا لم نعلم على ما يبدو رأى نيرسيس ضمن مصادرنا .

الشفاء دون عقاقير وأدوية فقد ذاع انك تبرى العميان وتشفى البرص وتطرد الشياطين والأرواح الردية وتشفى المرضى أمراضا عضالة وتقيم الموتى ، فلما بلغت هذه الأمور عنك رأيت في نفسي انك إما اله حقيقة هبط من السماء وضع هذه الآيات وإما انك ابن الله حقا ، ولذلك كتبت اليك سائلا ان لا تائف من أن تزورنا وتبرى أمراضنا ، قد سمعت ان اليهود يفتنوك ويحولون قنك على مدينة جبيلة وان صغيرة فتكلمني وتكفيك » (٥٠) .

وكان ان رد المسيح قائلا : « طوباك يا ابجر لانك آمنت بي دون أن ترائي فقد كتب عنى أن من يرونى لا يؤمنون بي ومن آمنوا ولم يرونى فلهم الحياة . قد كتبت الى أن أتى اليك ولكن يلزمى أن اكمل كل ما أرسلت من أجله واذا تمت لك عيادت الى من أرسلنى ويمتد اليك حالا واحدا من تلاميذى يبرى مرضك ويوليك وجميع ذويك الحياة » (٥١)

بل ان يوركيث يضيف في آخر رد المسيح — الذى نقله عن أبو زيب — تلك الكلمات « سيخلف بذلك ولن يسود عليه أى مدو أبدا » (٥٢) . أما المصدر الأرميى التيم لتاريخ متى الرهلولى فيشير الى أن خطاب المسيح لابجر انتهى بتلك الكلمات « ان المجاعة والفناء لن يخطأ أبدا تلك المدينة » (٥٣) . وهكذا تضمن خطاب عيسى المسيح الى ابجر بركة منعت خصيصا لمدينة الرها مع الوعد بأن لا يتمكن أحد الأعداء أبدا من التغلب عليها . ويبدو أن هذا الوعد أصبح مادة مألوفة عند الرهوليين ، مما ضاعف من شهرة تلك المدينة (٥٤) .

لذلك سميت « الرها المقدسة » أو « الرها المباركة » وقد سمي كثير من ملوكها باسم ابجر وعدد ديونيسيوس تسعة وعشرين منهم بهذا الاسم (٥٥) .

أما صورة المسيح التى تعتبر الأثر الثانى المقدس الذى زاد من مكانة

(٥٠) الدبس : تاريخ سورية ، ج ٢ م ٣ ص ٥٤٤ .

(٥١) نفس المصدر والصفحة .

(٥٢) Burkitt : Op. Cit., p. 14.

(٥٣) Chronique de Grégoire Le Prêtre (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 159.

(٥٤) E.R. Hayes : Op. Cit., p. 29 - 30, Burkitt : Op. Cit., p. 15

(٥٥) الدبس : تاريخ سورية ، ج ٢ م ٣ ص ٥٤٥ .

الديانة فنقرأ عنها الكثير من التسميات ، فالبعض يسميها منديل المسيح (٥٦) أو منديل عيسى بن مريم (٥٧) والبعض يسميها الفيرونيكا (٥٨) أو للورنيقة (٥٩) ، وهنا تختلف الآراء ، هل تلك الصورة كانت بيد بشر ؟ لم أنها رسمت بطريقة الهية ؟

وفقا لرأى بن العبرى ، يقول : « ان أبجر ملك الرها أرسل الى المسيح يطلب منه أن يراه فمسخ المسيح وجهه في منديل انطبعت فيه تقاطيعه وأرسله اليه (٦٠) » ويتفق مع هذا الرأى ما ذكره دولورييه (٦١) و — Ostrogorsky الذى يذكر « أنه المنديل المقدس الذى لم يصنع بأيدى انسان (٦٢) » . والواقع أن هناك تفسيراً آخر يقترب من ذلك الرأى وهو « أنه صورة المسيح طبعته على القماش الذى قدمه له القديس فيرونيكا ليسج حاجبه حينها حل صليبه وهو في طريقه الى مكان الملب (٦٣) في حين اتفرد Bar, Bebraeus, Burkitt برأى آخر هو « ان الملك أبجر أرسل رسالاً يسمى حنا لابلايوس John Labellarius فرسم صورة لوجه السيد المسيح على

(٥٦) القريشى : اخبار الدول وآثار الاول من ٥١ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب من ٢٠١ ويذكر لوسترانج ان المسعودى : Le Strange Op. Cit. p. 103. يسميه (منديل المسيح الناصرى) أما Gesta Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 543 فيذكر أنها « صورة المسيح أرسلت مع الرسول تاديوس في منشفه » . (٥٧) ابن حوقل : صورة الأرض من ٢٠٤

Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.) (٥٨) وهنا يعود (لوسترانج) فيذكر أنها أحد Doc. Arm. T. 2, p. 270 الفيرونيكات العديدة : لكن هل فيرونيكة الرها هي الموجودة الآن في روما أو جنوا ؟ لم يستقر الرأى بعد (Le Strange Op. Cit., p. 104) (٥٩) Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969 (1768).

(٦٠) ابن الأثير : الكامل ، Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 162 ح ٦ ص ٢٩٤ ، ابن السامعى : اخبار الخلفاء ، مخطوط تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .

(٦١) في تعليق دولورييه على البيت رقم (٤٠) ص ٢٢٧ في قصيدة نيرسيس يذكر « ان أبجر ملك الرها سمع عن المسيح فأرسل اليه رسالة يعبر له فيها عن إعجابه واستيائه اليه طالباً في الوقت نفسه رسمه . ويقال أن المسيح أخذ منديلاً وضغط به على محياه فانطبعت فيه ثم أرسله لأبجر » .

Ostrogorsky : History of the Byzantine State, p. 246 (٦٢)

The American College Dictionary, p. 1351. (٦٣)

لوحة أحضرها لأبجر « (٦٤) ولو أن ابن العبري يشترك في الرأي الأول، فربما نقل الرايين في موضعين مختلفين .

ومهما يكن من أمر فقد ظلت تلك الصورة المعجزة ، موجودة في الرها حيث اعتبرت الحامية للمدينة Palladium (٦٥) . ويقال إن ذلك الأثر المقدس ظل موجودا في الرها إلى سنة ٣٣١ هـ . ٩٤٣ م في عهد الخليفة المتقي لله العباس حين أرسل ملك الروم يطلب منه التمدد الذي كان موجودا في كنيسة الرها . وقد أغراه أن فعل ذلك بإطلاق سراح عدد كبير من أسرى المسلمين . فاحضر المتقي لله القضاء والفقهاء واستفتاهم فاختطفوا فقال بعضهم أن تسلم وزاى الآخر لا تسلم قاتلين : « أن هذا التمدد لم يزل من قديم الدهر في بلاد الاسلام لم يطلبه ملك من ملوك الروم ، وفي دفعه اليهم غضاضة » (٦٦) وكان في الجماعة على بن عيسى الوزير فقال : « أن خلاص المسلمين من الأسر ومن الضر والضرر الذي هم فيه أولى من حفظ ذلك وأرسل إلى الملك من يتسلم الأمر من بلاد الروم فاطلقوا » (٦٧) .

أما دور الرها في ترجمة الانجيل ، فقد كانت المدينة مركزا لاجالية

Burkitt : Op. Cit., p. 13, Bar Hebraeus : Op. Cit. (٦٤)
V. 1 ; p. 48

Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 969, (1768). (٦٥)

وهنا يذكر المورد القاموس الإنجليزي عربي ص ٦٥٢ تفسيراً لتلك الكلمة بأنها تمثال (بالاس اثينا) آلهة الحكمة عند الاغريق ، وكانوا يعتقدون أن سلامة مدينة طروادة مرهونة به .

(٦٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ص ٢٩٤ ، ابن السامى : أخبار الخلفاء ، مخطوط ، تاريخ تيمور ، رقم ٩٠٢ ص ٨٠ .
(٦٧) المصدرين السابقين نفس الصفحات . وهنا يعقب ابن العبري في تاريخه :

« أن المتقي جمع الكتاب الموثوق فيهم وسألهم ، هل القاتلون يخول لهم مثل تلك الذريعة كما هو للمسيحيين أم لا ؟ فأجابوا ؟ « بالرغم من أنه أفرط في حق لنا للترك بهذه الصورة المطبوعة على القماش ، ولكن يجب إعطاؤها لهم لأن المسلمين يفاسون من الجوع والعري »
(Bar Hebraeus : V. 1, p. 163)

يهودية كبيرة قبل أن تتأثر بالمسيحية (٦٨) . ولما ذهب إليها (آديا) (٦٩) أوتداوس نزل عند أحد يهود فلسطين ونجحت مواعظه الدينية بين اليهود (٧٠) . ويروى أن (آديا) أرسل بعض المؤمنين إلى بيت المقدس لينرجموا العهد القديم من العبرية إلى السريانية (٧١) . وتشير شواهد مختلفة أن هؤلاء المترجمين لم يكونوا يهودا متبعين بعقيدتهم ولا وثنيين وإنما كانوا يهودا تحولوا إلى المسيحية Judeo — Chretiens (٧٢) والواقع أن ترجمة العهد القديم إلى السريانية من العبرية وبوجه خاص الأسفار الخمسة الأولى منه توحى بأن هذه الترجمة عمل مردي قام به شخص على معرفة طيبة بالعبرية (٧٣) وربما تمت ترجمة العهد القديم إلى السريانية في الرها نفسها وليس من طريق بعض أهلها اليهود في فلسطين أو القدس . ويؤيد Duval هذا الرأي فيقول : « أن ترجمة العهد القديم تمت حوالي منتصف القرن الثاني في الرها نفسها » (٧٤) .

وفي حوالي سنة ٢٠٠ م أعيد تأسيس كنيسة الرها من جديد على أسس من الاتحاد الوطني مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية داخل الإمبراطورية الرومانية . وتم ذلك تحت رئاسة الأسقف بالوت ، ويعنى هذا أن كنيسة الرها اتخذت اتجاهها لربها (٧٥) . بعد أن كانت محافظة على طابعها وكان أن حمل ذلك الأسقف إليها ترجمة من العهد الجديد — أو بمعنى آخر الأناجيل الأربعة الأولى من العهد الجديد

Duval : Op. Cit., p. 85 - 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 28, (٦٨)
Cam., Anc. Hist. V. XII, p. 494, L.J. Tixeront : Jour.
Asiatique, T. XII, Paris, 1888, p. 518.

Duval : Ibid., p. 86, E.R. Hayes : Ibid., p. 28 (٦٩)

أما كتاب الخريدة النخيسة في تاريخ الكنيسة ، ص ١٣
مسيحية (يهودا أو ثاديوس أوليادس) .

Burkitt : Op. Cit., p. 72. (٧٠)
أما (٧١)

E.R. Hayes : Op. Cit., p. 36. Cam. Anc. Hist. V. XII, p. 494
مذكر أن الجالية اليهودية في الرها وفي نصيبين هم الذين ترجموا العهد
القديم إلى السريانية .

E.R. Hayes : Ibid., p.p. 36 — 37. (٧٢)

Burkitt : Op. Cit., p. 71. (٧٣)

Duval : Op. Cit., p. 110. (٧٤)

Dictionnaire d'archeologie .. T. 4, Part. 2, p. 2082, 2088, (٧٥)

L.J. Tixeront : Journal Asiatique, T. XII, Paris 1888, p. 518,

Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 953,

==

مع سفر أمسال الرسل ورسالات بولس الانجيلية الأربعة عفر ونسخة من العهد القديم نحتت تنقيحا بسيطا من اليونانية ، ووسعت بترجمات من اليونانية (٧٦) ويبدو أن هذا الاتجاه نحو التقارب من الكنيسة الشرقية قد أثار كثيرا من الاضطرابات في الرها وهي الاضطرابات التي راح ضحيتها بعض الشهداء ، أشهرهم الأسقف برسوما - Barsamya في منتصف القرن الثالث لكن الأسقف رابولا - Rabbōla (٤١١ - ٤٣٥م) أنهى تلك الاضطرابات في الرها (٧٧) . وهكذا يبدو لنا من هذا العرض الموجز أهمية الرها في تاريخ المسيحية المبكر .

أما عن دخول الرها في حوزة المسلمين ، فقد تم ذلك سنة ١٨ هـ (٧٨) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد عياض بن غلم وتم ذلك صلحا ، فعندما نزل عياض ببساب الرها واشتبك الجانبان أرسل بطرق المدينة يطلب الأمان « فصالحه عياض على أن أمن جميع أهلها على أنفسهم وذرائعهم وأموالهم ومدينتهم » (٧٩) وفي عهد معاوية الأول أميد بناء جزء من كنيسة الرها القديمة كان قد دمره أحد الزلازل (٨٠) . أما في عهد عبد الملك ابن مروان فقد بنى هذا الخليفة الأموي كنيسة للتعبيد بالرها (٨١) .

== هنا يغيب اغناطيوس انرام الثاني : مقالته في مسورية ص ٢٣ (على السريان منذ القدم فنقلوا الى لغتهم الرهاوية جملة من التأليف اليونانية الدينية والعلمية والتاريخية والأدبية وانتشرت على يدهم تصانيف القدماء الى العربية . واتصلت اليها كتابات شتى بالسريانية الرهاوية منقوشة بالقلم الاسطرنجيلي (نشر بعضها الممالك المستشرق يونيون في جامع الكتابات السالابية Inscriptions - Sémitiques في الماسة الأولى قبل الميلاد على حجر في جوار الرها - والخط الاسطرنجيلي هو خط المسيحيين الشرقيين Nestorians.

I.J. Gelb : A Study of Writing, Chicago, 1952, p. 187.

Burkitt : Op. Cit., p. 77.

(٧٦)

Burkitt : Ibid., p. 49, Encyclopaedia Britannica, V. 7,

(٧٧)

p. 969; (1768).

(٧٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٧ (مطبعة السعادة ببصرى ١٩٥٩) ، الطبرى : تاريخه ص ٣ من ١٩٣ ، ١٩٤ (١٣٢٩م - ١٣٥٧ هـ ولو أن الطبرى في موضع آخر يذكر أن ذلك كان سنة ١٩ هـ (٣ ص ١٥٥) ولكن الراجح أن ذلك كان سنة ١٨ هـ .

(٧٩) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٧ .

Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954.

(٨٠)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 105.

(٨١)

وفي عهد الخليفة أبى جعفر المنصور هدمت جدران الرها المتينة
التي كانت قد بنيت في عهد سلوقس ومارافريم — Mar Ephrem (٨٢)
لكن أهالى الرها أعادوا بناءها على نفقتهم في عهد الخليفة المأمون
سنة ٨١٤ م (٨٣) .

ظلت الرها تابعة للحكم الاسلامى حتى دخلت تحت نفوذ البيزنطيين
في بداية القرن الحادى عشر الميلادى عندما اعتلت الأسرة المقدونية عرش
بيزنطة (٨٦٧م — ١٠٥٦م) فكانت المرحلة الأولى من حكمها وهى التى
امتدت حوالى قرن ونصف من ٨٦٧ حتى ١٠٢٥م المدة فترة في تاريخ
الامبراطورية الساسى والحضارى حتى لقد اطلق عليها المؤرخون اسم
(العصر الذهبى) للامبراطورية البيزنطية (٨٤) .

والواقع ان البيزنطيين تحولوا في القرن العاشر من ناحية
حدودهم مع المسلمين من الدفاع الى الهجوم واعتبر هذا القرن عصر
صحوه بالنسبة لبيزنطة (٨٥) . وكان من أهم العوامل التى أدت الى انقاذ
البيزنطيين سياسة الهجوم في ذلك القرن هو رغبتهم في استعادة
مستعمراتهم القديمة في الشرق الأدنى ؛ تلك المستعمرات التى فقدوها
في القرن السابع الميلادى عندما قام العرب بحركة فتوحاتهم الكبرى ،
وازدادت شدة تلك الرغبة نتيجة لما شعر به البيزنطيون من نمو
قوتهم في القرن العاشر الميلادى (٨٦) .

ففى عهد الامبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ — ٩٥٩م) وبالنحديد
سنة ٩٤٣ م استولى القائد حنا كوركواس — John Curcuas

(٨٢) فهو يذكر انه عندما Michel Le Syrien, Op.'Cit., p. 279.
اراد الخليفة أبو جعفر المنصور — الدوانيقي — أن يبنى قصر في الرقة ،
أرسل الى الرهويين يطلب بعض أعمدة صغيرة من الرخام من تلك
التي كانت مكدسة في الكنيسة الكبيرة . فلم يعطوه شيئاً وجعلوه يتور
فذهب وأقام الحصار على تلك المدينة ودمر هيكل مارسرجيوس
Mar Sergius وفي أثناء الحصار سقط ذلك الجدار العجيب ولم
يبق منه سوى دور واحد .

(٨٣) Michel Le Syrien : Ibid., p. 279, Bar Hebraeus : Op. Cit.
V. 1, p. 125.

(٨٤) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبي ص ٦ . وهنا يشير
Ostrogorsky : Hist. of the Byzantine, p. 187, (1957)

ان العصر الذهبى للامبراطورية البيزنطية يمتد من ٨٤٣ — ١٠٢٥م .

(٨٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية - ج ١ ص ٥٨ .

(٨٦) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ٨٨ — ٨٩ .

على ميافارقين وآمد ودارا ونصيبين ثم توجه الى الرها محاصرها ثم عاد الى القسطنطينية سنة ٩٤٤ م بعد ان اخذ من الرها مندبل المسيح الذي كان موجود بها منذ عهد الملك ابجر (٨٧) .

وفي سنة ٩٤٩م استولى البيزنطيون على مرعش وفي سنة ٩٥٨م استولوا على سميساط (٨٨) وفي سنة ٩٦١ استولوا على عين زربة ومرعش ورعبلان ودلوك (٨٩) .

اما في عهد الامبراطور نقفور فوقاس (٩٦٣ — ٩٦٩ م) فقد حاول هذا الامبراطور بنفسه الاستيلاء على انطاكية سنة ٩٦٦م لكنه لم يستطع وعاد الى القسطنطينية لكن المدينة سقطت بيد قائدتين بيزنطيين في ٢٨ اكتوبر ٩٦٩ م وهذان القائدان هما Peter Phocas وميخائيل البرجي — Michael Burtzes (٩٠) .

ثم استنجد قرغويه حاكم حلب بالروم ضد سيده ابي المعالي بن سيف الدولة وذلك في اواخر سنة ٣٥٨هـ (٩١)/٩٦٠م وبالفعل قدم الروم في بداية سنة ٣٥٩ هـ لنجدة وانسحب ابو المعالي عن حلب (٩٢) وعقدت هدنة بين قرغويه وبين الروم (صفر ٣٥٩ هـ — يناير ٩٧٠م) (٩٣) كان من اهم شروطها تبعية حلب للبيزنطيين (٩٤) . وهكذا خضع شمال بلاد الشام

Ostrogorsky : Ibid., p. 245, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, (٨٧)
p. 718 — 719.

Ostrogorsky : Ibid., p. 250. (٨٨)

Ostrogorsky : Ibid., p. 252. (٨٩)

Ostrogorsky : Ibid., p. 257. (٩٠) كان الاستيلاء على انطاكية

في ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ (يحيى بن سعيد الانطاكي : تاريخ الذيل ص ١٢٥ (باريس ١٩٢٤))

(٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ١ ص ١٦١ « كان الحاجب قرغويه قد اتولى شئون حلب مع ابن استاذة ابو المعالي سعد الدولة بن سيف الدولة الحمداني . وذلك في ربيع الاول سنة ٣٥٦ هـ بعد وفاة سيف الدولة (ابن العديم : د ١ ص ١٥٥ ، الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٦٤) ثم استولى قرغويه على حلب وطرد منها سعد الدولة وذلك في المحرم سنة ٣٥٨ هـ (الغزى : المصدر السابق ص ٦٥) .

(٩٢) ابن العديم : المصدر السابق ص ١٦٣ ، يحيى بن سعيد الانطاكي : تاريخه ص ١٢٥ .

(٩٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية د ١ ص ٦٣ ، عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبي ص ١٠٦ .

(٩٤) تناول ابن العديم شروط المعاهدة بالتفصيل في زبدة حلب ، د ١

=

في أواخر الخمسينات من القرن الرابع الهجري — خاصة أنطاكية وحلب —
للنفلوذ البيزنطى (٩٥)

وفي عهد الإمبراطور حنا تزيمنكس (٩٦٩ — ٩٧٦ م) في خلال الفترة
الممتدة من ٩٧٢ — ٩٧٥ م قسّم هذا الإمبراطور بلّاربع حملات هامة في
الشرق الأدنى ، الثلاثة الأولى منها كانت في شمال العراق في إقليم الجزيرة
في الفترة الممتدة من ٩٧٢ الى ٩٧٤ (٩٦) .

لما حملته الرابعة على بلاد الشام سنة ٩٧٥ م فقد تميزت بروح
صليبية ظاهرة ، برزت من خلال الرسالة التي أرسلها الإمبراطور لحليفه
آشوت الثالث (٩٧) .

لما الإمبراطور باسيل الثاني (٩٨٧ — ١٠٢٥ م) فقد توحه مرتين
الى شمال الشام الأولى سنة ٩٩٥ م والثانية سنة ٩٩٩ م دون أن
يحقق أى نجاح يذكر (٩٨) وفي بداية القرن الحادى عشر الميلادى عقدت
معاهدة بين الفاطميين والبيزنطيين (١٠٠١ م) ولم يحدث بين الجانبين
أى احتكاكات تفكر حتى نهاية عهد باسيل الثانى (٩٩) .

وفي عهد الإمبراطور قسطنطين الثامن (١٠٢٥ — ١٠٢٨ م) يبدو
أنه لم يكن هناك أى احتكاكات أيضا أما في عهد الإمبراطور رومانوس
الثالث (١٠٢٨ — ١٠٣٤ م) فقد استولى جورج مانياكس George
— Maniaces على الرها سنة ١٠٣١ م (١٠٠) أو ١٠٣٢ م (١٠١) /
٤٢٣ — ٤٢٤ هـ . فظلت ضمن الممتلكات البيزنطية حتى قدوم الصليبيين
في أواخر القرن الحادى عشر للميلاد (١٠٢) .

= من ص ١٦٣ : ١٦٨ ، تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ص ١٣٦ ،
Vasiliev : Hist. of the Byzantine, V. 1, p. 309, (1952).

Vasiliev : Ibid., p. 309.

(٩٥)

(٩٦) مبر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١١١ وقد تناول تلك
الصلوات بالتفصيل .

Otrogorsky : Op. Cit., p.p. 263 — 264. (1957).

(٩٧)

Ostrogorsky : Ibid., p. 273. (1957).

(٩٨)

Vasiliev : Op. Cit., V. 1, p. 311.

(٩٩)

Michel : Op. Cit., p. 280.

(١٠٠)

Ostrogorsky ; Op. Cit., p. 285, Bar Hebraeus : Op. Cit.,

V. 1, p. 193, Cam. Med. Hist., V. 4, Part 1, p.p. 725 726.

Cam. Med. Hist. : Ibid., p.p. 725 - 726.

(١٠٢)

وينهم مما كتبه ميخائيل السرياني مدى الحب الذي كان يكنه أهل الرها للعرب ومدى كرههم للبيزنطيين . وربما يرجع الى اختلاف المذهب الديني لمسيحي الرها عن مذهب البيزنطيين ، فبينما كان المسيحيون في الرها يؤمنون بأن للمسيح طبيعة واحدة، أخذ البيزنطيون بمذهب الطبيعيتين (١٠٣) . وقد ذكر ميخائيل « أنه عندما دخل البيزنطيون الرها ، هجرها العرب الذين كانوا بداخلها ومعهم أطفالهم ، كذلك هجرها أهلها من المسيحيين ومعهم أطفالهم » فلما فعل العرب . ذلك أن أهل المدينة المسيحيين كانوا قد ألفوا العرب وعرفوا لغتهم وكتابتهم في حين كانوا في رعب من البيزنطيين بسبب هرطقتهم وميلهم للشر . وهكذا أخلى المسيحيون والعرب المدينة بعد أن أشعل أحد العرب النار فيها فأحرقت المنازل والكنائس وظلت المدينة خاوية في أيدي البيزنطيين « (١٠٤) .

ويبدو أن الرها استعادت حيويتها بعد أن دخلت في نطاق دولة فيلاريثوس الأرمني سنة ١٠٧٧م/٤٧٠هـ (١٠٥) .

وهكذا يبدو لنا من هذا العرض السريع لتاريخ الرها حتى عصر الحروب الصليبية أن تلك المدينة لم تكن بمنأى عن التيارات السياسية والحضارية في العصور القديمة والوسطى . ويرجع السر في ذلك الى موقعها الهام في إقليم الجزيرة ، فقد كانت تكون مركزا هاما في الهلال الخصيب بحضاراته في العصور القديمة ، فضلا عن وقوعها على طريق التجارة بين الشرق وبلاد الشام ، وعلى مفترق الطرق بين الإمبراطوريات الكبرى التي عرفها العالم القديم مثل الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية . لماذا أضلنا الى ذلك كله خصوصية الأرض التي تقع الرها ومسطها بين عدة أنهار شهيرة كالفرات ودجلة والبليخ ، أدركنا السر في نشاط تاريخ الرها وحيويته على مر العصور .

وظهرت أهمية هذه العوامل كلها من موقع وثروة طبيعية ، في عصر

(١٠٣) كانت بداية ذلك الخلاف في مجمع خلقدونية (٤٥١ م) .
 Charles Joseph Hefele : Hist. des Conciles, T. II, Part 2,
 p.p. 844 - 846, Hubert Jedn : Brève Hist. des Conciles,
 p.p. 42 - 43, R.P. Janin : Les Eglises Séparées, p.p. 4-5.
 Michel : Op. Cit., p. 280. (١٠٤)
 (١٠٥) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة
 المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى ص ١٢٨ عن (Brehier ; Vie Et Mort)
 Cam. Med. Hist : V. IV, Part 1, p. 628.

الحرب الصليبية عندما قامت في الرها أولى الإمارات الصليبية في الشرق ،
وهي الإمارة التي شكلت خطرا كبيرا على خطوط المواصلات الإسلامية
بين الموصل وحلب وبين بغداد وسلاجقة الروم في آسيا الصغرى (١٠٦)
ذلك ان إمارة الرها الصليبية لم تكن تسيطر على أهم الطرق التي تصل
بين الجزيرة والساحل فحسب ، بل كانت أيضا أقرب من أية إمارة
صليبية أخرى إلى 'عاصمة الخلافة العباسية في بغداد (١٠٧) هذا إلى أنها
قامت بدور الحاجز بين الجزيرة والأتراك السلاجقة في العراق وفي فارس
من ناحية وبين الصليبيين في بلاد الشام من ناحية أخرى (١٠٨) ، وبذلك
تحملت الرها شرقي الفرات وتل باشر غربيه بمشقة عبء الدفاع عن
الجهة الشرقية للوجود الصليبي في الشرق الأدنى (١٠٩) هذا كله فضلا
عن الصدمات التي تعرضت لها من جانب التركمان والأتراك من جهة الشمال
وخاصة بنى أرتق الذين حكموا ماردين وحصن كيفا ونصيبين ودياربكر (١١٠)

وارتبط بتوسع السلاجقة في آسيا الصغرى في القرن الحادى عشر ،
دخول أعداد كبيرة من الأرمن إلى الرها . ذلك أن حركة انتشار
السلاجقة في آسيا الصغرى اتخذت اتجاهها أفقيا من الشرق إلى
الغرب ، عبر أرمينيا وكبادوكيا وفريجيا وإيونيا ، حتى شملت جميع
الجهات الشمالية والوسطى من شبه الجزيرة . أما الأقاليم الجنوبية
والشرقية من آسيا الصغرى — حول طوروس وملطية ثم الرها
وأنطاكية — فلم يتجه إليها السلاجقة في أول الأمر مما أدى إلى عزل تلك

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175, (١٠٦)

سميد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ٢٠٤ (عن Stevenson)
حسن حبشى : نور الدين والصليبيين ، ص ١٢ (عن Daussaud).

Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478, (١٠٧)

وهنا يذكر بريئة أنها كانت الحد المتطرف للفتوحات اللاتينية

Brehier : L'Eglise et l'Orient, p. 90.

J. Prawer : Op. Cit. T. 1, p. 209. (١٠٨)

(Duval : Op. Cit., p. 279).

هنا يشير دوفال أنها حمت مجرى الفرات ومدخل سوريا من القوات
التركية

Vasiliev : Hist. of the Byzantine. V. 2, p.p. 56, 69, (١٠٩)

Michaud : Histoire des Croisades, V. 1, p. 248,

Lammens : La Syrie, V. 1, p. 211.

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288. (١١٠)

المنطقة من بقية بلاد الامبراطورية البيزنطية ثم وقوعها بين فئتي
الرحى في الصراع القائم بين البيزنطيين والسلاجقة في آسيا الصغرى .
وكانت الامبراطورية قد منحت ملوك ارمينيا وامرائها ضياعا واسعة في
اقليم كابادوكيا . مما ترتب عليه هجرة اعداد كبيرة من الأرمن الى ذلك
الاقليم في شرق آسيا الصغرى (١١١) . ولكن توسع الأتراك السلاجقة في
كابادوكيا واستقرارهم في ذلك الاقليم ، جعل أولئك الأرمن يبحثون عن
ماوى جديد ، فأنجسوا نحو اقليم قيليقية الجبلية في جنوب شرقى آسيا
الصغرى ، وتركزوا في الجهات المحيطة بهلطية والرها وانطاكية (١١٢) .

ولما كانت الرها قد غدت مدينة ارمينية بحكم الأرمن الذين نزحوا
اليها واستقروا فيها ، فان هذا يدفعنا الى التعرف على وضع الأرمن في
منطقة الشرق الأدنى في القرن السابق لوصول الصليبيين الى تلك المنطقة
اعنى القرن العاشر للميلاد .

أما عن موقع ارمينيا الجغرافى فيقول ياقوت : « ارمينيا الكبرى
خلاط ونواحيا ، ورمينية الصغرى تفليس ونواحيا » . ويضيف أنها
« سميت ارمينية بأرمينا بن لثا بن اومر بن يافث بن نوح عليه السلام
وكان أول من نزلها وسكنها (١١٣) » . وهى في العصر الحاضر إحدى
جمهوريات الاتحاد السوفيتى (١١٤) .

(١١١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٩٧ من (Setton)

(١١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٩٨ من (Iorga)

(١١٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، د ٢ ص ١٦٠ .

وخلاط هى البلدة العاصمة المشهورة ذات الخيرات الواسعة والثمار
البايعة، وهى من فتوح غياض بن غنم وهى قسبة ارمينية الوسطى، وبحيرة
خلاط من عجائب الدنيا (ياقوت : معجم البلدان د ٧ ص ٢٨٠ - ٢٨١) .

وتفليس بلد بارمينيا الأولى (الأصلية) وبعض يقول باران ، وهى
مدينة قديمة أزيلت افتتحها المسلمون في أيام عثمان بن عفان ، على يد حبيب
بن مسلمة وظلت بأيدي المسلمين حتى سنة ٥١٥ هـ ثم أغار عليها جيل من
الفرس من جيل أبخاز هم الكرج منتهزين بالخلافات بين حكامها السلاجقة
لملكوها عنوة . وظلت بأيديهم حتى أخذها منهم الخوارزميون سنة ٦٢٣ هـ
ولكن الكرج عادوا مرة أخرى لحكمها عن طريق الأهالى ولكنهم خافوا
من عودة الخوارزميين اليها فحرقوها سنة ٦٢٤ هـ (ياقوت : معجم
البلدان ، د ٥ ص ٣٥ - ٣٦) .

(١١٤) أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى ، مجلد ١ (١٣٨٣ -
١٩٦٣) ص ٧٣ يذكر أنها تحيط ببيرة فان ومن معالمها الجغرافية جبل

وللتعرف على أحوال أرمينيا الكبرى في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي ، نذكر أنه كانت هناك حوالى ست ممالك مستقلة في أرمينيا ، لكن يبدو أن إمبرائها كانوا متنافسين باستمرار مما أضعف قوتهم وأطعم نعيم كلا من العرب والبيزنطيين (١١٥) وكان أن أصبحت أرمينيا عند نهاية القرن العاشر في حال شديد من الضعف بسبب الحروب الخارجية والانقسامات الداخلية ، لذلك لم تعد قادرة على القيام بأية مقاومة فعالة ضد البيزنطيين أو الأتراك السلاجقة وهم العدو الجديد الذى ظهر على حدودها الشرقية (١١٦) .

وقد شجع ذلك الوضع باسل الثانى إمبراطور الدولة البيزنطية في عام ١٠٠٠م/ ٣٩١هـ على احتلال بعض الأقاليم الأرمينية الواقعة على حدود دولته حتى اضطر الملك سنكيريم Senck'erim الأرمنى إلى التنازل عن مملكته عام ١٠٢١ - ١٠٢٢م/ ٤١٢ - ٤١٣هـ ، للإمبراطور وتلقى بدلا عنها مدينة سيواس في آسيا الصغرى وأقاليمها على امتداد الفرات وفى عام ١٠٤٥ م - ٤٣٧هـ اضطر الملك جاجك Gag الأرمنى حاكم آنى إلى التنازل عن ملكه للإمبراطور البيزنطى أيضا وعوض عنه أرضا في داخل كابادوكيا . هذا بالإضافة إلى جاجك صاحب قرص Kars الذى تنازل هو الآخر عن أملاكه للإمبراطور البيزنطى عام ١٠٦٤ م/ ٤٥٧هـ ومنع في مقابلها منطقة في كابادوكيا . وبذلك اختفت الممالك الأرمينية الصغيرة

= أرارات الذى قيل إن سفينة نوح رست عليه بعد الطوفان ويطلق عليها اسم جمهورية أريغان وعاصمتها أريغان بقرا

Armenia - Armenie - Ecrivain.

Siraple Der Nersessian : Armenia and the Byzantine (١١٥) Empire, p. 9.

Siraple Der Nersessian : Ibid., p. 10 هنا تذكر دائرة

المعارف الإسلامية المجلد الأول ص ٦٤٧ تحت مادة (أرمينية) : في عهد آشوط الثالث (٩٥٢ - ٩٧٧ م) بنيت قلعة آنى الصغيرة فأصبحت مقر ملكه ، وأصبحت دوة الشرق . وحكم سبباط الشانى (٩٧٧ - ٩٨٨) وأخوة جاجيق الأول (٩٩٠ - ١٠٢٠ م) حكما سعيدا موفقا وإن كانت سياستها الداخلية الخرقاء قد دفعتها إلى الاشتباك الدائم مع الإبارات النصرانية المجاورة ، كما كان بينهم وبين أمراء المسلمين الذين يحكمون الجزء الجنوبي من أرمينيا نزاع مستمر . وفى ٩٨٨م هزم داود المقدام أمير قيق صاحب الجزء الأكبر من بلاد الكرج - ملون أحد أمراء المسلمين بالقرب من زيمبو . ولما توفي جاجيق الأول تنازع العرش وارثه الشرعى يوحنا وخصمه القوى آشوط الرابع وزاد في تخرج الحالة تدخل أهل الكرج وغارات السلاجقة التى بدأت هجماتها الأولى في ذلك العهد .

الواحدة تلو الأخرى وامتد النفوذ البيزنطى فى أرمينيا غالبا حتى (دوين)
فى الشرق (١١٧) .

ولم يلبث السلاجقة أن أنزلوا هزيمة كبرى بالجيوش البيزنطية فى
موقعة مانزكرت ، قرب بحيرة فان سنة ١٠٧١ م / ٤٦٤ هـ وهى الموقعة التى
أسر فيها الامبراطور البيزنطى رومانوس الرابع (١٠٦٧ - ١٠٧١ م) .

وقد نقل (جروسىه) عن (متى الرهاوى) (١١٨) نصا يبرز لنا مدى
كره الأرمن لبيزنطه وشهائتهم لما حل بها على يد الأتراك السلاجقة . فى
ما نذكره ، فيقول بعد أن صمد الأرمن أمام المسلمين وعرفوا كيف يدافعون
عن استقلالهم أمام الضغط الاسلامى ، اذا بالامبراطورية البيزنطية اليوم
تصدر لحملة الدفاع ضد الأتراك ولكنها الهارت أمام الضربة الاولى
من جانب الأتراك المسلمين ان هؤلاء البيزنطيين لم يعرفوا كيف يدافعون
عن الأرمن ، بل لقد اضطروهم الى الهجرة من بلادهم فى أعداد هائلة ...
ان الكوارث التى حلت بالاممة الأرمنية أفدح من ان يستطيع أحد
روايتها ... آلامها ودموعها ، كل ما قاسته على يد الأتراك فى وقت ما
فقدت فيه مملكتنا سياستها الشرعية التى انتزعها أولئك البيزنطيون الذين
تصدوا للدفاع عنا وهم عاجزون ، مخطئون متخئون ... انها الدولة
البيزنطية الخسيسة ، تلك التى دمرت مرثنا القومى ، واستطاعت ذلك
الجدار الواقى الذى كونه جيشنا الشمسى الباسل ومحاربيها
الشجعان » (١١٩) .

ولقد رأينا كيف اجبر البيزنطيون أعدادا كبيرة من الأرمن على
الهجرة الى كبادوكيا فى آسيا الصغرى . وهناك حلول البيزنطيون أن
ينسوا أولئك الأرمن مسائلهم القومية الخاصة بضياغ ملكهم الاول ، وأن
يسدلوا ستارا على عجزهم عن حمايتهم أمام الأتراك المسلمين ، واجأوا
من أجل ذلك كله الى ادخال الأرمن فى دوامة الخلافات الدينية .

(١١٧) عن Sirarpie : Ibid., p. 11, Grousset : L'Empire, p. 173
(Mattieu)

أسد رستم : الروم ، د ٢ ص ١١٥ .

(١١٨) لم يرد هذا النص ضمن (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1

فى الجزء الذى كتبه متى الرهاوى واستطعت منه لذا أخذته عن جروسىه .
Grousset : L'Empire ... p. 174. (١١٩)

وهنا يظهر مدى حق متى الرهاوى من البيزنطيين من الأوصاف التى
وصلهم بها والتى أوردنا ترجمتها كما هى .

وهكذا « اقتصر جهود البيزنطيين على افساد العقيدة الحقيقية للارمن وهي العقيدة التي قامت على اساس المذهب المونوفيزيتي أو الطبيعة الواحدة على قول متى الرهاوى . واخذت الحكومة البيزنطية تبعد من يوجد في الشرق من الرجال الارمن الشجعان . . وتجبرهم على البقاء في الأرض البيزنطية وعلى ذلك فان الهجرة الارمنية الى كابادوكيا هجرة اصطنعها وفرضها البيزنطيون » (١٢٠) .

هذا الى ان جماعات أخرى من الارمن اضطرت الى الهجرة الى مناطق أخرى مثل اقليم طوروس وقليقية ، امام ضغط الأتراك السلاجقة المتدفعين بشدة من الشرق « فقد ترتب على توسع السلاجقة الأتراك ، في الأقاليم الواقعة شرقي آسيا الصغرى ، هجرة كثير من بلادهم الأصلية في أرمينيا الكبرى الى الأقاليم الواقعة غربي الفرات وشماليه ليستقروا في جهات كان بعض اخوانهم الارمن قد سبقوا اليها واسسوا فيها جاليات في عصور سابقة » (١٢١) .

وازدادت تلك الهجرة قوة بعد موقعة مانزكرك السابقة الذكر ، اذ تحرك كثير من الارمن من موطنهم الأصلي القديم حول بحيرة فان Van في اواخر القرن الحادى عشر امام ضغط الأتراك السلاجقة الى شمالي انطاكية في جبال طوروس وسفوح تلالها الجنوبية حيث كونوا العديد من الامارات الارمنية (١٢٢) . وهناك انقسم المهاجرون الارمن الى قسمين : قسم خضع لنفوذ بيزنطة وقسم أعلن استقلاله عنها .

(١٢٠) وهنا يشير جروسية في 175 - 174 p.p. : Grousset : L'Empire نفس الصفحة الأخيرة في سطور قليلة الى مدى ما وصل اليه الخلاف الدينى أحياناً . فهنا جاجك في مناطق نفوذه الجديدة في كابادوكيا كان على سوء تفاهم مع المطران البيزنطى لقيصريه المسمى — Marcos للذى انزعج من اطلاق الهجرة الارمنية وركز عذوائه ضدهم الى درجة اعطاء كلبه اسم Arme . مما ادى الى غضب جاجك وقام بكثير من عمليات النهب والضرب التى وصلت الى الحيوان نفسه ، وراح الاسقف نفسه ضحية تلك الشدة .

(١٢١) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ص ١٣٦ من (Iorga) فقد تحركت الهجرة الارمنية الى الاقليم الوحيد الذى ترك دون أن يحتله الغزاة وهو جنوب شرق آسيا الصغرى وشمال سوريا . حقيقة أن أرمينيا الجديدة في المنفى كانت تكويناً غير طبيعياً لكنها في الواقع عاشت مدة أطول من أى دولة فرنجية في الشرق (Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 628) .

Setton: Op. Cit., V. 1, p. 371.

(١٢٢)

أما عن القسم الأول فيذكر — Pasdermadjian « أنه منذ أواسط القرن الحادى عشر قمعت جموع من الأرمن استقرت تحت زعامة نبلائهم ، فى إقليم طوروس . ولم تلبث هذه الجموع أن دخلت دائرة السياسة البيزنطية الخاصة بشحن المضائق الموصلة الى قىليقية — بوصفها احدى الاتسايلم التى كانت أكثر تعرضا للخطر من ناحية هجمات المسلمين — بالعناصر المحاربة القادرة على الدفاع عن المضائق (١٢٣) . فقد فكر الإباطرة فى تقوية اقاليم دولتهم الواقعة على حدود قىليقية بأن وضعوا الاراضى والممتلكات المهمة فى أيدي نبلاء عرف عنهم الشجاعة العسكرية (١٢٤) .

أما القسم الثانى من الأرمن الذين استقروا فى قىليقية فهم العناصر التى اتجهت نيانها لا للخضوع لبيزنطه ، وانما للبقاء مستقلين (١٢٥) .

ومن امثلة النوع الاول — والذي لم يلبث أن تحول بعد فترة من الزمن ضمن القسم الثانى — شخصية فيلاريثوس الذى خدم لفترة طويلة فى الجيش البيزنطى « بل وتخلى عن المذهب المونوفيزيتى — وهو مذهب الطبيعة الواحدة — الى الارثوذكسية البيزنطية مما جر عليه اللبنة ليس فقط من جانب المؤرخين السريان أمثال ميخائيل السريانى وانما ايضا من جانب مواطنيه . من المؤرخين الأرمن « (١٢٦) وقد عمل فيلاريثوس هذا فى خدمة الامبراطورية البيزنطية فى عهد رمانوس الرابع حتى انهزم ذلك الامبراطور واسر فى موقعة مانزكرت ١٠٧١ م ٦٤٤ هـ . وعندئذ رضى الاعتراف بالامبراطور الجديد ميخائيل السابع دوقاس Michel VII — Doukas (١٢٧) (١٠٧١ — ١٠٧٨) ثم كان أن أخذ فيلاريثوس يدعم مركزه حصول مرعش ورعيان والابلسيتين حيث اقام اماره قوية مستقلة عن الحكومة البيزنطية ، زادت منعة بعد أن استولى على ملطية (١٢٨) .

Pasdermadjian : Histoire de L'Arménie, p. 198. (١٢٣)

(J. De Morgan : Hist. du Peuple Armenien). من

Sirarpie : Op. Cit., p. 12. (١٢٤)

الأرمن يكونون عنصرا قويا على الأطراف الشرقية لدولهم ، فكروا مختارين أو مجبرين فى اتخاذ أولئك الأرمن درعا حاميا وسيلة للدفاع عن الحدود الدولة من ناحية الشرق (سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى ص ١٣٧ من (Ostrogersky)

Pasdermadjian : Op. Cit., p. 198. (١٢٥)

Grousset : L'Empire, p. 177 (Mattieu) (١٢٦)

Serarpie : Op. Cit., p. 12, Grousset ; L'Empire, p. 177. (١٢٧)

(١٢٨) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ص ١٣٧ ، الحركة الصليبية ،

ج ١ ص ٩٨ .

ولم يلبث فيلاريثوس هذا أن استطاع أن يكون لنفسه جيشا كبيرا من المرتزقة كانت عناصره من الأرمن والبيزنطيين فضلا عن ثمانية آلاف فرنجي (١٢٩) . بل قيل أنه كان ضمن جيشه «فرس وأتراك» (١٣٠) .

وقد تمكن فيلاريثوس بفضل هذه القوة أن يبسط سيطرته على كثير من المصاقل في إقليم قيليقية . فلما سمع الإمبراطور البيزنطي بذلك أرسل اليه الهبات وذهب فيلاريثوس بنفسه إلى القسطنطينية حيث ابتهج به الروم وأعطوه الذهب والأسلحة (١٣١) بل وأعطوه السلطة على قيليقية لكي يتسامم الأتراك (١٣٢) .

والواقع أن فيلاريثوس هذا كان قد مد نفوذه على الرها نفسها عام ١٠٧٧م/٤٧٠هـ حين أرسل أحد ضباطه وهو باسل بن أبي خاسب إلى الرها ليحكمها ويدير شئونها ، فعده حاكمها من قبيل بيزنطة ، لكن الأهالي ثاروا وقتلوا حاكمهم وسلموا المدينة لمثل فيلاريثوس (١٣٣) .

وقد ظل فيلاريثوس هذا مواليا لبيزنطة وحاكما للرها حتى سنة ١٠٨٦م/٤٧٩هـ عندما توجه ملكشاه إلى الشام لمحاربة الإراقة الذين قتلوا سليمان بن قطلبش . فلما وصل ملكشاه إلى الرها سلمها له الأهالي بسبب بغضهم لفيلاريثوس . فلما كان من فيلاريثوس إلا أن لجأ إلى السلطان السلجوقي «ووعده بجزية يدفعها وأن يدعو للخليفة والسلطان (١٣٤) » .

-
- Grousset : L'Empire, p. 178. (١٢٩)
 Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 229. (١٣٠)
 Bar Hebraeus : Ibid., p. 229. (١٣١)
 Michel : Op. Cit., p.p. 187 - 188. (١٣٢)
 (١٣٣) أسد رستم : الروم ، د ٢ ص ١١٦ ، سعيد عاشور : سلطنة المماليك ، ومملكة أرمينيا الصغرى ، ص ١٣٨ (من Bréhier : Vie et Mort de la Croisade des Albigeois ، د ١ ص ٩٩ .
 Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 628.
 وقد كان باسيل هذا موظفا من جورجيا الأرمنية ، وهو الذي كان في عهد الإمبراطور رومانوس الرابع قائدا في الرها ونائبا عن الإمبراطور ، وعندما وصل باسيل آنذاك كان الموجود بالرها تافاداتوس - حاكمها باسم الإمبراطورليون - ولكن الأهالي ثاروا وقتلوه ووخموا المدينة في أيدي باسل (Mattieu). من Grousset : L'Empire, p. 179.
 Bar Hebraeus : Op. Cit. ; V. 1 p.p. 232 - 233, Duval : Op. Cit. p. 277

كان الخليفة آنذاك هو المعتدي العباس (١٠٧٥ - ١٠٩٤) .

بل قيل أنه أسلم بالعمل « وتحمل الختان » (١٣٥) ولو أن البعض يشير إلى أنه كان مستعداً فقط — إذا استلزم الأمر — لإظهار الإسلام خدمة لمصلحة (١٣٦) . لكن يبدو أنه اعتنق الإسلام بالفعل ثم ارتد للمسيحية قبل وفاته (١٣٧) .

وعندما لاحظ السلطان كره الرهويين له لم يعده إلى الرهسا بل منحه مرعش بدلاً منها ، حيث أنهى فيها حياته (١٣٨) .

والحق يقال أن فيلاريثوس هذا كان لا يبدو أن يكون مغامراً جسوراً ، فلم يدخر أية وسيلة للوصول إلى السلطان وفي ذلك يقول جروسسيه : « إذا صرفنا النظر عن روح البغض والكراهية التي كنىها له مواطنوه بسبب تحويله إلى مذهب الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية ، فإن فيلاريثوس يبدو بوضوح مغامراً دون شك ، لم يهجم عن ارتكاب أية خيانة ليديم قوته وسط مظاهر الانحلال البيزنطي والغزو التركي . وهكذا اندس فيلاريثوس بين الإمبراطوريتين ، فظهر أمام البيزنطيين في صورة رجلهم ، المعبر عن قوتهم ، وفي نفس الوقت ، ظهر أمام الأتراك في صورة المتسامح ، البعيد عن التعصب ، القادر على تنفيذ مشيئتهم مثلما كان يفعل مع المسيحيين » (١٣٩) .

وقد أقدم فيلاريثوس على التعاون مع الأتراك مرتين ، الأولى ضد أحد الرؤساء الأرمن ، الذي رفض الخضوع لنفوذه ، فتعاون فيلاريثوس مع أمير ميافاريين ضد أحد أبناء جلدته حتى قتل الأخير ، فالتسم فيلاريثوس الفنية مع حليفه وذلك عام ١٠٧٣ — ١٠٧٤م/٤٦٦ — ٤٦٧هـ (١٤٠) ، والثانية وهي التي سبق ذكرها عندما توجه ملكشاه إلى الرها وعندئذ أظهر فيلاريثوس خضوعه لأرادة السلطان السلجوقي . وبهذا استطاع بفضل مهارته السياسية العالية أن يرض كلا الجانبين في الوقت

(١٣٥) Duval : Ibid., p. 277.

(١٣٦) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ص ١٣٩ (عن

(Michel Le Syrien :

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 231, Duval : Op. Cit., p.277 ١٣٧

Bar Hebraeus : Ibid., p. 231, Duval : Ibid., p. 277. (١٣٨)

Grousset : L'Empire, p. 178. (١٣٩)

(١٤٠) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ١١٥ — ١١٦

Grousset : Ibid., p. 177.

واسم الرئيس الأرمني الآخر هو Thornik Mouchel وكان يحكم في ساسون .

المناسب، بما جعله يحكم في وقت من الأوقات المنطقة الشاسعة الممتدة من خرتبرت (١٤١) فيها وراء الفرات حتى المصيصة (١٤٢) وعين زرية وطرشوس في قيليقية ، مارينين بملطية وكركر ورعبان وكيسون ومرعش » (١٤٣) .

وعلى ذلك كان قيام أرمينيا الجديدة التي وضع أسسها فيلاريثوس في سنواته الأخيرة هو الحدث الذي جاء بين كارثة مانزكرت ومجيء الحملة الصليبية الأولى التي الشرق (١٤٤) . وإذا كانت نهاية فيلاريثوس قد جاءت في الوقت الذي اهتزت فيه قوته شيئا ما — كما رأينا — فإن هذا لا يعني انتهاء سلطانه كلية من الأماكن التي كانت تحت نفوذه ، إذ استطاع نوابه وبخاصة في الرها وملطية ومرعش — أن يواصلوا سياسته .

ونكتفي هنا بالإشارة إلى كل من ملطية ومرعش حيث أننا سنتعرض للرها في موضع آخر .

أما ملطية فإن آخر نواب فيلاريثوس فيها كان جبريل (١٤٥) وهو أحد المغامرين الأرمن ، أدى اعتناقه لمذهب كنيسة القسطنطينية إلى إيجاد نوع من الصلة بينه وبين الدولة البيزنطية (١٤٦) . ومع ذلك فإن، أخلاقه كانت شبة تقارب مع أخلاق فيلاريثوس ، فنجد أنه عندما دعت الحساجة إلى استرضاء الأتراك السلاجقة خوفا على ملكه من خطرهم ، فإنه لم يحجم عن إرسال زوجته إلى بغداد « للحصول على تأييد الخليفة العباس والسلطان السلجوقي لحكمه في ملطية » (١٤٧) . وقد ذكر ميخائيل السرياني

(١٤١) — Khartabirt — الأرمينية الآن معروفة أكثر باسم خريوت — Kharpūt وهي قلعة حصن زياد التي يشير إليها ابن خردادبة بأنها تقع على مسافة ليست بعيدة عن سميساط
(Le Strnage : Op Cit., p. 117)

(١٤٢) وهي من ضمن مدن الفغور بين المسلمين والروم قيل أنه كان بها خمسة من قبور الأنبياء (ابن شداد : الإعلاق الخطيرة ، د ١ ق ١ ، ص ٥٨) .
(١٤٣) (Laurent : Byzance et les Seljaucides) Grousset : L'Empire, p. 179

Grousset : Ibid., p. 150 (١٤٤)

Michel : Op. Cit., p. 179. (١٤٥)

Grousset : L'Empire, p. 184, Hist. des Crois. V. 2, p. 868

(L'Anonyme)

Michel : Op. Cit., p. 179, Grousset : L'Empire, p. 184 (١٤٧)

عن وليم الصوري

سعيد عائشور : الحركة ، د ١ ص ١٧٨ (عن ميخائيل السرياني) .

ان جبريل هذا — هو الذى عاصر تقدم الصليبيين الى الشرق — وعدهم ثلاث مرات بان يسلمهم ملطية (١٤٨) .

اما مرعش التى ذكرنا انها شهدت خاتمة حياة فيلاريتوس فقد نجح الأتراك فى الاستيلاء عليها حتى اذا ما قدمت الحملة الصليبية الاولى استعادتها منهم وردتها للإمبراطور البيزنطى ، وقيل ان ذلك حدث فى ١٣ اكتوبر ١٠٩٧م وكان ان عهد الامبراطور الكسيوس كومنين الى احد الأرمن واسمه ثاتول Thatoul بحكمها فظل فيها حتى ١١٠٤م حين اخذها منه الصليبيون (١٤٩) .

والواقع ان ثوروس — حاكم الرها والذى سنعود للكلام عنه — وجبريل وثاتول ايضا — نواب فيلاريتوس والذين بدأوا مثله حياتهم العامة فى الخدمات الادارية البيزنطية « كانوا منفصلين بعقائدهم الدينية عن مواطنيهم ومكروهين من المسيحيين السوريين الذين ظلوا كثيرى العدد فى اقليمهم » (١٥٠) .

وبالكلام عن فيلاريتوس ودولته نكون قد اعطينا صورة عن ذلك النوع من تبعية بعض حكام الأرمن للدولة البيزنطية من قريب أو بعيد .

اما النوع الثانى من حكام الأرمن الذين ظلوا يعيدين تملسا من الخضوع لبيزنطة فيمثلهم الاميران رويان ولوشين .

اما رويان (١٠٨٠ — ١٠٩٥م / ٤٧٣ — ٤٨٩ هـ) فقد استطاع بمن انضم اليه ان يؤسس مملكة مستقلة فى قيليقية (١٥١) . وهو اقليم يقع فى

Michel : Ibid., p. 188 (١٤٨)

Grousset : L'Empire, p. 184, (١٤٩)

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ١٧٨ — ١٧٩ من
Runciman : A Hist. of (Chalandon : Les Comnenes)

The Crusades, V. 1., p. 195.

Runciman : Ibid., p. 195 (١٥٠)

Fridtjof Nansen : L'Arménie et le proche Orient, p. 295 (١٥١)

Haytonus Flos Historiarum Terre Orientis (R.H.C.) وهنسا يشير
Doc. Arm. T.2, p. 373 « لقيت ولاية قيليقية باسم أرمينيا

لأنه بعد أن خلص المسيحيون الأرمن تلك البلاد من يد البيزنطيين احتفظوا بها فترة طويلة وقد واصل أهل أرمينيا المحافظة على ذلك الاستقلال الى حد كبير » .

جنوب شرق آسيا الصغرى واشتهر بثروته وغناه (١٥٢) . واتخذ رومان مقرا له قلعة صغيرة على مقربة من سيس (١٥٣). وبذلك وضع نواة مملكة أرمينيا الجديدة (١٥٤) ، التي اطلق عليها اسم أرمينيا الصغرى تمييزا لها عن أرمينيا العظمى (١٥٥) أو الام .

ولم يلمس رومان هذا الحباية من الامبراطورية البيزنطية وانما ظهر دائها في صورة تفوق بقية البارونات الارمن حتى مات وترك خلفه ابنه قنسطنطين (١٠٩٥م - ١٠٩٩م/٨٩ - ٩٣هـ) الذي « كان اول الروبانيين الذين حملوا لقب امير اوبارون » (١٥٦) .

ويؤكد بعض المؤرخين أن وصول الصليبيين الى الشرق في اواخر القرن الحادى عشر كان من العوامل المساعدة التى هياتها العناية الالهية ، تمكن تلك الابارة من النمو والازدهار (١٥٧) . ذلك أن الصليبيين دخلوا معها في علاقات ود وتحالف مما شجع أرمينيا الصغرى على اتخاذ موقف عدائى تجاه الامبراطورية البيزنطية (١٥٨) .

اما اوئين (١٠٧٢ - ١١١٠م / ٤٦٥ - ٥٠٤هـ) فكان يحكم احدى القلاع القديمة في أرمينيا حتى اضطر الى الفرار منها تحت ضغط

(١٥٢) وهو يضيف فى نفس الصفحة أن الجنرال Bremond يعتبر محددا جدا فى تسميتها بحر صغيرة ، لكن مصر التى امتلكت مراعى جبلية شاهقة Une Petite Egypte mais Une Egypte qui aurait des Alpes.

Pasdermadjian : Ibid., p. 198, Grousset : L'Empire, p. 387 (١٠٣)
وسيس هى أيضا سيسه وهى مدينة قريبة من عين زرينه ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ١٨٩) .

(١٥٤) وهو يذكر أن Jacque de Morgan : Op. Cit., p.p. 166, 303 .
رومان اعتهد فى الوصول الى هدفه على أحد الارمن ، كان يسمى باسيل وكان ذو شجاعة كبيرة وفكر ثاقب وكان يعرف كل استراتيجيات وكل خدع الحرب . ولما كان ينقض دائها فجأة على عدوه . سمى باسيل اللص Basile Voleur

Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199. (١٥٥)

Jacque de Morgan : Op. Cit., p. 166. (١٥٦)

Pasdermadjian : Op. Cit., p. 199. (١٥٧)

Fridtjof Nansen : Op. Cit., p. 295, Vasiliev : History of (١٥٨)
the Byzantine Empire, V. 2, p. 65.

الأتراك السلاجقة عام ١٠٧٥م/٤٦٨هـ نجاء الى قيليقيا حيث اعطاه
صديقه أبو الغريب الارزرونى قلعة نهرن (Lampron) وهى
منطقة ذات أهمية كبرى لحماية كابادوكيا وأمنها (١٥٩) .

هكذا استطاع روبين الأول أن يؤسس الدولة الروبينية Roubenienne
كما استطاع أوثنين أن يؤسس الدولة الهينومية Héthomienne —
وهما الاسرتان اللتان كونتا عظمة أرمينيا الجديدة (١٦٠) .

ويمكن أن نضيف الى هؤلاء الزعماء الأرمن كوغ باسيل أى اللص
باسيل (١٦١) وهو مغامر أرمنى بسط سيادته على كيسون وربعان (١٦٢)،
وظل فيهما منذ حوالى ٨٢م — ٧٥هـ حتى وفاته ١١٢م — ٥٠٦هـ
ولعب دورا ايجابيا فى حروب الفرنج فى الرها وانطاكية ضد الأتراك (١٦٣) .

وصول الصليبيين وعلاقتهم بالأرمن :

وبوصول الحملة الصليبية الاولى الى قيليقية فى سبتمبر ١٠٩٧م ،
وجد الصليبيون فى الأرمن حلفاء طبيعيين لهم ضد السلاجقة من ناحية وضد
ادولة البيزنطية من ناحية أخرى ولم يلبث أن قدم الأرمن الكثير من
الخدمات للجيوش الصليبية المتهاكمة بعد رحلتها الطويلة عبر هضبة

Morgan : Op. Cit., p. 163, Tournebize : Hist. Politique et (١٥٩)

القلعة اليوم هى نهرن — كاليسى Nimroun-Kalessi p. 168. Relig....
شمال خليج طرسوس .

Grousset : L'Empire, p. 388 عن (Mattieu) (١٦٠)
سعيد عاشور : الحركة

الصليبية ، د ١ ص ١٧٣ (وهو يذكر أن أوثنين سيطر على مدينة
اذنه) عن (Iorga) أما (ستون) فيذكر أن أوثنين كان يسيطر على نصف
اذنه عند قدوم الصليبيين (Setton : Op. Cit, V. 1, p. 301) ونحن احد
البرجنديين ضمن الحملة الصليبية الاولى استولى عليها (William : Op.
Cit. V. 1, p. 181

Iorga : L'Arménie Cilicienne ; p. 17, (١٦١)

ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩
وقد أطلق عليه اللص لأنه سرق مدة قلاع من الثغور فنهلكها الأرمن بعده .

Michel : Op. Cit., p. 198, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 299, (١٦٢)

سعيد عاشور : الحركة الصليبية د ١ ص ١٧٩ عن (Stevenson)
Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 52,

Grousset : L'Empire, p. 184. (١٦٣)

الأناضول وخلال المرات المرتفعة في طوروس كما قاموا لهم بدور المرشدين ، ثم ساعدوهم خلال حصار انطاكية . وعدد البابا جريجورى الثالث عشر تلك المساعدات التى قدمها الأرمن ، بعد فترة طويلة حيث كتب يقول : « لم يقدم أى شعب أو اية أمة مساعدات تلقائية للصليبيين أكثر من الأرمن. الذين أمدوهم بالرجال والخيول والسلاح والطعام » (١٦٤) .

والواقع أننا نؤيد ذلك الرأى الذى يذكر أن « الصداقة التى قامت بين الأرمن والصليبيين فى أول الأمر إنما كانت تستهدف مواجهة العدو المشترك ممثلا فى الدولة البيزنطية من ناحية والقوى الاسلامية من ناحية أخرى » (١٦٥) .

ففى مدن قيليقية ، وجد الصليبيون فى كل مكان مشايخين من السكان الأرمن الذين ساعدوهم فى كثير من العمليات العسكرية (١٦٦). وفى مريش قدم لهم حاكمها ثاتول الأرمنى « كل ما استطاع من مساعدة » (١٦٧) .

انفصال بلدوين البولونى عن بقية الجيش الصليبي واتجاهه الى الرها :

منذ وصول الجيش الصليبي الى قيليقيا كان بلدوين البولونى يرغب فى اقامة مملكة خاصة له فى الشرق وكان يشاركه فى تلك الرغبة أيضا تنكريد ابن أخت بوهيموند ، لذا انفصل الاثنان عن بقية الجيش الصليبي ليعملا لحسابهما (١٦٨). لكن حدث بينهما صدامان أمام كل من طرسوس (١٦٩) والمصيصة (١٧٠) — سنتناولهما فيما بعد — وفى النهاية توجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى عليها (١٧١) . أما بلدوين فقد لحق بالجيش الصليبي

Sirarpie : Op. Cit., p. 12. (١٦٤)

(١٦٥) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى، ص ١٤٣

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 207. (١٦٦)

Setton : Op. Cit., V. 1, p.298. (١٦٧)

F. Chalandon : Hist. de la Première Crois. p. 234, Zoé (١٦٨)

Oldenbourg : Les Croisades p. 111, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 180 - 181, Setton : Op. Cit. (١٦٩)
V. 1, p. 300, Zoé : Ibid., p.p. 137 - 138.

William : Ibid., p. 185, Setton : Ibid., V. 1, p. 301 Zoé : ١٧. , p. 138.

Setton : Ibid., Vol. 1, p. 301. (١٧١)

الاملى في مرعش وهناك علم بوفاة زوجته (١٧٢). وبعد مضي حوالى يومين في ١٥ اكتوبر ١٠٩٧ م ترك بلدوين رفاقه من جديد ليبحث عن مستقر على ارض ارمنية (١٧٣) . فلك بعد أن أخذ بنصيحة باكراد الارمنى — أخو كوخ باسيل والذى سنتكلم عنه بعد قليل — بأن قدره الحقيقى يرتد بعيدا في الشرق على الفرات (١٧٤) . لأنه هناك ان يلتقى بتكريد مرة اخرى (١٧٥) .

وبداية بلدوين البولونى رحلته هذه تبدأ مرحلة جديدة في تاريخه كمؤسس لامارة الرها الصليبية وهنا يؤكد أحد الأرمن ان بلدوين البولونى « اتجه تحت تأثير نصيحة الأرمن تجاه الشرق بدلا من الاتجاه الى السهل القليلقى واصبح بذلك على اتصال مباشر بالقوات الارمنية (١٧٦) » وأنه بفضل باكراد الأرمنى نظم سيره في قيليقية (١٧٧) . وعندما توجه الى الجنوب الشرقى من مرعش دبر باكراد اتصاله بجيرانه الأرمن وامرائهم « وفي كل مكان رحب به الأرمن كمنقذ ، اما اليعاقبة السوريون الذين كونوا بقية السكان ، فكانوا اكثر شكاً ولكنهم لم يعارضوه (١٧٨) » .

اما عن اتصال بلدين ببيكراد فقد بدأ في نيقية (١٧٩) . وهنا يذكر ولیم المورى أن معرفة بلدوين ببيكراد كانت بعد هرب الأخير من السجن الامبراطورى (١٨٠) . ولو أن هناك إشارة لأحد اللاتين تذكر أن « بلدوين اطلق سراحه (١٨١) » ولكن من المرجح أن بلدوين ربما حماه بعد اطلاقه من سجنه . ولكن ماذا كان هدف باكراد من وراء تشجيعه الكبير لبلدوين ؟

Setton : Ibid., V. 1, p. 301, Zoé : Ibid., p. 138. (١٧٢)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 49. (١٧٣)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301. (١٧٤)

Zoé : Op. Cit., p. 138. (١٧٥)

Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201. (١٧٦)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 45 عن (Albert) (١٧٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 302. (١٧٨)

F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175. (١٧٩)

William : Op. Cit., V. 1, p. 188 (١٨٠)

يوسف الدبىس : تاريخ سوريا ، ج ٦ ص ١١

Alberti Aquensis : Historiae Liber III (R.H.C.) Hist. (١٨١)

Occid., T. 4, p. 353.

هنا يوضح Iorga أن باجراد كان قد حبس كرهينة في القسطنطينية (Iorga : L'Arménie Colicléenne, p. 92).

هل كان صادقا في معونته له لخدمة مصلحة بلدوين نفسه أو لمصلحته هو ؟

هنا نرى ولیم الصوري يصف باكراد بأنه « كان محاربا شجاعا ولكنه كلن مخلصا الى درجة كبيرة ومشكوكا في اخلاصه . . كان يحث بلدوين باستمرار على جمع القوات ليشركه في حملة على الاقاليم المجاورة وهي الاقاليم التي قال عنها انه يمكن السيطرة عليها بسهولة وبقوة صغيرة ، مما جعل بلدوين يقبل رايه في النهاية (١٨٢) » . في حين يستذكر رنسيهان « أن باجراد كان يود أن يضمن مساعدة بلدوين من أجل تثبيت أركان الامارات الارمينية القريبة من الفرات حيث يستقر اقاربه » (١٨٣) اما جروسية فيقول ان باكراد كان يرى « أنه بفضل الاعتماد على الفرنج يمكنه أن يفوز باقطاع كبير يحكمه حكمه متحررا ، وعند اللزوم يستطيع ان ينقلب ضدهم ليتخلص من قبضتهم القوية ، وكانت هذه هي سياسة فيلاريثوس تجاه منافسيه اذ ناور بين البيزنطيين والأتراك (١٨٤) » . ولكن مهما تكن نوايا باكراد فانه قدم خدمة جليلة لبلدوين بارشاده عبر الطرق الجبلية الوعرة .

وكان أن اصطحب بلدوين معه حوالي مائة فارس وعددا قليلا من المشاة وبدأ رحلته من ^أمرعش تحت ارشاد باكراد (١٨٥) . كذلك استفاد بلدوين من المساعدات التي قدمها له بعض اهرء الأرمن المحليين ، ويفضل هذه المعونة استولى على مدينتين هامتين هما تل باشر

(١٨٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 188.

(١٨٣) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 54 عن (Albert)

(١٨٤) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 54 عن (Albert)

(١٨٥) William of Tyre : Op. Cit., V. 1, p. 188, Setton :
Op. Cit., V. 1, p. 302.

وهنا يذكر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ١٧٦ عن (Albert)
أن بلدوين اتشبق من بقية الجيش الصليبي تحت ستار حيازة ميسرة
الصليبيين الراحين على انطلاقية ليبحث لنفسه عن امانة جديدة صالحة
في البلاد الارمينية .

وراوندان (١٨٦) . . وذلك في عام ١٠٩٧م — ٤٩١هـ (١٨٧) .

وقد سهل فتح الحثيتين مساعدة الأهالي الأرمن فيهما لبلدوين وثورتهم ضد الحايبات التركية وطردها الأمر الذي ساعد عليه ضعف تلك الحايبات (١٨٨) . وبعد أن تم الاستيلاء على المدينة منح بلدوين راوندان لبكراد وتل باشر لأمير أرمني آخر اسمه فير (١٨٩) .

ويهمنا أنه حدث في تلك المرحلة — أي أثناء وجود بلدوين في تل باشر — أن استدعاء ثرروس الأرمني حاكم الرها لمساعدته (١٩٠) . وقبل أن يلبي

Setton : Ibid., V. 1, p. 302, Duval : Op. Cit., p. 278 (١٨٦)

وهنا ذكر دوفال أنها .

شمال غربي حلب . أما المصادر اللاتينية فتذكر أن بلدوين استولى على كثير من المعسكرات بالقوة تارة وبالحيلة تارة أخرى ومن بين تلك المعسكرات استولى على أفضلهم ويسمى تل باشر.

Fulcherii Carnotensis : Historia Iherosolymitana (R.H.C.)

Hist. Occid. T. 3, p. 337 Balduni III : Hist. Nicaena Vel

Antiochena — Cap. XVIII (R.H.C.) Hist. Occid., T. 5 Part 1, p. 149.

أما عن راوندان فقد ذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان د ٦ ص ١٩ أنها قلعة حصينة وكورة معشبة من نواحي حلب . وأضاف ابن العديم أنها قلعة صغيرة على رأس جبل لا يحكم عليها منجنيق ولا تصل إليها نبل (ابن العديم : بغية الطلب مخطوط بدار الكتب رقم ٤٢٣ هـ تاريخ ص ٣٦٩) .

Grousset : L'Empire, p. 204,

(١٨٧)

اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٨

عن (Albert) وهو يسمى القلعتين (رافنسل وتريسل وهي ترجمة حرفية لأسمائهما اللاتينية Turbessel, Ravendel - هنا نجد (شالندون) يخطئ في ذكر تاريخ الاستيلاء على القلعتين حيث يذكر أن ذلك تم في فبراير ١٠٩٩م — ٤٩٣هـ)

Chalandon : Hist. de la première Crois. p. 175)

ومما لا يرجح صحة هذا التاريخ أن المحدثين سقطنا في أيدي الصليبيين قبل الرها التي تم دخولهم لها ١٠٩٨م — ٤٩٢هـ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (William)

سعيد هاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ١٨٠ عن (Michaud)

Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 302-303, Crousset. Ibid., (١٨٩)

V. 1, p. 54.

Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 35. (١٩٠)

بلدوين ذلك الطلب ويترك ثل بالثر ، كتب اليه (فير) تقريراً بأن باكراد يتآمر ضده في راوندان (١٩١) ويبدو كما يقول (رنسيان) « انه ليس هناك شك في ان (فير) كان غيورا من باجراد الذي لم يرتكب كنباً اكثر من الاتصال سرا بأخيه كوغ باسيل . لكن بلدوين لم يحسب حساباً لسوء العقابة فدفع رجاله الى راوندان وقبض على باجراد الذي مضى ليعترف فلم يصرح سوى بالتليل النادر ثم هرب فوراً ليحتمي بأخيه . وهكذا بدا واضحا لعقلاء الأرمن ان بلدوين جاء لا لكي يحرقهم ولكن لينى لنفسه سلطانا (١٩٢) .

وبعد ذلك اعد بلدوين نفسه لمعبور الفرات ، ليلبى طلب ثوريس الذي استنجد به (١٩٣) ولم تكن رحلته الى الرها آمنة ، اذ كمن له في الطريق اتراك سبيساط ، ولكنه نجا بفضل المساعدات التي قدمها له الأرمن في تلك المنطقة (١٩٤) ، وربما نستطيع ان نتصور أهمية المساعدات الأرمنية لبلدوين البولوني من خلال تلك السطور التي كتبها (ميشو) : « لم يكن بلدوين في حاجة الى مرشد ولا لنجدة في منطقة هرع سكانها من كل الجهات للالتفاف حوله ، وكلما تابع سيره ، ذاعت شهرته حتى في الأماكن البعيدة جدا حتى ان اخبار فتوحاته سبقته الى ما وراء الفرات حتى مدينة الرها (١٩٥) » .

وهنا نجد انفسنا مضطرين الى الالتفات لشئون الرها لمعرفة اخبارها وحكامها منذ ان بارحها فيلاريتوس بأمر السلطان السلجوقي ملكشاه

-
- Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303. (١٩١.٢)
 Setton : Ibid., V. 1, p. 303 من (Runciman) هنا يضيف (١٩٢)
 الدبسي : تاريخ سوريا ص ٦٤ ان باكراد استحوذ على بعض الأماكن ولكن التاريخ لم يثبتنا ما آل اليه أمره .
 Alberti Aquensis : Historiae, Liber III (R.H.C.) Hist. (١٩٣)
 Occid., T. 4, p. 352, Balduni III : Hist. Nicaena,
 Op. Cit., T. 5, Part 1, p. 149.
 Fulcherli Carnotensis : Historia (R.H.C.) Hist. Occid., (١٩٤)
 T. 3, p. 337, William : Op. Cit., V. 1, p. 190.
 Michaud : Hist. des Crois., V. 1, p. 240. (١٩٥)

١٠٨٧ : ١٠٩٤ م (٤٨٠ - ٤٨٧ هـ) لتصبح اقطاعا للأمير السلجوقي
بوزان (١٩٦) .

يقول أبو شامة أنه حدث بعد مقتل سليمان بن قطلмыш على يد
تنش أن ملك تنش مدينة حلب دون القلعة وعندئذ أرسل أهل القلعة
إلى ملكشاه ليسلموها إليه وهو يومئذ بالرها . وكان سبب مبيعه
إليها أن ابن عطية النميري كان قد باعها من الروم بعشرين ألف دينار
وسلمها إليهم ، فدخلوها وخربوا المساجد وأجلوا المسلمين عنها . وكان أن
سار ملكشاه إليها فحاصرها وفتحها وأقطعها للأمير بوزان (١٩٧) الذي وعد
الاهالي الأرمن في الرها باحترام مصالحهم فسلموها له المدينة جميعا (١٩٨) .

وكان أن ظل بوزان هذا حاكما للمدينة إلى عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م
عندما قتل في الحرب بين تنش وعنه بركياروق (١٩٩) . وعندئذ استولى
أحد رؤساء الأرمن وهو ثوروس بن هيشوم على الرها بوصفه تابعاً
لفيلاريقوس (٢٠٠) . وسار على نفس سياسته في التآرجح بين أرضاء

Grousset : L'Empire, p. 183, Hist. des Crois., V. 1, p. 52, (١٩٦)
Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 3, p. 997.

وهنا يعدد لنا دفريميري اختلافات نطق اسم بوزان عن المراجع المختلفة
مثل « بوزان ، توزان ، بوزار » .

(M. Defremery : Hist. des Seljoukides, Journal
Asiatique, Avril, Mai, 1848, p. 455).

(١٩٧) أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٦٠

Grousset : L'Empire, p. 183. (١٩٨)

(١٩٩) الأثير : الباهر ، تحقيق عبد القادر طليبات ، ص ١٥ ،
أبو شامة : الروضتين د ١ ق ١ ص ٦٥ - ٦٦ ، ابن واصل : مفرج
الكروب ، د ١ ص ٢٥ : ٢٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ١٤٤
- ١٤٥ ، ابن الجوزي : المنتظم ، د ٩ ص ٧٧/٧٦ . وهنا يرجع
الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٧٢ : ٧٦ مقتل بوزان إلى
عدم اسراع بركياروق لنجدة قسيم الدولة آقسنقر وبوزان بسبب انشغاله
مع أتابكة الأمير الأسفهلار كمشتكين الجاندار بالشرب ويعتق على ذلك
ببيت للصدر عماد الدين بوضع ذلك فيقول :

قد غرقنا في الشرب والسكر حتى لم نفكر في سنقر وبوزان
The Cambridge Medieval History : V. IV, Part 1, p. 628. (٢٠٠)

كل من الأتراك السلاجقة من ناحية والبيزنطيين من ناحية أخرى « فقد تحصلى الدخول فى صراع مع الأتراك ، ووفقا للملاحظة جيوبيرت النوجنتى ، حفظ الرها من هجمات الأتراك بالمفاوضات ودفع الجزية فى الوقت المناسب ، لابلالسلح (٢٠١) . وفى نفس الوقت فعل مثلما كان يفعل فيلاريتوس من قبل ، فجعل سلطته شرعية باعترافه بالتبعية للإمبراطور البيزنطى (٢٠٢) .

أما ثوروس هذا فكان هو حاكم الرها عند وصول الحملة الصليبية الأولى الى الأطراف الشرقية لآسيا الصغرى ، وكان ذلك فى وقت احس ثوروس بأن امارته الأرمينية انتابها الضعف . وأنها لم تظل على قيد الحياة حتى ذلك الوقت الا بفضل سياسة الهادنة التى اتبعها تجاه السلاجقة . والحق أن الرها كانت عندئذ مجاطة من كل الجهات بممتلكات السلاجقة ، بحيث بدا من المتعذر أن تفلت من القدر الذى ينتظرها على أيديهم . وهكذا كان وصول الفرنج الى الشام مما أوجد للأمير الأرمينى فرصة كان يتناها (٢٠٣) .

(٢٠١) سعيد عاشور

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p.p. 52-53.

الحركة الصليبية ، د ١ ص ١٧٩ عن (Guibert de Nogent)

(فقد اثره تنشئ آخر السلطان ملكشاه فى حكم الرها سنة ١٠٩٤م)

سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ١٠١ ،

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303.

(٢٠٢)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 53 عن (Mattieu, Michel)

Cruasades, p. 60.

(٢٠٣)

الباب الأول

قيام إمارة الرها الصليبية واحوالها الداخلية

رأينا كيف كانت الرها بمثابة جزيرة مسيحية وسط محيط من الأتراك المسلمين ، كما رأينا كيف نجح ثوروس الأرمني بمعجزة في المحافظة على ذلك الحصن المسيحي البارز على أرض إسلامية ، لكنه أخذ يفقد الأمل كلما تقدم به السن واشتد الخطر التركي على إمارته (١) . وجاء ذلك في الوقت الذي كانت شهرة بلدوين البولوني قد بلغت أمتا رحبة بعيدة (٢) وذاعت شجاعته في حروبه ضد كل أعدائه (٣) .

لذلك فكر ثوروس في طلب المساعدة من بلدوين البولوني ولكنه في نفس الوقت صمم على أن يستفيد من قوة الصليبيين دون أن يسمح لهم باستعباده (٤) . ومعنى ذلك أنه أراد أن يستغل بلدوين لخدمة مصالحه أي بوصفه « جنديا مرتزقا على أن يكافئه بسخاء » (٥) . ولكن من المرجح أن ثوروس لم يفسح عن نيته هذه لأحد حتى أشد المقربين إليه بدليل ما سيتعرض له بعد ذلك من معارضة حين تتكشف سياسته لبلدوين ولاهالي الرها أنفسهم .

ومهما يكن من أمر فقد أرسل ثوروس الى بلدوين في تل بالجر يتوسل اليه ان يحضر لنجدته ضد أعدائه الأمراء المجاورين «الذين اطلقوه كثيرا» (٦)

Grousset : L'Epopée des Croisades, p. 56. (١)

Fulchari : Carnotensis : Op. Cit. (R.H.C.) Hist. Occid, (٢)
T. 3, p. 337.

Alberti Aquensis : Historiae Liber III, (R.H.C.) Hist. (٣)
Occid. T. 4, p. 352.

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 54. (٤)

C. Cahen : La Syrie du Nord, p. 210, Grousset : L'Epopée (٥)
p. 56, L'Empire, p. 204.

Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p. 35, Grousset : Hist. (٦)
des Crois., V. 1, p. 55.

بينما انفرد أحد المصادر اللاتينية بقوله أن ثوروس استدعى بلدوين « ليستكت معارضيه في الدولة (٧) » . ولهذا الغرض أرسل ثوروس سفارة من الرها تكونت من أسقف المدينة يرافقه اثني عشر كبيراً من كبار الإمارة ، طلبوا من بلدوين الحضور إلى مخيمهم لحمايتهم من الأتراك (٨) . ويقال أنه من أسباب تلك الاستغاثة أو ربما كان السبب المباشر لها هو ما ذكر من أن كربوغا أتباع الموصل كان يعد في ذلك الوقت جيشاً عظيماً لينتجه لنجدة أنطاكية ، مما أثار المخاوف من أن يستولى في طريقه على الرها وغيرها من الولايات الأرمينية (٩) .

ومن هذا يفهم أن استغاثة ثوروس كانت غير مشروطة بشروط معينة وأنه كان يطلب النجدة فقط . وبعبارة أخرى فإنه لم يفهم من ظاهر هذه الاستغاثة رغبة ثوروس في استخدام بلدوين كجبر مرتزق ، يعمل لحسابه ضد الأتراك ، وإن كان بعض المؤرخين ذكروا أن استغاثة ثوروس كانت تتضمن موازنة بلدوين لثوروس ضد الأتراك مقابل أجر مجز (١٠) . والراجح أن بلدوين لم يكتشف هذه الحقيقة وهو في راوندان ، وإنما اكتشفها بعد أن وصل إلى الرها ذاتها (١١) .

ولا مبرر هنا بما جاء في بعض النصوص المعاصرة من أن بلدوين لم يكن يعلم شيئاً من الرها حتى وصوله إليها محبة رجاله ، وأنه تعرض لأطرافها بالتهيب والسلب (١٢) . إذ لا يعقل أن بلدوين قام بعمليات أسر ونهب في منطقة أرمينية . مع أن مرشديه كانوا من الأرمن ، هذا فضلاً عما في هذا الرأي من تعارض مع ما ذكره وليم الصوري من تقرب الأرمن

Alberti Aquensis : *Historiae Liber III* (R.H.C.), Hist. (٧)
Occid., T. 4, p. 352.

Alberti : *Ibid.*, p. 352. (٨)

Setton : *Op. Cit.*, V. 1, p. 303, Runciman: *Op. Cit.*, V. 1, (٩)
p. 203. (Albert of Aix) عن

سعيد عاشور و الحركة الصليبية ج ١ ص ١٨١

C. Cahen : *Op. Cit.*, p. 210. (١٠)

C. Cahen : *Ibid.*, p. 210. (١١)

Baldrici, *Episcopi Dolensis : Historia Jerosolimitana* (١٢)
(R.H.C.) Hist. Occid. T. 4, p.p. 80 - 81 حاشية

لبلدوين وتمجيدهم له (١٣) . والأصوب هو ما ذكر فولشر ونصه « ما إن عبرنا أمام الأرمن واتضح أننا نتقدم ونحمل الصليبان والأعلام معلنين جينا للتواضع للسيد المسيح ، حتى قبلوا أقداننا وثيابنا المزقة ، لأنهم سمعوا أننا في سبيلنا لحمايتهم من الأتراك (١٤) » .

ومهما يكن من أمر فإن بلدوين لم يكذب يلقى سفارة ثوروس حتى استجاب لها في الحال لما رأى فيها من اتفاق مع طموحه ، فجد في السير فورا ليعبر الفرات في نحو ثمانين فارسا فقط ، في حين ترك بقية أتباعه لحراسة القلاع والبلاد الواقعة على الضفة الغربية للفرات (١٥) .

وعند وصول بلدوين الى الرها في فبراير ١٠٩٨ م (١٦) (١٠٩٢ هـ) استقبل استقبالاً رائعاً صوره لنا المؤرخون (١٧) ، مما أثار شعور الغيرة والحسد في نفس ثوروس الذي أخذ يحس أن زمام الأمور سوف يفلت من يديه أمام

William : Op. Cit., V. 1, p. 188 - 189. (١٣)

Fulcheri Carnotensis : Historia ... Hist. Occid., T. 3, (١٤)
p. 337.

Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, (R.H.C.), Hist. ١١٥)

Occid. T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 190. أما متى
الرهاوى فيذكر أن عدد فرسانه كان ستونا .

(Mattieu : Op. Cit., p. 36)

في حين يشير مصنف لاتيني آخر أنهم كانوا ثمانون .

Balduni III : Hist.

Nicaena Vel Antiochena — Cap XVIII (R.H.C.), Hist.

Occid. T. 5, Part 1, p. 149.

Grousset : Hist. des Croisades, V. 1, p. 55, Runciman (١٦)

Op. Cit., V. 1, p. 24 (Albert)

نذكر المرجعان أن ذلك كان في بداية فبراير أما

اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٨ فيذكر « انه دخل مدينة اذاسا في العشرين من فبراير ١٠٩٨ م » . من (Hagenmeyer : Chronologie)

Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae (١٧)

Liber III T. 4, p. 352, William : Op. Cit. V. 1, p. 191,

Miehaud ; Op. Cit. V. 1, p. 242.

قوة شخصية هذا القائد وإمام حب الأهالى الجارف له (١٨). ويروى بعض المؤرخين المعاصرين أن ثوروس « حشد بلدوين سرا وبعمق من كل قلبه » (١٩) . في حين يذكر وليم الصنوى أن ثوروس « بدأ يفكر في التخلي عن الترتيبات التي أقحم نفسه فيها . فعندما استجد ببلدوين كان قد عزم على أن يقتسم معه إيرادات المدينة ، على أن ينفرد ببلدوين بكل شيء بعد وفاة ثوروس . ولكن الأخير عاد بعد وصول بلدوين الى التفكير في أن يمد بلدوين المساعدة للمدينة وأهلها ضد ضغط الأتراك، ويحميها من عدوانهم مقابل أجر معين . وهنا أخذ بلدوين يتساءل كيف يقبل أن يعمل أجيراً مقابل مكافأة سنوية » (٢٠) .

ومن هذا النص نستنتج أن ثوروس كان لديه تفكير سابق بأن يجعل بلدوين شريكاً له في الحكم ثم خليفة له ، ولكنه عاد فعرض على بلدوين أن يحبيه هو وشعبه مقابل مكافأة سنوية محترمة .

ويبدو هذا بوضوح في النص اللاتيني الذي يشير الى أن ثوروس عرض « أن يقدم الى بلدوين كثيراً من الذهب والفضة والأحجار الكريمة والآلات من الخيل وكميات كبيرة من الأسلحة على شرط أن يثبت له ولأهالى والجهات المواجهة لكباثن الأتراك أنه سيدفع عنهم خطرهم » (٢١) . ويقول وليم الصورى « أن بلدوين رفض باحتقار هذا الاقتراح الذى يعنى إعطاء بلدوين أجراً مقابل خدماته كأي جندي عادى ، وبدأ يعد العدة للنفود » (٢٢) . ويشير جروسية أن بلدوين هدد « بالتخلي عن مهمته » (٢٣) « بل اشترط » أما أن يقتسم السلطة مع ثوروس أو يترك

Cahen : Op. Cit., p. 210. (١٨)

Albert Aquensis : *Historiae... Liber III*, T. 4, p.p. 352-353. (١٩)

William : Op. Cit., V. 1, p. 191. (٢٠)

Alberti Aquensis : *Historiae Liber III*, Hist. Occid., T. 4, (٢١) p. 353.

William : Op. Cit., V. 1, p. 191. (٢٢)

Grousset : *L'Empire*, p. 204. (٢٣)

الرها ويتنازل عن المدينة لهجمات الأتراك» (٢٤) . -

وثمة رأى فى التاريخ خلاصته أن ثوروس تبنى بلدوين . ولا ندرى هل ثوروس هو الذى ابتدع هذا الرأى ؟ أم أن بلدوين هو الذى أجبره على ذلك ؟ أم أن هذه الفكرة كانت رغبة أهل الرها أنفسهم ؟ أم رغبة أعيان البلد المثلين فى مجلس الشيوخ المساعد لثوروس فى الحكم ؟

هناك اشارات فى المصادر المعاصرة الى أن هذا الاتجاه نبع من تفكير ثوروس نفسه حيث ورد فى بعض تلك المصادر أن « هذا الأرمنى كان شيخا لم ينجب اولادا ، ولذا تبنى بلدوين ليتخذه ابنا له ، اذ رآه رجلا ذا شخصية جذابة وممتازا فى احساسه ويحمل شيم بنى جنسه» (٢٥). هذا فى حين جاء فى مصادر أخرى أن بلدوين « أجبر ثيودور على تبنيه وجعله وريثه » (٢٦) . أما وليم الصورى فقد ذكر أن هذا الاتجاه جاء وليد الرأى العام واجماع أهالى الرها انفسهم ، وعندما أحس ثوروس بالحاحهم وافق واذعن على مفضض (٢٧) .

أما عن موقف أعيان الرها ومجلس شيوخها من بلدوين فيقال أنه بمجرد أن هدد بلدوين بترك البلد والعودة من حيث أتى « وأنه ليس فى الامكان الحفاظ على بلدوين بالذهب أو الفضة أو بأية خدمات ذات قيمة عظيمة ، توجه الأعيان الى ثوروس وتوسلوا اليه بكافة الوسائل والرجاء الا يسمح لمثل هذا الرجل النبيل والمدافع القوى بالعودة وأن يتخذه شريكا لنفسه من أجل المحافظة على مصير الامارة» (٢٨) .

عندما لمس ثوروس اصرار الاثنى عشر شيخا وكل المواطنين وتعاطفهم

Grousset : L'Épopée, p.p. 56-57. (٢٤)

Baldrici Epicopi Dolensis : Historia, (R.H.C.), Hist. Occid. (٢٥)

T. 4, p. 81.

E.R. Hayes : Op. Cit., p. 289, Duval : Op. Cit., p. 278. (٢٦)

William : Op. Cit., V. 1, p. 191. (٢٧)

Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. (٢٨)

T. 4, p. 353.

مع بلدوين استجاب لرغبتهم « عن رضى أو عن غير رضى » واتخذ بلدوين ابنا له بالتبني (٢٩) .

وهكذا تم تبنى ثوروس لبلدوين وفقا لمراسيم التبني في الكنيسة الأرمنية في القرن الحادى عشر (٣٠) . وتم ذلك في حضور سكان المدينة وفي احتفال مهيب (٣١) . وهنا تذكر المصادر اللاتينية أن الثقة سرعان ما سادت بين بلدوين وثوروس وقويت صلة الأبوة والبنوة بين الاثنين (٣٢) . ولكن يبدو أن تلك الثقة لم تدم طويلا .

والواقع أن تبنى ثوروس لبلدوين صار يرمز الى حكم مشترك « أرمنى - فرنجى » على الرها (٣٣) . وبعد ذلك التبنى مباشرة خرج بلدوين الى سميساط لحماية أميرها وكان بصحبة قسطنطين حاكم

Alberti : Ibid., p. 353, William : Op. Cit. V. 1, p. 191. (٢٩)

Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 337,

وبحكم هذا التبني أصبح بلدوين الوارث الوحيد للوروس

Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena

— Cap XVIII (R.H.C.) Hist. Occl., T. 5, Part 1, p. 149.

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 56, (٣٠)

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٨٢ . عن

(Guilbert de Nogent)

Grousset : L'Épopée, p. 57.

وهنا يشير جروسية « انه بارتباك وطبقا للشعائر العصر مرر العجوز الأرمنى (ابنه) عاريين لحمة وقميصه . . . الى آخر الشعائر ويؤيده في ذلك

(Zoé Oldenbourg : Les Crois. p. 140).

William : Op. Cit., V. 1, p. 191. (٢١)

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, Alberti (٢٢)

Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 353.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 58. (٣٣)

كركر لكنهما لم يوفقا وعادا سريعا(٣٤) . وما كاد بلدوين يعود من تلك الحملة حتى اخذ اهالى الرها يدبرون مؤامرة للتخلص من ثوروس ، وكانهم لم يكنهم ما حدث له ولسلطانه الذى اصبحت مناصفة بينه وبين بلدوين البولونى . والحقيقة ان هوامل الكره لثوروس ترجع الى اسباب عديدة اولها واهمها فى نظر الاهالى عقيدة ثوروس البيزنطية (٣٥) . ويفسر (اولدنبرج) ذلك بقوله « ان امراء الرها الارمن اجبروا ، كى ينجحوا فى العمل فى الجيش البيزنطى ، على تقبل مذهب القسطنطينية الذى اخذ بالطبيعتين ، وبذلك غدوا منفصلين معنويا عن شعبهم الاصلى ، فضلا عن انفصالهم عن السكان الوطنيين المتمسكين بالذهب اليعقوبى . ولم يشذ ثوروس عن هذه القاعدة . . فاصبح فى نظر المسيحيين الشرقيين ارمنى الجنس بيزنطى العقيدة(٣٦) » .

فماذا اضيف الى ذلك ان ثوروس كان بخيلا (٣٧) . ومكروها بسبب استبداده (٣٨) وانه اهرق رهائيه بالضرائب ليرضى جشع الاتراك ويدفع لهم الاموال (٣٩) . فضلا عما يقال من ان سحق الاهالى عليه يرجع الى « دوافع خلقية » (٤٠) . ادركنا فى النهاية اسباب التأمر ضده فى ذلك الوقت . هذا وان كان متى الرهاوى يعتبر ان كل تلك الاسباب المصادرة عن الرهويين : « والتى تمسك بها المؤرخون اللاتين ، لم تكن سوى ، عللا وضعوها لى يبرروا خيانتهم لثوروس وتأمرهم ضده ،

-
- Mattieu d'Edesse : Op. Cit., p.p. 36 -37, Setton : Op. Cit., (٣٤)
 عن V. 1, p. 304, Archer : Op. Cit., p. 61. Albert)
 Cahen : Op. Cit., p. 210, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208 (٣٥)
 Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 139. (٣٦)
 Cahen : Op. Cit., p. 210. (٣٧)
 Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Oseid., (٣٨)
 T. 4, p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.
 Grousset : Hist. des Crois. ; V. 2, p. 867 عن (Albert)
 Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245. (٣٩)
 William : Op. Cit., V. 1, p. 193. (٤٠)

حتى قتلوه وسط هياج شعبي مفتعل (٤١) . وقد تناسى هؤلاء الثوار ان ثوروس هذا كان لا يستحق تلك النهاية بعد ما قدمه من خدمات عديدة للبلدية ، لانه « بسبب مهارته الحذرة وبعمق ريته وشجاعته استطاع ان يجنبها فعلا خطر السقوط في قبضة المسلمين » (٤٢) . ويقال ان اهالى الرها دبروا مؤامرتهم بمؤازرة قنسطنطين حاكم كركر (٤٣) . ولكن الذى يعنينا ويتطلب منا وقفة قصيرة هو دراسة الدور الذى اسهم به بلدوين في تلك المؤامرة . او على الاقل دراسة موقفه منها .

هنا نجد بعض المؤرخين المعاصرين مثل فولشر يصمت عن الادلاء باى اشارة عن هذا الموضوع ، في حين نجد متى الرهاوى بينهم بلدوين صراحة بالمشاركة في المؤامرة (٤٤) . هذا فضلا عن فريق ثالث يشير الى ان بلدوين « احبط بخفايا المؤامرة ولكنه رفض ان يشارك فيها » (٥) . ومن المرجح ان بلدوين كان على علم بالمؤامرة ولكنه ابتعد عن الظهور على

Mattieu : Op. Cit., p. 30. (٤١)

Mattieu : Ibid., p. 37, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 56. (٤٢)

Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 245. (Mattieu من
Mattieu : Ibid., p. 37, Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 304, William : Op. Cit., V. 1, p. 193. (٤٣)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 من Alberti), Cahen : Op. Cit., p. 210, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 57.

Mattieu : Ibid., p.p. 37-38, Chalandon : Hist. de la 'première Croisade, p. 176. Augustine Fliche : Hist. du Moyen Age, T. 11, p. 570. (٤٤)

Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 354, Zoé : (٥)
Oldenbourg : Op. Cit., p. 140 عن (Albert) وهنا يذكر البرت انه

عندما طلب اهالى الرها من بلدوين مشاركتهم في التخلص من ثوروس قال لهم : يجب الا ارتكب خطأ باستخدام القوة ضد هذا الرجل دون سبب ، الذى اخذته والدا ووضعت ثقتى فيه . وانى اتوصل اليكم ان تسبحوا الى ان لا الوث بموته وبدمه . وأن تجعلوا اسمى خسيسا بن قادة الجيش المسيحى .

مشرح الجريمة مع المتآمرين ، حيث ذكر أنهم « اجتمعوا معه وفكروا له انهم سيجملوه سيدا اوحدا على الرهف اذا تركهم يتخلصون من ثوروس (٤٦) » . اى انه « اخبر بها لكنه ابعد عنها (٤٧) » .

كان بلدوين موجودا فى القلعة التى هاجبها الثوار وبمعه قواته المسلحة ، وكان من الممكن بسهولة ان يمنع الهياج المدبر ، اذا اراد ذلك ، لكنه لم يقدم على شىء وترك ثوروس يلقى مصيره (٤٨) .

وفى ٧ مارس ١٠٩٨م (٤٩٢هـ) قام الثوار بنهب منازل كثير من المتصلين من طريق الخدمة بثوروس واحتلوا الجزء العلوى من القلعة . وفى اليوم التالى تجمعوا لِحاصروا الجزء الداخلى حيث كان ثوروس محبوسا ، وشددوا الحصار بدقة (٤٩) . وعندئذ حاول بلدوين ان يقوم بحور الوسيط بين الثوار وثوروس . فذهب اليه وطلب منه ان يسلم خزانته للثوار فى مقابل التعهد بحمايته هو وزوجته . وقد نقل لنا البرت كلام بلدوين الى ثوروس فقال : « تأمر كل المواطنين وحكام هذه الإمارة ضحك وهم يسرعون نحو هذه القلعة بكل انواع الأسلحة وفى هياج شديد وفى تهور وانفداع ، وهذا كله يسبب لى الالم والضيق الشديد . لكن اذا كان فى استطاعتك ان تطلق سراح نفسك بأية وسيلة ، او بالتنازل من كل سلطاتك ، فلن اتوان فى الاسراع اليك » . وكان ان استمع ثوروس بصعوبة الى كلام بلدوين (٥٠) . ثم قدم له صليبين من اكبر الآثار المقدسة تبجيلا فى ارمينيا القديمة ، لحلف بلدوين على تلك المقدسات المجله بالايصاب ثوروس بأذى اذا نفذ ما طلب منه . وعندئذ سلم ثوروس القلعة

Mattieu : Op. Cit., p. 37, Alberti Aquensis : Ibid., p. 354, (٤٦)

Grousset : L'Épopée, p. 57.

Cahen : Op. Cit., p. 210, Runciman : Op. Cit., V. 1, (٤٧)
p. 205 - 206.

Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 140. (٤٨)

Grousset : Hist. des Crois , V. 1, p. 57, Michaud : Op. Cit. (٤٩)
V. 1, p. 245, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206.

Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid., T. 4, (٥٠)
p. 354.

لبلدوين فدخلها مع كل اعيان المدينة (٥١) .

وثمة رواية أخرى تقول أن ثوروس استمدى بلدوين « وسكب أمامه خزائنه بغزارة ملتبسا منه التشفع لمصلحته لدى الأهالي (٥٢) » . ويصور لنا أحد الصليبيين تلك الخزائن بقوله : « كشف عن خزائنه (ثوروس) الهائلة والتي لا مثيل لها في السماء بما فيها من آنية ذهبية وفضية وعملات بيزنطية » (٥٣) . ويبدو أن المتآمرين وافقوا بعد ذلك على أن يخرج ثوروس من القلعة ويرحل حرا غير مسلح (٥٤) . فينزع إلى ملطية التي كان أميرها جبريل والد زوجته (٥٥) . ثم عاد الأهالي وندبوا من جديد على تركهم ثوروس حيا « وصالحوا بالإجماع ألا يتركوا ذلك الرجل يخرج حيا أو معافي حتى لا يحدث أى تغيير للظروف أو استرداد للأشياء » (٥٦) . ويعبر (ميشو) عن ذلك بأنهم اتهموه « بأنه لم يوقع على الصلح إلا مخادعا (٥٧) » . لذلك اندفعوا نحو القلعة ونادوا بموت ثوروس اخنرقوا القلعة في ضوضاء « وامسكوا بثوروس والقوا به من أعلى الاسوار (٥٨) » أما وليم الصورى والبرت فيذكران أنه في حالة شعور ثوروس باليأس . حاول أن يهرب من إحدى النوافذ عن طريق حبل ولكن عندما بدا ينزل

(٥١) Mattieu : Op. Cit., p. 38, Grousset : Hist. des Crois.,

V. 1, p. 57, L'Épopée, p. 57.

(٥٢) William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

(٥٣) Albert Aquensis : Historiae Liber III, T: 4, p. 355.

(٥٤) Alberti Aquensis : Ibid., p. 355.

(٥٥) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert)

هنا يذكر ميشو (أنه بمجرد أن استسلم ثوروس ووعد بالتنازل عن حكومة الرها وطلب الانسحاب ، ع مائلته إلى ملطية حتى قبل ذلك الاقتراح بفرح وحلف الأهالي على الجلبب وعلى الأنجيل باحترام الشروط)

Michaud · Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٦) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid.

T. 4, p. 355.

(٥٧) Michaud · Op. Cit., V. 1, p. 246.

(٥٨) Michaud : Ibid., p. 246.

على الحبل رشق جسده بألاف السهام فسقط ميتا . (٥٩) . بل انهم
سحلوا جثمانه في الشوارع وقطعوا رأسه وحملوا جثمانه للتشهير به
فوق الحراب خلال كثير من قرى الإمارة (٦٠) . والواقع اننا نطل
من وراء هذا النص على البداية المبكرة لعملية السحل والتمثيل
بالجثث .

هنا يكفى فولشر بقوله أن بلدوين « تملكه الحزن هو ورجاله فلم يكن
في استطاعتهم عمل شيء من أجله » (٦١) دون أن يشير الى المؤامرة
بأى شيء ، وربما يرجع ذلك الى سدة قرية بلدوين حيث كان قسيسه
الخاص . وهناك رأى وحيد يشير الى « أن بلدوين اشترك بالفعل في
المؤامرة زان له بدا في مصرع ثوروس وأنه اشترك مع زوجة ثوروس
في تدبير المؤامرة ليخلو له الجو ، ثم يتزوج منها بعد ذلك لكى يضى
على حكمه للبلاد صبغة شرعية (٦٢) » . وهو رأى قد يكون بعيدا
عن الحقيقة في نظرنا ، خاصة واننا لم نجد ما يؤيده في المصادر المعاصرة

وفي ٨ مارس ١٠٩٨م « على الرغم من اعتراض بلدوين ، نادى
الاهالى به حاكما لهم وحلفوا يمين الولاء له وقادوه في موكب عظيم
ولجلال الى داخل قلعة المدينة حيث اغدقوا عليه كل الاموال والثراء
الواسع الذى احتزنه حاكمهم السابق خلال سنوات عديدة . وبهذا
عاد لالمدينة الامن والطمأنينة (٦٣) » .

والواقع اننا حين نعلق على موقف بلدوين نستطيع أن نقول انه
كان على جانب كبير من الدهاء والمكر والذكاء . فهو في بداية امره كان
يتطلع — شأنه شأن باقى امراء الحملة الصليبية الاولى — الى أن

(٥٩) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 355.

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 193 - 194.

(٦٠) Alberti : Ibid, p. 355, William : Ibid., p. 194. Mattieu
Op Cit, p 38

(٦١) Fulcherii Carnotensis : Historia . Hist Occid. T. 3, p. 338.

(٦٢) جوزيف نسيم : العرب وانروم واللاتين ص ٢٠٥ .

(٦٣) Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist Occid. T. 4
p. 355, William : Op. Cit., V. 1, p. 194.

تكون له اشارة يحكمها في الشرق . وعندما اراد ثوروس ان يجعل منه جنديا مرتزقا حصد بالانسحاب وهو واثق كل الثقة انه - وشعبه - لن يتخلوا عنه . ثم عندما دبرت المؤامرة ضد ثوروس رفض بلدوين المشاركة فيها جهرا ليظهر امام ثوروس في صورة الرجل المحافظ على عهوده ، ومن ناحية اخرى حتى لا يكون مثارا لشك الاهالى بعد نجاح المؤامرة واخيرا وبعد ان تمت المؤامرة وقتل ثوروس ، وعرض عليه حكم الامارة اذا به يتمنع وهو راغب كل الرغبة فيها .

لكن هل جاءت فكرة تأسيس بلدوين « لامارة الرها الصليبية » وليدة الظروف نفسها ؟ بعد استدعاء ثوروس له ومقتل الاول واختيار الاهالى لبلدوين مكانه ، ام ان تلك الفكرة كانت موجودة أصلا لدى بلدوين . وتم تنفيذها ، عندما اتحت لها الفرصة .

هنا نجد « أولدنبرج » يشير الى أن بلدوين ، « لم يفكر ابدا في فتح كنيسة القيامة - يقصد بيت المقدس - بل كان لديه نشاط جامع لاثامة مملكة خاصة به في الشرق (٦٤) » . لذلك نجد أن بلدوين انفصل عن بقية الجيش الصليبي منذ وقت مبكر - وشباركه في ذلك تنكريد ابن اخنث بوهيموند - ليعملا لحسابهما (٦٥) . بل ان البعض يؤكد ان رغبة كل من بلدوين وتنكريد كانت اقتطاع امارات لانسهما في آسيا الصغرى (٦٦) . هذا الى جانب رأى وحيد انفرد بالقول بأن هذه الفكرة نبعت من منافسة بلدوين لتنكريد كرد فعل على « محاولته تأسيس امارة بالشرق لعمه بوهيموند (٦٧) » . لكن من المرجح ان عنصر المنافسة وحده لا يكفي ان لم تدعبه.الامكانيات المختلفة . والواقع ان الفكرة كانت كامنة لدى بلدوين حتى كشف عنها في الوقت المناسب عندما وجد المكان الصالح لتحقيقها وكان أن وجد في اقليم الرها السكان الارمن المتلهنين على قدوم الصليبيين « وعندئذ ظهرت له ارض افضل للعمل بما يتفق مع خططه . ولكي ينجذ مسيحيي

(٦٤) Zoé Oldenbourg : Op. Cit., p. 141.

(٦٥) F. Chalandon : Hist. de la première Crois. ; p. 234, Zoé Oldenbourg : Ibid.. p. 111.

عادل زعيتير : حضارة العرب د الطبعة الثانية ص ٣٩٩
(٦٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 208.

(٦٧) أرنيست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العرينى ، ص ٣١ .
وهنا المفروض خاله وليس عمه .

الشرق ، من الأفضل إن يتحالف مع أولئك المسيحيين ضد الأتراك وعندئذ تصبح لديه بعض القوة ، التي رتب لها ، فهو لم يفكر في قهر لرض على جانب من الأهمية بدون الاعتماد على السكان الوطنيين . وفي إقليم الرها يمثل الأرمن القوة الحقيقية . والواقع أنها لم تكن مدينة محتلة بواسطة الأتراك ، لكنها كانت مدينة مسيحية رغب بلديون أن يصبح سيداً لها » (٦٨) .

وهكذا باع بالفشل محاولة ثوروس في إقامة حكومة أرمينية فرنجية (٦٩) . فقد كانت إمارة الرها التي حكمها ثوروس بمفرده ببيزنطية أرمينية ، ثم أصبحت لاتينية أرمينية بعد تبنيه لبلديون (٧٠) . ثم تحولت شيئاً فشيئاً حتى أصبحت إمارة لاتينية صرته (٧١) .

حكم بلدوين البولوني منفرداً للرها : ١٠٩٨ - ١١٠٠ م
(٤٩٢ - ٤٩٤ هـ) .

تجمع غالبية المصادر التاريخية على أن إمارة الرها هي أولى الإمارات التي أسسها الصليبيون في الشرق ، وأن تأسيسها يرجع إلى بداية مارس ١٠٩٨ م (٧٢) (٤٩٣ هـ) (٧٣) وهي السنة التي أنفرد فيها بلدوين بحكم الرها بعد مقتل ثوروس .

Zoé : Op. Cit., p. 139. (٦٨)

Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 629. (٦٩)

Grousset : L'Empire, p. 297, (٧٠)

Grousset : (٧١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٨٤
Ibid., p. 184.

William : Op. Cit., 1, p. 194, Setton : Op. Cit. V. 1, هنا (٧٢)

p. 304. خطأ البعض في ذكر تاريخ تأسيس الإمارة (الميلادي) فقد أشار

مرجعان أنها قهرت بواسطة الصليبيين سنة ١٠٩٩ م وهذا : Dictionnaire :

d'Histoire et de Geographie T. 14, p. 1422, G. Schlumberger :

Stillographie de l'Orient, p. 1.

Cam. Med. في حين يشير مرجع آخر إلى أن ذلك كان سنة ١٠٩٧ م .

Hist. V. V., p. 301 (1936).

(٧٣) هنا أيضاً أخطاء بعض المصادر في ذكر التاريخ الهجري لميلا

ابن أبيك الدواداري كلز الدرر ، ج ٦ ص ٤٥٠ يفكر أن ذلك كان سنة

٤٩٠ هـ . أما التاريخ المظفرى : ميكر وفيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث سنة

٤٩١ هـ ، أبو الفضائل الحموى : التاريخ النصورى ، ص ١٥٩

فيذكر أن ذلك كان ٤٩١ هـ .

وهكذا دخلت الرها في حوزة الفرنج بعد أن « كانت مركزا
بيزنطيا في مواجهة مركز اسلامي في حران » (٧٤) . والواقع انه اذا
كنا قد بينا من قبل اهمية تأسيس امارة الرها بالنسبة للبناء الصليبي
في الشرق ، فان بعض الباحثين يرون أن تأسيس امارة الرها يعتبر
مسابقة خطيرة ، لانه شجع بقية امراء الحملة الصليبية الاولى على أن
يخذوا حذو بلدوين في تكوين امارات لانفسهم مما يهدد وحدة الكيان الصليبي
في الشرق (٧٥) .

وكان أن تكونت فعلا في الشام أربع امارات صليبية اختلفت اهدافها
باختلاف اصول مؤسسيها . وفي ذلك يقول (بروييه — Prawer) ان
امارة الرها كانت امارة ارمنية لورينية (٧٦) ثم امارة انطاكية التي اسسها
بوهيموند امارة نورماندية على طريقة نورمان صقلية و امارة طرابلس التي
شيدت على الاسس التي وضعها ريموند الصنجيل كانت امارة بروفنسالية
Provençale ومملكة بيت المقدس ، امارة لورينية وفرنسية
شمالية (٧٧) .

وقد اختلفت امارة الرها عن بقية الامارات الصليبية بانها اخفت
ولم تقهر (٧٨) أو بمعنى آخر تحولت السلطة فيها من رئيس أرمني
الى رئيس فرنجي (٧٩) .

اما عن شخصية مؤسس امارة الرها الصليبية ، وهو بلدوين
البولوني أو بلدوين دى بوايون (٨٠) السذى حكم الرها من ١٠٩٨ —

Cahen : Op. Cit., p. 111. (٧٤)

Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 56, Bréhier : L'Eglise et (٧٥)
L'Orient, p. 77 عن (Gesta Franc)

(٧٦) سار على رأس أحد الجيوش الصليبية ، الذي جند من فالونيا
وفلاندي واللورين ، قادة فرنسيين هم : جود فرى دى بوايون
Godefroy de Bouillon وأخويه بلدوين وأيوسفاتش وابن خاله
بلدوين دى بورج .
(F. Charles — Roux : France et
Chrétien d'Orient, p. 15).

J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 249. (٧٧)

J. Prawer : Ibid., p. 249. (٧٨)

Cahen : Op. Cit., p. 225. (٧٩)

(٨٠) وبوايون Bouillon هي مدينة في بلجيكا بمقاطعة لوكسمبرج

==

١١٠٠م (٤٩٢ - ٤٩٤هـ) (٨١) المألوف انه كان أخا لجود قري
دى بوايون وكان يصفر أخاه بسنة أو اثنتين . (٨٢) جمعت هو وأخوه
بعض صفات مشتركة فقد كانا « جنديين ذوى مقدرة عالية » (٨٣) .
كذلك تشابها في الفطرسية والتكبر (٨٤) .

وتلقى بلدوين في طفولته ثقافة واسعة شملت مختلف النواحي المدنية
والدينية « فلم يختلف بلدوين عن بقية صغار العائلة المظلمة ، اذ تربى
تربية اميرية حسب معايير العصر » (٨٥) هذا فضلا عن انه « كرس في
طفولته للدولة الاكليروسية » (٨٦) ومن ناحية اخرى كان ذكيا طباعا ،
صريحا ، مرنا ، سريعا ، وهب طموحا شديدا كما كان رجل سياسة
ورجل دولة (٨٧) .

والواقع ان بلدوين عرف منذ البداية انه لا يستطيع ابدا الاعتماد
الا على خاصته ولكن بالرغم من انسه لم تكن له شعبية مثل أخيه جود فرى
أو مثل بوهيموند ، الا انه عرف كيف يجعل نفسه محترما ، مهاب الجانب ،
فشجاعته وحزمه وحسمه للأمور فرضت احترامه على كل من أصدقائه

شمال فرنسا . وكانت بوايون في القرن الحادى عشر الميلادى تحت
حكم أمراء الأردين Ardennes والذين تولى خمسة منهم فيما بين
١٠١٢ - ١٠٦٩م منصب دوق اللورين الجنوبى بواسطة ملوك الجرمان .
ولما كانت بوايون هى قلعته الرئيسة فقد اصبح من المألوف أن
يلقب هؤلاء الأمراء : بأمراء بوايون ، رغم أن بوايون نفسها لم تكن دوقية .
والى بوايون هذه ينسب أميرنا السليبي بلدوين .

Encyclopadia Britannica, V. 4, p. 12 (1768)

Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

Zoé : Op. Cit., p. 116.

William : Op. Cit., V. 1, p. 179, Zoé : Ibid., p. 116.

ويضيف المرجع الاخير بان بلدوين كان الحارب الأكثر ضراوة ، الأكثر
شجاعة ، الذى لا يبالى بالتعب اطلاقا (ص ١١٧) ذو السلاح جيد
وشهامة جامحة (ص ١٣٥) .

Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos, (R.H.C). (٨٤)

Hist. Occid, T. 4, p. 147, William : Op. Cit., V. 1.

p. 180. Zoé : Ibid., p. 86 عن (Anne)

Zoé : Ibid., p. 135.

Zoé : Ibid., p. 117.

Zoé : Ibid., p. 117.

وأعدائه ، ومع ذلك فانه كان قليل الاصدقاء (٨٨) وربما يرجع السببه في ذلك الى أنه كان محبا لذاته ، محبا للانفراد بالنفوذ والسلطة (٨٩) . ولكن ذلك لم يمنعه من تحقيق مآربه عن طريق المهادنة حيناً والتهديد بالقوة أحيانا كثيرة (٩٠) .

والحقيقة انه مهما تضاربت الأقوال في فكر صفاته الا انها في مجوعها لا يمكن أن تقلل من مكانته بين الأمراء الصليبيين الذين تلخر بهم الحروب الصليبية ، والا لما استطاع أن يصل بعد أن كان أميراً لإمارة الرها اللاتينية الى منصب ملك بيت المقدس سنة ١١٠٠ م .

ومنذ اللحظة الاولى لاعتلاء بلدوين حكم إمارة الرها ، وضع نصب عينيه أن يعمل جاهدا على حماية ذلك الحجر الاول في الصرح اللاتيني في المشرق ، من طريق تدعيم الجبهة الداخلية للإمارة وعن طريق التوسع الخارجى .

أن ما كان يشغل تفكير بلدوين منذ انفراده بحكم الرها هو خطر الأتراك المحيطين به من كل جانب وتهديدهم لإمارته ، هذا الى جانب قلة عدد قواته من فرسان الصليبيين ، (٩١) وعدم ثقته الكاملة في اهالى الإمارة الأرمن بعد ما حدث لثوروس من جانبهم ، بالإضافة الى قلة ما بيده من ثروة يستطيع أن يحقق بها مايدور في خاطره من مشروعات عظيمة . فكيف تغلب بلدوين على تلك الصعاب ؟ .

والواقع أن المشكلة الاولى التى واجهت سبيل بلدوين كانت قلة عدد فرسانه من الصليبيين الغربيين ، وهنا ساعده الجظ لأن عددا كبيرا من الصليبيين الذين شاركوا في حصار أنطاكية سثموا طول الحصار بعد أن ضاقت بهم الحال فأتجهوا الى الرها ينتشدون حياة أفضل تحت زعامة بلدوين (٩٢) . ويرجح البعض أنه أغراهم على

Zoé : Ibid., p. 141.

(٨٨)

يقصد هنا بخاصته (فرسان بطائنه وذوى قرياه

والسادة الصليبيين الذين ارتبطوا به من طريق بعض الهبات)

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 179 - 180.

(٨٩)

William : Ibid., V. 1, p.p. 180 - 182.

(٩٠)

(٩١) ولو أن (آرتشية) يذكر هنا أنه « رغم ذلك قبض بلدوين على الأمور

بكبرياء كما لو كان وراءه جيش من الفرنج » Archer : Op. Cit., p. 62.

Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. (٩٢)

Oeccl., T. 4, p. 405.

القدوم الى امارته لانه كان في حاجة الى جند (٩٣) .

وبمعنى آخر فان الصليبيين الذين نزحوا من امام انطاكية الى الامير بلدوين بالرها كانوا على نوعين : نوع كان يامل في الحصول على اقطاعات (٩٤) وبالتالي ينشد الاستقرار في الرها . وفريق آخر اسرع الى الرها للحصول فقط على بعض ضروريات الحياة ثم العودة مرة اخرى لينضم الى الجيش الاصلى . وقد احسن بلدوين استقبال هذا الفريق الاخير واظهر لهم احتراماً كبيراً ثم اعادهم الى اخوانهم بالشام في حيوية عالية بعد ان انعم عليهم بالهبات العديدة (٩٥) . لكن بالرغم من رحيل هذا الفريق عن الرها الا ان الصليبيين تنفقوا في أعداد هائلة على المدينة بعد ذلك حتى أصبحوا مصدر ازعاج للأهالى الأصليين (٩٦) . وكان ان نجح بلدوين في اخضاع كل اقليم الرها تحت قبضته القوية ، واعطى الأماكن الرئيسية الحصينة في الإمارة اقطاعات لهؤلاء الفرسان (٩٧) ومن بين الاقطاعات التي وزعها بلدوين على رفاقه واقاربه من الصليبيين تل باشر وراوندان وقد قدمها لآخيه جود فرى عندما انسحب من انطاكية أثناء حصارها في أغسطس ١٠٩٨م وذهب الى الرها (٩٨) . لكن ذلك لم يكن ليرضى طموح جود فرى الذي غادر الرها بعد فترة وجيزة (٩٩) .

ولكى يكتسب بلدوين ود الأمن ويقرّبهم منه ، ويضفى على حكمه صبغة شرعية في نظر السكان المحليين (١٠٠) . فانه أسرع بعد وفاة

Zoé : Op. Cit., p. ... (٩٣)

Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234. (٩٤)

William : Op. Cit., p.p. 301-305. (٩٥)

William : Ibid., V. 1 ; p. 305, Jean Richard : Le Royaume (٩٦)
Latin de Jérusalem, p. 27, Michaud : Op. Cit., V. 1,
p. 248.

Zoé : Op. Cit., p. 142. (٩٧)

Alberti Aquensis : Historiae, Liber V. (R.H.C.), Hist. (٩٨)
Occid., T. 4, p.p. 440-441, William : Op. Cit. V. 1,
p. 304.

Chalandon : Hist. de la première Crois. p.p. 228 - 229 -

234, Zoé : Op. Cit. p. 142, 143.

Grousset : L'Epopée, p. 58. (١٠٠)

زوجته الاولى بالزواج من اميرة ارمنية اسمها اردا Arda (١٠١) .
وكانت ابنة احد كبار النبلاء الارمن ، وانها تنحدر من نسل روبان على
قول بعض المؤرخين (١٠٢) .

والواقع ان بلدوين استطاع بهذه الزيجة ان يكسب ود الارمن داخل
الرها ، فنظروا اليه في البداية على انه ليس فقط سيدا بل ابا ، وصاروا
مستعدين للحرب حتى الموت من اجل سماعته ومجده (١٠٣) هذا الى انه
حصل على صداق كبير من والد زوجته الواسع الثراء ، تمكن به من تسديد
جزء من ديونه . ويقال ان هذا المصداق بلغ حوالى ستين الف بيزانت
يضاف الى ذلك ما وعده به والد الزوجة بان يرث ارضه بعد وفاته
وان يؤمنه ضد الاتراك وان يحنيه من خشونة الارمن في قيليقية (١٠٤) .

لكن العلاقات الطيبة لم تدم طويلا بين بلدوين ورعاياه الرهوين ويرجع
ذلك في الواقع الى تحقق المسلمين الغربيين الى الرها باعداد
هائلة والذين لم يلبثوا ان سببوا مضايقات للاهالي الاصليين رغم
ما قابلوهم به من حفاوة وكرم (١٠٥) . فبعد السنة الاولى لحكم بلدوين
في الرها تكونت ارسقراطية فرنجية انصفت بالكبرياء والتعالى وعاملت
الارمن والسريان باحتقار وعنف واعتبرتهم اجناسا اقل منهم في
المستوى (١٠٦) .

هنا نلقى مسئولية ما حل باهالي الرها من المسيحيين الغربيين —
مستكان الرها الجدد — على بلدوين نفسه فانه لم يحسن انتقاء

-
- Fulscherii Carnotensis : Historia ... Hist. Occld., T. 3, (١٠١)
p. 433, Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4,
p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 104, 205, Hist. des
Crois. V. 1, p. 64, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.
Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201, Morgan : Op. Cit., (١٠٢)
p. 169, Iorga : L'Arménie Cilicienne, p. 93 فر
(Dulaurier)
William : Op. Cit., V. 1, p. 194. (١٠٣)
Alberti Aquensis : Historiae Liber III, T. 4, p. 361. (١٠٤)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, Runciman :
Op. Cit., V. 1, p.p. 208 - 209.
William : Op. Cit., V. 1, p. 305. (١٠٥)
Zoé : Op. Cit., p.p. 141 - 142. (١٠٦)

العناصر الصليبية القريبة الواقعة الى امارته مما جعل بعض المؤرخين الصليبيين المعاصرين مثل البرت ووليم الصوري يسهبون في وصف السلوك المعيب للصليبيين الذين استقروا في المدن المسيحية حيث استقبلوا فيها ككسداء ، اذ اسأوا معاملة للنبله الاصليين ونزعوا منهم بالقوة منازلهم ووجهوا اليهم كثيرا من الاهانت (١٠٧) . وفي ذلك المجال يذكر وليم الصوري ان بلدين قتل من الاعتماد على مشورة نبله الرها الاصليين الذين امتلك تلك المدينة العظيمة بفضل مساعدتهم ، مما اثار سخطهم عليه وعلى اتباعه ، وندم اهل الرها لانهم مكتوه من السيادة عليهم وخافوا ان يسلبهم في النهاية من كل ما يملكون (١٠٨) . يؤكد نفس المعنى ما ذكره البرت : « ان اثنا عشر زعيما لدولة الرها - الذين يكونون مجلس شيوخها - تابلوا تنفق الفرنسيين من انطاكية ومن كل الامكن على مدينتهم ، اتهم بنموا بلدين معهم في كل عمل ولكنه اهل قراراتهم بصورة مفاجئة فاستشاطوا غضبا ضده وندموا كثيرا لانهم مينوا بلدين سيدا وقائدا لدولتهم » (١٠٩) .

وهكذا لم يلبك ان تلبر اهل الرها مع بعض امراء الأتراك الجاورين ، لقتل بلدين على غرة ، او على الأقل طرده من مدينتهم - (١١٠) . ولكن المؤامرة كشفت وتطلب عليها بلدين بوسائله العنيفة المعروفة عنه (١١١) ، فقبض على التآمرين وعاقبهم حسب الأسلوب المعروف في الدولة البيزنطية بسبل امينهم وقطع اثومهم وايدعيهم واقتادهم (١١٢) . لها الذين اشتبه في لمرهم فقد طردهم من المدينة ، ومصادر ممتلكاتهم ، في حين عاقب من سمح لهم بالبقاء في الرها ، بمصادرة ممتلكاتهم والاستيلاء على اموالهم (١١٣) .

وهكذا يبدو ان بلدين استفاد من تلك الحركة باثراء خزانته واشباع

-
- Zoé : Ibid., p. 141. (١٠٧)
William : Op. Cit., V. 1, p. 305. (١٠٨)
Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., Hist. Occid., (١٠٩)
T. 4, p. 442.
Alberti : Ibid., p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p. 305-306. (١١٠)
Grousset : L'Empire, p. 297. (١١١)
Alberti : Op. Cit., p. 443, Zoé : Op. Cit., p. 141. (١١٢)
Alberti : Ibid., p. 443, William : Op. Cit. V. 1, p. 306. (١١٣)

اتباعهم المصليين من طريق المصادرات التي شملت كميات كبيرة من الذهب
تقدر بحوالى عشرين ألف قطعة (١١٤) . هذا الى جانب الاموال
التي طلبها مقابل اطلاق سراح بعض المسجونين والتي تراوحت بين
عشرين او ثلاثين ألف بيزانت وستين ألف للفرد الواحد (١١٥) .

ويجدر بالذكر ان بلدوين استطاع التغلب على الصعوبات المالية
التي واجهه بطرق مختلفة اثرنا الى بعضها ، منها صداق زوجته
والمصادرات والغنائم ، هذا الى جانب الاموال المكتنزة في قلعة الرها
والتي كان الكثير منها قد سك من ايام البيزنطيين والتي كان ثوروس
قد اضاف اليها الكثير (١١٦) .

وبما يكن من امر ، فان بلدوين نمد تغلبه على المؤامرة السابقة
اصبح يشعر بأنه سيد هنليم يمتلك اماره واسعة الاطراف . استطاع ان
يقبض على زمام امورها الداخلية ، مما جعله يحس بأنه يقف على ارض
صلبه . وهذا كله جعله يوجه نظره الى خارج حدوده ليؤمن امارته
الوليدة من خطر الاتراك المحيطين بها .

وكان ان وجه بلدوين اولى ضرباته ضد الاتراك بسيلاط (١١٧)
الذين بداوا ببعاداته وهو في طريقه الى الرها عند استدعاء ثوروس له
ولو انهم لم يسيبوه هو وجماعته بأى اذى . فقد ذكر فولشر انه عندما بدا
بلدوين رحلته الاولى الى الرها ، سمع الاتراك المقيمين في مدينة
سيلاط المنعة الخبر فاسرموا الى اقلية كمين له في الطريق الذي تصوروا
انه سيمسير عبره . لكن احد الارمن استضافه وجماعته ، فاختفى في ذلك
المكان حوالى يومين ، حتى مرت الازمة بسلام (١١٨) .

وما ان تم ثبني ثوروس لبلدوين - كما رأينا - واصبح الاخير شريكا
للالول في حكم الرها ، حتى طلب منه ثوروس ان يحصى المدينة من اترك

Alberti : Ibid., p. 442. William : Ibid., p. 306. (١١٤)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67. (١١٥)

Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 208. (١١٦)

(١١٧) مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم غربي الفرات
ولها قلعة في شق منها يسكنها الارمن (ياقوت الحموي : معجم البلدان ،
ج ١١ ص ٢٥٨) .

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 337, William : (١١٨)
Op. Cit., V. 1, p. 190.

سيباط وعلى رأسهم الأمير بك بن الدائشمند (١١٩) . يوصفه تشد
الأعداء قريبا وعنادا وخطرا على الرها (١٢٠) .

كان بك وفقا لما ذكره وليم الصوري والبرت بحاريا شجاعا ،
ملكرا شريفا ، سبب لاهالي الرها مضايقات عديدة عن طريق قرض
الأتاوات على حقولهم وأرهاتهم بالخدمات ، والاحتفاظ بابنائهم ليكونوا
بنابلة رهاثن لديه (١٢١) لذلك توسل أهل الرها بأميرهم بلدوين لكي
يحبهم من طغيان بك حاكم سيباط (١٢٢) . الأمر الذي جعل
بلدوين يخرج سنة ١٠٩٨ م (١٢٢ هـ) على رأس حملة ضد سيباط
بمصطحبا معه فرسانه الفرنج وجوع من أهل الرها أنفسهم ، فضلا
من المساعدات التي حصل عليها من قسطنطين حاكم كركر (١٢٣) .
وبهذا الجيش الكبير مار بلدوين نحو سيباط حتى قارب أسوارها
ونهب رجاله ضواحيها في الوقت الذي كان الأتراك واثقين من قوة
تحمينات المدينة ولذا قاوموا بشدة (١٢٤) . ومع ان كمة بلدوين
وتابعه كانت راجحة في البداية ، الا ان انصرافهم الى الغنائم لاقتسلمها
بينهم (١٢٥) . اتلحت فرسة للمعدو فهاجمهم ثلثائة فارس تركي
وعندئذ حلت الهزيمة بالصليبيين فلولوا الأدبار (١٢٦) . وراح ضحية تلك
الغزوة حوالي ألفا أو الفين من الرجال (١٢٧) . من بينهم ستة من

Mattieu : Op. Cit., p. 36, Grousset : Hist. des Crois., (١١٩)
V. 1, p.p. 55, 61.

Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert). (١٢٠)

Alberti Aquensis : Historiae, Liber III, T. 4, p. 303, (١٢١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 192.

William : Ibid., V. 1, p. 192. (١٢٢)

Mattieu : Op. Cit., p. 36, Zoé : Op. Cit., p. 142, Setton (١٢٣)

Op. Cit., V. 1, p. 304 عن (Albert - Fulcher),

Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 205 عن (Albert).

William : Op. Cit., V. 1, p. 192. (١٢٤)

Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 244, Grousset : Hist. des (١٢٥)

Crois. V. 1, p. 55.

Mattieu : Op. Cit., pp. 36 - 37. (١٢٦)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit. (١٢٧)

V. 1, p. 244. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١٨٢

فرمان بلدوين الأشداء ؛ لذلك ساد الحزن العميق وانتشر المويل
في كلفة أنحاء الإمارة (١٢٨) .

ولما رأى بلدوين أنه يصعب التغلب على حامية سيمساط عاد الى
الرها بعد أن ترك حامية في حصن قريب منها ، لتكون بمثابة خط دفاعي
أساسي يحول دون تهديد أتراك سيمساط للرها . ويبدو أن هذا
الإجراء خفف من الرها فعلا فسط الأتراك مما حقق لبلدوين قسما من
الشعبية والثقة داخل الرها ذاتها (١٢٩) .

وقد سبق أن رأينا كيف أنه بعد حملة سيمساط السابقة الذكر
بشرت مؤامرة قتل ثوروس . وكان أن أخذ بلدوين بعد انفراده بحكم
الرها يعد من جديد للاستيلاء على سيمساط الأمر الذي أفرغ بك ،
وكان أن أرسل بعثة الى بلدوين يعرض عليه شراء القلعة مقابل عشرة
آلاف بيزانت (١٣٠) . وهنا يذكر وليم الصوري أن بلدوين وافق بعد
تفكير وزوية على ذلك العرض ، إذ وجد أنه من الصعب أخذ سيمساط
بالقوة بسبب تحصيناتها القوية (١٣١) . أما (البرت) فيقول أن بلدوين
لم يستجب أولا لعرض بك ، لأنه كان يعتقد أن الأخير استولى على
سيمساط من المسيحيين دون وجه حق . وما أن أحس بك بنوايا بلدوين
وجنونه ، حتى عقد العزم على إحراق القلعة وقتل من فيها من رهائن من
أهل الرها ، وكان لديه الكثير منهم وعندئذ وافق بلدوين على العرض
المقدم إليه من بك (١٣٢) .

ولم يمجز بلدوين عن توفير المبلغ المطلوب لشراء سيمساط إذ كان
في الخزائن التي تركها ثوروس كثير من الأموال المكتسبة (١٣٣) .

Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. (١٢٨)
T. 4, p. 354.

Alberti : Ibid., p. 354, William : Op. Cit., V. 1, p. 194, (١٢٩)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304 Runciman : Op. Cit., V. 1,
p. 205 (Albert - Mattieu) عن .

Alberti : Ibid., Liber III, Hist. Occid., T. 4, p. 355, (١٣٠)
Runciman : Op. Cit., V. 1, I, p. 208 (Albert) عن .

William : Op. Cit., V. 1, p. 194. (١٣١)

Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 355. (١٣٢)

(١٣٣) سعيد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ١٨٥ (عن وليم الصوري)

Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247.

تمت الصفة واستولى بلدوين على سميساط وأصبح ملك منذ ذلك اليوم
تابعا لبلدوين (١٣٤) .

وكان ان دخل بلدوين سميساط ظافرا ، ووجد في قلعتها رهائن
معيدين كان ملك قد اخذهم من الرها ، فردهم لبلدوين الى
فويهم (١٣٥) . مما اكسبه شعبية كبيرة في الرها (١٣٦) .

ومع ذلك فان بلدوين كان يتشكك في اخلاص ملك له وهو الأمر
الذى اثبتت صحته الأحداث التالية .

اما الخطوة الثانية في حركة بلدوين التوسعية والدفاعية عن امارته
فهى ضم مدينة سروج (١٣٧) وهى مدينة ذات اهمية تجارية كبيرة ،
بسبب ضاحيتها الخصبة (١٣٨) .

كان حاكم سروج عند قدوم الصليبيين هو الأمير التركي نور الدولة
ملك بن بهرام الأرتقى (١٣٩) . وملك هذا هو الذى سماه كل من البرت
ووليم الصورى باسم (بالاس Balas) (١٤٠) .

وما ان استقر بلدوين في الرها حتى بدا ملك الأرتقى يشعر بقلق زائد
حيث كان تأسس اماره الرها الصليبية يمثل كارثة حقيقية لأقربيه من

Alberti Aquensis : Historiae Liber III, Hist. Occid. T. 4 (١٣٤)
p. 355, Zoé : Op. Cit. p.p. 140 - 141, Grousset . Hist.
des Crois. V. 2, p. 870 عن (Albert, Archer :
Op. Cit. p. 62. (Albert.)

Alberti : Ibid. p. 355, William : Op. Cit. V. 1, p. 194. (١٣٥)
William : Ibid : V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit. V. 1, (١٣٦)
p. 208.

(١٣٧) كانت سروج بلدة من ديار مصر فتحها عياض بن غنم صلحا على
مثل صلح الرها في أيام الخليفة عمر (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ،
ص ٢١٦) وكانت تقع الى الجنوب الغربى من الرها .
(Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 209

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 869. (١٣٨)

Grousset : Ibid., p. 869 ; V. 1, p. 62 عن (Albert - (١٣٩)
Mattieu) Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 209. عن (Albert)

Alberti Aquensis : Op. Cit. Liber III, T. 4, p. 356, Liber (١٤٠)
V. T. 4, p.p. 444, 445, 446, William : Op. Cit.,
V. 1, p.p. 194, 306.

بنى ارتق ، الذين كانوا منذ نقسوا فلسطين يعملون على جعل الرها مركزا لممتلكاتهم في الشمال . لذلك حاول بك في بادئ الأمر الدخول في علاقات ودية مع بلدوين (١٤١) . ويقال أن بك حاول من وراء ذلك أن يستعين ببلدوين والفرننج لتحقيق مصالحه الخاصة وظن أن بلدوين لا يعدو أحد المغامرين (١٤٢) .

وفي مكان آخر يذكر ولیم أن الأمير (بالاس) كان يفسلق باستمرار مدينة الرها، ويصيبها بأضرار جسيمة فتوسل اليه الاهالى أن يجمع جيشا ويتحرك ضدها . ولكنه عندما توجه اليها وحاصرها ويدا يهاجمها بشجاعة خاف (بالاس) من ضياعها وطلب الأمان في مقابل تسليم المدينة (١٤٣) . وما أن سلمت سروج لبلدوين حتى تمسك بها ولم ينكر إطلاقا في تركها تحت حكم بك (١٤٤) . لذا مرض ضريبة على أهلها وترك بالقلعة حامية صغيرة فرنجية أرمنية تحت قيادة أحد الرجال الذين تولوا المفاوضات بينه وبين بك (١٤٥) هو فولشر دى شارتر (١٤٦) وهو غير سميح قسيس حملة بلدوين الذى كان يحمل نفس الاسم وجاء من نفس البلد ، والذي يعتبر أحد المؤرخين اللاتين لتلك الفترة . وأنها كان فولشر هذا رجلا له تجارب كثيرة في الحرب (١٤٧) وكان « فارسا ذو شجاعة عظيمة ونو سلوك

Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, William : Ibid., (١٤١) p.306

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 62 عن (Albert) (١٤٢)
سميد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ١٨٦ من البرت ايخيا .

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 194-195. (١٤٣)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63. (١٤٤)

William : Op. Cit., V. 1, p. 195. (١٤٥)

Mattieu : Op. Cit., p. 53, William : Ibid., V. 1, p. 308, (١٤٦)

Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 357, Liber V, T. 4,

p. 446, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 869

عن (L'Anonyme)

المصدر الأخير يسميه

Putshir أما متى الرهاوى فيسميه — Foucher de Chartres

في حين يسميه ولیم الصوري Fulcher - Folkert أما البرت فمره يقول
Folbertus Carnotensis وأخرى Folkerum Carnotensis

William : Ibid., V. 1, p. 308. (١٤٧)

حميد ٢ (١٤٨) ترك بلدوين مواسر في قلعة سروج مع مائه من اهل
الجنود المتبرسين على القتال (١٤٩) . ومجهزين تجهيزا جيدا
للتحرك (١٥٠) . وكان لتتح سروج في ذلك الوقت اهمية كبيرة بالنسبة
للرها لانه فتح عن طريقها الاتصال بينها وبين انطاكية (١٥١) .

ويبدو ان بك لم يحافظ على علاقته الودية مع بلدوين ، مما ادى
الى فقد الاخير ثقته في الاتراك وادى بالتالى الى تخلصه من بك
الدانشمندی حاكم سبساط السابق — كما سنرى — والذي كان حتى
ذلك الوقت ضمن بلاط بلدوين (١٥٢) . ويسهب البرت ورايم الصوري
في بيان اسباب ذلك فيقولان انه عندما لاحظ (بالاس) ان عاطفة بلدوين
تجاهه فترت دفعته مشاعر الغيظ الى التوجه الى بلدوين وطلب منه
ان يحضر شخصا لتسلم القلعة الوحيدة التى بقيت في يديه وانه
سيورثها لبلدوين وسيحضر زوجته واولاده رهينة الى الرها وتظاهر
بانه في خوف عظيم من الاهالى لانه اصبح صديقا حميما للمسيحيين (١٥٣) .
ويذكر البرت « ان الغرض الحقيقى الذى كان يرمى اليه بالاس ورجاله
كان القبض على بلدوين » (١٥٤) .

وفى اليوم المتفق عليه لتسليم القلعة توجه بلدوين مع مائتين من
فرسانه الى المكان حيث كان بك قد سبقه وقوى دفاعها بأن وضع
بها مائة فارس مسلحين تسليحا رائعا . اختفت تلك القوة عند
وصول بلدوين . عندئذ طلب بك من بلدوين الا يدخل الا بقوة صغيرة
فوافق (١٥٥) . لكن رفاق بلدوين الذين اشتبوا رائحة الخيانة منعوه
بالقوة من الدخول (١٥٦) . وتقرر ان يدخل المكان اثنا عشر فارسا
على ان يبقى بلدوين وبقيّة قوته عن قرب لمشاهدة ما يحدث . وما ان

-
- Mattieu : Op. Cit., p. 53. (١٤٨)
 Alberti : Op. Cit., Liber V, ... T. 4, p. 446. (١٤٩)
 William : Op. Cit., V. 1, p. 308. (١٥٠)
 William : Ibid., p. 195. (١٥١)
 Alberti : Op. Cit., Liber III, T. 4, p. 355. (١٥٢)
 Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p.p. 443-444, Williad : (١٥٣)
 Op. Cit., V. 1, p.p. 306-307.
 Alberti : Ibid., p. 444. (١٥٤)
 William : Op. Cit., V. 1, p. 307. (١٥٥)
 Alberti : Op. Cit., Liber V, T. 4, p. 444, William : (١٥٦)
 Ibid., p. 307.

دخل فرسان بلدوين حتى وقعوا في الكمين التركي المدبر لهم . عندئذ اقرب بلدوين من المكان وحاول أن يذكر بك بليبين الذي تعهد به وطلب منه اعادة فرسانه لكنه « رفض أن يجيب على طلبه الا اذا ردت له سروج » (١٥٧) . فرفض بلدوين الاجابة على طلبه هو الآخر واتسم الا يعيد سروج « حتى ولو قتل فرسانه على مشهد منه » (١٥٨) . وعندما تحقق بلدوين من حصانة القلعة وأنه من الصعب الاستيلاء عليها عاد الى الرها وهو في شدة الغضب (١٥٩) .

عندئذ تضليق فولثر حاكم قلعة سروج — ايضا مما حدث وصمم على الانتقام من بك ورجاله عن طريق الخديعة . فوضع كميناً بالقرب من القلعة ثم تقدم مع بعض حرسه وتظاهر بالاستيلاء عليها وعلى ما بها من قطمان ماشية هنا تتبعته حامية بك ، متظاهر بالفرار حتى مكان الكمين هنا انتفض رجاله على الاتراك فقتل بعضهم وهرب البعض الآخر وأسر ستة اشخاص (١٦٠) .

وبعد فترة تبادل فولثر هؤلاء الستة بستة من رجالهم الماسوريين لدى (بالاس) ثم استطاع اربعة آخرون الهرب من قبضة الاتراك بسبب الاهمال ونتيجة لارهاق الحراس ، لكن (بالاس) امر بقتل الاثنين الباقين (١٦١) . ومنذ ذلك الوقت لمساعد كره بلدوين الاتراك بشدة واسقط تحالفه معهم (١٦٢) .

ولما كان اهالى سروج والقيين من أن بلدوين سيعود اليهم من جديد للانتقام من (بالاس) (١٦٣) . لذا أرسلوا الى بك الدانشمندی الموجود في الرها والى بعض القوى التركية القريبة يطلبون منهم

Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445, William : Ibid., (١٥٧)
V. 1, p. 307.

Alberti : Ibid., p. 445. (١٥٨)

Alberti : Ibid., p. 445, William : Op. Cit., V. 1, p. 307 (١٥٩)

Alberti : Ibid., p. 446 ; William : Ibid., p. 308. (١٦٠)

Alberti : Ibid., p. 446, William : Ibid., p. 308. هنا يضيف (١٦١)

البرت أن الاثنين اللذين قتلاهما Gerardus سكرتير بلدوين الخاص ،

Piscello اجمل وانيل جند — Wizan

Alberti : Ibid., p. 445, William : Ibid., p. 308. (١٦٢)

Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356. (١٦٣)

الحضور لاستلام المدينة . وهنا يبدو ان تلك طمع في الاستيلاء على سروج ، عسى ان يكون في ذلك تمويضا عما لحقه من خسارة بضائع سبيساط من يده ، ولذلك أخذ يستمد بسرعة لتنفيذ تلك الخطوة (١٦٤) .

وعندما علم بلدوين بذلك استعد هو الآخر بقوة كبيرة للتوجه الى سروج وما ان علم اهالى سروج بذلك حتى انتابهم الذعر وارسلوا الى بلدوين يطلبون منه الاستيلاء على المدينة في سلام مع تمهدهم بدفع الأموال له (١٦٥) .

وعندئذ تملك تلك الخوف الشديد فقصد بلدوين ليعلم له انه انما كان يقصد سروج ليقضها له ويسلمها لبلدوين (١٦٦) ،وعندئذ طلب منه الأخير ان يسلمه زوجته واطفاله رهائن . ولما ماظل ذلك في ذلك قبض عليه بلدوين وقطع رأسه (١٦٧) سنة ١٠٩٨ م (٤٩٢ هـ) (١٦٨) .

هكذا ضمت سبيساط وسروج الى الرها وبذلك « استطاع بلدوين ان يجعل من الرها ١٠٩٨ م (٤٩٢ هـ) عاصمة لامارة صليبية اشتملت على سبيساط وسروج » (١٦٩) .

وفي سنة ١٠٩٩ م (٤٩٣ هـ) استولى بلدوين على البيرة ، وهي مركز استراتيجى هام على الضفة الشرقية لنهر الفرات على الطريق من الرها

Alberti : Ibid., p. 356, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, (١٦٤) p. 62.

Alberti : Ibid., Liber III, T. 4, p. 356, Grousset : Hist. (١٦٥) des Crois. V. 1, p. 63. (Alberti) عن

Alberti : Ibid., p. 356, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210, (١٦٦) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 63,

(رنسيان وجروسية عن ألبرت)

وينسر جروسية ذلك بقوله « اسرع تلك الى الرها ورمى بنفسه على اقدام بلدوين متوسلا اليه بانه لم يات الى سروج الا لى يعث الاهالى على تسليم المكان » .

Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti : Ibid., Liber V, p. 446, (١٦٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 63 عن (Albert)

Alberti : Ibid., Liber V, T. 4, p. 445. (١٦٨)

Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954. (١٦٩)

الى عينتاب (١٧٠) ، وبعد أن استولى بلدوين على المدينة تركها في يد أحد الرؤساء الأرمن المحليين واسمه أبو الغريب (١٧١) .

وهكذا نمت إمارة الرها نموًا واسمًا على عهد بلدوين البولوني حتى اشتملت على « كل الأقاليم الغنية لمملكة آشور القديمة » (١٧٢) .

وبعد أن أكمل بلدوين البولوني تحقيق أمنيته (الخاصة) وأقام إمارة لاتينية لا يشاركه أحد في حكمها . . وبعد أن ضمن لأمارته قدرًا من الاستقرار الداخلي والخارجي . بدأ يفكر في زيارة بيت المقدس هو والأمير بوهيموند أمير أنطاكية (١٧٣) حيث اتفقا على ذلك الرقت « لم يريا تلك المدينة التي خرجا من الغرب من أجلها(١٧٤) » وهنا يحرص فولشر المؤرخ اللاتيني المعاصر - وقسيس حملة بلدوين الخاص - على الدفاع عن بلدوين وتبرير عدم مصاحبته للجيش الصليبي الكبير في زحفه على بيت المقدس ، فيقول أن بلدوين كان مشغولًا في ذلك الدور بتأمين الجناح الشرقي للصليبيين ضد الأتراك على جبهة الفرات . ويشارك فولشر في هذا الرأي المؤرخ وليم الصوري(١٧٥) . ومهما يكن من أمر فقد قام بلدوين وبوهيموند أمير أنطاكية بتلك الرحلة وصادفا فيها كثيرًا من المتاعب والأخطار التي انفصلها فولشر(١٧٦) . وستعرض لتلك الزيارة بالتفصيل في باب العلاقات الخارجية مع مملكة بيت المقدس .

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 64, (Ray Colonies (١٧٠)

Franques), L'Empire, p. 204, سعيد عاشور : الحركة

(Grousset) الصليبية ، ج ١ ص ١٨٦ . عن

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64. (١٧١)

Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 247. (١٧٢)

Gesta Tancredi in Expeditione ... (R.H.C.) Hist. Occid., (١٧٣)

T. 3, p. 704.

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 261. (١٧٤)

Fulcherii Carnotensis : Historia ... T. 3, p. 364, William: (١٧٥)

Op. Cit., V. 1, p. 400.

(١٧٦) بدأت تلك الرحلة - كما ذكر فولشر من ٣٦٥ في نوفمبر

Fulcherii : Ibid., p. 364-366

سنة ١٠٩٩م

وانتهت في مارس ١١٠٠م كما حدثتها الجستا

Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid., T. 3, p. 704.

ويكفى أن نشير الآن إلى أن بلدوين وبوهيموند استقبلا في بيت المقدس من جودفري ورجال الدين والأهالي استقبالا طيبا وزاروا الأماكن المقدسة وراوا بأعينهم حقيقة ما كانوا قد عرفوه في الماضي عن طريق الأخبار والتعليم فقط (١٧٧) .

وبعد عودة بلدوين إلى الرها خضعت له ملطية . والمعروف أن ملطية كانت إحدى المدن الرئيسية للارمن في ذلك الوقت (١٧٨) . وكانت « تقع على الأطراف الشمالية للإمارة ، وكانت تحت حكم الأمير جبريل » (١٧٩) والراجح أن ملطية سلمت تحت ضغط الظروف إلى بلدوين ، ذلك أن جبريل قصد بوهيموند في أنطاكية في شهر يولية سنة ١١٠٠م ليعان خضوعه له . وعندما اتجه بوهيموند للاستيلاء على ملطية مع القليل من رجاله لاحظت به كمائن التركمان من بنى داتشمتد وأسروه (١٨٠) هنا تذكر المصادر اللاتينية أن بوهيموند أرسل إلى بلدوين طالبا نجده ولكى يتأكد بلدوين من أن الأمر حقيقة وليس فيه خدعة ، حرص بوهيموند على أن يرسل خصلة من شعره الذهبي إلى بلدوين مع الرسول الأرمني (١٨١) .

وهنا أظهر بلدوين شهامة كبيرة فتحرك بسرعة لنجدة بوهيموند ولكنه لم يلحق بالتركمان الذين اقتادوا أسيرهم بوهيموند وقروا بسرعة (١٨٢)

William : Op. Cit., V. 1, p. 401. (١٧٧)

William Ibid. V. 1, p. 421. (١٧٨)

R.H.C. Hist. Occid. T. 1, p. XLII. (Meletenia). (١٧٩)

وتسمى ملطية هنا

Fulcherii : Historia ... Hist. Occid., T. 3, p. 368, Gesta (١٨٠)

Francorum : Iherusalem ... Hist. Occid. T. 3, p. 519,

Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanae (R.H.C.)

Hist. Occid. T. 3, pp. 551-552, Balduni III ; Hist.

Nicaena Vel Antiochena — Cap. LXIII (Hist. Occid.)

T. 5, Part 1, p. 177.

أما جروسية فينقل لنا رأي المؤلف السوري المجهول عن سبب توجه بوهيموند إلى ملطية فيقول « أن بوهيموند كان متوجها إلى ملطية ليتزوج مورفيا ابنة جبريل التي قدم والدها يدها إليه لكنه أسر »

Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 868 (L'Anonyme) عن

Gesta Francorum : Ibid., p. 519, Alberti Aquensis : (١٨١)

Historiae, Liber VII ... Hist. Occid. T. 4, p. 525.

Secunda Pars : Historiae Hierosolimitanae ... Hist. (١٨٢)

Occid. T. 3, p. 552, William : Op. Cit. V. 1. p. 411.

الى قلعة نكسار(١٨٣) قرب البحر الاسود(١٨٤) .

وعندما ينس بلدوين من اطلاق سراح بوهيموند ، عاد الى ملطية(١٨٥)
ليستولى عليها بالاتفاق مع صاحبها جبريل وهو ما اكثته المصادر
اللاتينية(١٨٦) .

والواقع انه سواء استنجد بوهيموند ببلدوين وهو الراى الأرجح او
ان بلدوين هو الذى توجه بنفسه لتجديده ، وسواء اخضع هو ملطية بالقوة
ام اخضعت له تلقائيا فقد ظل جبريل حاكما عليها وتابعاً لبلدوين .

بلدوين وحكم بيت المقدس :

وما كاد بلدوين يعود الى الرها بعد ذلك ، حتى وافته الحظ مرة
اخرى ليصبح الرجل الاول بين ابراء الصليبيين في بلاد الشام . وذلك
انه حدث في شهر اغسطس سنة ١١٠٠م (١٠٩٩ هـ) بعد عودة بلدوين
الى الرها ان وصله رسول من بيت المقدس على عجل ، أعلن له موت
جودفري في الثامن عشر من يوليو سنة ١١٠٠م ويطلبه بالحضور فوراً
ليحل محل اخيه في حكم المدينة المقدسة(١٨٧) .

والراجح ان انتخاب بلدوين خلفاً لأخيه الشقيق اثار خلافا عظيماً
واشعل نعر الحرب(١٨٨) . والدليل على ان المسألة لم تكن من السهولة
يمكن ما ذكره وليم الصورى من أن عرش بيت المقدس ظل خالياً

Mattieu : Op. Cit., p. 52. (١٨٣)

مسيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٢٨٢ (١٨٤)

William : Op. Cit., V. 1, p. 412, Gesta Francorum : Hist. (١٨٥)
Occid., T. 3, p. 519.

Fulcherii Carnotensis : Hist. Occid. T. 3, p. 368. Alberti (١٨٦)
Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 525,
Secundi Pars : Historiae... Hist. Occid., T. 3, p. 552.
Balduni III Hist. Nicaena Vel Antiochena — Cap..
LXIII, Hist. Occid. T. 5, Part 1, p. 177.

Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium (R.H.C.) (١٨٧)
Hist. Occid. T. 3, p. 520, Secunda Pars : Historiae...
Hist. Occid. T. 3, p. 552, Mattieu : Op. Cit., p. 52,
Bréhier : L'Eglise ... p.p. 85 - 86, Zoé : Op. Cit.,
p. 180, Cahen : Op. Cit., p. 229.

Gesta Tancredi : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3 p. 706. (١٨٨)

حوالى ثلاثة أشهر حتى استدمى بلدوين ليخلف أخاه في العنسية
بشئون الملكة (١٨٩) .

والواقع ان دايبرت ، بطريرك القدس كان يطمع حتى في حياة
جودفرى في اقامة حكومة ثيوقراطية ، وقد وصل الضيق بجودفرى في
احدى السرات الى القول بأن دايبرت « كان اكثر ازعاجا له من
المسلمين » ، بل لقد وعد بالتخلي عن حكم بيت المقدس للبطريرك
اذا تمكن من فتح مدينة مماثلة لها في الاهمية مثل القاهرة او دمشق (١٩٠) .
بل وقيل ان جودفرى اوصى قبل وفاته بأن يخلفه البطرق دايبرت في
حكم بيت المقدس ، وذلك في حالة عدم وجود ورثه مباشرين لجودفرى
نفسه (١٩١) . ومن الواضح ان تنفيذ هذه الوصية كان يعنى تحويل
حكومة بيت المقدس الى حكومة ثيوقراطية فعلا .

على ان قيام حكومة ثيوقراطية في بيت المقدس واستبعاد كل فكرة
تستهدف نظاما ملكيا وراثيا ، كان امر صعب التحقيق . ذلك ان الادة
القصيرة التى تولى فيها جودفرى بوايون حكم بيت المقدس كانت كافية
لتجعل فرسانه يؤمنون بضرورة قيام ملكية وراثية في بيت المقدس . هذا
فضلا عن ان ارنولف مالكورن — البطريرق السابق لبيت المقدس الذى
خلفه دايبرت — كان له لنصاره من رجال الدين وهؤلاء شايعوا
فكرة قيام ملكية علمانية وراثية في بيت المقدس ، لا لشيء سوى التشفى
في دايبرت والوقوف في وجه اطماعه وآماله (١٩٢) .

ولم يلبث ان تكون حزب معارض للبطريرك دايبرت « وامتلكوا برج
داود واعلنوا انهم لا يعترفون بسيد عليهم الا اخ او قريب لسيدهم
الراحل » (١٩٣) . وكان من الطبيعى ان يتجه رفاق جودفرى واتباعه
تلقائيا الى بلدوين فقيدها لهؤلاء الذين خدموا تحت زعامة جودفرى
انه ليس من الامانة والشرف ان يعترفوا بسيد آخر (١٩٤) .

William : Op. Cit. V. 1, p. 415. (١٨٩)

Zoé : Op. Cit., p. 179. (١٩٠)

(١٩١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٢٨٠ عن
وليم الصورى .

(١٩٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٢٨٠ عن (Albert)

Zoé : Op. Cit., p. 180. (١٩٣)

Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII, T. 4, p. 526. (١٩٤)

William : Op. Cit. V. 1, p. 421, Zoe : Op. Cit., p. 180.

وسوف نذكر في الملاحق نص الرسالة اشفوية التى حملها اتباع جودفرى
لاخيه بلدوين .

وعندما احس دايبريت بالمعارضة الشديدة ضده فكر في ان يجعل الحكم لتفكير ابن أخت بوهيموند ولكن هذا الرأي صانف معارضة شديدة من ارنولف (١٩٥) وعندئذ لم يجد دايبريت وسيلة سوى أن يرسل الى بوهيموند في انطاكية ليحول دون وصول بلدوين الى بيت المقدس (١٩٦). لكن خطاب دايبريت الى بوهيموند لم يصل اليه فقد احتجزه اتباع ريموند الصنجيل قرب طرابلس ، وفي نفس الوقت وقع بوهيموند نفسه اسيرا في قبضة بني داسنهند الذين حملوه الى قلعة نكسار كما سبق أن اشرنا (١٩٧) .

وعكذا تبدد آخر أمل امام دايبريت لحرمان بلدوين من حكم بيت المقدس . اما بلدوين في ذلك الوقت فقد كرس كل جهوده لتوسيع حدود امارته شرقا الى حيار بكر وما بين النهرين (١٩٨) . والواقع انه حتى ذلك الوقت كان بلدوين يعيش من أجل امارته فقط حتى انه هجر القسبة الصليبية من اجلها ، لكن عندما لاح له بريق حكم بيت المقدس فانه لم يتردد أبدا في ترك الامارة والتوجه الى القدس ليصبح ملكا (١٩٩) .

وكان ان رتب بلدوين أمور الرها ، وأقل كاهل اهلها بكافة انواع الضرائب كما اغتصب منهم أموالا كثيرة ليستعين بها في نفقات سفره (٢٠٠). ثم اتخذ اهله واستعد للمسير الى بيت المقدس تاركا الامارة في رعاية أحد اقاربه هو بلدوين دى بورج (٢٠١) . وهو رجل نشيط على جانب من المقدرة (٢٠٢) .

وقد غادر بلدوين الرها في ٢ اكتوبر سنة ١١٠٠م (٢٠٣) مصطحبا معه

Charles — Joseph Hefele : *Histoire de Conciles*. T.V, (١٩٥)
Part 1, p. 484. (Albert) من

Zoé : *Op. Cit.*, p. 181. (١٩٦)

Zoé : *Ibid.*, p.p. 182 - 183. (١٩٧)

Grousset : *L'Epopée*, p. 59. (١٩٨)

Grousset : *Ibid.*, p. 59. (١٩٩)

Mattieu : *Op. Cit.*, p. 52. Setton : *Op. Cit.* V. 1, p. 381. (٢٠٠)

Mattieu ; *Ibid.*, p. 52, William : *Op. Cit.* V. 1, p. 422, (٢٠١)

Balduni III : *Hist. Nicaena Vel Antiochena* — Cap.

LXIII ... *Hist. Occid.* T. 5, Part 1, p. 177.

Gesta Francorum ; *Iherusalem ... Hist. Occid.* T. 3, (٢٠٢)

p. 543, William ; *Ibid.* V. 1, p. 422.

William : *Ibid.* p. 421, Setton : *Op. Cit.* V. 1. p. 381 عن (٢٠٣)

(Foulcher). Grousset : *L'Epopée*, p. 60.

ماتنين من الفرسان وسبعمئة من المشاة (٢٠٤) . كما اصطحب معه زوجته الاميرة الارمنية (٢٠٥) . وكان طريقه الى القدس محفوظا بالخاطر بسبب المراكز الاسلامية المنتشرة على طول الطريق والتي فصلت امارته وامارة انطاكية عن بيت المقدس . « لكنه كان ينصف دائما بالحذر فاستطاع ان يعبر البلاد دون ان يؤسر أو يقتل (٢٠٦) » وقد اتخذ بلدوين طريقه عبر امارة انطاكية ثم اللاتقية وجبله وهرقله وطرطوس الى ان بلغ طرابلس وهناك قدم له حاكمها ، فخر الملك بن عمسار (٢٠٧) ، ما يحتاج اليه لاكمال رحلته وأبلغه عن كمين وضعه المسلمون في طريقه ، فشكر حاكم طرابلس واستطاع ان يتحاشى تلك العقبة (٢٠٨) .

اخيرا وصل بلدوين الى القدس في ٩ نوفمبر سنة ١١٠٠م (٢٠٩) ، بعد عدة مصاعب في الطريق واشتباكات مع القوات الاسلامية (٢١٠) ، اى بعد مغادرته الرها بخمسة اسابيع مما يوضح طول الرحلة بين الرها والقدس وبالتالي مدى الصعاب التي تجتزمها « وكان ان خرج رجال الدين والناس بالقدس لاستقباله ومعهم الاناجيل وهم ينشدون الترانيل والانشيد الروحية وقد غمرتهم الفرحة وهم يصحبون بلدوين الى داخل المدينة ليخلف اخاه في حكمها (٢١١) » .

ولكن ماذا كان موقف دايبريت منذئذ ؟ والواقع ان (اولدنبرج) يشير الى ان الحماسة الجارمة التي قويل بها بلدوين جعلت دايبريت يلوذ

Gesta Francorum : Op. Cit. T. 3, p. 520, Bréhier : (٢٠٤)
 l'Eglise : p. 86, Setton : Op. Cit. V. 1. p. 381 عن
 (Foulcher)

في حين يذكر ولیم المصوري ان المشاة كانوا ثمانمئة
 (William : Op. Cit., V. I, p. 421)

لها البرت بمذكر ان عدد الفرسان كان اربعمئة وعدد المشاة كان الفا .
 (Alberti Aquensis : Historiae Liber. VII, T. 4, p. 527).

Zoé : Op. Cit., p. 183. (٢٠٥)

Zoé : Ibid., p. 183. -

(٢٠٦) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٧٩
 Gesta Francorum : Op. Cit., ... Hist. Occid. T. 3. p. 520, (٢٠٨)

Zoé : Op. Cit., p. 184.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381. (٢٠٩)

(٢١٠) ابن التالسي : الذيل ، ص ١٢٨ — ١٣٩
 William : Op. Cit., V. 1, p. 422, Gibb : Op. Cit., p. 51.

(٢١١) يوسف الدبس : تاريخ سورية ج ٦ ص ٤٠
 William : Op. Cit. V. 1. p. 425.

بالصمت ، ثم فضل بعد ذلك حياة العزلة في جبل صهيون (٢١٢) . ويؤكد
وليهم الصوري ذلك بقوله « أن دايبرت الذي توقع شرا من هجاء بلدوين
استدب الى كنيسة جبل صهيون ، حيث انقطع للعبادة بعيدا عن كافة
الخلافت ، وبذلك لم يحضر احتفالات استقبال الامير بلدوين ليشارك
في تقديم الولاء له مثلما فعل سائر الاهالي (٢١٣) » .

وكان بلدوين قد ارسل الى البابا متهما البطريك دايبرت بالقتل
وبانه حنك في يمينه ، لانه حرض الامير بوهيموند على قتله عندها كان
في طريقه من الرها الى القدس ، لذا ارسل البابا مندوبا عنه هو
الكريبنال موريس دي بورتو فاقف البطريك حتى بيت في امه (٢١٤) .

على انه تم بعد ذلك صلح قصير بين البطريك وبلدوين (٢١٥) وكان
ذلك من طريق جهود بعض عقلاء الوسطاء - مما ادى الى تنويع بلدوين
ملكاً على بيت المقدس في كنيسة العذراء ببيت لحم في ٢٥ ديسمبر
١١٠٠م (٢١٦) وببدا دايبرت نفسه (٢١٧) .

Zoé : Op. Cit., p.p. 184 - 185. (٢١٢)

William : Op. Cit. V. 1, p.p. 425 - 426. (٢١٣)

Aebarti Aquensis : Historiae Liber VII (R.H.C.) Hist. (٢١٤)

Occid. T. 4, p. 539, Charles-Joseph-Hefele : Op.

Cit., T.V. Part 1, p. 484

Charles-Joseph-Hefele : Ibid., p. 484. (٢١٥)

William : Op. Cit., V. 1, p. 427, Bréhier : L'Eglise..., (٢١٦)

p. 86, (Hagenmeyer), Lammens : La Syrie, V. 1,

p. 214, Runciman : Op. Cit., V., 1, p. 328 (Fuacher)

مسعود عاشر : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٢٨٧ من (Stevenson)

Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena... T. 5, (٢١٧)

Part 1, p. 177, William : Op. Cit., V. 1, p.p. 427-428.

ويبدو ان العلاقات الطيبة لم تستمر طويلا بين دايبرت وبلدوين فقد
ذكر البرت انه في سنة ١٠٢٠م ارسل (البابا باسكال الثاني) ١٠٩٩ -
١١١٨م (مندوبا عنه مرة اخرى الى بيت المقدس هو الاسقف موريس ،
للت في امرد دايبرت ولتصحيح الامور الخاصة بالكنيسة الشرقية .
ويظهر من كلام البرت ان الخلاف بين بلدوين والبطريك في هذه المرة
كان بسبب ما يخفيه البطريك من نقود تحت الأرض . وانتهى الامر
بتنحيه دايبرت من منصبه

(Aebarti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid.

T. 4, p.p. 598, 600).

ولا شك في ان تنويج بلدوين ملكا كان حدثا خطيرا في تاريخ الصليبيين بالشام لان اخاه جود فرى لم يتوج ولم يحصل لقب ملك (٢١٨) ، وانما كان حاكما على بيت المقدس (٢١٩) . ولانه في ذلك المكان « ليس عيسى المسيح تاجا من الاثواك » ولكن قدس لبلدوين دى بوايون ان يتوج ملكا ويلبس تاجا من الذهب في بيت المقدس (٢٢٠) .

امارة بلدوين دى بورج على الرها : ١١٠٠ - ١١١٨ م (٢٢١)
(٤٩٤ - ٥١٢) .

اما عن اماره الرها بعد ان وليها بلدوين دى بورج ، فيلاحظ انها سارت على نفس الطريق الذى رسمه مؤسس الامارة بلدوين دى بوايون . والحقيقة ان بلدوين دى بورج كان عند حسن ظن بلدوين البولونى اذ كان « رجلا جديرا بالتقدير في كل علاقاته ، فعنى بشئون الامارة التى ولى امرها بنشاط عظيم ، جعلت الاعداء المحيطين به ينظرون اليه نظرة احترام ورهبة (٢٢٢) » . فاذا اردنا ان نقارن بين الاميرين الاولين للرها نجد ان دولة خاق الثمانى بالمقارنة بفراسة الاول مكنت بلدوين دى بورج من ان يستحوذ على مشارع الارمن الودية (٢٢٣) . وبمعنى آخر كان امير الرها السابق مكروها من الارمن ومن السريان فلم يمثل بالنسبة لهم الا طافية فظا جشعا ، اما بلدوين دى بورج فقد استحوذ على مشارع الاهالى الصادقة (٢٢٤) .

ونستطيع ان نحصل على وصف كامل لشخصية بلدوين دى بورج من متى الرهاوى الذى يقول : « كان هذا الامير احد الفرنج المشهورين بمكانتهم العالية ، كما كان محاربا قديرا ، عفيف النفس ، مثالى الخلق ، يكره الخطيئة ، يفيض رقة وعذوبة وتواضعا ، ولكن شاب هذه الصفات الطيبة جشمة ، فهو ماهر في الاستحواذ على ثروات الآخرين ،

Bréhier : L'Eglise... p. 86 (Hagenmeyer). (٢١٨)

Alberti Aquensis : Historiae Liber VII... Hist: Occid. (٢١٩)
T. 4, p. 526.

Guiberti Abbatis : Gesta Dei Per Francos, (R.H.C.) Hist., (٢٢٠)
Occid. T. 4, p. 245, Zoé : Op. Cit., p. 185.

G. Schlumberger : Sigillographie de l'Orient, p. 3. (٢٢١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 450. (٢٢٢)

Grosset : L'Empire, p. 298. * (٢٢٣)

Zoé : Op. Cit., p. 230. (٢٢٤)

نتيجة شراسته في المال فضلا عن بخله وامساكه . اما اذا قارناه بغيره فانه يبدو مستقيما جدا محافظا في سلوكه وطباعه » (٢٢٥) .

وكانت أولى خطوات ذلك الأمير للتقرب من شعبه الذي كانت غالبية من الأرمن ، هو الزواج من الأميرة الأرمنية مورفيا Morfia ابنة جبريل حاكم ملطية (٢٢٦) ، والتي سبق أن فكرنا أن والدها كان قد توجه لطلب النجدة من بلدوين ضد الأتراك الذين أسروا بوهيموند وهو في طريقه لنجته وللزواج من ابنته هذه .

وكانت هذه فرصة أمام بلدوين دى بورج للتقرب من رعاياه الأرمن ان يتزوج من ابنة جبريل ، حيث انه لم يكن له زوجة ولا أولاد (٢٢٧) . وحملت مورفيا الى بلدوين صداقا كبيرا (٢٢٨) . والراجح أن جبريل كان يمتلك ثروة خرافية لان ابنته حملت هدية زواج بلغت ٥٠٠٠ ر.ه. بيزانت ذهبيا ، بل انه ساعد بلدوين في عدة مناسبات بعد ذلك بأموال كثيرة (٢٢٩) .

وقد أمدت تلك الزيجة خزينة بلدوين بطريقة فعالة . ومن ناحية أخرى ، فانه على الرغم من انه كان بالنسبة لبلدوين دى بورج زواج منفعلة الا انه كان الزواج الوحيد الذي شارك في شعائره الامراء الاقطاعيون وقبول يسرور كبير ، فضلا عن أن بلدوين يعتبر مثاليا بين الأزواج (٢٣٠) . بل أن بلدوين في زواجه هذا « استقبل الرئيس الدينى للبطريركية الأرمنية ، بلسيل الاول الذى قدم سنة ١١٠٣م (٤٩٧ هـ) . من آنى (٢٣١) الى الرها ، لاستقبله بلدوين استقبالا طيبا

Mattieu : Op. Cit., p. 119, Zoé : Op. Cit., p. 230. (٢٢٥)

Michel Le Syrien : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie (٢٢٦)

Cilicienne, p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392,

Cohen : Op. Cit., p. 230.

William : Op. Cit., V. 1, p. 450. (٢٢٧)

William : Ibid., p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228. (٢٢٨)

William : Ibid., p. 450. (٢٢٩)

Zoé : Op. Cit., p. 228. (٢٣٠)

(٢٣١) كانت آنى في نظر الشاعر الأرمنى نيرسيس شنورهالى الذى رأى الرها بعد سقوطها هي (عاصمة الشرق)

Nersès Schnorhali : Elégie sur la prise d'Edesse,

اما الناشر دولوييه فيقول : (البيت رقم ٢٧٦) Op. Cit., p. 236

وقدّم له العديد من القرى وغمره بالهدايا وأظهر له ودا كبيرا (٢٣٢) .
والواقع أن قدوم هذا الخبر من أتى ذات الأهمية الدينية الكبير
لدى الأرمن يشهد بأهمية تلك الزيجة . هذا فضلا عن أهمية مركز كل
من جبريل وبلدوين دى بوج في نظر الأرمن عندئذ .

كانت تلك الزيجة هي إحدى الزيجات الفرنجية الأرمينية التي أكدت
الروابط بين الطرفين (٢٣٣) . وعن طريقها استطاع بلدوين أن يثبت
أولى دعائم حكمه في الرها .

لما عن مدى انتفاع جبريل من تلك الزيجة فإن بلدوين استطاع
أن يحميه من العديد من هجمات بنى دانشمند ، وأن لم يستطع أن
يمنع سقوط ملطية في أيديهم سنة ١١٠٣ م (٢٣٤) .

ثم كانت الخطوة التالية لتدعيم حكم بلدوين دى بوج إداخلي في
الرها وهي أنه اختار مساعدا له ابن عمته جوسلين دى كورتناى
Jocelin de Courtenay الذى وصل حديثا من فرنسا مع الحملة الصليبية
سنة ١١٠١ م (٤٩٥هـ) أو بعدها بقليل (٢٣٥) . ولما كان جوسلين
« لا يملك مالا ولا أى مصدر آخر من مصادر الثروة فقد أفدق
عليه بلدوين ١١٠٢ م (٤٩٦هـ) ممتلكات واسعة حتى لا يشغل نفسه بلقمة
العيش . وشملت تلك الهبة قورس (٢٣٦) . ودلوك (٢٣٧) .

« كانت أتى من أشهر المدن الأرمينية وحاضرة الدولة وهي تقع في
بنطقة كماخ على ضفة الفرات الشمالية . كانت مدينة مخبة وقد تعرضت
للغزوات ففتحها الروم ١٠٤٥ م والأتراك ١٠٦٤ م والجيورجيون ١١٢٤ م
والغول ١٢٣٩ م . وفي ١٣١٩ قضى عليها نهائيا زلزال مدمر حولها الى
خرائب وأطلال » (Doc. Arm. T. 1, p. 236)

(٢٣٢) Mattieu : Op. Cit., p.p. 70 - 71, Grousset : L'Empire,
p. 298 (Mattieu), Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 392-393.

Grousset : L'Empire, p. 185. (٢٣٣)

Grousset : Ibid., p. 298. (٢٣٤)

Cahen : Op. Cit., p. 236. (٢٣٥)

(٢٣٦) حاشية عن وليم الصوري

Gouris Kouris (Mattieu : Op. Cit., p. 126.

وقورس كما ذكرها ياقوت الحموى : معجم البلدان ،
د ١٦ ص ٤١٢ هي «مدينة أزيلت بها آثار قديمة وكورة من نوحاحى حلب» .
(٢٣٧) بلدة من نوحاحى حلب ، بالمواصم (ياقوت الحموى : معجم
البلدان ، د ٨ ص ٤٦١) وهي قديمة لها ذكر ولها قطعة من بناء الروم
عالية مبنية بالحجارة قيل أن مقام دود عليه السلام كان بها
(ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣٠٦ - ٣٠٧) .

وعين ناب (٢٣٨) . وقلعة تل باشر الترامية الاطراف (٢٣٩) .
والشديدة للخصوبة ورلوندان ومننا اخرى واحتفظ الامير لنفسه بالاقليم
للاواقع غربي الفرات لقريفة من ممتلكات العدو واستبقى فقط احدى
المدن في الجزيرة وهى سميحاط « (٢٤٠) .

منح بلدوين تلك الاجزاء لجوسلين لى يستطيع ان يتفرع كلية
لممتلكاته شرقي الفرات والى الجنوب من امارة كوغ باسيل . ومن تل باشر
استطاع جوسلين منذ نهاية ١٠٣٠م ان يقطع طرق الاتصال بين حلب
والفرات ، بينما غزا بلدوين دى بوج الامتدادات الشرقية لنفس تلك
الطرق حتى حدود قلعة جمبر والرقفة ، وتتابع غزواته حتى اقليم
ماردين (٢٤١) .

هكذا اصبح جوسلين دى كورتنائى الرجل الثانى في امارة الرها
بعد بلدوين دى بوج وتشاركه في السيطرة على تلك المنطقة ذات الموقع
الهام بين سلاجقة حلب وسلاجقة فارس (٢٤٢) .

والواقع ان جوسلين هذا كان من اقوى الشخصيات الصليبية على
الاطلاق لذا كان سنداً قويا لبلدوين دى بوج ولحكمه في الرها .

ولم تلبث الاحداث ان شددت بلدوين دى بوج الى سروج ، اذ حدث
في يناير ١٠١٠م (ربيع ٤٩٤هـ) (٢٤٣) . ان توجه سقمان بن ارتق -
عم بلك حاكم سروج السابق الى سروج لها جبتها وكان بصحبة جمع
كبير من التركمان (٢٤٤) . وقام بالعديد من الغارات على كل الاقاليم
الجاورة (٢٤٥) . فتوجه بلدوين دى بوج لمحاربتة مع فوشيه حاكم

(٢٣٨) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية (ياقوت الحموى :
معجم البلدان ، د ١٤ ص ١٧٦) .

(٢٣٩) كان اقطاع تل باشر يمتد من الفرات الى حدود انطاكية
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392.

(R.H.C.), Hist. Occid., T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., (٢٤٠)
V. 1, p. 450, Mattieu : Op. Cit., p. 126.

(حاشية عن وليم الصورى)

Cahen : Op. Cit., p. 236. (٢٤١)

(٢٤٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية د ١ ص ٤٣٩ (عن
Setton

(٢٤٣)

Gibb : Op. Cit., p. 50, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, p. 63.

المعنى : عقد الجبان ، د ١٥ م ٣ ص ٥٣٩ .

(٢٤٤) ابن القلائس : الذيل ص ١٣٨ ، ابن الاثير : الكامل د ٨ ص ٢٠٤

Mattieu : Op. Cit., p. 52. (٢٤٥)

سروج (٢٤٦) . ويؤازرة العديد من السكان السذجين ضُفط عليهم
نوثيه (٢٤٧) . « لكن استهانة الفرنج بخصوصيتهم واهمالهم أدى الى
هزيمتهم (٢٤٨) . « فعندما اقترب بلدوين من المدينة وقع في كمين
الا أنه أفلت منه وهرب مسرعاً الى الرها ومنها أسرع الى انطاكية
لطلب المعونة (٢٤٩) . ودارت معركة ضارية بين الفرنج والأتراك هزم
فيها الفرنج (٢٥٠) . واستطاع الأتراك الاستيلاء على المدينة ماعدا القلعة
التي التجأ اليها الفرنج تحت قيادة اسقف الرها اللاتيني - enolt أو Babios
الذي قاوم فيها مدة طويلة (٢٥١) . أما فوشيه فقد قتل ومعه الكثير
من الأهالي في حين وقع عدد كبير في الأسر (٢٥٢) . لكن بلدوين أرسل
الى حامية القلعة رسالة سرية يشجعهم فيها على الثبات مما جعلهم
يقاومون ببسالة (٢٥٣) . وبعد حوالي خمسة وعشرين يوماً وصل
بلدوين ومعه ستبائة فارس وسبعمائة من المشاة (٢٥٤) ، وفجأة في
النجر أشعلوا بعض المشاعل على أسنة الرياح وبأغتوا المعسكر
التركي ومن ناحية أخرى مساعدتهم حامية القلعة الذين خرجوا ساخطين
فهزم الأتراك وغروا (٢٥٥) . « وقتل الفرنج كثيراً من أهالي سروج
وسبوا حريمهم ونهبوا أموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزماً (٢٥٦) » .
وكان ذلك في أوائل فبراير ١١٠١م (٢٥٧) . لكن اذا كان المرجع الفرنجي

(٢٤٦) Mattieu : Ibid., p. 53.

(٢٤٧) Cahen : Op. Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois.,

(L'Anonyme Syriacque). من V. 2, p. 860

(٢٤٨) Mattieu : Op. Cit., p. 53.

(٢٤٩) Mattieu : Ibid., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. V. 2,

(L'Anonyme) من p. 870

(٢٥٠) ابن دقاق : زهرة الأنام في تاريخ الاسلام مخطوط رقم ٨٥١

تاريخ حوادث ٤٩٤هـ Mattieu : Ibid., p. 53,

(٢٥١) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 230,

(L'Anonyme) من Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 270

(٢٥٢) Mattieu : Ibid., p. 53, Cahen : Ibid, p. 230 ;

(٢٥٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870.

(٢٥٤) Mattieu : Op. Cit., p. 53.

(٢٥٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 870.

(٢٥٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٢٠٤ ، ابن القلائس : الذيل ،

ص ١٢٨ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ، مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوادث

٣٠١ - ٥٥٠هـ ص ٢٧١ ، ابن خلدون : العبر د ٥ ، ص ١٨٦ ، العيني :

مقد الجان د ٢١٥ ص ٥٤٠ ، الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء د ١

ص ٣٨٩ .

(٢٥٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٤٠ عن (Mattieu)

إمارة الرها الصليبية - م ٧ ص ٩٧

يرجع هزيمة المسلمين الى قوة وبراعة بلديين فان المصدر العربي يعزى ذلك الى « هرب جماعة من التركمان فضعفت نفس سكان وانتهزم (٢٥٨) » . وبذلك استولى الفرنج على سروج بالسيف سنة ٤٩٤هـ (٢٥٩) .

وكان ان شجع هذا الانتصار بلديين على القيام باغارات على المدن والاقاليم الاسلامية المجاورة التابعة للارائقة وبين ذلك ما قام به في سبتمبر وكتوبر سنة ١١٠٣م (٤٩٦ - ٤٩٧هـ) من هجمات على الارائقة حول ماردين فاسر منهم كثيرين وحمل قدرا كبيرا من الغنائم (٢٦٠) . ومن النواحي التي استولى عليها « تل موزن (٢٦١) » . وتل قراد (٢٦٢) . في شمال شرق شبختان بالقرب جدا من ماردين (٢٦٣) .

وهكذا استطاع بلديون دى بروج ان يقضى على الخطر الارتقى في سروج عن طريق الامدادات التي زودته بها انطاكية . ولا شك ان هذه الخطوة شجعت على ان يخطو خطوة اكبر ضد حران الواقعة الى الجنوب الشرقى من الرها ، والتي كانت المدينة الكبرى الوحيدة القريبة من الرها ، التي لم يسيطر عليها الفرنج حتى تكمل سيطرتهم على الجزيرة (٢٦٤) . وكان لمساعدة بلديين دى بروج في تعبئة فدية

(٢٥٨) ابن القلائس : الذيل ، ص ١٢٨ .
(٢٥٩) الذهبي : العبر ، د ٣ ص ٣٢٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ١٦٠ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ١٣ ، روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ حوادث ٤٩٤هـ واذا كانت غالبية المصادر العربية تجمع على ان ضم سروج لامارة الرها كان في ٤٩٤هـ - يناير ١١٠١م فان ابن ابيك يفكر ان ذلك تم ٤٩٣هـ (ابن ابيك : كنز الدرر د ٦ ص ٤٥٢) اما التاريخ المظفرى ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٩٤هـ فيذكر انه كان ٥٩٤هـ . والراجع ان ذلك راجع الى الخطأ في ضبط التواريخ او الى السهو .

(٢٦٠) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٤٤٠ عن (متى الرهاوى)
Mattieu : Op. Cit., p. 70

(٢٦١) بلد قديم بين رأس عين وسروج . فتحه عياض بن غنم (ياقوت : معجم البلدان د ٥ ص ٤٥) .

(٢٦٢) حصن مشهور في بلاد الارمن من نواحي شبختان (ياقوت : معجم البلدان ، د ٥ ص ٤٣) .
(٢٦٣)

Grousset : L'Empire, p. 298, Hist. des Crois. V. 2, p. 871.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 871. (٢٦٤)

يوحنا بنوندا امير انطاكية ١١٠٣م (٢٦٥) . اثره في تعاون اميرى انطاكية والرها في هذا العمل .

اوضاع المسلمين في الشرق قبل موقعة حران (١١٠٤م - ٤٩٧هـ)

قبل ان نتناول موقعة حران بين المسلمين والفرنج بشيء من التفصيل يجدر بنا ان نعطي صورة واضحة عن الوضع في الحقل الاسلامي المحيط بها بل والوضع الداخلى فيها والذي شجع الفرنج على التوجه اليها .

كان مسلموا الشرق ممزقين نتيجة الحرب الاهلية بين السلطان السلجوقي بركياروق واخيه محمد . والتي امتدت منذ ٤٩٢هـ حتى ٤٩٧هـ (١٠٩٨م - يناير ١١٠٤م) . ففى سنة ٤٩٢هـ ١٠٩٨م خطب للسلطان محمد ببغداد ولقب غياث الدنيا والدين (٢٦٦) . وفى ٤٩٣هـ ١٠٩٩م دخل السلطان بركياروق ببغداد واعيدت له الخطبة بدلا من اخيه محمد فبعث الى الخليفة العباسي بهدية ثمينة (٢٦٧) . ثم لم يلبث الخلاف ان دب من جديد في نفس السنة بين الاخوين فانهزم بركياروق واعيدت الخطبة لاهيه محمد ببغداد (٢٦٨) .

وفى جمادى الاخرى ٤٩٤هـ ١١٠٠م التقى الاخوان من جديد فانهزم السلطان محمد ولكن عندما دخل بركياروق ببغداد اساء السيرة في اهلهما ، ثم لم يلبث ان مرض فلحقه اخوه محمد ، فشكا اليه الخليفة العباسي من سوء سيرة اخيه وخطب له بالديوان فلم يكن من بركياروق الا ان رحل الى واسط (٢٦٩) . وفى ٤٩٥هـ ١١٠١م تقايل السلطان بركياروق والسلطان محمد وجرت بينهما حروب كثيرة انهزم فيها

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé: Op. Cit., p. 212. (٢٦٥)

(٢٦٦) كان ذلك يوم الجمعة السابع عشر ذى الحجة (ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ١٩١) .

(٢٦٧) ذلك يوم الجمعة منتصف صفر (ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ، ص ١٩٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ١٥٨ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، د ٥ ص ١٩٥) .

(٢٦٨) يوم الجمعة رابع عشر رجب (ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ١٩٤) .

(٢٦٩) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ، ص ١٩٤ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، د ٥ ، ص ١٩٧ .

محمد (٢٧٠) . وتجددت الحروب من جديد بين الأخوين ٤٩٦هـ —
١١٠٢م (٢٧١) .

ولم يلبث هؤلاء السلاطين أن تذكروا أنه يجب عليهم أن يضعوا
خلائعتهم جانباً ويوحدوا كلمتهم بعد أن طبع العدو في الأطراف لذلك بدأوا
التشاور لعقد الصلح فأرسل السلطان بركياروق رسولين إلى أخيه
لتقرير قواعد الصلح « ورغباه في الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من
الخراب ، وطمع عدو الإسلام في أطراف الأرض » . فاجابته إلى
الصلح واستقر الأمر بينهما في ربيع الثاني ٤٩٧هـ — يناير ١١٠٤م (٢٧٢) .
لذا لم يكن لدى الأخوين سوى وقت ضيق للاتفاق على خطط ضد
العدو المشترك (٢٧٣) .

وفي الجزيرة نفسها أثار موت أنابك الموصل كربوغا حرباً أهلية ،
فقد فشل سقمان الأرتقى أمير ماردين في الاحتفاظ بالحكم المرشح له
مما أوقعه في حالة حرب مع أنابك الجديد جكرمش الذي اختير بواسطة
محمد السلجوقي (٢٧٤) .

أما حران فقد كانت لملوك من ممالك ملكشاه اسمه قراجة ،
فأناب عنه في حكمها محمد الأصفهاني وهو الذي تخلص من قراجة بواسطة
الأهالي الذين ظلمهم قراجة . ثم تخلص الأصفهاني من أصحاب قراجة
فيها عدداً غلام واحد يسمى جاولي ، الذي اتفق مع أحد خدام
الأصفهاني فقتله وهو سكران (٢٧٥) .

والواقع أن حران إلى جانب ذلك الاضطراب السياسي في حكمها ،
كانت تعاني من اضطراب اقتصادي أيضاً بسبب سياسة بلدوان

(٢٧٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٢ ، ابن
الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧ .

(٢٧١) ابن كثير : ج ١٢ ، ص ١٦٢ — ١٦٣ ، ابن الأثير : ج ٨ ،
ص ٢١٦ — ٢١٧ ، أبو المحاسن : ج ٥ ، ص ١٨٦ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٠ ، ابن كثير و البداية
والنهاية ج ١٢ ، ص ١٦٣ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ،
ص ١٩٧ ، Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 40-41

(٢٧٣) Archer : Op. Cit., p. 144.

(٢٧٤) Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 41, Archer : Op
Cit., p. 144.

(٢٧٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون : المعبر ،
ج ٥ ، ص ٣٣ ، المعينى : عقد الجمان ، ج ١٥ ، ص ٣ ، ص ٥٦٨ (عن تاريخ
بيبرس) .

دى بورج نفسه الذى كان يقوم بهجمات متكررة عليهم ويمنعهم من مزاوله الزراعة فى أراضيهم ، لاعتقاده انه يستطيع أن يؤمن جزءا كبيرا من المؤن لمواطنيه من الأقليم الواقع خلف الفرات ومن الأقليم الواقع أيضا فى المنطقة الوسطى بين الرها وذلك النهر ، ولذا وصل أهالى حران — الذين حرموا من الخيرات التى اعتادوا الحصول عليها من تلك الأرض المشتركة الى حالة شديدة من البؤس (٢٧٦) .

انتهاز الفرنج ذلك الضيق السياسى والاقتصادى الذى كانت تعاقبه حران ، وأرادوا أن يستفيدوا من موقع تلك المدينة بوصفها مركزا إماميا فى اتجاه بغداد يمكنهم من مواجهة أية طعنة إسلامية (٢٧٧) . وكان أن اجتمع من زعماء الصليبيين بلدوين دى بورج وبوهيموند أمير أنطاكية ومعه ابن أخته تنكريد (٢٧٨) ، هذا الى جانب جوسلين دى كورتناى حاكم تل بائر وتضافرت معهم جموع كبيرة من الأرمن وكونوا بذلك جيشا كبير العدد (٢٧٩) . كذلك اشترك مع تلك الجيوش ثلاثة من كبار رجال الدين هم برنارد دى فالانس Bernard de Valence — بطريك أنطاكية اللاتينى ، بندكت رئيس أساقفة الرها اللاتين هذا بالإضافة الى دايبريت بطريك القدس السابق السنكر والذى كان وقتذاك يعيش فى أنطاكية منفيا لاجئا — والسذى تبع جيش بوهيموند (٢٨٠) . وكانت خطة الصليبيين تقضى بمبور الفرات وحصار مدينة حران (٢٨١) .

(٢٧٦) William : Op. Cit., V. 1, p. 457.

(٢٧٧) Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 403.

(٢٧٨) يسميهما سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، د ٨ ، ق ١ ، ص ٩

بيند ووطنكره) أما ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ، ص ٣٣ فيسميهما (سبند

صاحب أنطاكية ونيكري صاحب السواحل ، أما العيني : عقد الجبلن ،

د ١٥ م ٣ ص ٦٣ هـ فيقول (بيئند صاحب أنطاكية ونكري صاحب

السواحل) .

(٢٧٩) Mattieu : Op. Cit., p. 71, Alberti Aquensis : Liber IX,

T. 4, p.p. 614-615, William : Op. Cit., V. 1, p. 456,

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Grousset : Hist. des

Crois., V. 1, p.p. 403-404, V. 2, p. 871.

(٢٨٠) William : Ibid., V.1, p. 456, Grousset : Ibid., V. 1, p. 403

عن (Alberti) Runciman : Op. Cit., V: 2, p. 42.

(٢٨١) Alberti : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 614, William :

Ibid. V. 1, p. 456

وفي ذلك الموقف تناسى المسلمون ما كان بينهم من خلافات خاصة .
 تاتفق الأمير معين الدولة سقمان بن أرتق القبطى أمير ماردين وحصن
 كيفا (٢٨٢) . مع شمس الدولة جكرمش أمير الموصل وصاحب
 جزيرة ابن عمر (٢٨٣) ، وإنهوا خلافاتها وجمعوا قوة عظيمة وتقدموا
 الى الرها في ربيع ١١٠٤م (٢٨٤) . وكان مع سقمان سبعة آلاف
 فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف من الترك والعرب
 والاكرد فالتقوا على نهر البليخ حيث كانت الواقعة مع الصليبيين (٢٨٥) .

وفي ذلك الوقت كانت حران كما اشرنا تعاني من محنة شديدة بسبب
 قلة الاموات (٢٨٦) . وهى التى يورد لها متى الرهاوى مثالا واقعيًا
 في تاريخه (٢٨٧) ولما عرف الأهالى أن المسيحيين وصلوا الى مدينتهم
 ارسلوا الى أبراء الشرق يطلبون منهم مساعدة عاجلة ، فلما تأخرت
 عليهم هذه المساعدة وجدوا انفسهم امام الصليبيين وجها لوجه
 قروا تسليم مدينتهم بدلا من تعريضها للخراب والتدمير (٢٨٨) . على
 ان بلدوين دى بورج لم يشأ أن يشغل قوات الصليبيين باقتسام الغنيمة
 قبل أن يطمئن الى القضاء على خطر الجيوش الاسلامية التى اقتربت

(٢٨٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٩ ؛
 ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٨٨ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١
 تحقيق بدوى مبد الطيف ص ٢٧٤ ، ابن خلدون : العبر : ج ٥ ص ٢٣ بل
 ان ابن الاثير : الباهر ص ١٦ يذكر انه « كان صاحب حصن كيفا وآمد
 من ٤٩٥ — ٤٩٨ هـ وقد توفى ٤٩٨ هـ » . ويذكر ياقوت الحموى : معجم
 البلدان ، ج ٧ ص ٦٢٥ ان حصن كيفا ويقال كيفا وهى بلدة وقلعة مشرفة
 على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .
 (٢٨٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٨٨ ، سبط
 بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١ ق ١ ص ٩ . ابن خلدون : العبر ، ج ٥
 ص ٣٣ ، الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .
 (٢٨٤) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.
 (٢٨٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٨ ص ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ،
 ج ٥ ص ٣٣ ، أما الذهبي العبر ، ج ٣ ص ٢٤٥ — ٢٤٦ فيذكر أن سقمان
 التقى بالفرنج في حران ومعه عشرة آلاف وربما جمع بذلك قواته
 وقوات جكرمش .

William : Op. Cit., V. 1, p. 457.

Mattieu : Op. Cit., p. 71.

(٢٨٧) Michel Le Syrien : Op. : Op. Cit., Cit., p. 195, William (٢٨٨)

V. 1, p.p. 457 - 458, Grousset : Hist. des Crois. V. 2,
 p. 871.

منه لاتخاذ حران (٢٨٩) . وكان أن دب الخلاف فعلا بين أمراء الصليبيين حول الاستئثار بحران (٢٩٠) . وبدأ النقاش حول ايها يرفع علمه أولا على المدينة (٢٩١) . وبذلك تأجل دخول الفرنج الى حران الى اليوم التالى . « ولكن قبل بزوغ فجر اليوم التالى وصل جيش كبير من الأتراك حتى أن المسيحيين بدأوا يشكون حتى في امكانية النجاة بأرواحهم (٢٩٢) » .

وفي المعركة التى دارت بين الفريقين كان جيش الرها على اليسار ليشغل قوات العدو الرئيسية ، بينما اختبأ جيش انطاكية خلف تل منخفض على بعد ميل من جهة اليمين ، مستعدا للتدخل فى آخر وقت (٢٩٣) .

أما المسلمون فقد اتخذوا خطة حكيمة بتقسيم قواتهم الى فريقين أجدهما يشغل المسيحيين دون أى اعتبار للنتيجة سواء جاءت بالنصر أو الهزيمة وفى نفس الوقت يقوم الفريق الآخر بإمدادهم بالطعام (٢٩٤) . وفى الحال وبعد طلوع النهار سحب قادة المسلمين قواتهم ونظموا صفوفهم استعدادا للمعركة . وكانت معركة حامية (٢٩٥) . سيطر عليها المسلمون الذين وحدوا صفوفهم فى الشرق لأول مرة لمقاومة الخطر الصليبي .

ويقال أن المسلمين خدعوا خصومهم ، فظاهروا بالفرار ، وأمعن الصليبيون فى مطاردتهم حتى وقعوا فى كمين (٢٩٦) . وهكذا حلت هزيمة قاسية بالمسيحيين حتى أن متى الرهاوى يقول أن جثث الأرمن

Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., V. 1 (٢٨٩)
p. 404, V. 2, p. 871 عن (Michel)

Mattieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, p. 458, (٢٩٠)

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 33.

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42. (٢٩١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 458. (٢٩٢)

Alberti Aquensis : Historiae Liber IX, Hist. Occid. T. 4 (٢٩٣)

p. 615, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Grousset :

Hist des Crois., V. 1, p. 405.

William : Op. Cit., V. 1, p. 458. (٢٩٤)

Mattieu : Op. Cit., p. 72. (٢٩٥)

(٢٩٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢١

Gesta Tancredi ... (R.H.C.) Hist.

Occid., T. 3, p. 710. Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.

ودمءهم غطت سطح الأرض في حين امتلأت أيدي التركمان
بالغنائم (٢٩٧) .

وهناك رأى في المصادر العربية يقول أن جيش بوهيوند وتكريد
لم يشتركا في المعركة بدور فعال (٢٩٨) . لكن المصادر اللاتينية تشير
الى غير ذلك وتؤكد أن الأتراك استداروا نحو بوهيوند وتكريد
وأجلوهم (٢٩٩) .

ومهما يكن من أمر فإن المعسكر الأنطاكي لم يصب بأى ضرر وأخذ
قائداه بوهيوند وتكريد « رجالهما الشجعان وأسرهما للبحث عن ملجأ
في الرها (٣٠٠) » . أما مصير قائدى المعسكر الرهوى فكما روى
المؤرخون المسلمون « كان القمص بردويل (٣٠١) صاحب الرها قد انهزم
مع جماعة من قدامتهم وخاضوا نهر البليخ فوكلت خيولهم فجاء
تركمانى من أصحاب سقمان فاخذهم وحمل بردويل الى خيم
صاحبه (٣٠٢) » . أما المؤرخون اللاتين فثمة اشارة في الجستا الى
انه « لم يسمح لأهل الرها بالتطلع الى أنفسهم او حاجياتهم وأسر
بلدوين وقهر واقتيد بعيدا ، كذلك أسر الكاهن البائس بندكت (٣٠٣) » .
وأشار (البرت) الى ذلك بقوله « هزم بلدوين وأسر واقتيد

Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٢٩٧)

(٢٩٨) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

Gesta Tancredi... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 710, (٢٩٩)

Alberti Aquensis. Historiae, Liber, IX. Hist. Occid.,

T. 4, p. 615.

Mattieu : Op. Cit., p. 72.

(٣٠٠)

(٣٠١) فكر اسم بلدوين دى بوج في المصادر الإسلامية بهذا
الشكل (القمص بردويل) كل من : ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٢٢ ،
ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ، ص ٣٣ ، المعينى : عقد الجبلان ،
د ١٥ ص ٣ ، د ٥٦٩ ، بل أنه أحيانا يذكر (بردويل) فقط كما في : عقد
الجبلان د ١٥ ص ٣ ، د ٥٦٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ١٦٣
وأحيانا أخرى يذكر (القمص) فقط ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص
١٤٨ او (القومص) روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥ تاريخ ص ٤٩٧ ،
أما ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ فيذكر (القميص) .

(٣٠٢) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٢٢ ، الطباق الحلبى ، أعلام
النبلاء ، د ١ ص ٣٩٣ ، يوسف الدبس : تاريخ سورية ، د ٦ ص ٤٥

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 406,

Gesta Tancredi : Hist. Occid., T. 3, p. 710.

(٣٠٣)

بعيدا (٣٠٤) . لكن لم يقتصر الأمر على أسر بلدوين وحده ، بل
 أسر معه أيضا جوسلين اعظم أتباعه ، واقتيد الاثنان أسيرين (٣٠٥) .
 وغنم المسلمون غنائم عظيمة (٣٠٦) في تلك المعركة التي تعرف باسم
 موقعة حران أو البليخ (٣٠٧) . ويمكننا أن نستشف مدى عظمتها
 بالنسبة للمسلمين من كلام ابن القلانسي ووليم الصوري فيذكر الاول « كان
 نصرا حسنا للمسلمين لم يتها مثلها وبه قويت نفوس المسلمين وأرهنت
 وأرهنت عزائهم في نصرة الدين ومجاهدة الملحدين » وتباشر الناس
 بالنصر عليهم واقتنوا بالنكاية فيهم والادالة منهم (٣٠٨) . أما الثاني
 فيقول « لم نقرأ خلال حكم اللاتين في المشرق قبل أو بعد ذلك الحدث
 عن معركة فادحة الخسارة كهذه التي ترتب عليها مذبحة مروعة
 للشجعان ، وهروب مشين لأبناء جنسنا (٣٠٩) » .
 ونشعر بمدى وقس موقعة البليخ على الرها نفسها من خلال
 تلك السطور التي كتبها متى الرهاوى مصورا : « الحزن العميق والنواح
 والكآبة والدموع . أى منظر ذلك الذى حل بالرها ؟ اننا لا نسمع في كل
 مكان سوى التاوهات والصراخ والأتين . أن كل البلاد المسيحية استسلمت
 لحزن شديد (٣١٠) » .

والواقع أن موقعة حران أو البليخ سنة ٤٩٧هـ (٣١١) (١١٠٤م)

Alberti Aquensis : Historiae, Liber IX, T. 4, p. 616. ٣٠٤)

Mattieu : Op. Cit., p. 72, Michel : Op. Cit., p. 195, (٣٠٥)

William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Setton : Op. Cit.,

V. 1, p. 393, Cahen : Op. Cit., p. 238, Michaud : Op.

Cit., V. 2, p. 34.

(٣٠٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٤٨ .

(٣٠٧) الفارقي : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٤ .

(٣٠٨) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٤٣ .

William : Op. Cit., V. 1, p. 459. (٣٠٩)

Mattieu : Op. Cit., p. 73. (٣١٠)

(٣١١) بيننا أجمعت معظم المصادر على أن تلك الموقعة حدثت

٤٩٧هـ - ١١٠٤م مثل ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٢١ ، ابن القلانسي :

الذيل ، ص ١٤٣ ، الذهبي : المعبر ، د ٣ ص ٣٤٥ ، ابن العديم : الزبدة ،

د ٢ ص ١٤٨ ، روض المناظر ، مخطوط رقم ٢٥م تاريخ أحوال ٤٩٧هـ .

هذا الى جانب

(Mattieu : Op. Cit. p.p. 71-73, William : Op. Cit. V. 1, p. 459

فان ابن الأزرقي الفارقي : تاريخه ق ١ ص ٢٧٤ ينفرد بالقول بأنها كانت

سنة ٤٩٩هـ . كذلك اذا كانت كل المصادر تقريبا تشير الى أن أسر

لم تترك اثرا واضحا في حياة الرها السياسية فحسب ، بل بالنسبة للصليبيين عامة وبالنسبة لانطاكية خاصة . فبالنسبة للصليبيين فان هذه الموقعة وضعت حدا جغرافيا او حدا اقصى للتوسع اللاتيني جهة المشرق (٣١٢) . هذا الى ما ترتب على هذه الموقعة من فشل خطة الصليبيين في عزل المسلمين في الأناضول والعراق والشام بعضهم من بعض (٣١٣) . اما من ناحية انطاكية فقد شجعت الهزيمة التي حلت بالصليبيين في البليخ كل من البيزنطيين والمسلمين في حلب على غزوها . (٣١٤) .

وما ان انتهت المعركة حتى بدأ يتكشف من جديد الخلاف بين قادة المسلمين وامرائهم . ذلك ان بلدوين كان قد أسر كما رأينا واقتيد الى معسكر سقمان « فلما رأى اصحاب جكرمش أن اصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل قالوا لجكرمش : اى منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا ؟ وحسنوا له اخذ القمص فاخذه من خيم سقمان ، فلما عاد سقمان شق عليه الأمر وركب اصحابه للقتال ، فردهم وقال لهم : لا يقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغيرهم باختلافنا ولا اوتر شفاء غيظي بشماتة الاعداء بالمسلمين (٣١٥) » . وعندئذ رحل سقمان واخذ

بلدوين دى بورج كان عند حران ، فان (برييه) ينفرد بالقول ان ذلك كان عند الرقة على الفرات في مايو ١٠٤١ م . والراجح ان ذلك غير صحيح . (Bréhier : Vie et Mort ... p. 315,

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389.

(٣١٢)

(٣١٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٤٤٥ . عن

(Runciman)

(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 390,

(٣١٤)

فقد استولى البيزنطيون على اللاذقية

في حين استولى رضوان حاكم حلب على القوعة وسمرين ومعدة مصريين . (Grousset : L'Épopée, p. 80)

(Bréhier : Vie et Mort ... p. 315 Setton Op. Cit. V. 1, p. 390,

(الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٣٩١

(٣١٥) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : المعبر .

د ٥ ص ٣٣ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٣٩٣ .

سلاح الفرنج ورايتهم والبس اصحابه لبسهم واركبهم خيلهم وجعل
يانى حصون شبعثان وبها الفرنج ، فيخرجون ظنا منهم ان اصحابهم
نمروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم ، فعل ذلك بعدة حصون ، في حين
اتجه جكرمش الى الرها وحاصرها خمس عشرة ليلة (٣١٦) . فماذا
كان وضع الرها عندئذ ؟

كانت الرها في حالة حداد عام بعد أسر اميرها بلدوين دى بورج
ووقع نسبة كبرى من ابنائها بين قتلى واسرى (٣١٧) . اما من نجوا
فقد نمروا نحو اسوار الرها للدفاع عن المدينة واقامة التحصينات ،
قبل ان يصل الاتراك ويستولوا عليها (٣١٨) . وكان ان اسرع بوهيموند
وتنكريد الى الرها حيث رفعوا الروح المعنوية للاهالى ووضعوا المدينة
بسرعة في وضع الدفاع (٣١٩) . اما اهالى الرها فقد حاولوا
الخروج من ذلك المأزق بسرعة وبخزم . فوضعوا المدينة تحت وصاية
تنكريد (٣٢٠) . على ان اختيار اهل الرها لتنكريد حاكما جاء مشروطا
بان يخلى عن حكم المدينة بمجرد اطلاق سراح بلدوين (٣٢١) .
اما تنكريد فقد تلقى ذلك العرض بكل غبطة ووافق على طلبهم (٣٢٢) .
اي ان الرها قبلت مؤقتا سيادة النورمان عليها (٣٢٣) . هذا في

-
- (٣١٦) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون :
العبر : ج ٥ ص ٣٣ ، الطباخ الحلبى اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٣٩٣ . اما
كاهاين فيشير الى ان جكرمش هو الذى نهب الأماكن المتبقية في شبعثان
اولا ثم توجه بعد ذلك لحصار الرها . Cahen : p. 238
(٣١٧) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407
(٣١٨) (Alberti Aquensis : Historiae ... Liber IX..., T. 4, p. 616,
(٣١٩) (Albert) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407
(٣٢٠) (Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616.
Gesta Tancredi ... Hist. Occid. T. 3; p. 712,
Bréhier : Vie et Mort ... p. 315, Setton : Op. Cit.
V. 1, p. 389, Archer : Op. Cit., p. 145.
William : Op. Cit., V. 1, p. 459, Runciman : Op. Cit., V. 2, (٢٢١)
p. 43. Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407.
Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43. (٣٢٢)
Zoé . Op. Cit., p. 235. (٣٢٣)

حين عاد بوهيموند الى انطاكية (٣٢٤) . ويقال انه وضع ممتلكات
جوسلين في تل باشر تحت حمايته (٣٢٥) .

وبمجرد رحيل برهيموند ظهر جكرمش بجيش الموصل امام الرها
حتى صار السهل الذي في مواجهتها مكسوا بالآلاف من خيام الأتراك
ولكن تنكريد الذي لم تكن لديه سوى حفنة من الجند الفرنج استطاع أن
يصد ويستثير حماسة الأرمن ، مما جعلهم يقومون بدور مرموق ،
ذلك أن الأرمن في الرها تكتلوا حول زعيمهم الفرنجي ليسدوا الطريق
امام الغزو التركي (٣٢٦) . وفي الوقت نفسه أرسل تنكريد سرا الى
انطاكية ليحذر بوهيموند من أن الرها نذ صبرها وأنه بدون نجدة
سريعة فإن الشعب سيفقد ثقلا عليه (٣٢٧) . وبالفعل استعد بوهيموند
رغم حرج موقفه في إمارته امام غزوات حلب المتكررة ضد انطاكية ،
فاعد جيشا من ٣٠٠ فارس و ٥٠٠ من المشاة وسار الى الرها
لكنه لم يستطع أن يصل إليها الا في اليوم السابع من الحصار بعد
أن اشتدت وطأة الهجمات التي شنها الأتراك يوميا على المدينة (٣٢٨) .
وعندما فقد تنكريد الأمل في وصول معونة اليه ، وضع خطة فدائية
مع فريق من أهل المدينة الذين فضلوا الموت عن الاستسلام ، فاندفعوا
في فجر أحد الأيام وباغتوا الجند الأتراك الذين كانوا قد اثبتت بهم

Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 616. (٣٢٤)
Gesta Tancredi... Op. Cit., T. 3, p. 712, William : Op. Cit.,
V. 1, p. 459.

ذلك لأن جيرانها كانوا قد بداوا يستعدون لاحتراز أي منفعة من وراء
هزيمة الفرنج (Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 43)
William : Op. Cit., V. 1, p. 459. (٣٢٥)

Alberti Aquensis : Liber IX... T. 4, p. 616, (٣٢٦)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408 عن (Albert)

هنا يذكر البرت أن تنكريد حصن المدينة بحراسة قوية وشجع
المواطنين ووعدهم بأنه سيحارب أعدائه بشجاعة وبدون تأخير . وما أن
أدرك المواطنين مواساته وأنه رجل ذو ثقة كبيرة وشجاعة عظيمة حتى
قاوم كل المواطنين والجنود ، الأعداء المهاجرين وطردوهم .

Alberti Aquensis : Historiae Liber IX ... Hist. Occid., (٣٢٧)
T. 4, p. 617, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408.

وسنذكر نص
رسالة تنكريد الى بوهيموند مع الملاحق . وهنا يذكر البرت أن سقبا
اشترك في مهاجمة الرها مع جكرمش . والراجع أن هذا غير صحيح .
Alberti : Ibid., p. 617, Grousset : Ibid., p. 408. (٣٢٨)

التعب وقيل أن بعضهم كان في حالة من السكر ، وأخذوهم على غرة وأعملوا فيهم السيف في الوقت الذي وصل بوهيموند على رأس فرسان أنطاكية ليتبوا النصر (٣٢٩) . أما جكرمش فقد عاد إلى الموصل عندئذ (٣٣٠) .

الرها تحت حكم تنكريد :

وبانتهاء تلك الفترة العصيبة دخلت الرها لفترة قصيرة تحت وصاية البيت الأنطاكي ممثلاً في تنكريد . فماذا كان وضعها أثناء حكمه الذي استمر من سنة ١١٠٤م حتى سنة ١١٠٨م (٤٩٨ - ٥٠٢) ؟

ويبدو أن هذه الفترة كانت مظلمة في تاريخ الرها بدليل ما يقول البرت عنه أنه « دنس الديانة فترة حكمه (٣٣١) » . والواقع أن الصاكم الحقيقي للرها في تلك الفترة ، والتي قاسى فيها الأهالي كثيراً كان ريتشارد دي سالرنو ابن عم تنكريد (٣٣٢) . ذلك أن بوهيموند اضطر إلى السفر إلى إيطاليا في أواخر ١١٠٤م - ٤٩٨هـ (٣٣٣) . لطلب امدادات ضد الإمبراطور البيزنطي (٣٣٤) .

Grousset Ibid., p. 408, L'Épopée, p. 79, Cahen : p. 238. (٣٢٩)
(٣٣٠) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : العبر د ٥ ص ٣٣ .

Grousset : Ibid., p. 409

Albert Aquensis : Historiae, Liber IX ... T. 4, p. 616. (٣٣١)
Zoé : Op. Cit., p. 235, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, (٣٣٢)
p. 872.

وريتشارد هذا هو الذي أسره جيش بلدوين البولوني من جيش تنكريد في معركة المصيصة بين الجانبين سنة ١٠٩٧م
(William : Op. Cit. V. 1, p. 30)

وأسر مرة أخرى مع بوهيموند بواسطة الدانشمندان سنة ١١٠٠م .
Mattieu : Op. Cit., p. 32, Cahen : Op. Cit., p. 228).

Mattieu : Ibid., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, (٣٣٣)
p. 416, Zoé : Op. Cit., p. 235.

أما ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٤٩ فيذكر أن ذلك كان ٤٩٦هـ . وهو ما ذكره الطباخ الحلبي : أعلام النبلاء ، د ١ ص ٣٩١ . والراجح أن هذا التاريخ غير صحيح لأنه كان قبل موقعه حران التي شارك فيها بوهيموند .

Alberti Aquensis : Historiae Liber IX... T. 4, p. 620, (٣٣٤)
Mattieu : Op. Cit., p. 73.

وعندما أبحر الى الغرب « لم يظهر ثانية على الأرض المقدسة (٣٣٥) » .
وترك حكم انطاكية والرها في يد ابن اخته فنكريد (٣٣٦) فأودع فنكريد بدوره
الرها في يد ريتشارد دى برنسيات (٣٣٧). لكن ريتشارد هذا انزل كثير من
الاضرار بأهالى الرها (٣٣٨) . ولم يتبع أسلوب بلدوين البولونى .
وبلدوين دى بورج اللذين حكما قبله الرها (٣٣٩) . وبعبارة أخرى
فان حكم ريتشارد فى الرها اتصف بالجشع والصلابة (٢٤٠) .
وكانت تنقصه القدرة ، لذا لم يستطع كبج طغیان وجشع اتباعه
الفرنج ففقد بسرعة اخلاص اتباعه الأرمن (٣٤١) .

لذلك لا عجب اذا وصفه المؤرخون بأنه كان طماعا ، طاغية ، صادر
مواطنى الرها المعروفين بثرائهم ، دون أن يعنى إلا بثراء نفسه قبل
أن يعود الأمير الشرعى للبلاد (٢٤٢) . ولذا تعرضت الرها فى أيامه
للتهدد من جانب جكرمش (١١٠٥ م) (١١٩٩ هـ) . وقلج أرسلان
(١١٠٦ - ١١٠٧ م) (٥٠٠ - ٥٠١ هـ) . مما جعل فترة حكم ريتشارد
للرها ١١٠٢ - ١١٠٨ م تنصف بالضعف وتعرضها للخطر (٢٤٣) .

والواقع ان ذلك الوضع السيئ الذى تعرضت له الرها طوال اربع
سنوات لم يضع حدا سوى اطلاق سراح أميرها الشرعى بلدوين دى بورج .
وكان جوسلين هو أول من أطلق سراحه من الأسرى بسبب اخلاص
رعاياه فى تل باشر « فقد ذهب بعض رجال من تل باشر وحددوا فدية
جوسلين ويقواهم أنفسهم فى السجن كرهائن وخرج جوسلين ليحصل

-
- Zoé : Op. Cit., p. 230. (٢٢٥)
Mattieu : Op. Cit., p. 73, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, (٢٢٦)
Zoé : Op. Cit., p. 230.
Michel : Op. Cit., p. 195, Cahen : Op. Cit., p. 246, Zoé (٢٢٧)
Op. Cit., 230, Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 872,
V. 1, p. 415.
Michel : Ibid., p. 195. (٢٢٨)
Zoé : Op. Cit., p. 293. (٢٢٩)
Cahen : Op. Cit., p. 246. (٢٣٠)
Setton : Op. Cit. V. 1, p. 393. (٢٣١)
« اما جروسية فيقول « انه كدر العنصر الأرمنى »
بسبب جشعه واختائه العسكرية
Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 437.
Grousset : Ibid., V. 2, p. 872 عن L'Anonyme Syriaque (٢٣٢)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393. (٢٣٣)

الذهب المطلوب لانطلاق سراح الرهائن (٣٤٤) » . وبمجرد ان اطلق سراح جوسلين ثقب الرجال الموجودين كرهائن المكان الذي سجنوا فيه وهربوا » واطلق سراح جوسلين بدون فدية (٣٤٥) » .

اما للصادر العربية فتذكر ان جوسلين افتدى نفسه بالفعل « بمشرة آلاف دينار (٣٤٦) » . وما كاد يتم اطلاق سراح جوسلين حتى عمل نائباً على اطلاق سراح سيده الاعلى بلدوين دى بورج الذى كان قد فقد الأمل في استعادة حريته . وحاول جوسلين جاهدا ان يغرى حكرمش باطلاق سراحه في مقابل مبلغ من المال لكن طلبه رفض (٣٤٧) . وبعد موت الاتراك حكرمش غدا الأمير بلدوين في يد جاولى (٣٤٨) . أمير الموصل الجديد .

كانت ولاية جاولى سقاوا أو سقاوه (٣٤٩) . على الموصل هي أولى بوادر الأمل لانطلاق سراح بلدوين . على ان جاولى لم يلبث ان عزل عن الموصل وحل محله الأمير مودود بن التونتكين سنة ١١٠٨م (٥٠٢) (٣٥٠) . وعندئذ غادر جاولى الموصل ومعه الأمير بلدوين

Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., (٣٤٤) V. 1, p. 433.

Michel : Ibid., p. 195, Grousset : Ibid., p. 433. (٣٤٥)

(٣٤٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٩٧ تاريخ ص ٢٢ (١) ، الطبائخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٣٩٩ . (٣٤٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 434. (٣٤٨)

(٣٤٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ٣١٩٧ تاريخ ص ٢٠ (١) ، ابن الأثير الباهر ، ص ١٦ وينكر الأخير ان حكم جاولى على الموصل امقذ من ٥٥٠٠ - ٥٥٠٢ .

(٣٥٠) ابن الفرات : المصدر السابق ، د ١ ص ٢٠ (١ ب) ،

٢١ (١) Michel : Op. Cit., p. 215 ابن الأثير : الباهر ، ص

١٧ ، أبو النضال الحوى : التاريخ المنصورى ص ١٦١ ، الفارنى .

تاريخه ، ق ١ ص ٣٧٥ . وإذا كان كل من ابن الأثير : الباهر ص ١٧ .

أبو الفد المختصر د ٢ ص ٢٢٣ ، ابن الوردي : تكملة المختصر د ٢ ص ١٩

يذكرون ان ذلك كان في صفر ٥٥٠٢ فان ابن خلدون العبر د ٥ ص ٣٩

يذكر « ان مودود أبى شتكين استولى على الموصل واعمالها في

المحرم ٥٥٠٢ » ولكن الراجح ان ذلك التاريخ غير صحيح استنادا

لرأى ابن الأثير وابن الفرات .

دى بوج ليطلق سراحه بعد قليل ، بعد ان قضى فى الاسر خمس سنوات (٣٥١) . وقد تعهد بلدوين بأن يفدى نفسه بمال وان يطلق اسرى المسلمين الذين فى سجنه وان ينصره متى اراد ذلك منه بنفسه وعساكره وباله (٣٥٢) . وهنا نلاحظ ان قيمة الفدية لم تحدد اما ميخائيل ومن اخذ عنه فيحدها بسبعين الف دينار (٣٥٣) .

وكان ان سيرجاولى بلدوين الى قلعة جعبر (٣٥٤) ، وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك (٣٥٥) . وتولى المفاوضات فى امر اطلاق سراح بلدوين دى بوج كل من سالم بن مالك نفسه وجوسلين دى كورتشاي الذى كان قد اطلق سراحه من فترة قليلة . وقد تم الاتفاق بينهما على اطلاق سراح بلدوين على ان يبقى جوسلين رهينة مكانه (٣٥٦) . وبالفعل استعد جوسلين لتنفيذ ذلك الشرط مما استثار اعجاب جاولى بشخصية جوسلين الذى كان الجميع يتحكون به . ويفصل ميخائيل السريانى قصة اطلاق سراح بلدوين وجوسلين فيروى لنا ان « جوسلين حضر ومعه ثلاثون الف دينار من السبعين الف المحددة لفدية بلدوين ووضع نفسه رهينة واطلق سراح بلدوين . وعندما سمع سلطان الموصل — يقصد جاولى — بعودة جوسلين اخذته الدهشة وطلب رؤيته لانه لم يره من قبل وبالفعل توجه جوسلين الى الموصل فلما رآه السلطان اتقص عشرة آلاف دينار من فدية بلدوين . فسجد جوسلين ورفع وجهه من الارض ليحييه ، وعندئذ اتقص السلطان مرة اخرى عشرة آلاف دينار اخرى وفى الصباح عندما خرج السلطان مع قواته امر جوسلين ان يركب حصانا وان ياخذ سلاحه . وعندما رآى

(٣٥١) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ص ٢١ (ب) ، ٢٢ (ا) ، المعنى : عقد الجمان ، د ٣ م ١٥ ص ٦٣٨ ، وكان اطلاق سراح بلدوين عند بلدة ماكسين .

(٣٥٢) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، مخطوط د ١ ص ٢٢ (ا) ، المعنى : عقد الجمان ، مخطوط د ٣ م ١٥ ص ٦٣٨ .

Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois. (٣٥٣)
V. 1, p. 434.

Grousset : Ibid., p. 434 عن (Dussaud) (٣٥٤)

(٣٥٥) ابن الاثير الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ .

(٣٥٦) ابن الاثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات : مخطوط ، د ١ ص ٢٢ (ا) .

السلطان وكل الحشد الموجود ، جمال وقوة جوسلين ، أعجب به
واسقط كل الفدية المطلوبة من بلدوين ، فعاد جوسلين وهو في غاية
الفرح (٣٥٧) . «

في هذا النص يشير ميخائيل الى أن جوسلين توجه الى سلطان
الموصل - ويقصد هنا جاولى - ولكن المعروف أن إطلاق سراح
بلدوين تم عندما كان جاولى مطرودا من الموصل فلم يكن أميرا لها
وقتذاك . وأن إطلاق سراح بلدوين كان في ملكسين والمفاوضات
كانت في قلعة جعبر وليست في الموصل . كما يفهم من النص السابق
أيضا أن بلدوين دى بوجر أطلق سراحه هو الآخر بدون فدية . ولكن
الراجع أن جاولى أخذ مقدم الفدية فقط واسقط الباقي كما سنرى .

ويذكر متى الرهاوي أن جوسلين أطلق سراح بلدوين أمير الرها
في مقابل مبلغ كبير من المال (٣٥٨) . أما الصبر اللاتيني فيقول
« أن بلدوين بعد أن أمضى خمس سنوات في الأسر ، وبعد أن قتلت
الرهائن ذاتها حراس السجن بطريقة بارعة هرب من السجن (٣٥٩) » .
ويؤيد هذا الرأي ما ذكره وليم الصوري من أنه « في صيف ١١٠٨م أو في
بداية ١١٠٩م ومن طريق الصدفة قتل رهائن بلدوين وجوسلين
الحراس المسئولين عن الإشراف عليهم بينما كان هؤلاء الحراس في
سبات عميق اثر شرب الخمر ، ثم سلك في الليل بواسطة بعض الطرق
الجانبية اللثوية استطاعا أن يتخذا طريقهما الى بلادهما (٣٦٠) » .
أما ابن الأثير فيذكر أنه « لما وصل جوسلين الى قلعة جعبر وأقام
رهينة عوض القمص وأطلق القمص وسار الى انطاكية وأخذ جاولى

Michel : Op. Cit. p.p. 195-196, Zoé : p. 294. (٣٥٧)

والأخير يعلق على ذلك بقوله

أن لطف جوسلين ورقته ساعدته تلقائيا على إقامة

علاقات انسانية مع اعدائه ، وهو يقصد هنا جاولى (p. 295)
أما جروسية فيعلق على ذلك النص بأنه لم يكن الا صدق للأخبار الرومية
من أدب البروسية : ونوع من التحالف الشخصي بين جاولى من ناحية
وبلدوين دى بوجر وجوسلين من ناحية أخرى .

(Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 434).

Mattieu : Op. Cit., p. 85.

(٣٥٨)

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit. . T. 3, p. 410.

(٣٥٩)

William : Op. Cit., V. 1, p. 474.

(٣٦٠)

جوسلين من قلعة جعبر فاطمته واخذ عوضه اخا زوجته واخا زوجة القمص وسيره الى القمص ليقوى به ، وليحثه على اطلاق الاسرى وانقاذ المال وما ضمنه (٣٦١) . اى انه كانت هناك فدية بالفعل . هنا تذكر المصادر العربية ان فداء بلدوين كان « خمسة وثلاثين دينارا ومائة وستين اسيرا من المسلمين (٣٦٢) » .

ومهما تختلف المصادر في موضوع الفدية - التي يرجح وجودها من ناحية المبدأ بالفعل - فان الجميع اتفقوا على ان بلدوين اطلق سراحه وتم نوع من التحالف بين جاولى من ناحية وبلدوين وجوسلين من ناحية اخرى .

وتقول بعض المصادر انه عندما تم اطلاق سراح بنوين فانه توجه الى امارته السابقة في الرها ولكنه لم يستطع دخولها ، لأن رجال تنكريد منعه من ذلك (٣٦٣) . ولكن الراجح - كسورود في المصادر الاسلامية وغيرها ، انه توجه فور اطلاق سراحه الى انطاكية للحصول على باقى فديته المستحقة عليه ولكى يسترد امارته من تنكريد ، السيد الاعلى للرها وقتذاك فاعطاه تنكريد ثلاثين ألف ديناراً وخيلاً وسلاحاً وثيلاً وغير ذلك (٣٦٤) ، ولكنه رفض رد امارته اليه فخرج بلدوين من عنده غاضباً الى تل باشر (٣٦٥) . وكان ان اصدر تنكريد لوامره الى نائبه في الرها ريتشارد دى سالرنو بالا يسلمها لبلدوين (٣٦٦) .

(٣٦١) ابن الاثير : الكامل . د ٨ ص ٢٥٣ . الصبيح الطنبلي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٣٩٩ .

(٣٦٢) ابن الاثير : المصدر السابق ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : المعبر . د ٥ ص ٢٣ ، العيني : عقد الحمان ، د ١٥ ص ٢٠٣ . الدس : تاريخ سورية ، د ٦ ص ٤٥ . الطباخ : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٣٩٣ .

Fulcherii : Op. Cit. . T. 3, p. 410. William : Op. Cit., (٣٦٣)

V. 1, p.p 373: 474.

(٣٦٤) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ . ابن الفرات : مخطوط د ١ ص ٢٢ (ب) ، ابن خلدون : المعبر . د ٥ ص ١٤١ . العيني : عقد الحمان . مخطوط د ١٥ ص ٦٢٨ .

Grousset : Hist des Crois. V 1 p. 435.

(٣٦٥) ابن الاثير : نفس المصدر والمطبعة ، ابن الفرات : المصدر والصفحة ، ابن خلدون : المعبر والمطبعة . العيني . د ١٥ ص ٢٠٣ ، (٣٦٦)

Grousset : Hist. des Crois. V. 1. p. 436.

Mattieu : Op. Cit. p 86

(٣٦٦)

والواقع ان اصرار تنكريد على التمسك بحق غير شرعى له ، ادى في النهاية الى انقسام الصليبيين - بل الى انقسام المسلمين - على انفسهم ، فقامت حرب اهلية بين الجانبين سنتناولها في باب العلاقات الخارجية ، ورد ذكرها في بعض المصادر والمراجع (٣٦٧) . وعندها وصل الامر الى ذلك الحد ، تغلب العقل حرجا على الكيان الصليبي في الشرق . فتدخل الرؤساء والنبلاء في البلاد وذوى المكانة العالية . فقد عزموا ان قيام العداوة بين الرجلين في مثل تلك الدرجة العالية امر بالغ الخطورة وسوف يكون مصدرا لضرر فاسل للاهالي المسيحيين . وبناء على ذلك اخذوا على عاتقهم مهمة التوفيق بين الطرفين ونجحوا في ايجاد صلح بينهما (٣٦٨) . والراجع ان التوصل الى صلح بينهما كان راجعا في المقام الاول الى تدخل رجال الدين فقد « توسط بينهما البطرک الذى لهم ، وهو عندهم كالامام السدى للمسلمين ، لا يخالف امره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين ان بيهوند خال طنكرى قال له لما اراد ركوب للبحر والعودة لى بلاده ان يعيد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر (٣٦٩) » .

ويؤكد وليم الصورى ونولثر ان تنكريد « بعد تنكير عن رؤية فيه غير فكره (٣٧٠) » . وتذكر ذلك القسم الذى اقسمه بوهيوند « حتى يتجنب اى صراع في اى مكان أو اى زمان (٣٧١) » . وبذلك استبعاد بلدوين امارته في التاسع من صفر ٥٠٢ هـ (٣٧٢) ١٨٤٠ سبتمبر

Mattieu : Ibid., p. 85-87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394, (٣٦٧)
Cahen : Op. Cit. p. 249-251, Zoé : Op. Cit.,
p.p. 239-240, Grousset : L'Épopée, p. 83, Hist.
des Crois., V. 1, p.p. 439-442.

William : Op. Cit., V. 1, p. 475. (٣٦٨)

(٣٦٩) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، ابن الفرات :

تاريخ الدول والملوك ، د ١ ص ٣٣ (١) ، عقد الجمان ، د ١٥٥ ص ٢
١٣٩ ، الطباق الحلى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٠٠ .

ويورد ابن خلدون نفس المعنى في كتابه المبر ، د ٥ ص ١٩١ مسج
الانشارة الى تنكريد باسم (سكرى) والى بوهيوند باسم اسيد .

William : Op. Cit. V. 1, p. 474. (٣٧٠)

Fubhern : Op. Cit., T. 3 p. 410. (٣٧١)

(٣٧٢) ابن الاثير : الكامل - د ٨ ص ١٥٤ . ابن الفرات : مخطوطه

د ١ ص ٢٣ (١) وينفرد ابن خلدون عن ذلك كان في صفر سنة ٥٠٢ هـ
(ابن خلدون المبر ، د ٥ ص ١٩١) .

ولكن اذا كان بلدوين دى بروج قد عاد من جديد لامارته الا انه بدأ فترة جديدة من الصراع العنيف ضد القوى الاسلامية مئثلة في الأتراك الذين نعددت هجبتهم على الرها ، كما سيأتى شرح ذلك بالتفصيل في باب العلاقات مع جيران الرها من المسلمين .

العلاقة بين بلدوين دى بروج وجوسلين : سنة ١١١٣ م — (٥٠٧ هـ) .

في ١١١٣ م (٥٠٧ هـ) بدأت العلاقات تسوء بين بلدوين دى بروج وجوسلين دى كورتناى حتى انتهت بقطع العلاقات بين الطرفين . وقد اتفرد وليم الصورى بتفصيل سبب ذلك ، فقال انه حدث في تلك السنة ان ارسل الأمير بلدوين دى بروج بعض رسله في مهمة خاصة الى روجر بر ريشارد حاكم انطاكية . وبعد ان عبر اولئك الرسل الفرات ، مروا عبر اراضى جوسلين الذى استقبلهم بحفاوة وكرم زائدين . ولكن حدث اثناء وجودهم في ضيافة جوسلين ان اخذ بعض عبيده يملكون الرسل وينتقدون فقر الأمير بلدوين ، وفي نفس الوقت تفاخروا بثراء سيدهم جوسلين ، وبما يمتلكه من كميات وافرة من الحبوب والخبز والزيت والمؤن فضلا عن الذهب والفضة ، وبما يتبعه من عديد الفرسان والمشاهة وضمنوا نقدهم اللاذع بعبارات فحواها ان الأمير بلدوين غدا غير صالح لحكم تلك البلاد وانه من دواعى الحكمة ان يبيع امارته للأمير جوسلين وبذلك يحصل على مبلغ كبير من المال يعود به الى فرنسا (٣٧٤) . ويعلق جروسية بان جوسلين نفسه اخطأ في حق الأمير بلدوين ، وذكر وهو ثمل انه يستطيع ان يشتري ارض الرها من سيدها المخلص (٣٧٥) .

وكان ان عاد الرسل الى أميرهم ليقدموا له تقريرا مفصلا عما حدث وعما سمعوه من تجريح من جوسلين ورجاله (٣٧٦) . ويبدو ان الأمير

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

(٣٧٣)

(ما وليم الصورى فيذكر ان ذلك

(William : Op. Cit., V. 1, p. 475)

كان في ١٨ ابريل ١١٠٩ م
والواقع ان ٥٠٢ هـ يقابلها ميلادى من ١١ اغسطس ١١٠٨ الى ٣١ يولية ١١٠٩ م (زامبور : معجم الأنساب ، ج ٢ ص ٥٢٧) .

William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

(٣٧٤)

Grousset : L'Épopée, p. 111.

(٣٧٥)

William : Op. Cit., V. 1, p. 498.

(٣٧٦)

بلدوين تآثر تأثرا عميقا لما سمعه وازداد سخطا على جوسلين لأنه السبب في نعمته ، وعز عليه أن يتفكر له وينسى الجميل والمعروف (٣٧٧) .

وكان أن تظاهر بلدوين بالمرض ، ورقد طريح الفراش وأمر باستدعاء قريبه جوسلين فورا . فحضر في الحال دون أن يتسرب أى شك الى قلبه . وعند وصوله الى الرها وجد الأمير بلدوين في قلعة المدينة ، مستلقيا ، في حجرة داخلية ، فدخل جوسلين وبعد أن ادى التحية المعتادة سأل الأمير عن صحته فأجابه « أحسن كثيرا — بفضل الله — مما تمنى » . ثم أخذ بلدوين يوبخ جوسلين لعدم وفائه وتكره له . وطالبه بأن يسلم له فورا بمملكته التي انعم بها عليه (٣٧٨) . وفي الحال أصدر بلدوين أوامره بجز جوسلين في السجن حيث تعرض لكل أنواع التعذيب حتى يتنازل عن كل البلاد ويتخلّى عن كل المناصب والحقوق التي تلقاها على شكل هبات من بلدوين (٣٧٩) .

وهكذا حرم جوسلين من كافة مملكته فترك الرها ، وتوجه الى الملك بلدوين الأول ملك القدس ، حيث قدم له تقريرا منفصلا عما حدث وائصح عن رغبته في العودة الى وطنه في الغرب الأوربي وبعد أن استمع اليه الملك ، أقطعهم طبرية (٣٨٠) وضواحيها طوال حياته . « لأنه يعلم أن جوسلين سيفيد المملكة بخدماته العظيمة ورغب في أن يستفيد من مساعدات رجل عظيم مثله » (٣٨١) ويشير ابن الفرات الى تلك القصة

William : Ibid., p.p. 498 - 499.

(٣٧٧)

William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p. 126, حاشيه

(٣٧٨)

Grousset : L'Épopée, p.p. 111 - 112 :

William : Ibid., p. 499, Mattieu : Op. Cit., p.p. 125 - 126. (٣٧٩)

Cahen : Op. Cit., p. 265.

Zoé : Op. Cit., p. 294, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 57. (٣٨٠)

بينما يذكر ميشو أنه أخذ اقطاع طبرية يذكر أولدنبرج أنه أخذ اقطاع الجليل الذي كان خاليا بسبب موت صاحبه السابق

Hugues de Saint-Omer

ويؤيده في هذا الرأي كاهن (Cahen : Op. Cit., p. 265) ويجمع جروسية

بين المرابين بقوله « أعطاه طبرية وامارة الجليل ، حيث أظهر في تلك الامارة الجديدة قدراته الفائقة كسلفه هيو جودى سانت أومير

(Grousset Hist. des Crois. V. 1, p. 489.

William : Op. Cit., V. 1, p. 499, Mattieu : Op. Cit., p. 126, (٣٨١)

Grousset : L'Épopée, p. 112, Setton : Op. Cit., p. 402,

Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 874 عن (L'Anonyme).

بقوله : « كان اللعين جوسلين صاحب تل باثر قد اختلف هو واللعين بغدوين الرويس صاحب الرها ففارقه وصار الى اللعين بغدويل صاحب القدس فاقطعه طبرية » (٣٨٢) .

وبعد ان تخلص بلدوين دى بوج من كل العنصر المنسوبة له وقبض بيد قوية على شئون امارته وجهاها من الاخطار التركية . اخذ يتطلع نحو الشمال ، اى الى المناطق الارمنية ليتوسع على حسابها . والواقع ان هذا الاتجاه لم يكن جديدا فقد سبق قبل تسع سنوات ان دخلت مدينة مرعش في حوزة امارة الرها ، تحت سيادة جوسلين دى كورتناى ١١٠٤ م (٤٩٨ هـ) (٣٨٣) . ومنشير الى توسع بلدوين دى بوج في هذا الاتجاه بالتفصيل في فصل العلاقات مع الارمن خارج الرها .

وهكذا دعم بلدوين دى بوج الأسس التى وضعها بلدوين البوونى في الرها و اضاف اليها الجديد ، كما امن الإمارة من الاخطار الخارجية والداخلية . « فلاكثر من ثمانية عشر عاما حكم الإمارة بنشاط ونجاح . واخيرا ، اى في السنة الثامنة عشر من حكمه عندما تأكد من ان امارته غدت في حال من الاستقرار والسلام تحسد عليها ، عزم على زيارة ملك القدس سيده الأعلى وقريبه وولى نعمته ، فضلا عن رغبته في نفس الوقت في زيارته الأماكن المقدسة (٣٨٤) .

وبالفعل تمت الترتيبات الضرورية للرحلة ، وعهد بالعناية بامارته الى ابن خالته جاليران دى يويست Galerán du Puisset حاكم البيرة (٣٨٥) ، الذى كانت لديه ثقة كاملة في إخلاصه ويقتضه (٣٨٦) .

ولكن حدث اثناء طريقه ان قابلته سفارة ، اخبرته ان الملك بلدوين قد مات في مصر ، فقلق كثيرا لتلك الاخبار . ومع ذلك فانه استمر

(٣٨٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ ، مخطوط ص ٦٧ (F) ،

(٣٨٣) Micher : Op. Cit., p. 75.

مسعود عاشور : سلطنة المماليك ومملكة

ارمنيا ، ص ١٤٢ من Ronceiman

William Op. Cit., V. 1, p. 518. (٣٨٤)

Garnier : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. ٩١ (٣٨٥)

(L'Anonyme) عن

William : Op. Cit., V. 1, n. 518. (٣٨٦)

في رحلته مسرعا نحو بيت المقدس ، حتى وصلها في يوم عيد سمع النخيل (٣٨٧) وهو أحد الشعانين (٣٨٨) وكان توافقا عجيبا أنه « في نفس الوقت الذي دخل فيه الأمير بلدوين دي بورج وحرسه المدينة من باب اgram كان تابوت الملك بلدوين الاول محمولا في مكب جنازى في الجهة المقابلة من جهة باب صشق (٣٨٩) .

كان الملك بلدوين الاول ، قد خرج في اوائل تلك السنة ١١١٨م (٥١١هـ) وتوجه الى مصر حتى وصل الى الفرما وقيل الى تنيس ولكنه لم يلبث ان مرض فقرر العودة بسرعة الى القدس ، ومات في الطريق قبل وصوله الى المريش (٣٩٠) . وذلك في ٢ ابريل ١١١٨م (٥١١هـ) (٣٩١) .

ولا شك في ان وفاة بلدوين الاول المفاجئة ادت الى موثف صعب في مملكة بيت المقدس الصليبية لانه لم يخلف اولادا (٣٩٢) . ولذا تضاربت الآراء في كيفية ملء عرش القدس . فنذكر متى الرهاوى « انه قبل ان يموت الملك بلدوين مباشرة اوصى باستدعاء بلدوين دي بورج ليكون وصيا على مملكة بيت المقدس حتى يصل اخوه ايوستاش Eustache من فرنسا وأن يعطوا التساج ذلك الاخير (٣٩٣) » . ومعنى ذلك ان وصية الملك كانت لآخيه وليست لبلدوين دي بورج .

اما المصادر العربية فتشير الى ان الملك بلدوين الاول قد « اوصى له بالملك بعده (٣٩٤) » فقبله « واجتمع له القدس والرها (٣٩٥) » اي ان

William : Ibid., p. 518. (٣٨٧)
 Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 56. (٣٨٨)
 William : Op. Cit., V. 1, p. 518, Michaud : Ibid V. 2, (٣٨٩)
 p. 56.

(٣٩٠) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ص ١١١ (ب) ، ابن اييك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٤٨٠ .

Schlumberger : Sigillographie... de L'Orient Latin, p. 1. (٣٩١)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 410.

Setton : Ibid., V. 1, p. 410. (٣٩٢)

Mattieu : Op. Cit., p.p. 118-119. (٣٩٣)

(٣٩٤) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٨٤ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، د ٤ ص ٣٠ ، ابن قاضي شعبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم رقم ٢٣٧ (١) الباب السابع . (٣٩٥) ابن الاثير : المصدر السابق والصفحة ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط ، د ١ ص ١١٢ (١) .

وصية الملك كانت لبلدوين دى بورج، وربما يرجع ذلك الى محض الاستنتاج لانه الذى تولى بعده بالفعل ، اما المصدر السريانى فيذكر « أن الملك اوصى أن يصبح بلدوين دى بورج ، أمير الرها وابن أخت الملك ملكا من بعده (٣٩٦) » والواقع أن بلدوين دى بورج لم يكن ابن أخت الملك بلدوين الأول لكنه كان ابن عمه (٣٩٧) . كذلك تشير بعض المراجع الفرنجية الى أن الملك اختار أيوستاش أولا ثم بلدوين ثانيا (٣٩٨) . ويشير البعض الآخر الى أن الملك لم يعين له خليفة (٣٩٩) ، ولم يعمل حسابا للموت فيوصى في حياته بتعيين شخص معين يتولى عرش المملكة من بعده (٤٠٠) .

ومهما يكن من أمر فإن وصول بلدوين دى بورج الى بيت المقدس في نفس الوقت الذى وصل فيه جثمان الملك الراحل ، قول من أهل المدينة وأمرائها على أنه نوع من التدبير الإلهي ، على قول متى الرهاوى ، فمهدوا اليه بالوصاية ، لكن بلدوين الذى كان طموحا لم يوافق أبدا على ذلك ، ووعد بأن ينهض بمهمة الوصاية لمدة سنة واحدة ، اذا لم يحضر خلالها أخو الملك ، يصبح من حقه اعتلاء عرش الملكة (٤٠١) .

على أن هذا الحل قول بمعارضة من جانب المتسكين بمبدأ الوراثة وفق القانون الاقطاعي والذين رأوا ضرورة انتظار ومسؤول أخى الملك بلدوين من الغرب معها تكن الأحوال (٤٠٢) . وهنا تدخل جوسلين دى كورتناى لحسم الموقف ، وانضم الى جانبه البطريك ارنولف مالكورن Arnoul Malecorne وجماعته الذين نادوا بضرورة تعيين ملك في الحال (٤٠٣) . وقد نادى جوسلين « بأن أمير الرها حاضر ، وهو يتمتع

Michel : Op. Cit., p. 196.

(٣٩٦)

(٣٩٧) سعيد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ٣٨

Harold Lamb : Op. Cit., p. 228.

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 80, Setton : Op. Cit., (٣٩٨)

V. 1, p. 411.

Zot : Op. Cit., p. 261.

(٣٩٩)

(٤٠٠) سعيد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ٩٨ (عن William)

Mattieu : Op. Cit., p. 119.

(٤٠١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 519, Setton : Op. Cit., (٤٠٢)

V. 1, p. 411.

Alberti : Op. Cit. Liber XII. T. 4, p. 709, William : Ibid., (٤٠٣)

p. 520, Setton : Ibid., p. 411.

بأخلاق الرجال وجدير بالاحترام ، فضلا عن أنه من اقارب الملك الراحل ، ويتصف بالشجاعة في الحرب ، ولا يمكن ان يطمع الصليبيون في رجل آخر افضل منه . وبناء على ذلك فانه من الحكمة تعيينه انقادا لموقف الملكة بدلا من الانتظار وسط اخطار مجهولة (٤.٤) » .

ولما كان الخير ما شهد به الأعداء ، فقد أدرك جميع النبلاء الحاضرين عنقذ كلمات جوسلين وأكبروا صراحته وصدقته ، لمعرفتهم بالعداء الذي كان بين جوسلين دى كورتناى وبين بلدوين دى بورج (٤.٥)

والذى سبق ان اشرنا اليه بالتفصيل . وهنا اثار بعض المؤرخين الى أن جوسلين رأى في ذلك فرصة لاسترضاء بلدوين دى بورج وازالة ما في نفسه من رواسب الماضي (٤.٦) . كما اثار وليم بان هدف جوسلين الحقيقي من وراء موقفه « انه كان يهدف ان يخلف بلدوين دى بورج في امارة الرها في المستقبل (٤.٧) » .

وهكذا لعب جوسلين دوره بمهارة حتى تم اختيار بلدوين دى بورج ملكا على بيت المقدس (٤.٨) . وحدث ذلك بإجماع كل الآراء والأطراف (٤.٩) فتوج بلدوين ملكا في ١٤ أبريل ١١١٨م وهو يوم عيد الفصح (٤.١٠) . وبذلك فازت مملكة بيت المقدس « بأمير صليبي له خبرته وتجاربه الشاقة في محاربة المسلمين ، بل قضى بضع سنوات في سجونهم (٤.١١) » . وحمل الملك الجديد اسم بلدوين الثالثى (٤.١٢) .

William : Ibid., p. 520. (٤.٤)

William : Ibid., p. 526, Archer. Op. Cit., p. 159. (٤.٥)

سعيد عامور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٩٨ (٤.٦)

William : Op. Cit., V. 1, p. 520. (٤.٧)

Mattieu : Op. Cit., p. 126. (٤.٨)

Alberti Aquensis : Historiae Liber XII (R.H.C.), IIist. (٤.٩)

Occid. T. 4, p. 709.

Mattieu : Op. Cit., p. 119, Schlumberger : Op. Cit., p. 3. (٤.١٠)

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 81, Setton : Op. Cit.,

V. 1, p. 411.

أما ميخائيل السريانى فقد فكر أن ذلك تم في يوم الثلاثاء ٩ (نيسان) أبريل ١١١٨م (Michel : Op. Cit., p. 196) وبعد حوالى سنة احتفل بحفلة تتويج بلدوين في كنيسة بيت لحم في يوم عيد الميلاد .

William : Op. Cit., V. 1, p. 520, Mattieu : Op. Cit., p. 119.

Iorga : Op. Cit., p. 81. (٤.١١)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 534. (٤.١٢)

ولكى يكافئ الملك الجديد ، جوسلين دى كورتناى على الخدمة التى قدمها اليه منذ قليل ، ولرغبته فى أن ينسبه القسوة التى عامله بها من قبل ، اعطاه امارة الرها ، وهى الامارة التى كان جوسلين يعرفها حق المعرفة . فبعد ان حلف بلدوين دى بورج اليمين تخطى لجوسلين عن اقطاعه (امارة الرها) الى جانب تل باشر وذلك ١١١٩م — ٥١٣هـ (٤١٣) على ان يكون تابعا للملك بلدوين الثانى فى حكم تلك الامارة (٤١٤)

وكانت الرها فى تلك الفترة الفاصلة التى بدأت بخروج بلدوين لزيارة القدس حتى تم تنويجه ملكا للقدس ، فى رعاية حاكم البيرة جاليران دى بويست وهو ابن خالصة بلدوين نفسه (٤١٥) . ويتبعين جوسلين حاكما على الرها فى نهاية اغسطس ١١١٩م عاد جاليران الى اقطاعه البيرة (٤١٦) .

امارة جوسلين دى كورتناى على الرها ١١١٩ — ١١٣١م (٤١٧)
٥١٣ — ٥٢٦هـ .

كان جوسلين هذا ابن عمه بلدوين دى بورج مباشرة ، وقد اجمع المؤرخون على امتداح شجاعته واخلاقه فيذكر (اولد نبرج) « انه بقوته وشجاعته وعلمه لفن الحرب وحسن وقارة يعتبر احد الفرسان البارزين فى بلاد الشام الفرنجية (٤١٨) » . اما وليم الصورى فيجمل صفاته فى سطور فيقول : « كان جوسلين رجلا ذا خبرة واسعة بالحياة والناس ، حذرا فى كل ما يفعله ، يظهر تعقلا شديدا فى معالجة الامور ، وترتيب وتنظيم شئونه الخاصة (٤١٩) » . اما ميخائيل السريانى فيصفه بأنه

Mattieu : Op. Cit., p.p. 125-196. (٤١٣)

(حاشية عن وليم الصورى)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538. (٤١٤)

Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 874.

نسيب عاشور : الحركة ، ج ١ ص ٩٩ Stevenson ، عن Grousset : L'Empire, p. 299, Hist. des Crois. V. 2, p. 874 (٤١٥)

عن (L'Anonyme) وكان جاليران حاكما للبيرة منذ سنة ١١١٧م الى بعد استيلاء بلدوين دى بورج عليها من ابو الغريب الأرمنى .

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 874-875. (٤١٦)

Grousset : L'Empire, p. 300. (٤١٧)

Zoé : Op. Cit., p. 294. (٤١٨)

William : Op. Cit., V. 1, p. 450. (٤١٩)

« البطل الشجاع (٤٢٠) » . في حين يشير اليه متى الرهاوى بأنه
 « كان رئيسا مشهورا بين الفرنج ببسالته الفائقة (٤٢١) » . ولو أنه
 يفهم من كلامه أنه كان قاسى الطباع قبل أن يتولى إمارة الرها ، ثم تخلى
 عن تلك النصفة بعد ذلك « وأظهر العطف والشفقة على سكان الرها
 وتخلّى عن القسوة التى اتصف بها من قبل (٤٢٢) » .

ولم يكد جوسلين يتولى إمارة الرها حتى باشر حياة نشطة
 وخاصة فيما يتعلق بمجارية المسلمين ، ففى أثناء توجهه من بيت المقدس
 الى الرها ليتولى امرتها « أسرى الى وادى بطنان والى مايلى الفرات من
 جهة الشمال وقتل وسبى ما يقرب من ألف نفس ، وأغار على منبج
 والنقرة وأعمال حلب الشرقية وأخذ كل ما وجده من دواب وأسر رجالا
 ونساء وأسرى الى الراوندان يتبع طائفة من التركمان كانت قد لجعت
 الفرات فاقبضوا فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة (٤٢٣) » . وعند وصوله
 الرها وجد أمامه موقفا يتطلب العمل فورا لانقاذ المدينة . ذلك أنه
 حدث قبل وصول جوسلين مباشرة أن رأى بسى الأرمن أن الأتراك
 قد نهبوا إقليم الرها وتقدموا حتى أسوارها ففضلوا الاستسلام
 لهم ، وأدخلوهم فى أحد الأبراج ، ولكن شاعت الناروف أن يسلم
 جوسلين فى تلك اللحظة فتصدى للأتراك فى البرج وقتل منهم جماعة
 فى حين لقى الباقون بأنفسهم من البرج (٤٢٤) .

على أنه يلاحظ أن جوسلين دى كورتناى المعروف بجوسلين الأول
 اتخذ من تل باشر مقرا لحكمه وفعل ذلك من بعده ابنه جوسلين
 الثانى (٤٢٥) . وربما يرجع ذلك الى ارتباطه الشديد بها ، فقد
 كانت مقر نفوذه منذ قدم من فرنسا حتى صار أميرا على الرها
 بأكملها . وبالإضافة الى ذلك كان جوسلين محبوبا جدا من
 أهلها (٤٢٦) .

-
- Michel : Op. Cit., p. 196. (٤٢٠)
 Mattieu : Op. Cit., p. 126. (٤٢١)
 Mattieu : Ibid., p. 126. (٤٢٢)
 ابن العديم : زبدة الطب ، ج ٢ ، ص ١٩٤ . (٤٢٣)
 Michel : Op. Cit., p. 196. (٤٢٤)
 Cahen : Op. Cit., p. 116. (٤٢٥)
 Zoé : Op. Cit., p. 296, Grousset : L'Empire, p. 300 عن (٤٢٦)
 (Fulcher), Archer : Op. Cit.; p. 162.

ولم يلبث أن دعم جوسلين حكمه بزواجه من أميرة أرمينية مثلما فعل الأميران اللذان سبقاه في حكم الرها ، أما هذه الأميرة فكانت أخت الأمير ليون Léon الأرمني وهو رجل معروف بين قومه (٤٢٧) ، أو ابن قنسطنطين واتو ثوروس (٤٢٨) ، وهم جميعا من أمراء أرمينيا الصغرى (٤٢٩) .

ثم أن جوسلين تزوج بعد وفاة زوجته الأولى الأرمينية من ابنة روجر حاكم انطاكية (٤٣٠) . وكانت هدية الزواج التي قدمتها لزوجها مدينة اعزاز أو عزاز الواقعة على الحدود بين الأمارتين (٤٣١) . وعلى ذلك فإذا كانت الزيجة الأولى قد وطدت علاقاته بالأرمن فإن الزيجة الثانية ، إلى جانب أنها وطدت العلاقات مع انطاكية ، فإنها أضافت إلى إمارة الرها أرضا جديدة .

أما عن حكم جوسلين للرها فقد امتاز عصره بالثروة والرخاء ، رغم أنه كان عليه أن يتابع حريا مستمرة ضد الأتراك ، صادف فيها الانتصار قارة وتعرض للأسر تارة أخرى (٤٣٢) . ذلك أن مهمة جوسلين في حكم الإمارة بعد اتساع أطرافها كانت غاية في الصعوبة ،

-
- Grégoire Le Prêtre : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 152, (٤٢٧)
 William : Op. Cit., V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8 من L'Anonyme), Tournebiz :
 Op. Cit., p. 173, Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172.
 Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 87-88. (٤٢٨)
 Cam., Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 785. (٤٢٩)

- رويان الأول من ١٠٨٠م إلى ١٠٩٥م
 قنسطنطين الأول (ابن) ١٠٩٥ — ١٠٩٦م
 ثيودور الأول (ابن) من ١١٠٠ — ١١٢٩م
 ليو الأول (أخ) ١١٢٩ — ١١٣٨م
 Michel : Op. Cit., p. 210, Cahen : Op. Cit., p. 291. (٤٣٠)
 Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875. الرجوعان الأخيران عن (L'Anonyme)

- Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Cahen : Op. Cit., p. 291. (٤٣١)
 Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 875.
 يشير إليها ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١٣ ص ١١٨ بأنها عزاز ويقول أنها ربما قبلت بالآلاف في أولها . والعزاز الأرض الصلبة وهي بلدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب .
 E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290. (٤٣٢)

فاقت مهمة من سبقوه في حكمها ، اذ كان لزاما عليه ان يثبت تلك اللغات الاساسية في بناء الامارة ، لذا امتلاء عهده بالصراع مع كل الاطراف الاسلامية المحيطة به فلم تمر فترة قصيرة دون ان يكون في حالة حرب مع المسلمين ، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في فصل العلاقات مع المسلمين . ولكننا سنقتصر هنا فقط على بحث موضوع أسر ذلك الأمير النشط بيسان المسلمين .

أسر جوسلين :

حدث في سبتمبر ١١٢٢م (٤٣٣) - رجب ٥١٦هـ (٤٣٤) أن تقدم بك بن بهرام ابن أخى أيلغازى (٤٣٥). ابن أرتق صاحب ميافارقين وماردين ، وحلب (٤٣٦) وأمير سروج القديم (٤٣٧) وحاصر مدينة الرها وبقى على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فجاءه أحد التركمان وأخبره أن جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع رجاله لكيسه . وكان بك عندئذ قد تفرق عنه أصحابه وبقى في أربعمائة فارس ، فوقف مستعدا لقتال الفرنج . وفى الموقعة التى دارت بين الطرفين حلت الهزيمة بالصليبيين ووقع جوسلين نفسه أسيرا ، ووقع معه فى الأسر ابن خالته

(٤٣٣) Mattieu : Op. Cit., p. 131, Gibb : Op. Cit., p. 160.

(Mattieu) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583.

(٤٣٤) سبتمبر ١١٢٢م يقابله رجب ٥١٦هـ . وقد ذكر هذا التاريخ

كل من العديد : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٠٦ ، (Gibb : Ibid., p. 166)

الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٤٤ ، العيني عقد الجمان ،

د ١٥ ص ٨١٧ . ولو ان الاخباران يعودان مرة أخرى فيذكران أن ذلك

كان ٥١٥هـ (الطباخ ص ٤٤٢ ، العيني ص ٧٩٢) والسبب يرجع الى

أنهما نقلتا مرة كلام أبى العديم ومرة أخرى كلام ابن الأثير الذى يذكر أن

ذلك كان ٥١٥هـ . ويشترك ابن الأثير فى ذلك بمصادر أخرى (ابن

الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٠٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية د ١٢ ص

٢٠٦ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٢ ص ٢٢٥ ، ابن الوردي : تبة المختصر ،

د ٢ ص ٢٨ ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢١٦ . أما أبو الحسن :

النجوم الزاهرة ، د ٥ ص ٢٢٦ ، فيذكر أن ذلك كان سنة ٥١٧هـ .

(Mattieu : Op. Cit., p. 131) (٤٣٥)

ينفرد متى الرهاوى بالقول أنه ابن أخيه

أما معظم المصادر العربية فتذكر أنه ابن أخيه

مثل ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول

والملوك ، د ٢ مخطوط ص ٤٨ (ب) ، ابن كثير : البداية والنهاية د ١٢

ص ١٨٨ .

(٤٣٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٢ مخطوط ص ٤٨ (ب) .

(I/Anonyme) (٤٣٧) عن Grousset : Hist. des Crois. V. 2. p. 875

جالهران (٤٣٨) ، الذى تسميه المصادر العربية قران (٤٣٩) أو كاليام (٤٤٠) وتشير إليه بأنه « كان من شياطين الكفار (٤٤١) » وكان ان وضع بلك جوسلين « فى جلد جمل وخط عليه وطلب منه أن يسلم الرها فلم يفعل وبذل فى فداء نفسه أموالا جزية وأسرى كثيرة فلم يقبلها بلك (٤٤٢) » وهذا يورد لنا ابن العديم رد جوسلين على بلك عندما عرض عليه فداء نفسه بتسليم الرها قال : « نحن والبلاد كالجمال والحج ، سى عقر بعير حول رحله الى آخر ، والذى بأيدينا قد صار بيد غيرنا (٤٤٣) » .

وعندما لم تجد مفاوضات بلك معه اخذه مع ابن خنثه وحبسهما فى قلعة خربت (٤٤٤) وذلك فى ١٣ سبتمبر ١١٢٢م (٤٤٥) .

Michel : Op. Cit., p. 210, William : Op. Cit., V. 1, p. 540, (٤٣٨)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418,

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 583, V. 2, p. 875.

(٤٣٩) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٠٦ ، الطباخ الطبى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٤٤ .

(٤٤٠) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط د ٢ ص ٤٨ (ب) ، أبو الفدا : د ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردي : د ٢ ص ٢٨ . ويسميه ابن خلدون العبر : د ٥ ص ١٩٨ (كلام) .

(٤٤١) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٠٤ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٢ ص ٤٨ (ب) .

(٤٤٢) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢١٦ ، أبو الفدا المختصر ، د ٢ ص ٢٣٥ . ابن الوردي : تنمة المختصر ، د ٢ ص ٢٨ ، كرد على : خطط الشام ، د ١ ص ٣٠٢ .

(٤٤٣) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٠٦ . والحج هو الحمل يشد على البعير .

(٤٤٤)

Mathieu : Op. Cit., p. 132, Grousset . Hist. des Crois., V. 1, p. 584

(عن متى الرهاوى) ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ١٨٨ . أبو الفدا المختصر ، د ٢ ص ٢٣٥ ، ابن الوردي : تنمة المختصر ، د ٢ ص ٢٨ ، كرد على : خطط الشام ، د ١ ص ٣٠٢ .

Grousset . Ibid, V. 1, p. 584, Archer : Op. Cit. p. 1٩2. (٤٤٥)

وهكذا أصبحت إمارة الرها مرة أخرى دون أمير يرعى شئونها ،
وهي الإمارة الأكثر تعرضا للخطر من غيرها من الإمارات الصليبية
في الشرق ، مما جعل الملك بلدوين الثاني ملك بيت المقدس يسارع بتعيين
جيوفري الراهب Geoffrey The Monk (١١٦٦) أمير مرعش ورعسان
وكيسوم أميرا على الرها (١١٧٧) وقد وصف منى الرهاوى هذا الأمير بأنه
محارب مقدام لقي ورع (١١٨٨) وزاد من وقّع أسر جوسلين انه جاء في
وقت سمات أحوال الصليبيين في الشرق بعد مقتل روجر أمير انطاكية
قبل ذلك بثلاث سنوات (١١٩٠) في حين تدهورت أحوال حكومة بيت
القدس (١٢٠٠) بل أن الملك بلدوين الثاني ملك بيت المقدس لم يلبث أن
وقع أسيرا هو الآخر في قبضة ملك في العام التالي ١١٢٣م (١٢٠٧)
وكان ذلك عندما توجه الملك بلدوين الى قلعة كركر (١٢٠١) لانتقامها
من حصار ملك بن بهرام فدارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة بلدوين
واسره ومعه جماعة من أعيان فرسانه ، وسيق الى قلعة خربتيرت
مقيدا في الأغلال (١٢٠٢) .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418, Grousset : L'Empire, p.300 (١١٦٦)
(L'Anonyme), Hist. des Crois. V. 2, p. 875 عن (Fulcher).

Michel : Op. Cit., p. 211. (١١٧٧)

Mattieu : Op. Cit., p. 134. (١١٨٨)

Balduni III : Hist. Nicaena Vel Antiochena Cap LXXVI, (١١٩٦)
(R.H.C.) Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 184.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584. (١٢٠٠)

Grousset : Ibid., V. 2, p. 875 عن (L'Anonyme) (١٢٠١)

هنا يذكر أن كركر كان

يحكمها ميخائيل بن قنسطنطين الأرمني فتخلّى عنها تلقائيا لبلدوين الثاني
وتلقى بدلا منها دلوک . ويذكر جروسية رأيا آخر عن ميخائيل السرياني
يذكر فيه « أن ميخائيل ابن قنسطنطين حاكم كركر تحالف مع الفرنج
وعرض عليهم التنازل عن مدينته خوفا من ملك الذي كانت غزواته
لا تنتهي على إقليم ملطية لذا توجه ملك الى كركر بحملة تاديبية في يناير
١١٢٣م ، حيث كان جوسلين في ذلك الوقت للمرة الأولى بعيدا عن بلاده .
(Michel). Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 587.

(١٢٠٢) ابن العديم : زبدة الصلب ، د ٢ ، ص ٢١٠ — ٢١١ ،

ابن الفرات : مخطوط د ٢ ص ٧٦ (ب) ، ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ،
ص ٣١٣ ، العيني : عقد الجمان ، د ١٥ ، ص ٨٢٣ — ٨٢٤ .

Mattieu : Op. Cit., p. 133, Michel : Op. Cit., p.p. 210-211.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 58,

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 587, Archer : Op. Cit., p. 162

وهكذا أصبح وضع الصليبيين في بلاد الشام ١١٢٣م شائكا للغاية .
 فبعد أسر الملك بلدوين الثاني أصبحت مملكة القدس وإسارتى
 الرها وانطاكية محرومة جميعا من رؤسائها . أما الإمارة الرابعة وهى
 طرابلس فكان يحكمها بونز Pons مما جعل لها زعامة مؤقتة على بقية
 الإمارات (٥٣) .

ولم تمض فترة قصيرة على أسرى خربتوت حتى بدأت الجهود تتكلم
 لتخليصهم من السجن . وفى هذا المجال تتعدد الروايات والأخبار عن
 كيفية تخليصهم (٥٤) .

والواقع أن أرمن الرها كان لهم دورهم فى تخليص سيدهم جوسلين
 من أسره لأنهم غدوا بعد أسره فى حزن عميق (٥٥) ذلك أن جوسلين
 كان محبوبا جدا من رعاياه الأرمن (٥٦) بسبب حبه هو الآخر
 الشديد لهم (٥٧) . بل أن حب الأرمن لجوسلين تعدى حدود الرها
 نفسها الى خربتوت بمن فيها من الأرمن (٥٨) . لذا قرر رعايا جوسلين
 الأرمن أن يبنلوا كل ما فى وسعهم لاتقاذ حرية سيدهم (٥٩) . فتنكر
 خمسون رجلا من نوى الشجاعة والحنكة فى زى رهبان وتجار ومتسولين

Grousset : L'Epopée : p.p. 120 — 121. (٥٣)

(٥٤) تفكر المصادر العربية أن تخليص الأسرى كان عن طريق
 مصائنه حراسهم وباستخدام الحيلة (ابن المديم : زبدة الطلب ، د ٢
 ص ٢١٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب : ص ٢١٨ ، ابن الفرات : مخطوط
 د ٢ ص ٧٦ ب) ، ٧٧ (١) تاريخ أبو الهيجاء ، د ١ مخطوط حوادث
 ٥١٧ هـ) . أما ميخائيل السريانى فيقول أن ذلك كان عن طريق بعض عمال
 قلعة خربتوت (Michel : Op. Cit., p. 211)

أما متى الرهاوى فيقول أن ذلك كان بمساعدة خمسة عشر من أهل
 بهسنى (Mattieu : Op. Cit., p.134)
 لها جروسية عن مصدر سريانى فيقول أنه كان عن طريق عشرين
 شخصا من أهل كيسيون

(L'Anonyme) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876

Zoé : Op. Cit., p. 297. (٥٥)

Grousset : L'Empire, p. 300. عن (Fulcher) (٥٦)

Archer : Op. Cit., p. 162. (٥٧)

Zoé : Op. Cit., p. 297. (٥٨)

Archer : Op. Cit., p. 162. (٥٩)

واخفوا أسلحتهم تحت ثيابهم وتوجهوا الى خربت (٤٦٠) . وتختلف الآراء بين المراجع الإفرنجية حول ما تم في خربت ، فالبعض يشير الى أنهم تضامنوا مع بعض العمال الذين كانوا يعملون داخل القلعة (٤٦١) وربما يقترب هذا الرأي من رأى ميخائيل السرياني . والبعض يذكر « لهم هربوا الى داخل المدينة واحدا اثر الآخر ، بحذر شديد ، ومنها الى أسوار القلعة . هناك وجدوا حارس القلعة غافلا يتلهى يلعب للشطرنج مع خصمه الذى كان صديقا للأنصارين (٤٦٢) » .

وكان ان املاك الملك الصليبي ورفائه القلعة ورفعوا علمها مسيحيا على اعلى مكان فيها (٤٦٣) . وتم ذلك في ربيع الأول ٥١٧هـ مايو ١١٢٣م ، وعلى اثر سماع ما حدث هرب قادة المسلمين الموجودين في البلد (٤٦٤) . اما الملك ورفاقه فقد استولوا على كل ما لنور الدولة بك في القلعة وكان شيئا كثيرا ، وعندئذ اشار عليهم جوسلين بأخذ ما في المكان وتركه فقال « كناقد اشرفنا على الهلاك ، والآن فقد خلاصنا ، والصواب ان نضى ونحمل ما قدرنا عليه . فما سمحت نفس بغدوين بترك الحصن والخروج منه (٤٦٥) » . ومعنى هذا ان الملك بلدوين ظل في القلعة بعد استيلائه عليها . في حين تشير بعض المصادر الاسلامية الى ان بلدوين هرب هو وجوسلين (٤٦٦) بينما يذكر البعض الآخر ان الملك هرب بمفرده (٤٦٧) . ويبدو ان الفرنج صهروا على الصمود

(٤٦٠) عن Zoé : Op. Cit., p. 297, Grousset : L'Empire, p. 300. (Fulcher)

(٤٦١) Zoé : Op. Cit., p. 297.

(٤٦٢) Archer : Op. Cit., p. 162.

(٤٦٣) Archer : Ibid., p. 163.

(٤٦٥) Mattieu : Op. Cit., p. 134.

(٤٦٤) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباق الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٤٩ .

(٤٦٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٢ مخطوط ، ص ٧٧ (١) ، سبط بن الجوزي مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ، ص ١١١ .

(٤٦٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٣ ، المعينى : عقد الجبان ، د ١٥ م ٤ مخطوط ص ٨٢٤ .

بخرتبرت حتى تصل المساعدة من انطاكية او بيت المقدس (٤٦٨) .
ولتفق رايمه على خروج جوسلين وحلفوه « على انه لا يغير ثيابه ولا ياكل
نحما ولا يشرب الا وقت القران الى ان يجمع جموع الفرنج ويصل
بهم الى خرتبرت ومخلصهم (٤٦٩) .

وبالفعل غادر جوسلين المكان في فجر ٦ أغسطس (٤٧٠) مصحوبا
بحاشية من المشاه مكونة من ثلاثة من الخدم « وغلب عليه حينئذ
الخوف اكثر من الشجاعة (٤٧١) » واتجه الى كيسوم ومنها الى انطاكية
ايجمع القوات ويجهل النجدة للملك ورفاقه الاسرى (٤٧٢) وأرشدته في
الوصول الى الرهنا فلاح ارمنى (٤٧٣) .

لما بك فكان بحلب عندما سمع بما حدث في خرتبرت ، فأتى مسرعا
عقب رحيل جوسلين (٤٧٤) وحاصر القلعة بقسوة ، ولغم رجاله الأسوار

Archer : Op. Cit., p. 163 (٤٦٨)
(٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب د ٢ ، ص ٢١٣ ، الطباق الحلبى :
اعلام النبلاء د ١ ص ٤٤٩ .

Michel : Op. Cit., p. 211.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420. (٤٧٠)
Fulcheri Carnotensis : Historie... Hist. Occid. T. 3, (٤٧١)
p. 455
رهنما يذكر اولنبرج ان الحاشية كانت عبارة عن ثلاثة من
الارمن من البلاد وان جوسلين خرج متنكرا في زي متمسول يموت من
الجوع والمطش (Zoé : Op. Cit., p. 298)

Mattieu : Op. Cit., p. 134. (٤٧٢)
Fulcheri Carnotensis : Historia: Hist. Occid: T. 3, p. 456, (٤٧٣)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419, Zoé : Op. Cit., p. 298,
Archer : Op. Cit., p. 163, Grousset : Hist. des Crois.,
V. 1, p. 592.

Michel : Op. Cit., p. 211, William : Op. Cit., V.1, p. 543 (٧٤)
هنا يضيف فولشر ووليم الصورى أن بك انزعج في تلك الليلة برؤية
مرعبة ، فقد رأى في منامه أن الأمير جوسلين يفقده بصره بواسطة
يديه إذا قام مذمورا وأرسل رسلا عند طلوع النهار الى القلعة
لقتل جوسلين حتى لا يقتل هو بيديه ، لكن قبل أن يصل الرسل كان
جوسلين قد هرب ، وكانت القلعة قد سقطت بالفعل ، فتراجعوا بسرعة .
وأخبروا سيدهم بما حدث . فاستدعى الأمير في الحال القوات من كل
مكان وأسرع الى هناك .

(Fulcheri : Ibid., p. 455, William : Ibid., p. 543.

وقلبوا البرج الأكبر بعد أن فشلت محاولات أخذ القلعة بأسلوب المناوش مع الملك (٤٧٥) . بل قيل أنه نصب عليها أربعة منجنيقات فانهارت الجدران (٤٧٦) . أما المصدر العربي فيذكر « أن بك فتوح خربتت بالسيف ثالث وعشرين من رجب وقتل كل من كان بها من أصحابه الذين كفروا نعمته ومن كان فيها من الفرنج ولم يستبق سوى يقدوين الملك وقران وابن اخت يقدوين وسيرهم الى حران وحبسهم بها (٤٧٧) » .

هكذا استطاع بك أن يسيطر من جديد على خربتت (٤٧٨) وبينما كان جوسلين يتقدم لنجدتهم ومعه جيوفري الراهب على رأس جيش فرنجي « سمعوا بذلك الحوادث المشؤم فتوقفوا في حزن بالغ وعادوا بقنوب دامية كل الى جهته (٤٧٩) » ويحكى ابن العديم الكثير عن أعمال الانتقام التي قام بها جوسلين ضد مسلمي حلب بالذات (٤٨٠) ، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في فصل العلاقات مع المسلمين .

ثم ان جوسلين لم يهدأ مرة أخرى في صراعه ضد المسلمين بل ان الفرنج استطاعوا تحت قيادته أن يصلوا في ١١٢٨ - ١١٢٩ م (٥٢٣ -

(٤٧٥)

Mattieu : op. cit., p. 134 - 135, William : Op. Cit., V. 1, p. 543.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

Michel : Op. Cit., p. 211 (٤٧٦)

ويذكر ميخائيل هنا أن عدد من قتلوا

كان حوالى سبعين رجلا ، أما متى الرهاوى فيذكر ان الأمير بلك أباد كل أسرى الصليبيين الموجودين بالمكان وكانوا حوالى خمسة وستون شخصا
Mattieu : p. 135.

(٤٧٧) ابن العديم : زبدة الخلب ، د ٢ ص ٢١٣ ، الطباخ الحلبي :
اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٥٠ .

(٤٧٨) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ١١٢ ، تاريخ
أبو البيهقاء ، د ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ . هنا
قال أن ذلك كان في ١٦ سبتمبر

(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420).

Mattieu : Op. Cit., p. 135, Fulcherli : Op. Cit., Hist Occid (٤٧٩)
T. 3, p. 456.

(٤٨٠) ابن العديم : زبدة الخلب ، د ٢ ص ٢١٤ - ٢١٦ .

(٥٢٤هـ) الى آمد ونصيبين ورأس العين (٤٨١) .

وهكذا استمر جوسلين امير الرها يقاتل المسلمين في شجاعة
لا تعرف الياس حتى كانت وفاته في دلك سنة ١١٣١م (٤٨٢) (٥٢٦هـ)، كما
سفرى في الفصل الخاص عن علاقة الرها بالمسلمين .

جوسلين الثانى : ١١٣١ - ١١٤٤ - ١١٤٦م (٥٢٦ - ٥٢٩ - ٥٣١هـ)
• (٥٤١هـ) .

كان جوسلين الثانى من ام ارمينية هى اخت ليون الارمنى (٤٨٣)
المسابقة الذكر . ومعنى ذلك انه كان من امراء الفرنج الذين ولدوا في
الشرق . وقد اتصف جوسلين الثانى بالبراعة الحربية ، مع حب اللهو
والاسراف في الشراب (٤٨٤) .

تزوج جوسلين الثانى من بياتريس ، لرملة وليم حاكم صهيون بالقرب
من اللاذقية (٤٨٥) . واتجب منها ولدا هو جوسلين الثالث وبنيتن : الأولى
هى آجنى Agnes التى تزوجت فيها بعد رينو Renaud
حاكم مرعش ثم من بعده غيورى امير ياقسا الذى اصبح ملك القدس .

(٤٨١) (Bar Hebraeus) عن Grousset : L'Empire, p. 300
وآمد بلد قديم حصين على نشز حطة . فتحت سنة عشرين من الهجرة
وسار اليها عيسى بن قثم بعد ما افتتح الجزيرة (ياقوت : د ١
ص ٥٦) و نصيبين مدينة بالجزيرة ايضا (ياقوت : د ١٩ ، ص ٢٨٨)
اما رأس العين فهى مدينة من مدن الجزيرة بين جران ونصيبين ودينسر ،
وفى رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصيرنهر
الخابور (ياقوت : معجم البلدان ، د ٩ ص ١٤) .

(٤٨٢) Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 878.

(٤٨٣) William : Op. Cit., V. 2, p: 52. Iorga - Breve Hist. des
Crois., p. 87.

(٤٨٤) William : fbid., V. 2, p. 53.

(٤٨٥) Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 8.

والثانية - وهي الصفري - (٤٨٦) .

وكان جوسلين محبوبا من رعاياه ، وهو حب ورثه عن والده فضلا عن
ان ابيه كانت ارمنيية. (٤٨٧) . ولكن جوسلين كان دون شك اقل
من والده بكثير في المقدرة الحربية والشجاعة (٤٨٨) .

والواقع ان اماره الرها كتبت عندئذ في حاجة الى محارب فذ من طراز
والده جوسلين الاول . ولكن شاعت الظروف الا يخلف ذلك الامير القوى
على عرش امارته المعرضة للخطر الا ابنه المتهلون في شئون امارته ،
وهو امر ائساد منه المسلمون .

ذلك ان تهلون جوسلين الثاني ادى الى ضياع الاراضى والممتلكات
التي اجهد والده نفسه في الحفاظ عليها والدفاع عنها (٤٨٩) ، فهجرت
مدينة الرها وانسحب ليقوم في تل باشر ، مثلما فعل والده ، ولكن
على العكس منه ، اقام اقامة مترفة على شواطئ الفرات ،
وهناك استسلم كلية لميوله المنحرفة واهمل تقوية الجيوش وتحصينات
المواقع ، ونسى العناية بالحكومة امام تهديد المسلمين (٤٩٠) .

وهذا هو ما اشار اليه تبرسيس في قصيدته عن رثاء الرها .
فهو عندما يشير الى ان زنكى هاجم المدينة اثناء غياب جوسلين
الثاني منها يقول (٤٩١) :

(يعنى زنكى)

اختبأ في الحقول
ثم اجهز على على حين غرة

William : Op. Cit., V. 2, p. 53, Grousset : Ibid, p. 8. (٤٨٦)

Zoé : Op. Cit., p. 399. (٤٨٧)

Zoé : Ibid., p. 292. (٤٨٨)

William : Op. Cit., V. 2, p. 53. (٤٨٩)

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 102. (٤٩٠)

Nersès : Op. Cit. (R.H.C.) Doc. Arm. T. 1, p. 246. (٤٩١)

الابيلت من ٦٢٤ - ٦٣٠

في ساعة لا انتظرها
اذ انه ما ان تحقق ويتقن
من غيايب رجالى وحماتى
حتى حاصرنى من كل جانب
وهاجبنى بقواته

والواقع ان تلك الظروف ، الى جانب ظروف اخرى — سنذكرها
فيها بعد عند الكلام بالتفصيل عن عماد الدين زنكى والرها —
شجعت عماد الدين زنكى على التوجه الى الرها ١١٤٤م (٥٣٩ هـ)
وانتزعها من الفرنج . حقيقة انهم استعادوها بعد وفاته ١١٤٦م ، ولكن
ذلك كان لفترة قصيرة الى ان استرجعها منهم ابنه نور الدين فى نفس
السنة . والواقع ان الكلام عن سقوط امارة الرها يعتبر من ابرز
الموضوعات التى يمكن بحثها فى عهد جوسلين الثانى .

وباعطاء فكرة من جوسلين الثانى وعهده تكن صورة الوضع
الداخلى للامارة قد اتضحت ، وسوف نتضح معالمها اكثر بالكلام عن
العلاقات الخارجية للامارة سواء مع المسلمين او المصليبيين او مع
الارمن او البيزنطيين ، وهو ما سنتعرض له بالدراسة فى الباب الثانى
من بحثنا هذا . ولكن قبل ان ننتقل من هذا الباب الى ما يليه ،
يجدر بنا ان نوضح نقطة هامة ربما تتردد على السنة المتسائلين وهى :

مدى الانجازات المعمارية بوجه خاص والحضارية بوجه عام
لامارة الرها الصليبية ؟ الحقيقة اننا لم نعثر فى اى مصدر من المصادر
التي رجعنا اليها على مجرد اشارة عابرة عن اى نوع من المنشآت
التي خلفها الصليبيون فى الرها ، وربما نجد تفسيراً لذلك فى ان
الفترة التي عاشتها الامارة كانت اقصر من غيرها من الإمارات الاخرى
فى الشرق ، فهى لم تعش اكثر من نصف قرن تقريبا ، قضى حكامها —
اذا استثنينا جوسلين الثانى — معظمها فى صراع مستمر مع جيرانهم
المتعديين . لذا لم تكن هناك اية فرصة للشعور بالاستقرار والطبائنة
بسبب موقع الامارة المعرض للخطر كما راينا . والمعروف ان النشاط
الحضارى لا يند له من سياق من الاستقرار والامن ، وهو ما لم يتوافر
لذلك الامارة القصيرة العمر .

الباب الثاني

علاقة إمارة الرها الصليبية بجيرانها

- أ - علاقتها بالقوى الإسلامية المحيطة بها .
 - ب - علاقتها بالإمارات الصليبية في بلاد الشام .
 - ج - علاقتها بالأرمن خارجها .
 - د - علاقتها بالدولة البيزنطية .
- أولا : علاقتها بالقوى الإسلامية المحيطة بها :

من الواضح أن موقع إمارة الرها وسط إقليم الجزيرة ، جعل منها قلعة مسيحية وسط محيط إسلامي كبير ، أحاط بها من جميع النواحي والجهات . ولا شك في أن هذه الحقيقة تعنى أن إمارة الرها الصليبية كانت أكثر تعرضاً من غيرها لضغط القوى الإسلامية عليها ، مما جعلها تعيش حتى سقوطها قرابة منتصف القرن الثاني عشر الميلادي في صراع مستمر مع جيرانها المسلمين .

لما من تلك القوى الإسلامية التي أحاطت بإمارة الرها ودخلت معها في صراع طويل ، ناولها سلاجقة فارس الذين سيطروا على العراق والخلافة العباسية في بغداد .

والى جانب تلك القوة الإسلامية الكبرى وجد بالعراق مركز آخر من مراكز القوى الإسلامية ممثلاً في بني مزيد أمراء الحلة (١) . وهؤلاء لعبوا دوراً هاماً - وخاصة أميرهم دبيس بن صدقة - في معاودة الفرنج كما سنرى فيما بعد . وإلى الغرب من نهر الفرات وجد فرع آخر من السلاجقة ، هم سلاجقة الروم أو سلاطين قونية (٢) . أما في الشمال الغربي من الرها ، فقد وجد مركز آخر للترك المسلمين ممثلاً في بني دانشمند الذين استقروا في شرق آسيا الصغرى (٣) .

(١) الحلة مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد وكانت تسمى الجامعين (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٣٢ - طهران ١٩٦٥ ، منشورات مكتبة الأسد رقم ٧) .

(٢) Michel : Op. Cit., p. 232, William : Op. Cit. V. 2, p. 200.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372.

(٣)

فاذا اضفنا الى هؤلاء جميعا الارائقة او بنى ارتق وهم زعماء مجبوعة هابة من التركمان اتحدوا مع السلاجقة في غزوهم لبلاد الشام (٤) ونجحوا في الاستقرار بالقدس قبيل قدوم الصليبيين ، لولا أن الفاطميين نجحوا في استرداد القدس منهم مما جعل زعيمهم ايلغازى يسير الى بغداد في حين اتجه اخوه سقمان الى الرها ثم ملك حصن كيفا وماردين ونصيبين (٥) . . . ادركنا أن اشارة الرها الصليبية كانت محاطة فعلا بمجموعة قوية من جيرانها المسلمين .

اما عن علاقة الرها بسلاجقة فارس ، فبيدو أن محور هذه العلاقة كان اتابكية الموصل التي كانت تتبع سلطنة السلاجقة وبالتالي فقد عهد اليها سلاطين السلاجقة بمواصلة سياسة النهاد باسمهم ضد الصليبيين في اقليم الجزيرة فضلا عن بلاد الشام . وقد سبق أن اشرنا الى انه ما كاد الصليبيون يحاصرون انطاكية غداة وصولهم الى بلاد الشام ١٠٩٧م — (٤٩١) هـ (٦) حتى خرج كربوغا اتابك الموصل (٧) على رأس حملة كبيرة لتخليص انطاكية من الحصار الصليبي . وفي طريقه من الموصل الى انطاكية مر كربوغا بالرها في مايو ١٠٩٨م (٨) . (٤٩٢) هـ ، فشرع في حصارها بهدف استردادها من الصليبيين وطردهم وزعيمهم بلدوين منها (٩) . ويبدو أن كربوغا أرسل مقدما الى الرها

Setton : Ibid., V. 1, p. 451.

(٤)

(٥) القرماني : اخبار الدول ، ص ٢٧٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ٨ د ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .

(٧) كان كربوغا قد سجن في حمص بواسطة تاج الدولة تنش اثناء

الصراع بينه وبين بركياروق وكان كربوغا من الناصرين لبركياروق ، فلما قتل تاج الدولة ٤٨٩هـ خلص الأمير كربوغا من السجن وتوجه الى حران فملكها . ثم صار الى نصيبين فملكها أيضا وذلك في ذى القعدة من هذه السنة وكان بها على بن شرف الدولة العقيلي . الذي استنابه بها تنش بن الب ارسلان . فلما ضاق الأمر على عى هرب من الموصل الى صدقة بن مزيد بالحلة . ثم سار كربوغا نحو ماردين فملكها أيضا (الباهر : ص ١٥ — ١٦ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٢ ص ٢٠٨) .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 316.

(٨)

Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV ; T. 4, p. 396. (٩)

بعض القوات للقيام بتلك المهمة وهو الأمر الذي يفهم مما ذكره البرت (١٠) .

على أنه يبدو أن فريقا من جيش كربوغا لم يكن متفقا معه نهائيا في فكرة حصاره للرها (١١) . ولكن كربوغا — على قول وليم الصوري — « صمم عندئذ قبل عبور الفرات ، أن يهاجم الرها وأن يأخذها بالقوة (١٢) » . وبمجرد أن تلقى بلدوين البولوني انذارا بتقدم كربوغا جمع رجاله من كافة المناطق المحيطة بالرها لمساعدته ، واختزن في المدينة كميات كبيرة من الطعام والسلاح ، استعدادا لحصار طويل ، ولم يبد تائرا لتهديدات كربوغا (١٣) . ولكن يبدو أن الأمر كان أصعب مما تصور كربوغا ، فقد ظل أمام الرها حوالي ثلاثة أسابيع دون أن يحقق غرضه (١٤) . وعندئذ نصحه بعض أعوانه بأن يتخلى عن تلك المحاولة ويستأنف طريقه إلى أنطاكية ، على أن يعودوا إلى الرها لحصارها وتآديب صاحبها بلدوين بعد الفراغ من الاستيلاء على أنطاكية (١٥) . وفعلًا ترك كربوغا الرها وأسرع إلى أنطاكية لمساعدة صاحبها (١٦) ياغي سيان .

وعندما عبر كربوغا الفرات اتصل بدقاق بن تنش وطفتكين اتابك وجنّاح الدولة صاحب حمص وأرسلان تاش صاحب سنجار وغيرهم من زعماء المسلمين واتجه الجميع قاصدين أنطاكية (١٧) . ومن

Alberti : Ibid., p. 397. (١٠)

Alberti : Ibid., p. 397. (١١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 245. (١٢)

William : Ibid., V. 1, p.p. 245 - 246. (١٣)

Gesta Francorum : Op. Cit., Hist. Occid. T. 3, p. 500, (١٤)

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345,

William : Ibid., V. 1, p. 246.

(يذكر وليم أنها من ٤ إلى ٢٥ مايو)

Zoé : Op. Cit., p. 124, Runciman :

Op. Cit., V. 1, p. 210 من (Fulcher, Matthew).

Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IV, T. 4, p. 397, (١٥)

William : Ibid., V. 1, p. 246.

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 345. (١٦)

(١٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ١٨٧ .

الواضح أن اخلاق كربوغا أمامها أدى إلى « رفع مكافئ بلديون ، كما أن الصليبيين أمام انطاكية أنادوا من الوقت الذي أضاعه كربوغا أمام الرها (١٨) » . ويؤيد وليم الصوري هذا الرأي فيشير إلى أن التأخير من جانب جيش المسلمين أمام الرها اتقذ الصليبيين أمام انطاكية لأنه لو كان كربوغا قد سار مباشرة إلى انطاكية قبل وقوعها في قبضة المسيحيين ، لوقع الصليبيون في مأزق (١٩) .

أما (الجستا) فتشير إلى أن بلديون تعمد تعميق كربوغا وجيشه أمام الرها رغبة منه في مساعدة اخوانه الصليبيين أمام انطاكية (٢٠) . ومما يكن من أمر ، فإن كربوغا لم يتسدر له أن يصبح مصدر خطر على الرها بعد فشل أمام الصليبيين في الشام . وقد خلف كربوغا في حكم الموصل الأمير جكرمش (٢١) . الذي رأينا انتصاره على الصليبيين في موقعه حران ١١٠٤م (٤٩٧هـ) مما أثر على الرها تأثيرا شديدا خاصة بعد أسر أميرها بلديون دى بوج وجوسلين دى كورتناى أخضر أموانه . هذا إلى أن جكرمش لم يكتف بأسر بلديون بل أسرع إلى الرها وحاصرها ولكنه أخفق في الاستيلاء عليها بسبب بمسألة تكريد في الدفاع عنها وصمود سكانها الأرمن (٢٢) ، لذا عاد جكرمش إلى الموصل بأسيره بلديون (٢٣) .

ويسدو أن جكرمش صمم على أن ينتقم من هزيمته هو وقواته أمام أسوار الرها ١١٠٤م فمضد إلى الرها ١١٠٥م (٤٩٩هـ) على رأس

(٢١) (Fulcher, Matthew) من Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 210
(١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 246.
(٢٠) Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 500.

(٢١) كان بينها لفترة قصيرة موسى التركمانى الذى كان نائباً عن كربوغا بحسن كيفاً ، فلما مات كربوغا كاتبه أعيان الموصل ليسلموا إليه البلاد فسار إليها وقتل سنقرجة الذى عهد إليه كربوغا بالموصل عند وفاته وتسلم البلد وقد قتل موسى في نفس السنة (٤٩٤هـ) ابن الأثير : الباهر ص ١٦ .

(٢٢) Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX, T. 4, p. 616.
(Alberti) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408
(٢٣) ابن الأثير : الكامل ، ص ٨ ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون : المعبر ، ص ٥ ، ص ٣٣ .

قواته ، ووصل الى المدينة وقت الحصاد (٢٤) . وكثت اوضاع
الرها قد تبدلت في ذلك الوقت اثناء أسر بلدوين دى بورج بسبب
المظالم التي اتزله ريتشارد دى سالرنو باهالى المدينة ، مما اتاح ظروفها
مناسبة لجكرمش وجيوشه .

فك ان ريتشارد اندفع على رأس قواته المشاة ، ليشتبك مع
جكرمش ، ولكن قوات الأخير كانت على قدر أكبر من التدريب فأوقعت
برجال ريتشارد والقت بهم داخل الضائق المحيطة بالبلد . وخسر
المسيحيون في تلك الموقعة أربعة وخمسين رجلا (٢٥) . وبذلك
انضمت تلك الحملة التركية الإسلامية بزعامة جكرمش صاحب الموصل ،
جرها جديدا الى جرح العام السابق في الرها .

وجدير بالذكر ان المؤرخ وليم الصورى انفرد بالاشارة الى حملة قام
بها الأتراك السلاجقة اثناء أسر بلدوين وجوسلين . وفي الفترة التي
حكم فيها ريتشارد دى سالرنو . ودراسة هذا النص (٢٦) . الذي
ذكره وليم الصورى نجد هناك تشابها بين أحداث تلك الحملة وبين حملة
مودود على الرها ١١١٠م - ٥٠٤هـ ، على أنه لا يمكن أن نتصور أن وليم
يقصد هنا حملة مودود لأن هذه الحملة كما سنرى فيها بعد كانت
قد تمت بعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج وجوسلين ، ولم تكن في فترة
وصاية تنكريد على الرها ، وإنما حدثت في وقت استحكم فيه الخلاف بين
كل من بلدوين وتنكريد ، حتى أن تنكريد لم يحضر لمساعدة الرها ضد
حملة مودود هذه الا تحت ضغط ملك القدس سيده الأعلى . وحقيقة
هذه الحملة التي اشار اليها وليم الصورى أمر يحيطه الغموض .

ومهما يكن من أمر ، فقد امثلك الموصل بعد جكرمش ، جاولى سقان
الذى حكمها من ٥٠٠ - ٥٠٢هـ (١١٠٦ - ١١٠٨م) وهو الذى عصى
السلطان محمد كما اشرنا ، كما اطلق سراح بلدوين دى بورج ، وبعد أن
تم اتفاق بين الجانبين بأن ينجد كل منهما الآخر وبأن يطلق بلدوين من لحيه
من أسرى المسلمين « فسلم القمص الى سنقرادار صاحب جاولى ماله

Mattieu : Op. Cit., p. 79, Grousset : Hist. des Crois., (٢٤)

V. 1, p. 437 (Mattieu) عن

Mattieu : Ibid., p. 79, Grousset : Ibid., p.p. 437 - 438. (٢٥)

Willham : Op. Cit., V. 1, p.p. 472 - 473. (٢٦) .

ومستين أسيرا من المسلمين بعد أن كساهم جميعهم ، وكان هذا من عجب الأشياء (٢٧) . «

كذلك اتضح هذا التعاون بين الجانبين سنة ١١٠٨/٥٠٢م عندما لبي جاولى نداء بلدوين دى بورج وجوسلين وساعدهما في هجومهما على تنكريد أمير أنطاكية (٢٨) . وعلى مدى هذا العداء بين أمراء الصليبيين كان تنكريد ينتهز فرصة أسر بلدوين وجوسلين وانتزع أجزاء من أراضيهم ورفض رد تلك الأراضي بعد إطلاق سراحهما (٢٩) .

ويشير ابن العديم إلى هذا الحدث فيقول أنه « في ٥٠١ هـ أو ٥٠٢ هـ اجتمع جاولى سقاوه وجوسلين الفرنجي على حرب تنكريد صاحب أنطاكية واستنجد تنكريد برضوان فأمدّه بمسكر حلب والتقوا فقتل من الفرنج جماعة (٣٠) » .

لكن ما نحب أن نشير إليه هو أنه إذا كان الخلاف بين بلدوين وجوسلين من ناحية وتنكريد من ناحية أخرى من أجل استرجاع أراضي إمارة الرها لصاحبها الشرعي بلدوين بعد إطلاق سراحه كان من الأسباب التي دفعت بلدوين إلى أن يمد يده لجاولى ، فإن جاولى من ناحية أخرى مد يده لبلدوين لأنه بعد طرده من الموصل بواسطة مودود — كما سبق أن أشرنا — كان يطمح في تكوين إمارة لنفسه ، أن لم يكن في الجزيرة فليكن في حلب على حساب رضوان من ذلك ما ذكره ابن الفرات من أن جاولى صمم العبور إلى الشام والاستيلاء على حلب بعد مهاجمة رضوان للجماعة الرهوية التي كانت تحمل مال الفداء الخاص ببلدوين دى بورج (٣١) .

وكان جاولى قد استولى بالفعل ٥٠٢ هـ سبتمبر ١١٠٨م على مدينة بالس وهي من أعمال حلب (٣٢) . وانتزعاها من أصحاب رضوان بن

(٢٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك د ١ مخطوط ص ٢٢ (ب) ،
العيني : عقد الجمان د ٣ م ٦٣٨ .
Mattieu : Op. Cit., p. 86.
(٢٨)
Mattieu : Ibid., p. 86.
(٢٩)

(٣٠) ابن العديم : زبدة الطلب : د ٢ ، ص ١٥٣ .
(٣١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ ص ٢٤ (ب) ، ٢٥ (أ) .
(٣٢) العيني : عقد الجمان ، د ٣ م ٦٤٠ .
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,

عش و قتل جماعة من أهلها (٣٣) . ولما تحقق الملك رضوان من هزم الأمير جاولى على قصده استنجد بتفكير أمير انطاكية وخوفه عاقبة استيلائه على حلب لأنه في هذه الحالة لن يكفى بتهديد انطاكية وحدها وإنما سيهدد الصليبيين جميعا بالشام « والصواب أن أكون أنا وأنت يداً واحدة عليه حتى نجليه من هذه الديار فاجابه طنكريد الى ذلك (٣٤) » . ولم يلبث أن خرج تنريد من انطاكية فأرسل اليه الملك رضوان بأحد أعوانه من الأتراك ومعه ستائة فارس (٣٥) .

ولما علم جاولى بذلك كاتب بلدوين صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته وذهب له بما بقي عليه من مال المفاداة الذي قرره عليه حين أطلقه من أسره فسار في عسكره ولحق بالأمير جاولى وهو بمنبج (٣٦) ويبعدوا أن بلدوين لم ينس أن جاولى أكرمه في الموصل (٣٧) .

وفي تلك الأثناء وصلت الأخبار الى جاولى بأن الموصل أخذت واستولى عليها مودود ، وبذلك ضاعت خزائنه وأمواله قتالاً لذلك (٣٨) . وبقي جاولى في الف فارس وانضم اليه خلق من المتطوعة ونزل على تل باشر والتجأ الى جوسلين (٣٩) .

ومن الواضح أن أحداث تلك الفترة تبدو مضطربة متداخلة في

وشعبد عاشور . الحركة ، د ١ ص ٤٥٣ . وبالس مدينة بالشام بين حلب والرقبة (ابن الأثير الباهر ص ١٨) .

(٣٣) ابن خلدون العبر ، د ٥ ص ٤٠ .

(٣٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ، د ٢٥ (١) ، المعنى : عقد الجمان ، د ١٥ ص ٣ ، ٦٤٠ ، الطباخ الحلبي . اعلام النبلاء د ١ ص ٤٠٢ ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٤٠ وهو يسمى تنكريد هنا (شكرى)

Michel : Op. Cit., p. 215,

(٣٥) ابن الفرات : مخطوط ، د ١ ص ٢٥ (١) - المعنى : د ٥٥

Grousset : L'Empire, p. 83. ص ٦٤٠ .

(٣٦) ابن الفرات : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن خلدون :

العبر ، د ٥ ص ٤٠ - ٤١ الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٠٣ .

Michel : Op. Cit., p. 215. (٣٧)

(٣٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ١ ،

ص ٢٥ (١) ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٤١ .

(٣٩) ابن الفرات : مخطوط ، د ١ ص ٢٥ (ب) ، ابن خلدون ، د ٥ ،

ص ٤١ ، الطباخ ، د ١ ص ٤٠٣ .

المصادر ، اذ يصعب التوفيق بين ما سبق أن ذكرنا من أن جاولى قد أخرج بالفعل من الموصل عندما هجر إلى الشام واستولى على بالس واستعان ببيلدوين مما يتعارض مع ما ذكرته بعض المصادر من أن أخير استيلاء موجود على الموصل بلغت جاولى وهو بالشام . ويبدو أن المقصود بذلك هو الاستيلاء الكامل على الموصل من قبل مودود بدليل ما ذكره ميخائيل السرياني من أن رجال جاولى كانوا متحصنين في القلعة (٤٠) . وأن زوجته كانت بالقلعة لتتولى أمر الدفاع عنها (٤١) .

وبذلك تكون حلفان كل منهما فرنجي إسلامي ، الأول ويضم جاولى وبلدوين دى بورج وجوسلين ، في حين يضم الثسائي تنكريد ورضوان حاكم حلب (٤٢) . وحديث الاشتباك بين الفريقين عند أطراف تل باشر حيث دارت معركة طاحنة بدأت بتفوق الفريق الأول ، ولكنها تحولت بسرعة إلى جانب تنكريد الذي نجح في أن ينزل هزيمة ساحقة بخصومه (٤٣) .

وبعد ذلك النصر العظيم عاد تنكريد إلى انطاكية (٤٤) ، في حين فر بلدوين هاربا واحتى بقلعة الراوندان (٤٥) ، وقيل بقلعة دلوك (٤٦) . أما جوسلين ففر إلى تل باشر حيث أصبح في مأمن (٤٧) . ولابن الفرات وصف شيق لتلك المعركة سنذكره عندما نتناول العلاقة

Michel : Op. Cit., p. 215. (٤٠)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394. (٤١)

(٤٢) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٣ .

Grousset : L'Epopée, p. 83.

(٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٥٣ ،

Mattieu : Op. Cit., p. 87

الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء د ١ ص ٤٠٣

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394,

Mattieu : Op. Cit., p. 87. (٤٤)

Mattieu : Ibid., p. 87, Cahen : Op. Cit., p. 250. (٤٥)

Alberti Aquensis : Historiae Liber X... T. 4, p. 649. (٤٦)

(Albert), Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 442

سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٣ عن

Zoé : Op. Cit., p. 240 (Albert)

Mattieu : Op. Cit., p. 87 (٤٧)

أما ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٢٥٥ فيذكر أن

التمس وجوسلين هربا إلى تل باشر (يذكر هذا أيضا ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ص ٤١ .

بأنطاكية . أما مسكر حلب فعاد إلى رضوان وتسلم بالس من أصحاب
جاولي (٤٨) .

ولم تلبث حركة الجهاد ضد الصليبيين أن دخلت على يد مودود
حاكم الموصل دورا جديدا ذلك أن السلطان محمد بن ملكشاه - ٤٩٩ -
٥١٢هـ / ١١٠٥م - ١١١٨م (٤٩) . الذي خلف أخاه بركياروق في حكم
سلاجقة فارس - استاء من تقدم الفرنج في الشام فعزم على تجهيز
جيش قوى ليشرع في حركة جهاد ضد الصليبيين (٥٠) .

وهكذا جمع السلطان محمد قواته في ديسمبر ١١٠٩م / ٥٠٣هـ وأرسل
إلى الأمير سكران القبطي أو سكران بن أرتق (٥١) . صاحب أرمينيا
وأخلاق وميافارقين ، والأمير شرف الدين مودود صاحب الموصل يأمرهما
بالسير في المعسكر إلى جهاد الفرنج وحماية بلاد الموصل (٥٢) .
وقد عهد السلطان بقيادة تلك الحملة إلى الأمير مودود أمير
الموصل (٥٣) .

وهكذا اجتمع جيش إسلامي كبير زاد عدده عن مائة ألف
مقاتل (٥٤) . تحت قيادة مودود ونزلت الجيوش الإسلامية على الرها
في شوال ٥٠٣هـ (٥٥) (مايو ١١١٠م) (٥٦) . وحاصروها . وهنا

-
- (٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٥٣ .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289. (٤٩)
Zoé : Op. Cit., p. 241. (٥٠)
(٥١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٦٩ . يسميه
كشاندون ، كشماني
Chalandon : Essai sur le Règne d'Alexis 1er., p. 251.
(٥٢) ابن القلائسي : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ، ج ٢
ص ١٥٤ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٦٩ ، تاريخ أبو الهيجاء ،
ج ١ مخطوط رقم ١٤٥ تاريخ حوادث ٥٠٣هـ .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset Hist. des (٥٣)
Crois. V. 1, p. 449.
Michel : Op. Cit., p. 196. (٥٤)
(٥٥) ابن القلائسي : الذيل ، ص ١٦٩ ، ابن العديم : الزبدة ،
Gibb : p. 101 ج ٢ ص ١٥٤
(٥٦) ابن القلائسي : نفس المصدر والصفحة .
Gibb : Ibid., p. 102.

بصور متى الرهاوى ضخامة ذلك الجيش بقوله « وصل مودود بجيشه انتشر حول المدينة وغطى بجنوده الجبل والتلال . كل الشرق كان مضطربا تحت أعلامه (٥٧) » .

وعندما احاط المسلمون بالمدينة منعوا الداخل والخارج بالمسير اليها ، مما اثر تأثيرا سلبا في المدينة فاشرف من بها على الهلاك وغلا بها السعر (٥٨) . وفي ذلك الوقت كان ملك القدس وأمير طرابلس يحاصران بيروت فأرسل اليهم الأمير بلدوين دى بورج الأمير جوسلين دى كورتناى يطلب التجدة السريعة (٥٩) .

وسرعان ما اتحد زعماء الصليبيين بالشام ، واجتمعت قوات بيت المقدس وطرابلس وانطاكية لحاربة المسلمين (٦٠) . وبعبارة أخرى « اتفق الفرنج كلهم وازالوا ما كان بينهم من الشخفاء فتصافى طنكريد ويغدوين وابن صنجيل بعد التفار (٦١) » . وعندما سمع طفتكين فى دمشق باجتماع كلمة الفرنج سار هو الآخر ليلحق بالجيوش الإسلامية المحاصرة للرما (٦٢) .

وعندما علم المسلمون باقترب الصليبيين منهم قرروا الرحيل عن الرها

Mattieu : Op. Cit., p. 91. (٥٧)

(٥٨) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٦٩ تاريخ أبو الهيجاء ، د ١ مخطوط ، حوادث سنة ٥٠٣هـ .

Mattieu : Ibid., p. 92, Gibb : Op. Cit., p. 102.

(٥٩) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣١ ،

Gibb : Ibid., p. 99

Cahen : Op. Cit., p. 257, Grousset : Hist. des Trois.,

V. 1, p. 449.

(٦٠) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٦٦ . Gibb : Ibid., p. 102. وهذا ما أشار اليه البرت بقوله « تم الاتفاق واتحدت القوات والأسلحة » . Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 674.

(٦١) ابن العديم : زبدة الحطب ، د ٢ ص ١٥٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، د ٥ ص ١٩٩ تاريخ أبو الهيجاء ، د ١ مخطوط حوادث ٥٠٣هـ .

(٦٢) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٦٩ ، تاريخ أبو الهيجاء ، د ١ . حوادث ٥٠٣هـ .

Gibb : Op. Cit., p. 102, Chalandon : Essai sur le Règne

d'Alexis 1er., p. 251.

«وملافتك خصومهم شرقى الفرات فرحلوا عن الرها في آخر ذى الحجة سنة ٥٠٣هـ - الموافق ١٩ يولية سنة ١١١٠م ونزلوا ارض حران على سبيل الخبيعة والمكر (٦٣) . وظنوا انه من الممكن تكرار ما حدث في موقعة حران ١١٠٤م بأن يوقعوا الفرنج في فخ ولكن الفرنج استفادوا من التجربة السابقة (٦٤) . ومعنى ذلك أن تراجع المسلمين الى حران لم يكن نوعا من الهزيمة او من الخوف كما يفهم من كلام بعض المصادر والمراجع (٦٥) .

وفي ذلك الوقت وصل الجيش الدمشقي (٦٦) . أما الفرنج الذين عبروا الفرات ليعتقبوا المسلمين في حران فقد فطنوا لهذا التدبير فخافوا واستسلموا الهلاك واسرغوا بالانسحاب الى شاطئ الفرات وعندئذ تعقبهم المسلمون وغنموا كثيرا من متاعهم واتوا على عدد كبير من أتباعهم قتلوا واسرا وتفريقا في الفرات ، حتى امتلأت أيدي المسلمين من الغنائم والأسلاب والسبي والدواب (٦٧) .

وكان أن اسرع الفرنج الى الرها ليجلوا عنها كافة السكان الضعفاء ثم تركوا بها حامية من الارمن للدفاع عنها وزودوها بالمؤن

-
- (٦٣) ابن القلائسي : الذيل ، ص ١٦٦ ، تاريخ ابو الهيجاء د ١ ، حوادث سنة ٥٠٣هـ . Gibb : Ibid., p. 103.
(٦٤) Cahen : Op. Cit., p. 258, Grousset : Hist. des Crois. V, 1 p. 453.
(٦٥) Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 421, Michel : Op. Cit., p. 198, Archier : Op. Cit., p. 148.
(٦٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٥٤ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٠٨ .
(٦٧) ابن القلائسي : الذيل ، ص ١٧٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٥٥ ، تاريخ ابو الهيجاء ، مخطوط ، د ١ حوادث ٥٠٣هـ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٠٨ ، وهذا ما اشار اليه البرت بقوله « أن الملك وتفكيره تتبعوا المسلمين الى حران كي يحاربوهم ولكن عندما علموا بخطتهم بداوا في الهرب وانتشروا خلال المناطق المنعزلة لكن ارهق الكثير من بلاط الملك واحتجزت الكثير من القطعان والاطعمة وحملت بعيدا
Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 674.

الكافية (٦٨) . ويعمل المؤرخون انسحاب الصليبيين عن الرها بحرصهم على حملة ممتلكاتهم في الشام من هجمات المسلمين . فيقول ابن خلدون « أن الملك رضوان صاحب حلب لما عبر الفرنج الى الجزيرة ، ارتجع بعض الحصون التي كان الأفرنج أخذوها بأعمال حلب (٦٩) » . في حين يشير (كاهين) الى أن من أهم الأسباب التي جعلت الصليبيين يجلون عن الرها وعلى رأسهم الملك بلدوين هو « أنه سمع أن الفاطميين انتهزوا فرصة غيابه وهاجموا بيروت والقدس (٧٠) » .

على أن السكان الذين أجلوا عن الرها لم يسلموا من المسلمين فقد باغتهم مودود وشامت مذبحه كبيرة بينهم على نهر الفرات ، ثم انتشر الترك بعد ذلك في كل ديار مضر ينهبوا ما تبقى (٧١) . ولكن عندما طالبت اقامة الجيش الاسلامي حول الرها اخذ المسلمون يعانون مشاكل الامداد والتبوين مما اضطرهم الى التفرق وأصيب كثيرون منهم (٧٢) . وهكذا تبددت الحملة الاسلامية بعد أن اشرفت على النجاح فعاد بلدوين دي بورج الى الرها ناعيا امارته الخربة (٧٣) .

وبما يكن من فشل هذه المحاولة ، في سلسلة الجهاد ضد الصليبيين في تحقيق اهدافها ، فإنها تدل في الوقت ذاته على افاقة القوى الاسلامية (٧٤) . والواقع أن تلك الحملة تركت آثارا واضحة على

(٦٨) ابن القلائس : الذيل : ص ١٧٠

Gibb : Op. Cit., p. 104

هنا يذكر فولشر أن الرها زودت بمحصول عام ، لأن المواطنين كانوا في حاجة اليه كثيرا بعد أن دمر الأتراك المنطقة المحيطة بالديانة .
Fulcherii : Op. Cit. T. 3, p. 421.

(٦٩) ابن خلدون : العبر ، د ٥ ، ١٩٤ .

Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧٠)

• Mattieu : Op. Cit., p.p. 93 - 94, Fulcherii : Op. Cit.

T. 3, p. 421, Cahen : Op. Cit., p. 258.

(٧٢) ابن القلائس : الذيل ، ص ١٧٠ .

Gibb : Op. Cit., p. 105

(٧٣) سميد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٤٥ .

Albert .
Gibb : Ibid., p. 105

(٧٤) حسن حبش : نور الدين والصليبيين ، ص ١٤ .

الرها من الناحيتين الاقتصادية والسكانية سنقولهما بالتفصيل في مكان آخر من هذا البحث .

على ان المسلمين ظلوا يستنفرون سلطان السلاجقة للجهاد من ذلك انه على الرغم من ان تفكيره لجأ الى شراء مسالة أمير حلب بالمال ١١١٠م الا انه عاد في السلم التالي وقام بغزوة على حلب اثارت الرعب في قلوب الاهالي (٧٥) . الامر الذي جعل رضوان صاحب حلب يرسل مسترخيا كلا من السلطان السلجوقي والخليفة العباس في بغداد (٧٦) .

ويقال ان جماعة من اهل حلب ساروا الى بغداد « مستنفرين الناس على الفرنج فأجتمع منهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم وقصدوا جامع السلطان واستفتاوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان بتجهيز العنساكر وارسل من دار الخليفة منبرا الى جامع السلطان . فلما كانت الجمعة الثانية تصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم اهل بغداد فمنعهم صاحب الباب من الدخول فغلبوا عليه ونخلوا الجامع وكسروا الشباك وهجموا على المنبر فكسروه وبطلت الجمعة وارسل الخليفة الى السلطان في المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتك (٧٧) » .

وفي ذلك الوقت كان العداء قد بلغ أشده بين البيزنطيين والصليبيين مما جعل الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين يرسل مبعوثا الى السلطان محمد السلجوقي يحضه على محاربة الفرنجة وطردهم من البلاد (٧٨) . « وترك التراخي في أمرهم واستعمال الجسد والاجتهاد في الفتك بهم قبل

Archer : Op. Cit., p. 148, (٧٥)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400 (٧٦)

(٧٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦١ ، المعنى : عقد الجمان ، ه ١٥٥ ص ٦٥٢ ، سعيد عاشور : الحركة ، ١ ص ٤٦٠ عن ابن الأثير ، وكان ذلك ٥٠٤ هـ — ١١١٠ م .

(٧٨) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٦٠ — ٤٦١ عن (Chalandon : Alexis).

اعضال خطبهم واستفحال شرهم (٧٩) . وقد كان وصول رسول ملك الروم الى بغداد في نفس ٥٠٤ هـ ١١٠٠م التي وصلت فيها استغاثة اهل حلب بل سبقتها لذلك اندفع اهالي حلب الى السلطان قاتلين « اما تتق الله تعالى ان يكون ملك الروم اكثر حمية منك للاسلام حتى قد ارسل اليك في جهادهم (٨٠) » . وغير بعيد ان يكون الكسيوس قد رمى من وراء ذلك كله الى ضرب القوات الصليبية بالاسلامية ليفرغ له الجو وليضعف كلا من الجانبين ، ومع ان هذا الرأي قد خفى على المسلمين الا ان عزيمة بغداد استقرت على وجوب تسيير الجيوش للجهاد (٨١) .

وادی هذا التيار الى استئناف حركة الجهاد ضد الصليبيين ، فقامت سنة ١١١١م (٥٠٥ هـ) حركة تعبئة حقيقية داخل الدولة السلجوقية في فارس (٨٢) ، وجهز السلطان جيشا كبيرا ضم « الأمير بودود صاحب الموصل وسكان القطبي صاحب خلاط وتبريز وبعض ديار بكر والأميران ايلنكي وزنكي أبنا برسق حاكم همدان وخوزستان والأمير احمد بك واحمديل أو احمد الثاني الكردي (٨٣) صاحب مراغة في آذربيجان ، وأبو الهيجاء صاحب أربل (٨٤) » . وتحركت جميع تلك

(٧٩) ابن القلائسي : الذيل ، ص ١٧٣ ، المرجع السابق ، ص ٦١ من ابن القلائسي ، حسن حبشي : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ . ويذكر الأخيران الإمبراطور بعث الى السلطان بالكثير من التحف والهدايا بل ان الإمبراطور عرض على السلطان اتفاق القوات البيزنطية والاسلامية في طرد الفرنج .

(٨٠) ابن الأثير ، الكامل ، د ٨ ص ٢٦٢ ، المعينى : عقد الجمان ، د ٥ م ٣ ص ٦٥٦ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٤٦١ : من ابن الأثير Archer : Op. Cit., p. 148

(٨١) حسن حبشي : نور الدين والصليبيين ، ص ١٥ .

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463. (٨٢)

Cahen : Op. Cit., p. 261. (٨٣)

(٨٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٢ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٥ ، أبو المحاسن : التجوم الزاهرة ، د ٥ ص ٢٠١ ، المعينى : عقد الجمان ، د ٥ م ٣ ص ٦٥٢ (وهو ينكر ان ذلك كان ٥٠٤ هـ والراجح ان ذلك غير صحيح) ، ابن خلدون العبر ، د ٥ ص ١٩٤

Cahen : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463.

القوات تحت قيادة مودود من جديد لحاربة الفرنج (٨٥) .

ولم يثأر مودود أن يضيع الوقت ، وإنما رأى أن يهاجم بعض القلاع السليبية في منطقة الرها ، ونجح في الاستيلاء على بعضها (٨٦) ، حتى إذا ما تكامل تجمع الجيوش الإسلامية في سنجار (٨٧) ، تحرك مودود لمهاجمة الرها ذاتها . وحاصرها ولكنهم لم ينجحوا في الاستيلاء عليها (٨٨) . ذلك أن مدينة الرها كانت محصنة ومزودة بالمؤن منذ العام السابق (٨٩) ، في الوقت الذي كان الجيش الإسلامي يعاني من نقص المؤن ، مما اضطر مودود إلى التخلي عن حصارها (٩٠) .

وهنا نلاحظ أن بعض المصادر والمراجع قد خلطت بين حملة ١١١١م (٥٥٠) هذه وبين حملة مودود الأولى ١١١٠م (٥٥٠٣) . فنكرت

Mattieu : Op. Cit., p. 96, Michel : Op. Cit., p. 216. (٨٥)

(٨٦) ابن الأثير : الباهر ص ١٧ ،

Mattieu : Ibid., p. 96, Michel : Ibid., p. 216

أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٦٨ (وهو يذكر أن ذلك كان سنة ٥٥٠٢هـ والصحيح ٥٥٠٥هـ)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Cahen : Op. Cit., p. 261.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463 عن (Rey: Colonies)

(٨٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٢٦٢ . سعيد عاشور : الحركة د ١ ص ٤٦١ من ابن الأثير .
(٨٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧ ،

Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : V. 1, p. 244,

أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٦٨ ، أبو الفدا : المختصر د ٢ ص ٢٢٥
ابن لوردى : تمة المختصر ، د ٢ ص ٢١ ،
المعنى : عقد الجبان ، د ١٥٣ ص ٦٥٤ .

Fulcheril : Op. Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des (٨٩)

Crois., V. 1, p. 463, L'Épopée, p. 89.

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 463. (٩٠)

أن المسلمين عندما فشلوا في الاستيلاء على الرها ٥٠٥ هـ تراجعوا الى حران يتبعهم الفرنج ولكن الفرنج حصنوا الرها وحلوا اليها المؤمن والذخائر ثم أجلوا الضعفاء من المدينة ونقلوهم الى الجانب الشامي (٩١) .

والواقع هو أن الجيوش الاسلامية قضت امام الرها ١١١١م (٥٠٥ هـ) بضعة أيام ثم تركتها بعد ذلك واتجهت الى سروج ولكنهم قبل أن يعبروا نهر الفرات توقفوا امام قلعة تل باشر (٩٢) ، وكان ذلك في نهاية يوليو ١١١١م (٩٣) (٥٠٥ هـ) وكان بها عنفذ صاحبها الأمير جوسلين . وقد ضغط الأتراك بأعدادهم الضخمة على القلعة وهاجموها عدة هجمات طوال خمسة وأربعين يوما لكنهم أخفقوا في الاستيلاء عليها (٩٤) ، فاكثروا بتخريب ما حولها من بلاد (٩٥) .

وفي تل باشر حدثت بعض الظروف التي حالت بين مودود وبين تكملة مهمته في إمارة الرها ، إذ توفي عندئذ سكان القطبي وحمل جثمانه الى ميافارقين ومنها الى خلاط حيث دفن بها (٩٦) . وهنا يتسنى ملئ الرهاوى من موت سكان ويعتبر ذلك « عقابا أنزله به السيد المسيح بسبب تخريبه لآقليم الرها والمذابح التي قام بها فيه (٩٧) » .

(٩١) ابن خلدون : العبر ، د ٥ ، ص ١٩٤ ، عقد الجبان ، د ٥١٥ ص ٣ (من تاريخ بيارس) ، الطباخ الطبى : اعلام النبلاء ، د ١ ، ص ٤٠٦ .

Mattieu : Op. Cit., p. 96, Archer : Op. Cit., p. 149, (٩٢)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463.

Cahen : Op. Cit., p. 261. (٩٣)

(٩٤) أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ، ص ٦٨ ، الذهبى : العبر
Mattieu : Op. Cit., p. 96. د ٤ ص ٩ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 463. (٩٥)

(٩٦) الفارقى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٧٧ ، الفارقى : تلخيص
تاريخ ميافارقين ، ميكرو فيلم رقم ١٢٤٩ تاريخ ص ١٦٧ .

Mattieu : Op. Cit., p. 97. (٩٧)

كذلك كان البرسقي صاحب همدان قد وصل وهو مريض (٩٨) .

وهكذا كانت وفاة بعض زعماء المسلمين ومرض البعض الآخر من أهم العقبات التي تمككت وحدة الجيوش الإسلامية وقتذاك هذا بالإضافة إلى ما دب في صفوفهم من خلاف « فقد طبع أحمد يل في بلاد سكرمان وهي أرمينية وخلاط وديار بكر (٩٩) » .

ولا أدل على تفرق كلمة المسلمين وهم على تل باشر من ذلك الاتحاد الذي تم بين جوسلين وبين أحمد يل . ذلك أنه « منذ فترة طويلة سمع أحمد يل من تجيد شجاعة جوسلين فتم بينهما اتفاق ودى أصبحا عن طريقه أخين » (١٠٠) . ولتفصيل ذلك نجد أن المصادر والمراجع تشير إلى أنه في الوقت الذي كانت تل باشر على وشك السقوط في أيدي المسلمين التمس جوسلين النجدة من أحمد يل الكردي وحمل إليه مبلغا من المال في مقابل قيامه بإبعاد الجيش المحاصر فوافق أحمد يل على ذلك (١٠١) .

هذا إلى أن المسلمين بالشام أرسلوا إلى مودود يستجفونه ضد الصليبيين ، فاستنجد سلطان بن منقذ صاحب شيزر ضد تفكيره الذي هدد شيزر وقطع عنها كل وسائل الحياة (١٠٢) كذلك استنجد رضوان صاحب حلب بمودود وأحمد الكردي وأرسل يستحثهما على الإسراع إليه قائلا

(٩٨) ابن القلانسي : الخيل ، ص ١٧٥ — ١٧٦ ،

سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٥ ، أبو المحاسن :
النجوم الزاهرة ، د ٥ ص ٢٠١

(٩٩) ابن القلانسي : الخيل ، ص ١٧٦ ،

سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٦ .

(١٠٠) Mattieu : Op. Cit., p. 97, Cahen : Op. Cit. p. 261.

(١٠١) Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 464,

سميد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٦٢

الرجسين عن (ابن العديم) ، حسن حبشي : نور الدين والمسيبيين ،
ص ١٦ (عن ابن العديم ، ابن القلانسي) .

(١٠٢) Cahen : Op. Cit., p.p. 261 - 262.

« انتهى قد تلفت واريد الخروج من حلب فيلبدروا الى الرحيل » وعندئذ اقتنع أحمد الكردي الأتراك بتارك حصار تل بلشر والاتجاه الى حلب لنجدة صاحبها رضوان (١٠٣) .

وعندما اطمان جوسلين الى اعتماد المسلمين عن قلعته خرج على رأس مجموعة من فرسانه ، تقدر بحوالى مائة وخمسين فارسا ومائة من المشاة وبأمت مؤخرة الجيش المنسحب وقتل منه حوالى ألف رجل وملك الى تل بلشر بغنيمة ضخمة (١٠٤) . وبينما يذكر متى الرهالوى أن مودود غلدار تل بلشر الى شيزر (١٠٥) نجد المصدر الأخرى تشير الى توجهه الى حلب (١٠٦) . وهى المروضة أن يمر عليها أولا بحكم موقعها .

وليس هذا موضع علاج تلك الحيلة بالتنصّل بعد خروجها من الرها وانما سنكتفى بالاشارة الى موقف رضوان حاكم حلب منها وهو الذى استنجد بالسلطان والخلّيفة منذ البداية ثم ما فتىء يستنجد بجيوش المسلمين وهم امام تل بلشر . ذلك أنه حدث عندما اقترب الجيش الإسلامى من حلب أن خلف رضوان على امرته من جيش المسلمين وبدأ يعمل حسابا لاطماع امراء المسلمين أكثر مما عمل لاطماع تنكريد (١٠٧) . لذلك ارسل الى مودود وأحمد الكردي يخبرهم « بأنه قد انتهى الى حل مع تنكريد(١٠٨) » وبلادر عند وصول الجيش الإسلامى

(١٠٣) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٤٦٢ (عن ابن العديم) .

(١٠٤) المرجع السابق نفس الصفحة من (Albert)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 464.

Mattieu : Op. Cit., p. 97. (١٠٥)

Michel : Op. Cit., p. 216, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (١٠٦)

p. 244.

سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٦ ، أبو الفدا ، د ٢ ص ٢٢٥ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٢١ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400. (١٠٧)

Cahen : Op. Cit., p. 262, Grousset : Hist. des Crois, V. 1, (١٠٨)

p. 464, L'Épopée, p. 90.

الى حلب ، باغلاق ابواب المدينة في وجههم (١٠٩) . ورد جنود المسلمين على ذلك بان عاثوا في ضواحي حلب و « فعلوا اقبح من فعل الفرنج » (١١٠) .

وفي ١١١٢م (٥٠٥ - ٥٠٦ هـ) قام مودود بحملته الثالثة على الرها وفي تلك المرة توجه اليها بفردة (١١١) . دون ان يشاركه اخذ من باقي ابراء المسلمين . وربما يرجع ذلك الى الظروف التي احاطت ببقية الامراء في ذلك الوقت واتشغالهم بخلافاتهم او بمرض بعضهم او وفاة البعض الآخر .

اشارت المصادر العربية الى تلك الحملة بشيء من الاجاز فوصفت كيف سار مودود صاحب الموصل الى الرها في المحرم ٥٠٦ هـ (١١١٢م) فنزل عليها ورعى عسكره زروعا ثم رحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك واهمل شأن الفرنج ولم يحتز منهم ، فلم يشمر الا وجوسلين صاحب تل باثر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة في المراعي فآخذ الفرنج كثيرا من العسكر فلما تاهب المسلمون للقائه انصرف عنهم (١١٢) .

والواقع ان مودود ظل محاصرا للرها حوالي شهرين من ابريل الى

(١٠٩) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٦ ،
ابو الفدا : المختصر ، د ١ ص ٢٢٥ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر د ٢
ص ٢١ ، كرد على خطط السلام ، د ١ ص ٢٩٧ ،

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 244, Michel : Op. Cit.,
p. 216, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 400, Grousset :
L'Épopée, p. 90.

(١١٠) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٦ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١١)

(١١٢) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٢٦٥ ، سبط بن الجوزي :
مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ٣٩ ، العيني : عقد الجمان ، د ١٥ ص ٤
ص ٦٧١ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

يونيه ١١١٢م (١١٣) (قو القعدة ٥٥٠٥ ، المحرم ٥٥٠٦/١١٤) كما ذكر
ابن القلانسي . وفي خلال هذين الشهرين حاول مهاجمة الرها مرتين (١١٥) .
ويبدو أن هجومه كان مباغتاً لم يتوقعه أهل الرها الذين كانوا مشغولين
ببعض أعيادهم (١١٦) .

وعندما وجد مودود أن الرها صعبة الفصال تحول إلى سروج المركز
الفرنجي الثماني شرقي الفرات (١١٧) . وهناك ترك غيوله ترمى في
المناطق المحيطة دون أن يعنى باتخاذ أية تدابير وقائية ضد أعدائه (١١٨) .
ونرى أن جوسلين أسرع إلى سروج ليمالقه بضربة قاسية (١١٩) . ذلك
أن جوسلين أسرع على رأس ثلاثمائة فارس ومائة من المشاة إلى سروج
حيث انقض على الأتراك البسالغ مدهم ألف وخمسمائة ، فوقع بهم
واخذ خمسة من زعمائهم أسرى وغنم لمتعتهم ، وعندئذ أسرع من نجاة
من الأتراك بالفرار إلى حيث مودود قرب الرها . وعندما علم مودود
بما حدث تقدم ضد جوسلين إلى سروج لكن جوسلين كان قد رحل سرا
إلى الرها (١٢٠) .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401.

(١١٣)

(١١٤) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٨١

Gibb : Op. Cit., p. 127.

والراجح أن التسايرخ الذي حدده ابن القلانسي هو الصحيح لأنه المعاصر
أكثر لتلك الأحداث وأن بقية المصادر السابقة قد أخرجت بداية تلك الحملة
شهوراً عنه .

Cahen : Op. Cit., p. 264.

(١١٥)

Mattieu : Op. Cit., p. 100.

(١١٦)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472.

(١١٧)

Gibb : Op. Cit., p. 127. ١٨١ ص

(١١٨) ابن القلانسي : نفس الصفحة . ٢٦٤

Cahen : Op. Cit., p. 264. ١٠١، Grousset : Hist. des Crois., (١٢٠)

Mattieu : Op. Cit., p. 101, Grousset : Hist. des Crois.,

V. 1, p. 472.

ويعد أن قضى مودود سبعة أيام أسام سروج عاد مرة أخرى إلى الرها (١٢١) ، حيث كان جوسلين قد سبقه إليها ليساعد بلدوين دى بوج (١٢٢) . ولكن حدث أن قسام الأرمن بمؤامرتهم في الرها ، وهى المؤامرة التى سنتعرض لها بالتفصيل في فصل طبقت المجتمع . وبهذه من أمر هذه المؤامرة الآن أن بعض المراجع أشارت إلى أن مودود أوشك أن يستفيد من تلك الأحداث ويستولى على الرها (١٢٣) .

ومهما يكن من أمر ، فإن مودود لم يوفق في حملته هذه ، وانسحب دون أن يحقق غرضه (١٢٤) .

وتشير المصادر العربية إلى حملة أخرى قام بها مودود ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) بالاشتراك مع « تميرك صاحب سنجار والامير اياز بن ايلغازى وطغتكين صاحب دمشق . وساروا جميعا إلى الشمام فالتقوا بالفرنج الذين اجتمع منهم عندئذ بضدوين صاحب القدس وجوسلين صاحب الجيش واقتتلوا بالقرب من طبرية في ثالث عشر المحرم فنهزم الفرنج وكثر القتل فيهم (١٢٥) » . ومعنى ذلك أن جوسلين كان يحارب عندئذ بوصفه تابعاً لملك بيت المقدس . ولم يكن في ذلك الوقت « صاحب تل بلشر والرها » . كما ذكر ابن الأثير (١٢٦) لأن تلك الحملة كانت بعد الخلاف بينه وبين بلدوين دى بوج وبعد طرده من إمارة الرها .

وبهذه من أمر هذه الحملة أنها كانت أولبادرة للاتحاد بين الأمراء

Mattieu : Ibid., p. 101. (١٢١)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 472. (١٢٢)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 402. (١٢٣)

Mattieu : Op. Cit., p. 102. (١٢٤)

(١٢٥) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٦ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك د ١ مخطوط ص ٦٦ (ب) ، أبو الفدا : المختصر ، د ٢ ص ٢٢٦ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٢١ .
(١٢٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٨ .

المسلمين بشمال العراق وبلاد الشام منذ مقدم الصليبيين الى الشرق (١٢٧) .

لكن اذا كانت المصادر الاسلامية لم تشر الى اية علاقة ل تلك الحملة بالرها ، فان متى الرهاوى يفكر انه كان لها تاثيرها البالغ عليها . وهو بنفرد برواية مؤداها انه حدث ١١١٣ م (٥٠٧ هـ) ان تقدم الامير مودود قائد جيوش المسلمين على رأس جيش كبير ضد الفرنج ووصل الى حران في الوقت الذي كان بلدوين امير الرها موجودا بقواته في مدينة تل بلشر . فنقل بعض الفرنج كلاما مؤداه ان حشدا من الاهالى تحالفوا على تسليم الرها للأتراك ، وصدق الامير تلك الموشايات فأرسل في الحال الى امير سروج بان يحضر الى الرها وابره باخراج الاهالى المشتبه في سلوكهم . وهكذا سلكت دماء كثير من الابرياء وهلك أناس لا فئب لهم مما ترك أثرا سيئا في نفوس أهل الرها الأرمن (١٢٨) .

أما عن مودود ، فلم يلبث ان قتل بيد أحد الباطنية وذلك في ربيع الأول (١٢٩) أكتوبر ١١١٣ م (١٣٠) . وبعد مقتل مودود « أقطع السلطان

(١٢٧) حسن حبشي : نور الدين والصليبيين ، ص ١٦ — ١٧

Mattieu : Op. Cit., p.p. 104-105.

(١٢٨)

(١٢٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٩ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ح ١ مخطوط ص ٦٧ (١) . ويبين ابن الأثير ذلك بقوله : ان الامير مودود كان قد اذن للمعسكر الاسلامي بالرجوع الى بلادهم والاجتماع اليه في الربيع بسبب شدة الحر ونفاذ المؤن ، فلما تفرقوا دخل دمشق واقام بها فخرج يوما يصلى الجمعة فلما صلاها وخرج الى صحن الجامع ممسكا بيد طفدكين فوثب عليه شخص وضربه بسكين فجرحه اربع جراحات ، وكان صائما فحمل الى دار طغتكين الذي حاول ان يجعله ينظر فرغض وقال : « لا لقيت الله الا صائما فاننى ميت لا محالة » . وتوفى بعد ذلك نقيل ان الباطنية بالشام خافوه فقتلوه ، وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.

(١٣٠)

محمد الموصل للأمير جيوش بك وسير معه ولده الملك مسعود (١٣١) .
ويبدو أن ولاية الأمير جيوش هذه تمثل فترة انتقال حتى يولى
السلطان مكانه من هو أكثأ ، ولم يلبث أن سير السلطان الأمير قسيم
الدولة آقسنقر الى الموصل وأعمالها واليا عليها (١٣٢) .

وقد أمر السلطان محمد آقسنقر بقتال الفرنج وكتب الى سائر
الأمراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها ومنهم عماد الدين
زنكى بن آقسنقر وتبرك صاحب سنجار وغيرها (١٣٣) . وكان ابن
زحف البرسقى على ماردین منازلها حتى اذعن له ايلغازى صاحبها
وسير معه عسكرا يقدر بثلاثمائة فارس مع ولده آياز (١٣٤) . ثم وصل
الجميع الى الرها في ذى الحجة ٥٥٠٨ (١٣٥) - ١٥ مايو ١١١٤م (١٣٦) .
وبلغ عدد جيش البرسقى في تلك الحملة حوالى خمسة عشر ألف
فارس (١٣٧) .

على ان الرها شهدت لآقسنقر « واصابوا من بعض المسلمين
غرة فاختنوا منهم تسعة رجال وصلبوه على سورها فاشتد القتال حينئذ

(١٣١) ابن الاثير : الباهر ، ص ١٩ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١
ق ١ ص ٦٩ .

(١٣٢) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٨ ، ابن واصل : مفرج
الكروب ، د ١ ص ٢٩ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط
من ٧٩ (ب) ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة د ٥ ص ٢٠٧ .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 491, Setton : Op. Cit.,
p. 403.

(١٣٣) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٨ ، ابن الفرات : تاريخ
الدول والملوك د ١ مخطوط من ٧٩ (ب) .

(١٣٤) المصدرين السابقين نفس الصفحات .

(١٣٥) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٩ .

(١٣٦) Mattieu : Op. Cit., p. 109.

(١٣٧) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ، ص ١٩ ،
أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط د ١
ص ٨٠ (١) .

وحسب المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارساً من
أعيانهم (١٢٨) . وقد ظل حصار الرها مدة « شهرين وأيام (١٣٩) » .
وقيل شهراً (١٤٠) .

وكان أن دفعت هذه المقاومة مع قلة المؤن أقسنته إلى رفع
حصاره عن الرها ولكن قبل عودته خرب مدينتي سيمساط وسروج (١٤١) .
ويقول متى الرهاوى أنه وصل إلى الفرات وخرب كل البلاد الواقعة
على امتداد ضفتيه ثم قصد مدينة البيرة فلجئ جميع كل الفرنج في تلك الضفة
الغربية من النهر ضد فعاد البرسقي إلى نصيبين عن طريق الرها (١٤٢) .
والراجح أنه اشتبك وهو في طريق عودته في معركة مع أيلغازي بن أرتق
أمير ماردين لأنه لم يلحق به بنفسه (١٤٣) . فقاتله أيلغازي « والحق
به الهزيمة وأسر ابن السلطان ولكنه أطلقه بعد فترة (١٤٤) » .
وعاد أقسنتر بعد حملته هذه إلى بغداد . وترك الموصل ليقم بها
الملك مسعود والأمير جيوش بك حتى سنة أربع عشرة وخمسمائة (١٤٥) .

(١٣٨) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٩ ، ابن الفرات : مخطوط
د ١ ص ٨٠ (١) .

(١٣٩) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، دائرة المعارف
الإسلامية المجلد الثاني ص ٤٧٢ .

(١٤٠) Mattieu : Op. Cit., p. 109, Grousset : Hist. des Crois., (١٤٠)
V. 1, p. 491. .

(١٤١) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٦٩ ، الباهر ص ١٩ — ٢٠ ،
الروستقي د ١ ق ١ ص ٦٩ أما ابن الفرات مخطوط د ١ ص ٨٠ فيذكر
أنه نزل على سروج خمسة أيام وأكل العسكر غلاتها وزرعها . أما
ابن واصل : مغزج الكروب ، د ١ ص ٢٩ فيقول (سروج وسنجان
وسيمساط) والراجح أنه أخطأ ووضع سنجان بينهما .

Mattieu : Op. Cit., p. 109. (١٤٢)

(١٤٣) ابن الأثير : الكامل . د ٨ ص ٢٦٩ .

Mattieu : Op. Cit., p. 109. (١٤٤)

(١٤٥) ابن الأثير الباهر ، ص ٢٠ .

أما اثر الهزيمة التي حلت بأقسنقر على يد ايلغازى فيبدو ان ايلغازى خشى انتقام السلطان ، مما دفعه الى التحالف مع طغتكين حاكم دمشق من ناحية ومع روجر حاكم انطاكية من ناحية اخرى هذا بالإضافة الى ان السلطان اطل برسق بن برسق حاكم همدان ، محل أقسنقر قائدا عاما لحركة الجهاد ضد الصليبيين (١٤٦) .

وبناء على ذلك جمع برسق القوات الاسلامية ووصل امام الرها ١١١٥م (٥٠٩هـ) وبعد ان « استراح بضعة أيام (١٤٧) » . عبر الفرات وتوجه الى حلب (١٤٨) . في حين يشير متى الزهاوى الى انه توجه الى شيزر واستولى عليها ثم نهب تل باشر ومنطقة انطاكية (١٤٩) . والراجح انه بعد ان استراح امام الرها ونهب تل باشر ، توجه الى حلب ثم الى انطاكية وشيزر . وفي تلك الحملة كانت هناك جبهتان متصارعتين ، الاولى تشمل جيش برسق والثانية ضمت المعسكر الفرنجى وانضم اليها ايلغازى ابن ارتق وطغتكين أمير دمشق ولؤلؤ الخصى أمير حلب والوصى على ابن رضوان ، تاج الدولة ألب أرسلان (١٥٠) . وقد أوقع الفرنج هزيمة بجيش برسق بفضل مساعدات حلب لهم (١٥١) ، ولو ان البعض ينكر انه لم تقم اية معركة بين الطرفين (١٥٢) .

ثم مرت فترة ست سنوات تقريبا لم تخرج فيها حملات من قبل المسلمين او الموصل ضد الرها ، وأن كانت الرها قد تعرضت في

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.	(١٤٦)
Mattieu : Op. Cit., p. 114.	(١٤٧)
Setton : Op. Cit., p. 404.	(١٤٨)
Mattieu : Op. Cit., p. 114.	(١٤٩)
Mattieu : Ibid., p. 115.	(١٥٠)
Mattieu : Ibid., p. 115, Cahen : Op. Cit., p. 274.	(١٥١)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 404.	(١٥٢)

ربما يكون الفاصل هنا هو رأى ابن الأثير الذي ذكر عن تلك الحملة أنه عندما توجه جيش برسق ابن برسق الى حماه للاستيلاء عليها سار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بمساحبها روجيل وسألوه ان يساعدهم على حفظ مدينة حماه فلما بلغهم بلغها ووصل اليهم بانطاكية بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرها من شياطين الفرنج اتفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية واقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقام بفرقتهم فماد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشق والفرنج الى بلادهم (ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٢٧٢) .

تلك الفترة لهجمات من جانب الأرتقة كما سنرى ، وفي أثناء تلك الفترة توفي الخليفة المستظهر بالله في سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة (١١١٨ م) وتولى مكانه ابنه المسترشد بالله (١٥٣) . كذلك توفي السلطان محمد بن ملكشاه ابن الب أرسلان ، سلطان بلاد العراق وخراسان ٥١١ هـ (١١١٧ م) (١٥٤) . وتولى مكانه ابنه السلطان محمود (١٥٥) .

وفي صفر ٥١٥ هـ (١١٢١ م) انقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وما ينضلف إليها كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها للأمير آتسنقر البرسقى (١٥٦) ، وهذه هي ولايته الثانية على الموصل ، وكانت الأولى بعد وفاة مودود كما مر بنا في عهد السلطان محمد السلجوقى .

وفي ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) تولى البرسقى الى جانب حكم الموصل ، حكم حلب ، بعد استجداد أهلها به عندما انشغل عنهم حاكمها الأرتقى تهرتاش بن إيلغازى حاكم ماردين وحلب بأموره الخاصة (١٥٧) . وقد ظلت حلب في حوزة البرسقى حتى وفاته . والواقع أن فترة حكمه لحلب كانت فترة احتكاكك دائمة بين حلب والرها . وعلى ذلك فسوف نرجىء

(١٥٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٨١ ، الباهر ص ٢٢ .
(١٥٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ، ص ١٨٠ - ١٨١
ويذكر ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٧٧ أنه توفي في ٢٤ ذى الحجة ٥١١ هـ .

(١٥٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٢ . وكان ذلك في الخامس والعشرين من ذى الحجة (الكامل ، د ٨ ص ٢٧٧) .

(١٥٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٠٢ ، الباهر ص ٢٤ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٢ ص ٢٢٥ هنا يذكر ابن الأثير في الكامل سبب توليته فيقول « انه كان في خدمة السلطان محمود ، ناصحا له ملازما له في حروبه كلها وكان له الأثر الحسن في الحرب بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وهو الذى أحضر الملك مسعود عند أخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغيز أمير ولى عليها البرسقى ونقدم الى سائر الأمراء بطاعته وأمره بمجاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم فصار إليها في عسكرة كثيرة وملكها وأقام يدبر أمورها وصلح أحوالها » .
(١٥٧) سبط بن العجى : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١ ، الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٦ ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٤٩٥ . العبنى : عقد الجمان ، د ١٥ ص ٨٤٠ .

تناول العلاقات بينه وبين الصليبيين في تلك الفترة — أي حملاته ضد الفرنج عامة والرها خلاصه في سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) ، ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) ، ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) — إلى الجزء الخاص بالعلاقات بين حلب والرها حتى تولى حكم حلب عماد الدين زنكي ٥٢٢ هـ (١٥٨) (١١٢٨ م) .

وفي سنة ٥٢٠ هـ قتل أقسنقر البرسقي بالجامع الحتيق بمدينة الموصل بعد صلاة الجمعة بيد الباطنية (١٥٩) . فلما توفي ولى السلطان مكاته ابنه عز الدين مسعود الذي سار في الحكم سيرة حسنة ولكنه لم يلبث أن توفي ٥٢١ هـ (١٦٠) . (١١٢٧ م) بعد ثلاثة أشهر فقط قضائها في حكم الموصل (١٦١) .

وقد استولى مسعود قبل وفاته مباشرة على ائرجبة (١٦٢) ، وهى التى توفي اثناء حصارها . ولم يكن لهذه الوفاة المفاجئة من نتيجة سوى أن جوسلين أسرع بالاستيلاء على رأس العين وقتل عددا كبيرا من أهلها بختفهم وأسر الباقين رجالا ونساء (١٦٣) .

وبعد وفاة مسعود قلم أخوه الأصغر بالحكم بدلا منه ومساعدته في ذلك جاولى مولى أبيه فأرسل إلى السلطان محمود يطلب « تقرير البلاد على ولد آق سنقر البرسقي وبذل الأموال الكثيرة في ذلك (١٦٤) » . لكن السلطان ولى عماد الدين الزنكي على الموصل وذلك في رمضان

(١٥٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٨ .

(١٥٩) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ، ص ٣١ .

(١٦٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ٣٢ .

Michel : Op. Cit., p. 228 (١٦١)

(١٦٢) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٣٢٣ ، أبو الفدا ، المختصر ،

د ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردي تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٣٣ .

Michel : Ibid., p. 228.

Michel : Ibid., p. 228. (١٦٣)

(١٦٤) ابن واصل : مغرر الكروب ، د ١ ص ٣١ ، أبو شامة :

الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٢ مخطوط ص ١٠٩ (ب) .

وكان السلطان سنجر قد ارسل الى السلطان محمد يسأله ان يولى دببى بن صدقة على الموصل فتبجح الخليفة المسترشد

(١٦٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٤ ، أبو شامة : الروشتين ، ح ١ ق ١ ص ٧٥ ، ابن الفرات : مخطوط ح ٢ ص ١١١ (ب) أبو الفضائل الحموى : التاريخ المنصورى ، ١٦٤ .

ويقال ان سبب تولية عماد الدين زنكى ان الوفد المرسل الى السلطان كان يضم القاضي بهاء الدين أبو الحسن على بن القاسم الشهرزورى ، ومصلاح الدين محمد الياغيسبلى — أمير حلب البرسقى « فحضر دركاة السلطان ليخاطباه في ذلك » وكان يخاصان جاولى ولا يرضيان بطاعته ، فلجئ مع صلاح الدين محمد الياغيسبلى ونصر الدين جقر وكانت بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وأقضى اليه سره فخوفه نصر الدين من جاولى وتبع عنده طاعته وقرر في نفسه انه انما ابقاه وابثاله لحاجته اليهم ومتى اجيب الى مطلوبه لا يبقى على أحد منهم » .

وتحدث معه صلاح الدين في ان يخاطب السلطان في ولاية عماد الدين زنكى وضمن له للولايات والاقطاعات الكثيرة وكذلك للقاضي بهاء الدين ابن الشهرزورى ، وخاطباه في ذلك وضمن له كل ما اراده فوافقهما على مطلبهما . وركب هو ومصلاح الدين الى دار الوزير شرف الدين أنوشروان ابن خالد فقالا « انه قد علمت أميت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكّن الفرنج منها وقد قويت شوكتهم فاستولوا على أكثرها وقد أصبحت ولايتهم من حد ماردين الى عريش مصر — ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين — وقد كان البرسقى — مع شجاعته — يكف بعض عاديتهم ، فمئذ قتل زاد طمعهم وولده طغى ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع يقب منها ويحمى حوزتها . وقد أنهيينا الحال اليك لئلا يجرى خلل أو وهن على الاسلام والمسلمين فنحصل نحن الأثم من الله واللوم من السلطان . فأنهى الوزير ذلك الى السلطان فشكرهما عليه ، وأحضرهما واستشارهما فبين يصلح للولاية فنكرا جماعة منهم عماد الدين زنكى ، وبذلا عنه — تقربا الى خزنة السلطان — مالا جليلا ، فأجاب السلطان الى ذلك لما يطلبه من كفايته وولاه البلاد كلها .

(ابن واصل : مفرج الكروب ، ح ١ ص ٣٢ — ٣٣ ، أبو شامة : الروشتين ، ح ١ ق ص ٧٥) . ابن الأثير : الباهر ص ٢٥ ، ابن خلدون ، العبر ح ٥ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

ذلك (١٦٦) . وكاتب السلطان محمود « أن هذا أمان الفرنج على المسلمين وكثر سواد الكفار » فبطل هذا التدبير (١٦٧) .

تولية عماد الدين زنكى على الموصل :

وأصدر السلطان محمود منشوره بتولية عماد الدين زنكى على الموصل ، وضم السلطان اليه ولده الملك الب أرسلان أو فروخ شاه المعروف بالخفاجى ليربيه وجعل زنكى أتابكه ومن ثم عرف زنكى بالأتابك (١٦٨) . وبالفعل تولى زنكى الموصل وولى الأمير جاولى على الرحبة وأعمالها (١٦٩) .

وفى ٥٢٣هـ (١١٢٩م) « سار أتابك ووطىء بساط السلطان وعاد بالتواقيع السلطانية بملك الغرب كله (١٧٠) » .

ومنذ تولى أتابك زنكى حكم الموصل هذا الى جانب « الجزيرة والرحبة وحلب مع التوقيع له بجميع البلاد الشامية (١٧١) » فانه لم يهدأ لحظة عن الجهاد الاسلامى وعن التفكير فى الحرب المقدسة ضد الفرنج . والواقع اننا اذا حاولنا الكلام عن شخصية ذلك البطل

(١٦٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، د ٢ ص ١١٠ (ب) ١١١ (١) .

(١٦٧) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٤٤ .

(١٦٨) القرماتى : اخبار الدول وآثار الاول ، ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٣٣ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط د ٢ ص ١١١ ، ب ، الذهبى : المعبر ، د ٤ ص ١١٢ . ويذكر القرماتى هنا أن معنى أتابك أى الذى يربى اولاد الملوك .

(١٦٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٢ ص ١١١ (ب) ، أبو شامة : الروضتين د ١ ق ١ ص ٧٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٣٤ ، أبو الفدا : المختصر د ٢ ص ٢٣٩ ، ابن الوردى : تنقيح المختصر ، د ٢ ص ٣٣ .

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٤٣ .

(١٧١) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٤٤ .

الإسلامي لماننا سنجد أنفسنا في حاجة الى أن نفرد لتلك الشخصية بحثا بأكمله ، لذلك سنكتفى هنا فقط بتناول جهود ذلك القائد الإسلامي العظيم ضد الرها قبل سقوطها في يده ، لنستكمل ذلك الفصل عن العلاقات السلجوقية الرهوية ، والتي مثل السلاجقة فيها ولائهم بالموصل .

كان زنكي منذ اللحظة الأولى لتوليهِ حكم الموصل يفكر ويخطط للقضاء على التتوذ الصليبي في الشرق . لكنه لم يرغب أن يقتصر الأمر على حملات روتينية فقط ترسل الى الشلم ، وإنما كان يرمى الى أبعد من ذلك . ولكي يحقق ما صمم عليه رأى أن يتأنى ليستطيع أن يحقق مآربه ، لذا فعندما استنجد به أهل حران سنة ٥٢١هـ (١١٢٧ م) بسبب ماكانوا يعانونه من ضغط من جانب الصليبيين في الرها وسروج والبيرة وغيرها (١٧٢) ، من المراكز الصليبية التابعة لإمارة الرها الصليبية ، نجده بالفعل يتقدم الى حران مستجيبا لطلبهم ولكنه اتجه الى أسلوب السياسة ، فأرسل الى جوسلين وهافنه حتى يتفرغ له وتم الصلح بينهما (١٧٣) . وربما كان هذا هو السبب في أن ابن العديم عند كلامه عن توجه زنكي الى حلب في تلك السنة اقتصر على القول بأنه « رمى عسكره زرع الرها (١٧٤) » .

وهكذا لم يقم زنكي بمحاولة جادة ضد إمارة الرها في بداية حكمه بالموصل ، وإن كان هذا لم يمنعه من إرسال بعض القوات لمهاجمة الصليبيين في الرها وغيرها بين حين وآخر من ذلك أنه أرسل ٥٢٤هـ (١١٢٩ - ١١٣٠ م) ألفي فارس لمهاجمة معرة مصرين - وهي للفرنج - ماغارت تلك القوة على تل باثر ولوقعوا بخيل من الفرنج وقتلوا منهم جماعة كبيرة (١٧٥) . كذلك حدث حوالي ١١٣١م - ٥٢٦هـ أن

(١٧٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٢٥ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ١ ص ٧٧ ، ابن خلدون العبر ، ج ٥ ص ٢٢٤ يذكر الأخير أن ذلك كان ٥٢٣هـ أما متى الرهاوى فيذكر أنه كان ١١٢٨م - ٥٢٢هـ Mattieu : Op. Cit., p. 148.

(١٧٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٢٥ .
(١٧٤) ابن العديم : زبدة الطلب ، ج ٢ ص ٢٤٤ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٢٧٢ .
(١٧٥) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ٣ مخطوط ، ص ٢٠ (ب) .

توجهت قوات زنكى أمير الموصل ضد الرها ولكن الصليبيين تصدوا لهم وهزمهم واضطروهم للفرار (١٧٦) .

سلاجقة قونية وامارة الرها :

المقصود هنا بسلاجقة قونية ، سلاجقة الروم . وجد هذه الدولة ومنشئها هو سليمان بن قتلмыш بن اسرائيل بن سلجوق (١٧٧) . فبعد موقعة باتريكورت افسطس (١٠٧١ م - ٤٦٣ هـ) التي منى فيها البيزنطيون بهزيمة منكرة (١٧٨) ، جاء سليمان بن قتلмыш الى آسيا الصغرى ، وتمكن من بسط نفوذ السلاجقة على ثلاثة ربايعها تقريبا (١٧٩) . وقد اختار سليمان مدينة نيقية لتكون مركزا له وهى المدينة التى اصبحت اول عاصمة لسلطنة سلاجقة الروم فى الاناضول حتى حلت محلها قونية . والواقع انه فى ١٠٩٢ م / ٤٨٥ هـ قامت سلطنة قونية على يد تلج ارسلان الاول بن سليمان (١٨٠) .

كانت اولى احتكاكات سلاجقة قونية بامارة الرها ، فى عهد تلج ارسلان بن سليمان بن قتلмыш (١٨١) . وهو الذى امتد حكمه من ١٠٩٢ م الى ١١٠٧ م (١٨٢) / ٤٨٥ - ٥٠٠ هـ (١٨٣) . ذلك انه وصل فى ٤٩٩ هـ (١١٠٦ م) فى عسكر كثير وقصد الرها ونزل قريبا منها فارسل اصحاب جكرمش المقيمون بهران يستدعونه لتسلطهم اليه ، فوصل اليهم وتسلطها منهم واستبشر الناس بوصوله الى الجهاد واقام اياما

(١٧٦) Michel : Op. Cit., p. 233.

(١٧٧) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة سلاجقة .

(١٧٨) Ostrogorsky : Op. Cit., p. 344 (1968) ,

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، د ٥ ، ص ٨٦ (١٩٣٥ م) ،

سميد عاشور : الحركة ، د ١ ، ص ٨٨

(١٨١) سميد عاشور : الحركة ، د ١ ، ص ٩٠ .

(١٨٠) نفس المرجع السابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(١٨١) ابن القلانسي : الذيل ، ص ١٥٠ .

(١٨٢) Grousset : Hist des Crois. V. 2, p. 6.

(١٨٣) زامبور : معجم الانساب ، د ٢ ، ص ٢١٥ .

ولكنه مرض مرضا أوجب عودته الى ملطية في حين اقام اصحابه
بحران (١٨٤) .

ويشير متى الرهاوى الى هذه الحيلة بانها كانت في ١١٠٦م اى
(٤٩٩ هـ) ويضيف الى ما سبق ان قلق ارسلان قدم بجيش هائل
وحاصر الرها لبضعة ايام مؤملا ان يصبح سيد هذه المدينة لكنه
اخفق . وعند انسحابه استولى على حران بعد ان اخضع الجهات المجاورة
ام عاد الى بلاده (١٨٥) .

وفي ٥١٨هـ (١١٢٤م) يذكر متى الرهاوى ان سلطان ملطية الملجوتى
كان من جملة اعضاء التحالف الفرنجى الاسلامى ضد حلب وهو التحالف الذى
كان يضم الملك بلدوين الثانى وجوسلين الاول ودييس بن صدمه
وأخرين (١٨٦) والذى سنتكلم عنه بالتفصيل عند الكلام عن بنى مزيد ،
وهذا يعنى انه كانت هناك علاقات ود وتحالف بين سلاطين الروم فرع
ملطية وبين الرها . كما يعنى ايضا ان سلطنة سلاجقة الروم او سلاطين
قونية تفرع عنها سلطنة حكمها فرع من السلاجقة في ملطية (١٨٧) .

(١٨٤) ابن القلانسى : الذيل ، ص ١٥٠ .

Mattieu : Op. Cit., p. 82 (١٨٥)

Mattieu : Ibid., p. 142. (١٨٦)

ففى نفس الصفحة توجد حاشية تذكر ان
ابو الفرج قد عين اربعة ابناء لقلق ارسلان الاول السابق الذكر وهم :
مسعود وملكشاه وعرب وطغرل ارسلان . خلف الاول والده واتخذ
اقامته في قونية وترك اخويه عرب وطغرل ارسلان في ملطية وسجن
ملكشاه بواسطة غازى الدانشمندى وحرّم من النظر . وعلى ذلك يكون
اما عرب واما طغرل ارسلان هو الذى يشير اليه متى الرهاوى هنا .

لما رنسيماي فيشير الى انه حوالى ١١١٨م (٥١٢ هـ) كان الذى
يحكم في ملطية هو الأخ الأصغر لطغرل وهو مسعود تحت وصاية امه
وزوجها الثانى بلق بن ارتق لكن ربما كان يقصد هنا عرب وليس
مسعود باعتبار أن الأخير كان في قونية .

Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 207-8.

(١٨٧) يؤكد هذا ما ذكر عن أنه « عند بداية حكم الإمبراطور يوحنا

وفى ١١٣١م (٥٢٦هـ) قام جوسلين بحملة ضد سلطان قونية ولكن جوسلين توفى أثناءها (١٨٨) . ويذكر ميخائيل السرياني أنه بعد أن علم (ايلغازى) - والصحيح هو مسعود بن قلع أرسلان ١١١٦ - ١١٥٥م (١٨٩) (٥١٠ - ٥٥١هـ ١٩٠) - بوفاة جوسلين الأول أوقف المعركة وأرسل تعازيه وكتب الى الفرنج تلك الكلمات « لن اشتبك معكم فى معركة اليوم ، كى لا يقال اننى أحرزت النصر على جيشكم نتيجة لوفاة ملككم (١٩١) » .

ويفهم من تلك العبارات أن جوسلين توفى قبل احرازه النصر فى تلك المعركة وان كان وليه الصورى يشير الى أن العدو انسحب قبل أن يموت جوسلين (١٩٢) .

ويبدو أن العلاقات ظلت هادئة بين الجانبين الرهوى وسلاجقة الروم الى ١١٣٨م (٥٣٣هـ) عندما يخبرنا ابن العبري « أن مسعود حاكم قونية هاجم اقليم كيسوم واستولى على القرى وحرقها (١٩٣) » . وبعد ذلك بحوالى احدى عشر عاما ١١٤٩م (٥٤٤هـ) أى بعد سقوط الرها بنحو خمس سنوات « أوغل مسعود بن قلع أرسلان جنوبا فى بلاد الشام بجيش هائل فاستولى على عديد من المدن والقلاع وحاصر تل بائر وفيها جوسلين الثانى وزوجته واطفاله . ثم ساد السلام

الثانى امبراطور بيزنطة وخليفة الكسيوس من ١١١٨م - ١١٤٣م كان يحيط بملكه فى آسيا امارات تركية سلجوقية ثلاث : مسعود فى قونية وما جلورها وملك غازى فى سيواس وجهاتها وطغرل أرسلان بن قلع أرسلان فى ملطية وتوابعا « (اسد رستم : الروم ، د ٢ ص ١٤١) .
William : Op. Cit., V. 2, p. 52, Michaud : V. 2, p. 101. (١٨٨)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6. (١٨٩)

(١٩٠) زامبور : معجم الانساب ، د ٢ ، ص ٢١٥ .
Michel : Op. Cit., p. 232. (١٩١)
William : Op. Cit., V. 2, p. 52. (١٩٢)
Bar Hébraeus : Op. Cit., V. 1, p. 265. (١٩٣)

بين الجانبين بعد أن أطلق الأمير جوسلين سراح كل رعايا السلطان الذين كانوا في أسره (١٩٤) .

علاقة الرها بحلب وضواحيها :

احتلت حلب (١٩٥) مكانا بارزا الى جانب الموصل في العلاقات بين الرها والمسلمين ، فقد مر بنا كيف كانت حلب تحت حكم رضوان ابن تنش بن الب أرسلان السلجوقي عند قدوم الصليبيين . وقد ظلت حلب تحت حكم السلاجقة حتى حوالى ٥١١ هـ (١١١٧ م) عندما استولى عليها الأرتقة - كما سنرى .

والراجع انه لم يكن هناك أى احتكاك مهم بين حلب والرها في عهد أميرها الأول بلدوين البولوني . ولكن في بداية عهد بلدوين دى بورج ، وفى ٤٩٦ هـ (١١٠٢ م) على وجه التحديد خرج الجيشان الانطاكى والرهى وتوجها الى حلب « وأقاموا بها أسبعا (١٩٦) » وبمعد مفاوضات بينهم وبين الملك رضوان اتفقوا على أن يدفع لهم « سبعة آلاف دينار ومئيرة رؤوس من الخيل ويطلقوا الأسرى » ثم خرج فرنج الرها من تل باشر وأغاروا على « بلاد حلب الشمالى والشرقى وأحرقوه وتكرر ذلك منهم (١٩٧) » .

وقد مر بنا ما كان من أسر بلدوين دى بورج وجوسلين سنة ١١٠٤م

William : Op. Cit., V. 2, p. 200.

(١٩٤)

(١٩٥) تشير (انسا كومنين) فى الالكسياذة الى أن حلب كانت تسمى برويا Berroea أو خالاب Chalep (Anna Comnena : The Alexias, p. 355.)

أما ياقوت الحموى : معجم البلدان - د ١ ص ١٢٧ فيشير الى اسم مشابه لذلك عندما يسميها (باروا) عن يحيى بن جرير الطبيب التكريتى النمرانى . (١٩٦) ابن المديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٤٧ ، الطباخ الطبى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٣٩٠ .

(١٩٧) المصدرين السابقين نفس الصفحات :

(٤٩٧ هـ) الى ان تم اطلاق سراح بسلدوين ١١٠٨ م (٥٠٢ هـ) على يد جاولى بعد اتفاق تم بينهما على اساس دفع فدية عن بلدوين لجاولى . ثم اطلق جاولى سراح جوسلين ايضا وسيره الى بلدوين كى يرسل الاسرى والمال الذى اتفقا عليه « فلما وصل جوسلين الى منبج اغار عليها ونهبها . وكان معه مجموعة من اصحاب الامير جاولى فانكروا عليه ذلك واعتبروه غسدا (١٩٨) فرد عليهم جوسلين بقوله « ان هذه البلاد ليست لكم (١٩٩) » .

وبالرغم من ان بلدوين دى بورج اطلق بالفعل — كما تعهد لجاولى — حوالى « مائة وستين اسيرا من المسلمين كلهم من سواد حلب بعد ان كسبهم (٢٠٠) » ، الا انه فى نفس ١١٠٨ م — ٥٠٢ هـ « خرج الملك رضوان من حلب ليتسلم الرقة فظهر فى طريقه بسبعين رجلا من الفرنج معهم المال الذى قرره الامير جاولى سقاؤه على قمص الرها فاخذ الملك رضوان المال وقتل جماعة من الفرنج واسر جماعة وتسلم الرقة من بنى نمير وعوضهم قلمعة الجسر (٢٠١) » .

(١٩٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ص ٢٢ (ا) ،
الطبائخ الحلبي : المصدر السابق ، د ١ ص ٣٩٩ .

(١٩٩) ابن خلدون العبر ، د ٥ ص ١٩١ (وهو يذكر ان ذلك كان
٥٠٣ هـ — ١١٠٩ م ولكن الراجح انه اخطا فى ذكر السنة) .
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 435.

(٢٠٠) العيني : عقد الجمان ، د ٣ م ١٥٥ ص ٦٢٨ ،
Grousset : Ibid., V. 1, p. 436

(٢٠١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ص ٢٤ (ب)،
١١٢٥ . لما العيني عقد الجمان ، د ٣ م ١٥٥ ص ٦٣٩ ، الطبائخ الحلبي :
اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٠٠ فيذكر « انه بينما كان الملك رضوان متوجها
من حلب الى الرقة لتجديتها من بنى نمير الذين استولوا على البلدة من
على بن سالم بن مالك ، وقتلوه . وعند صفين صادف رضوان تسعين
رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى
جاولى فاخذه واسر عددا منهم فلما وصل الرقة صالحه بنو نمير على
مال فرحل عنها الى حلب » .

وفي سنة ٥٠٨ هـ ١١١٤م توفي الملك رضوان صاحب حلب — وهو الذي سبق ان اشرنا الى تحالفه مع تنكريد ٥٠٢ هـ (١١٠٨ م) — وخلفه في حلب ابنه تاج الدولة الب ارسلان الأخرس تحت وصاية لؤلؤ الخصى . وعندما علم لؤلؤ بأن السلطان أرسل برسق بن برسق على رأس حملة ضد الفرنج ٥٠٩ هـ — ١١١٥م ، خشى أن يستولى برسق على حلب ولذا انضم الى الجانب الفرنجي الذي سبق ان اشرنا ان طفنتين حاكم دمشق وإيلغازي كانا قد انضبا اليه (٢٠٢) .

وهكذا يبدو ان حلب في علاقتها مع الفرنج في ذلك الدور كانت تنضم في غالبية الأحيان الى الجانب الفرنجي وخاصة إمارة انطاكية القريبة منها . هذا وان كانت قد وقفت على الحياد في حركة الجهاد التي قسام بها مودود ١١١١م (٥٠٥ هـ) والتي جاءت أصلا نتيجة لاستئجار حلب بالخليفة . وأخيرا أدى تخوف رضوان من السلاجقة أكثر الى أن يعلن لمودود أنه لا يمكنه الاتحاد معهم لأنه اضطلع مع تنكريد وأنه يحتفظ بالحياد (٢٠٣) .

وفي سنة ٥١١ هـ (١١١٧م) دخلت حلب في حوزة الاراقة . وانتهت حسالة الهدنة التي كانت قائمة بين حلب والفرنج . ففي هذه السنة « اشتد الغلاء بأنطاكية وحلب لأن الزرع عرق ولحقه هواء عند أدراكه أطله (٢٠٤) » . وعندئذ انتهز الفرنج الفرصة وغازوا على حلب وأخذوا « ما لا يحصيه الا الله » . فاستنجد الأهالي بدمشق ولكن جوسلين ومعه عساكر الفرنج أوقفوا تلك النجدة . وفي نفس الوقت استنجد أهل حلب بالموصل ولكن بدون جدوى بسبب عدم استقرار أحوالها (٢٠٥) . ثم نزل الفرنج على أعزاز « وضايقوها واشرفت على الأخذ وانقطعت قلوب أهل حلب إذ لم يكن يقى حلب معونة الا من عزاز وبلدها وبقيّة

Mattieu : Op. Cit., p. 115. (٢٠٢)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455. (٢٠٣)

(٢٠٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، ح ٢ ص ١٨١

(٢٠٥) المصدر السابق ص ١٨١ — ١٨٢ .

بلد حلب في أيدي الفرنج والشرقي خراب مجسب (٢٠٦) » لذا استنجد أهل حلب بإيلغازي بن أرتق ، محضر إلى حلب وملكها من سلطان شاه بن رضوان بن تتش ٥١١هـ (٢٠٧) .

وهكذا أصبح إيلغازي حاكما على ماردين وحلب ، وحاول عن طريق التفاوض مع الفرنج ٥١٣هـ (١١١٩ م) أن يجعلهم يرحلون عن اعزاز مقابل اعطائهم مبلغا من المال « فلم ياتفتوا لقوة طمعهم في أمر الإسلام ، وكان إيلغازي يعجز بحلب عن قوت الدواب وحلب على حد التلف (٢٠٨) » . فلما يش أهل عزاز سلموها إلى الفرنج متم الصلح بينهم وبين حلب على أساس أن يساهوا للفرنج تل هراق (٢٠٦) والف دينار وتكون لهم من حلب شمالا وغربا . وزرعوا أمسال عزاز وصار يدخل إلى حلب ما يتعلمون به من القوت (٢١٠) .

وفي نفس سنة ١١١٩م (٥١٢هـ) واستنادا إلى ما ذكره متى الرهاوي يبدو أنه حدث خلاف بين إيلغازي وبين روجر حاكم انطاكية مما جعل الأول يجمع جيشا كبيرا يبلغ حوالي ثمانين ألف رجلا ويتوجه ضد انطاكية ووصل بقواته هذه أمام أسوار الرها حيث توقف أربعة أيام ثم اتجه إلى

(٢٠٦) المصدر السابق ص ١٨٢ .

(٢٠٧) المصدر السابق ص ١٨٦ ، الذهبي : المعبر د ٤ ص ٣٦ أما أبو الفضائل الحموي : التواريخ المنصوري ص ١٦٢ فيذكر أن دخول إيلغازي حلب وفتح الفرنج لامزاز كان ٥١٢هـ . في حين يشير ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط رقم ٥٤٢٣ تاريخ ص ٣١٠ ، « أن الفرنج استولوا على عزاز في شهر رمضان ٥٠١هـ (١١٠٧ م) ولقى أهل حلب منهم شدة عظيمة إلى أن فتحتها نور الدين محمود بن زنكي في ٥٤٥هـ » والراجح أن التواريخ خطأ بدليل أن ابن العديم نفسه هو الذي فكر أنها اخذت سنة ٥١١هـ .

(٢٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٨٦ .

(٢٠٩) يذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، د ٥ ص ٤٥ (أنها من حصون حلب الغربية) .

(٢١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٨٦ .

الفرات وعبره (٢١١) . أما ميخائيل السرياني فيشير الى أن ايلغازي جمع بعض القوات في تلك السنة وغزا بلاد الرها وأحرق المحاصيل . وعندما لم يجد أحدا يخرج لمنزلته رجع ودخل اقليم انطاكية وأخذ معه بعض الأسرى ثم عاد الى بلاده (٢١٢) .

أما ابن العديم فيشير الى أن ايلغازي توجه في ٥١٣هـ « في عسكر يزيد على أربعين ألفا وقطع الفرات وامتدت عساكره في أرض تل بآشر وتل خالد (١١٣) وما يقاربها يقتل وينهب ويأسر وغنموا كل ما قدروا عليه (١١٤) » .

ومهما يكن بين الروايات السابقة من تباين فانها تشير الى الدور الإيجابي الذي قام به ايلغازي الأرضي في تلك السنة ضد الرها .

وقد رد جوسلين في بداية حكمه للرها على تلك المحاولات العدوانية من جانب ايلغازي بالاقارة على « منبج والنقرة وأعمال حلب الشرقية » وأخذ كل ما وجده من دواب وأسرى رجالا ونساء (١١٥) .

وفي ١١٢٠م (٥١٤هـ) قاد ايلغازي من جديد حملة ضد الفرنج وهي الحملة التي تركت أثرا واضحا على الرها والتي ذكرها متى الرهولي بالتفصيل . ذلك أنه خرج على رأس قوات كبيرة بلغت مائة

(٢١١) Matthen : Op. Cit., p. 122.

ويقال أن تلك الحملة كانت في بداية شهر يونيه ١١١٩م .
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 412-13)

(٢١٢) Michel : Op. Cit., p. 205.

ربما تكون هذه هي الحملة التي أشار اليها
(Iorga : Brève Hist., p. 82).

عندما ذكر أن ايلغازي قاد حملة غير ناجحة ضد الرها في ١١١٩م .
(١١٣) يذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان : د ٥ ص ٤١ أنها تلعك من نواحي حلب .
(١١٤) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ١٨٧ الطبائخ الحلبى .
د ١ ص ٤٣٠ .

(١١٥) ابن العديم : المصدر السابق د ٢ ص ١٩٤
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 415.

وثلاثين ألف محارب . وتوجه مسرعا الى أسوار الرها حيث حشد
ألمها أربعة أيام حرب خلالها كل الحقول ثم عبر الى سروج واجتاز الفرات
بجزء كبير من قواته وانتقل من تل باشر الى كيسوم . وهكذا ظل يقتل
ويأسر ويذهب ويخرب حتى جمع الأمير جوسلين قواته وخرج لمطاردة
الأتراك ، وانقض عليهم وقتل ألفا وعنفدئذ انسحب ايلغازى ليعسكر
قرب عزاز (١١٦) . وهناك اجتمع الفرنج في جانب واجتمع ايلغازى
وطغتكين في جانب آخر . لكن لم يحدث بينهما اشتباك ما بل عففت هدنة
بين الطرفين تنازل فيها ايلغازى للفرنج في انطاكية عن « المعرة وكفر طاب
والجبل والباردة وضياعا من جبل السماق برسم هاب وضياعا من ليلون
برسم تل افدى ، وضياعا من عزاز برسم عزاز (١١٧) » .

ويبدو أن ايلغازى عقد تلك الهدنة حتى يستطيع اعادة تنظيم قواته
من جديد وحتى يتمكن من اضافة فرق جديدة الى جيشه ثم يعود
ثانية الى مهاجمة الفرنج . وبالفعل نجده يتوجه بعد تلك الهدنة « الى
ماردين ليجب العسكر (١١٨) » . بعد أن ترك يطلب ابنه شمس الدولة
سليمان بن نجم الدين ايلغازى مع نائبه مكى ابن قرناص الحموي (١١٩) .

ورغم الهدنة القائمة بين ايلغازى والفرنج فان جوسلين أمير الرها

Mattieu : Op. Cit., p. 127, Cahen : Op. Cit., p. 291. (١١٦)

ويذكر ابن العديم : أن ذلك كان في ٢٥ صفر ٥١٤ هـ (ابن العديم : الزبدة ،
د ٢ ، ص ١٩٥) .

(١١٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٩٥ — ١٩٦ وهو يسمى
تلك الواقعة (موقعة دانيث) وكفر طاب بلدة بين المعرة ومدينة حلب
(ياقوت : معجم البلدان ، د ١٦ ص ٤٧٠) . وجبل السماق هو جبل
عظيم من أعمال حلب الغربية (ياقوت : د ٥ ص ١٠٢) أما ليلون ويقال
ليلول فهو جبل مائل على حلب بينها وبين انطاكية (ياقوت د ١٧ ص ٢٩) .

(١١٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١٩٦ .

(١١٩) المصدر السابق ص ١١٨ — ١١٩ .

غدر بالصلح وأغار على النقرة والأخص (١٢٠) واحتج بأنه أسر له وإلى منبج أسيرا وأنه كاتب في ذلك فلم ينصف وذلك في شوال ٥١٤ هـ / يناير ١١٢١ م (١٢١) . وقتل وسبى وأحرق كل ما في النقرة والأخص ؛ ثم أخذ المشايخ والعجائز والضعفاء فنزع عنهم ثيابهم وتركهم في البرد عراة فهلكوا جميعهم (١٢٢) . ثم عاد إلى تل باثر وخرج من جديد فكرر ما فعله في المرة السابقة . لذلك أرسل وإلى حلب إلى ملك بيت المقدس يقول « أن نجم الدين لم يترك هذه البلاد خالية من المعسكر إلا ثقة بالصلح » فكان رد الملك « مالى على جوسلين يد » وبذلك تتابعت غارات جوسلين (١٢٣) .

وعندما وجد جوسلين أن إيلغازي قد انشغل عن أمر الشام في ماردین بدبیس بن صفقة (١٢٤) ، توجه إلى حلب « واستولى على معقله (١٢٥) » ، كما اغار على صفين جنوب الفرات وسبى العرب والتركمان ونزل بزاعة والواقعة شمال حلب قرب وادی بطنان ونجح في خرق جزء من جدرانها ، ولم يرفع حصاره عنها إلا بعد أن دفع له

(١٢٠) يذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ص ١١٤ أن الأخص بناوح حلب كورة كبيرة مشهورة ، قصبتها خناصره وهي المدينة التي كان ينزلها عمر بن عبد العزيز .

(١٢١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٩٧

(١٢٢) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة .

(١٢٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ص ١٩٧

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٤) ابن العديم : المصدر السابق ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ويفسر ذلك بقوله « انه في هذه السنة هرب ملك العرب دبیس بن صفقة الاسدي فأكرمه نجم الدولة بملك ثم سار إلى إيلغازي إلى مادين وتزوج ابنته فاستند به وأجاره ووصل معه الأموال العظيمة والنعمة الوفيرة وحمل إليه إيلغازي ما يقوت الأحصاء فاشتغل إيلغازي بدبیس عن العبور إلى الشام .

(١٢٥) ابن العديم : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

مبلغا من المال (١٢٦) . وفي مايو ١١٢١م (٥١٥ هـ) هاجم جوسلين قلعة الأنارب الى الجنوب الشرقي من حلب وأحدث منبحة ضخمة في أهلها من المسلمين (١٢٧) .

منفذ « كتب ايلغازي الى ولده ونوابه يأمرهم بصلاح الفرنج على ما يريدون فصالحوهم على سرمين والجزر ولبلون وأعمال الشمال على أنها للفرنج . وما حول حلب للفرنج فيه النصف حتى أنهم ناصفوهم في رضى العربية وعلى أن يهدم تل هراق بحيث لا يبقى للفتن فيه حكم (١٢٨) » . كذلك طالب الفرنج بتسليم الأنارب فوافق ايلغازي لكن الأهالي ناضلوا بسدة من أجلها لذا احتفظ المسلمون بها (١٢٩) .

ولما كانت تلك الشروط مجحفة بأهل حلب فانهم لم يستكينوا فخرجوا ٥١٦ هـ (١١٢٢م) في عدد هائل الى عزاز لكن الهزيمة حلت بهم وقتل عدد كبير منهم (١٣٠) .

وفي نفس السنة تقدم ايلغازي من ماردين الى حلب ليقا تل الفرنج بعد أن جمع جيشا كبيرا وبعد أن وصل الى حلب اتجه الى شيزر فاجتمع ملك القدس وجوسلين أمير الرها لمقاومته ولكن لم يحدث أى اشتباك بينهما وعاد كل منهما الى بلاده في سبتمبر ١١٢٢م (١٣١) .

(١٢٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٣٠٢ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ص ١٩٨ ،

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416,

(١٢٧) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٠٩ من ابن العديم

محمد أحمد حسين : أسامة بن منقذ ، ص ٤٦ .

Setton : Ibid., p. 416.

والأنارب قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية (ياقوت : د ١ ص ٨٩) .

(١٢٨) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ١٩٩ . وهو يذكر أن جوسلين كان ممن تولوا المفاوضات .

(١٢٩) ابن العديم المصدر السابق نفس الصفحة

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 416.

(١٣٠) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٠٥ .

Mattieu : Op. Cit., p. 131, William : Op. Cit., V. 1, p. 537. (١٣١)

وفي الوقت الذي دخل فيه ايلغازي حلب توجه بلك ابن اخيه ليقتني
اثر الفرنج حتى تمكن كما رأينا من قبل من أسر جوسلين نفسه ومعه
ابن خالته جاليران (١٣٢) .

ورغم أسر امير الرها جوسلين الا ان ذلك لم يمنع فرنج الرها من
محاربة اهل حلب انتقاما منهم لما حدث لرئيسهم فتوجه فرنج الرها في
شعبان ٥١٦ هـ - اكتوبر ١١٢٢ م « من تل بياثر وكسوا تل
قباسين (١٣٣) ، فخرج النائب بيزاعا مع اهلها فالتقوا وانهزم المسلمون
وقتل منهم تسعون رجلا (١٣٤) » .

وفي رمضان ٥١٦ هـ - نوفمبر ١١٢٢ م « توفي ايلغازي بن ارتق ابن
اكسب نجم الدين التركماني الذي كان فارسا شجاعا كثير الغزو كثير
المعطاء مولى بمعه ماريدين ابنه حسام الدين تهرتاش (١٣٥) » .

وقد رأينا كيف أسر الملك بلدوين الثاني نفسه مع جوسلين وجاليران
ثم كيف افلت جوسلين من الأسر ٥١٧ هـ (١١٢٣ م) وعاد الى الرها
ليجمع نجدة من انطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس (١٣٦) .
ولكن عندها علم بعودة بلك الى خربتوت واحتجازه للملك مرة أخرى ثارت
ثأثرته وقسم بالمسيح من أعمال التخريب في اقليم حلب ٥١٧ هـ (١١٢٣ م)

Mattieu : Ibid., p. 131, William : Ibid., V. 1, p. 540, (١٣٢)

سماء متى الرهاوى واليران Michel : Op. Cit., p. 201.

(١٣٣) قرية من قرى المواسم من أعمال حلب (ياقوت الحوى :
معجم البلدان ، د ٥ ص ٤٣) .

(١٣٤) ابن المديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٠٦ ،

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 584.

(١٣٥) الذهبي العبر ، د ٤ ص ٣٦ ، زابور : معجم الانساب ، د ٢

ص ٣٤٥ ، محمد احمد حسين : اسامة بن منقذ ، ص ٢٧ ويضيف الاخير ان
ابنه شمس الدولة سليمان استولى على ميفارقين ، في حين كانت حلب من
نصيب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق .

Fulcherii Carnotensis : Op. Cit., T. 3, p. 456, Setton : (١٣٦)

Op. Cit., V. 1, p. 420.

وهي السنة التي تعتبر من أهم سنى الصراع بين الرها وحلب لما شهدته من اشتباكات جمة بينهما . وقد وضح في كل أطوار تلك العلاقات في هذه السنة دور الهجوم من جانب جوسلين ، فقد رأى أن ذلك هو خير وسيلة للدفاع عن حدوده الخاصة وحدود إمارة أنطاكية المدومة الثيافة (١٣٧) .

والواقع أن الفرنج اتفقوا على أن يخفوا فشل الحملة الموجهة لانقاذ الملك بأن يوجهوا جهودهم الى أعمال التخريب بحلب ، (١٣٨) ؛ انتقاما لآسر الملك مرة أخرى . فسار جوسلين بمن معه ٥١٧هـ / ١١٢٣م الى «الوادي وقايل بزاعا واحرق بعض جدارها ثم احرق الباب وقطع شجرة واحرق ما سواه من الوادي . ثم نزل جيلان ثم حلب من ناحية مشهد الجف من الشمال ، وخرّب المشاهد والبساتين وكسر الناس عند مشهد طرود بالقرب من بستان النقرة وقتل وسبى مقدار عشرين نفرا (١٣٩) » .

ثم رحل « ونزل الجانب الغربى في البقعة السوداء وخرّب مشاهد الجانب القبلى وبساتينه ونبس الضريح الذى به مشهد الدكة فلم يجد فيه شيئا فالقى فيه النار (١٤٠) » . وفي رمضان « نزل السعدى وقطع شجرة (١٤١) » .

(١٣٧) Setton : Ibid., V. 1, p. 420.

(١٣٨) William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Setton : Ibid., 420.

(١٣٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٤ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء د ١ ص ٤٥٠ ويزاعة بلدة من أعمال حلب في وادى بطنان بين منبج وحلب (ياقوت : معجم البلدان ، د ٥ ص ٤٠٩) أما جيلان فهى قرية من قرى حلب فيها عين تصل مياهها الى حلب (ابن العديم زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٤) .

(١٤٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٦ .

(١٤١) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٤ ، الطباخ الحلبى : أعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٥٠ (المقصود هنا رمضان ٥١٧هـ) .

إمارة الرها الصليبية . م ١٢ ١٧٧

هنا يذكر ابن العديم أنه كرد فعل لنش جوسلين اضرحة المسلمين سنة ٥١٧هـ (١١٢٣م) أمر قاضي حلب ابن الخشاب بموافقة مقدمي حلب أن تهدم محاريب الكنائس التي للنصارى بحلب وأن تعمل لها محاريب الى جهة القبلة وتغير ابوابها وتتخذ مساجد (١٤٢) . ولم يبق للنصارى في حلب سوى كنيسة (١٤٣) .

(١٤٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٤ — ٢١٥ أما ابن شداد (ت ٦٨٤هـ) ، سبط بن العجمي (ت ٨٨٤هـ فيذكر أن تحويل الكنائس الى مساجد كان سنة ٥١٨هـ ١١٢٤م . والراجح أن ذلك كان سنة ٥١٧هـ استناداً لرأى ابن العديم (ت ٦٦٠هـ) فمثلاً ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، د ١ ق ١ ص ٥٥ فيذكر « انه كان بحلب نيف وسبعون هيكلًا للنصارى منها الهيكل المعظم عندهم الذي بنته هيلانه أم قسطنطين باني القسطنطينية وهي التي بنت كنائس الشام كلها والبيت المقدس وهذا الهيكل كان في الكنيسة العظمى التي هي تجاه الجامع الغربي وكانت هذه الكنيسة معظمة عندهم ولم تزل على ذلك الى أن حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ » .

أما سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ١ مخطوط ص ١٩١ فيذكر أنه كان بقلعة حلب جرس عظيم يعلق على برج من أبراجها ، علق هذا الجرس سنة ٤٩٦هـ وسبب تعليقه أن الفرنج لما ملكوا أنطاكية طبعوا في حلب وضواحيها ، فصالحهم رضوان بن تاج الدولة تنش ، ناقترحوا عليه اشياء من جبلتها أن يعلق هذا الجرس بقلعة حلب ويضع صليبا على منارة المسجد الجامع موافق . فانكر القاضي أبو الحسن بن الخشاب — الذي كان بيده زمام البلد — وضع الصليب على منارة الجامع ، لذا راجع رضوان الفرنج في ذلك فاذ نوافق وضعه على الكنيسة العظمى فلم يزل بها الى أن حاصرت الفرنج حلب ٥١٨هـ ونهبوا ما حولها من القبور فاخذ ابن الخشاب الكنائس ورمى الصليب ، أما الجرس فظل باقيا حتى ٥٨٧هـ وربما كان الخطأ في تحديد السنة هو الذي جعل سامي الدهان ينشر ذلك الجزء من أحداث سنة ٥١٧هـ تحت سنة ٥١٨هـ .

(ابن العديم : الزبدة ، د ٢ ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦) أما أهم الكنائس التي حولت الى مساجد فيذكر ابن العديم ص ١٤ — ١٥ « فعل ذلك بكنيستهم العظمى ، وكنيسة الحدادين وكنيسة بدرب الحراف وهي مكان مدرسة ابن المقدم » أما الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٦ فيقول (كنيسة هيلانه والحدادين وموغان والمقدمية) .

(١٤٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٥ .

وفي التاسع عشر رمضان ٥١٧هـ ١١٢٣م خرج جوسلين الى الوادي والنقرة والأخص وأخذ ما يزيد على خمسمائة فرس من الدواب والبقر والغنم والجمال ما لا يحصى وقتل وسبى وخرب ما أمكنه وعاد الى تل باشر (١٤٤) - ثم أغار جوسلين على اقليم شبختان واستولى على كل ما كان موجودا به (١٤٥) . كذلك أغار جوسلين « على الجبول (١٤٦) » . وما حولها وأخذ دواب كثيرة وتوجه الى دير حافر وهي قرية بين حلب وبالس فخلق أهلها بالدخان في المخاير وفتح المقابر وسلب الموتى لكنهم (١٤٧) » .

وهكذا كانت حلب هي أكثر المناطق الإسلامية تعرضا لتخريب جوسلين بعد هربه من الأسر ويعد أن أضاع بك عليه الفرصة في إطلاق سراح الملك بلدوين الثاني .

وفي صفر ٥١٨هـ (١٢٤) م توجهت مجموعة من أصحاب بك بن بهرام الى عزاز فوقع بينهم وبين الفرنج موقعة انتصر فيها الأتراك وأخذوا من الفرنج حوالي أربعين رجلا وفر الباقون الى عزاز وهم مصابون بجراح كثيرة (١٤٨) . وفي نفس السنة وقعت موقعة منبج بين بك ابن أرتق من ناحية وبين حاكم منبج وجوسلين من ناحية أخرى وهي التي راح ضحيتها بك نفسه .

(١٤٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٥ : المعنى : عقد الجمان ، د ١٥٤ ص ٨٢٨ .

(١٤٥) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٦ .

Cahen : Op. Cit., p. 298.

(١٤٦) قرية كبيرة الى جنب ملاحه حلب ، ينصب فيها نهر بطنان ونهر الذهب ثم يجرد ملحا فيمتار منه كثير من بلدان الشام وبعض الجزيرة (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، د ٥ ص ١٠٧) اما ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢١٨ فيسميها الجبل .

(١٤٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٦ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب ص ٢١٨ .

(١٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٧ ، الطباخ الطبى : د ١ ص ٤٥٢ .

ذلك أن حسان بن كمشتكين كان يحكم منبج (١٤٩) منذ ١٠٩١ م (١٥٠)
 (٤٨٥ هـ) تقريبا . وفي ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) حدث سوء تفاهم بين حسان
 وبلك فأنفذ بلك إليه جيشا مع ابن عمه تهرتاش بن أيلغازي بن أرتق (١٥١) .
 « وتقدم إليهم أن يهروا على منبج ويطلبوا من حسان أن يخرج معهم
 للأغارة على تل باشر فإذا خرج قبضوه » (١٥٢) . وبالفعل نفذوا ما
 طلبه منهم بلك وأخذوا حسان أسيرا « حيث حبس في حصن بالو بعد
 أن عوقب وعرى وسحب على الشوك (١٥٣) » .
 ورغم ذلك التعذيب الذي وقع بحسان ، رفض أخوه عيسى أن
 يسلم البلد إلى اتباع بلك . بل أكثر من ذلك أرسل عيسى يستجد بجوسلين
 أمير الرها قائلا : « أن وصلتي وكشفت عنى عسكر بلك سلمت
 اليك منبج (١٥٤) » .

وعندما رأى بلك تشدد عيسى في موقفه جمع بعض القوات وسار
 ضد الفرنج وتوجه أولا إلى حلب ومنها توجه لمهاجمة منبج (١٥٥) .
 في نفس الوقت كان جوسلين قد توجه إلى بيت المقدس وطرابلس

(١٤٩) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢١٨ . الطباخ نفس الصفحة .
 Cahen : Op. Cit., p. 298. (١٥٠)

(١٥١) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٨ Setton : Op. Cit.,
 V. 1, p. 422,

(١٥٢) ابن العديم : المصدر السابق والصفحة ، الطباخ : د ١
 ص ٤٥٢ .

(١٥٣) المصدرين السابقين نفس الصفحات . ويذكر ابن العديم هنا
 أن بالو قلعة حصينة وبلدة من نواحي أرمينية بين أرزن الروم وخلاط .

(١٥٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٨ (وهو يذكر أيضا
 أن عيسى نادى بشعار جوسلين بمنبج أما متى الرهاوى فيذكر أن
 الاستجداد كان بجوسلين وجيوفرى .

(Mattieu : Op. Cit., p. 138), Michel : Op. Cit., p. 211.

Cahen : Op. Cit., p., 298, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422.

Mattieu : Op. Cit., p.p. 137 - 138. (١٥٥)

وبقية المراكز الصليبية يجمع القوات لحرب بك (١٥٦) .

وكان ان التقى الجيش الصليبي مع جيش بك الأرمنى بالقرب من منبج في يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول ٥١٨ هـ ، ٤ مايو ١١٢٤ م (١٥٧) .
ويصف لنا متى الرهازى تلك المعركة فيقول أن الاشتباك كان مخيفا .
ورغم ان أعداد المسلمين فاقت أعداد الصليبيين الا ان كفة الصليبيين كانت هى الراجحة في البداية ، فطوقوا الأتراك وأجبروهم على الفرار .
ولكن مجموعة من الأتراك تمكنت من تطويق أمير مرعش — جيوفرى —
ومعه مجموعة من نبلاء الصليبيين ، وقتلوا بعضهم وعندما سمع جوسلين بذلك هرب متجها الى مدينته تل باشر (١٥٨) .

اما ابن العديم فيصور لنا نفس المعركة بقوله : « اقتتل العسكران وانهزم الفرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى آخر النهار . وحمل فيهم بك ذلك اليوم خمسين حملة يفتك فيهم ويخرج سالبا ، يضرب بالسيوف ويطنع بالرماح ولا يكلم ، وعاد الى منبج فبات مصليا مبتهلا الى الله تعالى لما جدد على يده من الظفر بالفرنج (١٥٩) » .

وفي اليوم التالي تجدد القتال بعد ان تخلص بك من كل اسراء في اليوم السابق (١٦٠) ، وأعطى بك أوامره بتشديد الهجوم « وهو في غيرة مفرحة بنجاحه (١٦١) » . في اليوم السابق . ولكن بينما

Mattieu : Ibid., p. 138, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 422, (١٥٦)

وكان أهم المنضمين الى جوسلين وقتذاك جيوفرى أمير مرعش الى جانب أمير دلوک .

Cahen : Op. Cit., p. 298

(١٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢١٨ — ٢١٩

• Mattieu : Ibid. p. 138,

Mattieu : Ibid. p. 138, (١٥٨)

(١٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢١٩

(١٦٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢١٩ .

Mattieu : Op. Cit., p. 139. (١٦١)

وقف بك يحير المعركة اذ جاءه سهم من القلعة قتله في الحال (١٦٢) ، عندئذ استدعى « تمرتاش بن ايلغازى وعهد اليه بحكم بلاده (١٦٣) » ، ومن جعلتها حلب (١٦٤) . وعندئذ فكت قواته الحصار عن منبج (١٦٥) . ويصور متى الرهاوى صدى موته بقوله « سبب موته فرحة عامة بين الفرنج ، ولكن على العكس بالنسبة للبلاد التابعة له فقد حملت الحزن العميق فقد كان دائما مشهود له بالتسامح والعطف على الارمن الذين تحت نفوذه (١٦٦) » ، وهذا يدل بالفعل على تسامحه مع الارمن لان متى الرهاوى كان ارمنى الجنسية .

وبوفاة بك تشجع نائباً جوسلين بالهجوم على اقليم شبختان في مايو ١١٢٤م ، اواخر ربيع الاول ٥١٨هـ (١٦٧) . « فاغار على شبختان ونهبها فصار اليه نائب تمرتاش بحلب وهو عمر الخالص الذى ركب اليه في ثلثمائة فارس فلاحقه على مرج اكساس فقاتله وقتل اكثر من

(١٦٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢١٩ ، ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٥ ،

Mattieu : Op. Cit., p. 139, Setton : Op. Cit. V. 1, p. 423, V. 2, p. 876.

ويذكر ابن العديم (انه قيل ان السهم كان من يد عيسى فوقع في ترقوته اليسرى فاتزعه ويصق عليه وقال « هذا قتل المسلمين كلهم » ومات لوقته) اما متى الرهاوى فيقول ان قاتل بك كان احد عباد الشمس .
(Mattieu : Op. Cit., p. 139)

(١٦٣) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٥ .
Mattieu : Ibid., p. 139,

(١٦٤) العيني : عقد الجبان ، د ١٥ ص ٨٢٤ — ٨٢٥
Setton : V. 1, p. 423,

Mattieu . Op. Cit., p. 139, Cahen : Op. Cit., p. 298. (١٦٥)

Mattieu : Ibid., p. 139, (١٦٦)

Setton : Op. Cit., V. I, p. 423, (١٦٧)

ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٠

كان معه من الفرنج وعلم غائباً وأنفذ رؤوسهم وما غفبه الى تمرتاش الى حلب (١٦٨) . لذا كافأ تمرتاش عمر الخاص بمنحه حكم حلب (١٦٩) . ومضى تمرتاش الى ماردين في الخامس والعشرين من رجب (١٧٠) .

لم يمض شهر واحد حتى حوصرت حلب من جديد بواسطة الفرنج في شعبان ٥١٨ هـ (١٧١) (أكتوبر ١١٢٤ م) (١٧٢) . اذ حاصرها الملك بلدوين الثاني وجوسلين أمير الرها (١٧٣) . فضلاً عن دبيس بن صدقة أمير العرب وسليمان شاه بن رضوان وآخرين (١٧٤) . وهو ما سنتناول اسبابه بالتفصيل عند الكلام من بنى مزيد . وقد أقام الفرنج وحلفائهم الحصار على حلب وارتكبوا الكثير من الفظائع التي

(١٦٨) ابن العديم : المصدر السابق والمفحة ، الطباق الحلبى ، اعلام النبلاء ، د ١ ص ٥٤ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 423, (١٦٩)

(١٧٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٣ ، المعنى : عقد الجبلان ، د ١٥ ص ٨٤٠ (من ابن العميد) .

(١٧١) ابن العديم : المصدر السابق والمفحة . اما التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥١٩ هـ يذكر ان ذلك كان ٥١٩ هـ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 876, Setton. (١٧٢)

Op. Cit., V. 1, p. 452.

(١٧٣) يسميه التاريخ المظفرى ، حوادث ٥١٩ هـ (جوسلين الرومى)

Mattieu : Op. Cit., p. 141-142, Setton : Op. Cit., V. 1 (١٧٤)

p. 452, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 876-877.

ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، سبط بن العجوى : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١ .

فصلها لنا ابن العديم (١٧٥) . وسبط بن العجمي (١٧٦) . بل أن الفرنج هزموا على أن يداوموا حصار المدينة لمدة طويلة حتى يجبروا أهلها على التسليم لهم « حتى أنهم بنوا لهم بيوتا لأجل الحر والبرد (١٧٧) » . ويقال أن الحصار استمر حوالى أربعة أشهر (١٧٨) . وكان يحلب بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار والحاجب عمر الخصاص ومعهما قرابة خمسمائة فارس (١٧٩) .

وقد فكر أهل حلب في أن يرسلوا إلى تبرتاش يستجدون به وبالفعل خرج وفد منهم إلى ماردين « مستصرخين إليه ومستغيثين (١٨٠) » . ولكنه لم يجدهم لأسباب لوردها بعض المصادر الإسلامية ، فعضها يذكر « أنهم وجدوا أن أخاه سليمان بن أيلغازي صاحب ميافارقين كان قد توفي في رمضان وسار

(١٧٥) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ . فقد فكر أن الفرنج « اقتلموا على حلب يزاهبونها وقطعوا الشجر وخرّبوا المشاهد الكثيرة ونبشوا قبور موتى المسلمين ، واخذوا نوابيتهم إلى الخيم وجعلوها أوعية لطعامهم ، وسلبوا الأكفان ومعدوا إلى من كان من الموتى لم تنقطع أوساله . فربطوا في أرجلهم الحبال وسحبوهم مقابل المسلمين . . . » .

(١٧٦) سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١ . فقد قال : « أكل أهل البلد القطاط في هذه الشدة ولمّا طال الحصار عليهم وقتلت أزوادهم وقع فيهم المرض والفناء » .

(١٧٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٦ ، المعينى : مقد الجمان ، د ١٥ ص ٨٣٩ كرد على : خطط الشام د ١ ص ٣٠٤ .

(١٧٨) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم ، حوادث ٥١٩ هـ .

(١٧٩) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ص ٢٢٥ ، الطبّاخ الطبى ، د ١ ص ٥٧ ، أما ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٤٩٥ فيذكر « أن حلب كانت قد خلت من الرجال ولم يبق فيها غير مئتين وستين رجلا » .

(١٨٠) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ص ٢٢٥ ، الطبّاخ الطبى ، اعلام النبلاء ، د ١ ص ٥٧ وكان تبرتاش قد تولى أمر ماردين من ٥١٦ هـ وظل بها حتى ٥٢٧ هـ . (زامبور : معجم الأسماء ، د ٢ ص ٣٤٥) .

تمرتاش الى البلاد ليلكها واستغل بملك تلك البلاد عن حلب (١٨١) .
 والبعض يقول « انه قال لهم خلّوهم اذا اخنوها عمت واخفتها (١٨٢) » .
 والبعض يشير الى انه « ظهر لهم من صاحبهم تمرتاش بن ايلغازى
 الوهن والعجز والفتور (١٨٣) » . وآخرون ينكرون « لم ينجدهم صاحبها
 تمرتاش لايثاره الرفاهية والدعة (١٨٤) » .

وكان ان اتجه اهل حلب الى طلب النجدة من آقسنقر
 البرسى (١٨٥) . الذى كان مريضاً ، ففتر أن عافاه الله تعالى ليفرج
 من حلب الشدة (١٨٦) . فلما شفى توجه الى حلب « فلما قاربها
 رحل الفرنج ونزلوا على جبل جوش وأبعدوا عن المدينة ، فلما وصل
 مساق ومسكر خلفهم مع اهل البلد فانهزموا بين يديه (١٨٧) »
 وحفظت المدينة (١٨٨) . ويقال ان ذلك كان بتأييد الطليعة (١٨٩)

(١٨١) ابن المعديم : نفس المصدر والصفحة .
 (١٨٢) سبط بن العجى : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١ .
 (١٨٣) ابن الأثير : الكابل ، د ٨ ص ٣١٦ ، العيى : عقد الجبان ،
 د ١ ص ٨٣٩ .
 (١٨٤) الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٦ ، كرد على ، خطط الشام ،
 د ١ ص ٣٠٤ .
 (١٨٥) يسميه ابن ابيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٤٩٤ — ٤٩٥ (كجك
 الرقيقى) .

(١٨٦) التاريخ المظفرى : ميكرو فيلم حوادث ٥١٩ هـ .
 (١٨٧) سبط بن العجى : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١ .
 (١٨٨) Mattiey : Op. Cit., p. 142,
 (١٨٩) يذكر ابن ابيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٤٩٥ أن الفرنج « أقبلوا
 على حلب تسعة أيام فلما كان اليوم العاشر ، تشاور اهل حلب ، على
 انهم يخرجون ويطلبون الأمان من القتل . فلما كان بعد العصر أرسل
 الله عز وجل سيلا عظيما أخذ الفرنج ودوابهم وجميع ما لهم » . أما
 العيى : عقد الجبان ، د ١ ص ٨٤٠ — ٨٤١ (عن ابن العميد) =

وإن وصول آقسنقر البرسقى الى حلب كسان في ذى الحجة ٥١٨هـ
يناير ١١٢٥م (١٩٠) .

وبذلك انتهت فترة الحنكم الأرتقى لحلب واستكمال العلاقات
الحلبية الرهوية من ذلك الوقت وحتى استولى عليها عماد الدين زنكى ،
يصبح مكملا للعلاقات بين ولاية الموصل والرها كما سبق أن اشرنا .

وفي ربيع الآخر ٥١٩هـ (١٩١) ١١٢٥م جمع الأمير سيف الدين قسيم
الدولة آقسنقر البرسقى صاحب حلب والموصل عسكره واستولى
على كفر طاب من الفرنج ثم سار الى قلعة عزاز التي كانت تابعة
لامارة الرها (١٩٢) . وكان يصحب آقسنقر في حملته هذه طغتكين
حكيم دمشق بعد أن تم التحالف بينهما (١٩٣) . وقدر متى الرهاوى
جيشهما « بأربعين ألف رجل من صفوة الفرسان (١٩٤) » .

= فيذكر انه « في اليوم التاسع جاء قد عظيم في نهر قويق وذلك قبل
العصر فاحض خيام العدو وغرق خلق خلق كثير وتلف لهم عظيم » .

(١٩٠) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٦

Mattieu : Op. Cit., p. 142,

المعنى : عقد الجبان ، د ١٥م ٤ ص ٨٤٠ .

(١٩١) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٣١ ، الطباخ الحلبى :

اعلام النبلاء د ١ ص ٤٦١ .

(١٩٢) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٨ ، ابن الفرات : تاريخ

الدول والملوك د ٢ ص ٩٢ (ب) : روض المناظر : مخطوط رقم ٤٥م تاريخ

أحداث ٥١٩هـ ، أبو الفدا المختصر ، د ٢ ص ٢٢٨ ، ابن الوردي : تنمة

المختصر ، د ٢ ص ٣٣ ، الفزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٧ ، أما ابن

خلدون : العبر ، د ٥ ص ١٩٩ فيسميها (عزز) .

Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, p. 24, (١٩٣)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 425.

Mattieu : Ibid., p. 143.

(١٩٤)

والواقع ان غالبية المصادر العربية اكتفت بالاشارة الى هذه الحملة اشارة موجزة بقولها « اقتتل المسلمون والفرنج فانهزم البرسقى وقتل من المسلمين خلق كثير (١٩٥) » . ولم يشر اليها بشيء من التفصيل منهم سوى ابن الفرات (١٩٦) ، في حين وصلها متى الرهاوى وصفا تفصيليا (١٩٧) .

ومهما يكن من امر فقد عقدت هدنة بين البرسقى والفرنج على « ان ينصفهم في جبل السماق وغيره مما كان بأيدي الفرنج (١٩٨) » ثم رحل البرسقى الى الموصل ليجمع المسلكر ويعاود القتال (١٩٩) . بعد ان ترك في حلب ابنه عز الدين مسعود (٢٠٠) . واصطحب معه ابنه ملاك بيت المقدس وابن جوسلين الى قلعة جعبر حيث اودعهم هناك ثم رحل الى الموصل (٢٠١) .

ولم يكد آتسنقر يرحل الى الموصل حتى تقدم الفرنج الى رمنية فاخذوها من ابنه في صفر ٥٥٢٠ هـ (٢٠٢) (١٢٦٦ م) فخرج صاحبها شمس الخواص الى آتسنقر مستنجدا وعندئذ جمع لبارسقى الجند وسار الى الشلم فوصل الرقة في اواخر شهر ربيع الآخر ثم « نزل

(١٩٥) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٨ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٢ ص ٢٣٨ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٣٣ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥١٩ هـ الفزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٧ .
(١٩٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٢ مخطوط ص ٩٢ (ب) .
Mattieu : Op. Cit., p.p. 143-144. (١٩٧)

(١٩٨) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٢١ .
Mattieu : Op. Cit., p. 145, (١٩٩)

ابن الفرات : مخطوط ، د ٢ ص ٩٢ (ب)
(٢٠٠) ابن الفرات : المصدر السابق والصفحة ، الفزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٧ .
Mattieu : Op. Cit., p. 145, (٢٠١)

(٢٠٢) ابن العديم : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٣٢ ، الطباق الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٦٢ .

بالنقرة على الناعورة واقام به اياما والفرنج يرسلونه فراسله جوسلين على ان تكون الضياع ما بين عزاز وحلب مناصفة (٢٠٣) . فانفق على ذلك . وفي جمادى الآخرة رحل البرسقى الى الأتارب فتوجه اليه ملك القدس وجوسلين وطلبوا منه أن يرسل عن الأتارب ويعود الوضع بينهما الى ما كان عليه ٥١٩هـ (١٢٥٠م) ويعيدوا اليه الأتارب فصالحهم على ذلك لانه « خشى أن يتم على المسلمين ما تم على عزاز (٢٠٤) » . ثم غدر به الفرنج واستمر تردد الرسل بين الجانبين وكل منهما متريص بالآخر وفي النهاية نفذت امدادات الفرنج فعادوا الى بلادهم وعاد البرسقى الى حلب (٢٠٥) .

وبعد وفاة البرسقى خلفه ابنه عز الدين مسعود : لفترة قصيرة ثم توفي هو الآخر . وبعد وفاته حدثت فوضى في حلب وعاد اليها الحكم . الارتقى لمدة سنة تقريبا (٢٠٦) . فانتهز جوسلين امير الرها فرصة الفوضى الموجودة في حلب وتقدم اليها ٥٢١هـ (١٢٢٧م) « فصونع بمال واتصرف عنها (٢٠٧) » .

ويذكر ميخائيل السريانى انه حدث في نهاية ١٢٢٧م (٥٢١هـ) ان اجتمع الأتراك والفرنج في سهل حلب للقتال ولكن الأتراك خافوا واتفقوا على اعطاء جوسلين اثنا عشر الف دينار سنويا في مقابل اقرار السلام .

(٢٠٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ، ص ٢٣٢ ، الطباخ : د ١ ص ٤٦٢ .

(٢٠٤) ابن العديم : د ٢ ص ٢٣٣ ، الطباخ : د ١ ص ٤٦٣ .

(٢٠٥) ابن العديم : د ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، الطباخ : د ١ ص ٤٦٣ .

(٢٠٦) يذكر الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٨ انه في ٥٢١هـ ولى قتلغ حلب وبعد ايام ظهر منه جور وعسف عظيمان وبذ يده الى الاموال لا سيما التركات وقرب اليه الاشرار منفرت منه القلوب وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار الارتقى الذى كان صاحبها قديما فاطاعه اهل البلد واقاموه واليا يوم ٢ شوال ٥٢١هـ .

(٢٠٧) ابن العديم : زبدة الحلب : د ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٨ .

ثم دبر الاتراك مؤامرة لدس السم لجوسلين ولكن محاولتهم باءت
بالشلل (٢٠٨) .

ثم انقضت بعد ذلك حوالى ثلاث سنوات بدون اشتباكات تقريبا
بين حلب والرها وهى الفترة التى استولى خلالها عماد الدين زنكى على
حلب ووطد سلطانه فيها من ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م) .

وفى ٥٢٥ هـ (١١٣٠ م) كان نائب زنكى بحلب هو سوار
بن ايتكين (٢٠٩) . فوقعت بينه وبين جوسلين وقعة بناحية حلب
الشمالية فانتصر فيها جوسلين وقتل من المسلمين جماعة (٢١٠) .

لكن لم تمض سنة حتى تجيع الاتراك فى اقليم حلب فتصدى لهم
جوسلين ، فلما علموا ذلك دخلوا اقليم تل باضر ونهبوه (٢١١) . وبعد
ان ترك الاتراك حوالى سبعين فارسا فى المكان ليحرسوه خرجوا لمنازلة
الفرنج مرة اخرى ، ولكن الاتراك تريضوا لهم وابادوا الفرنج جميعا (٢١٢) .
وهذه هى الموقعة التى اصيب فيها جوسلين الاول بكسور شديدة فى كل
جسمه والتى اودت بحياته فى النهاية (٢١٣) .

وفى مستهل حكم جوسلين الثانى ١١٣٢ م (٥٢٧ هـ) اوقع الامير سيف الدين
سوار بفرنج تل باضر وقتل منهم خلقا كثيرا (٢١٤) . وفى العام التالى
١١٣٣ م (٥٢٨ هـ) اغارت فرسان الرها على شمال حلب فواقع بهم
سوار وحسان صاحب منبج وقتلوهم بأسرهم وحملوا الرؤوس
والاسرى الى حلب (٢١٥) .

-
- Michel : Op. Cit., p. 224. (٢٠٨)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 6. (٢٠٩)
(٢١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٤٧ ، الطباخ : د ١
ص ٤٧٨ .
(٢١١) ابن العديم : زبدة الحلب : د ٢ ص ٢٥١
Michel : Op. Cit., p. 233,
Michel : Ibid., p. 233. (٢١٢)
Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 6. (٢١٣)
(٢١٤) الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٧٩ .
(٢١٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٥٢ ، الطباخ : د ١
ص ٤٨٠ .

ومرت حوالي تسع سنوات لم تتم فيها أى اشتباكات تقريبا بين الرها وحلب ولكن في ١١٤٢/٥٣٧م يذكر ابن العديم « أن ملك انطاكية خرج الى وادي بزاعا فخرج سوار نردهم الى بلد الشمال واجتمع سوار وجوسلين بين المسكرين فاتفق الصلح بينهما (٢١٦) » .

أما المعنى فيشير الى أن جوسلين هو الذي « أغار على شط الفرات وسبى خلقا ثم وقع الصلح بينه وبين سيف الدين اسوار (٢١٧) » .

هكذا استطعنا أن نلم بعلاقة الرها بالسلاجقة في فارس ونوابهم في الموصل البلد الرئيسي لديار ريبة في الجزيرة (٢١٨) . كذلك علاقة الرها بسلاجقة قونية ثم بسلاجقة حلب كي نصل منها الى أولى العلاقات الارتقية بالرها منذ دخلها ايلغازي ٥١١هـ حتى ٥١٨هـ (١١١٧ م — ١١٢٤ م) عندما استنجد أهل حلب بالبرسقى وظلت تحت تبعيته وتبعية اولاده الى أن استولى عليها عباد الدين زنكى .

ولكى نستكمل علاقة الرها بالاراتقة ، لابد وان نشير الى اراتقة سروج الذين تناولناهم بالبحث عند دراسة ضم سروج الارتقية للرها في عهد اميرها الاولين ، لذا لا داعى لاعادة دراسة ذلك الفرع مرة اخرى .

علاقة الرها بالاراتقة ماردين :

أما اراتقة ماردين فقد مر بنا أيضا بعد استيلاء بلديون دى بوج على سروج من بلك الأرتقى ٤٩٤هـ (١١٠٠ م) أن هذا الانتصار شجع بلديون على الاغارة على المنطقة المجاورة لماردين وأسر الكثيرين .

فقد ذكر لنا متى الرهاوى أنه في ١١٠٣ — ١١٠٤ م (٤٩٦ — ٤٩٧ هـ) « جمع بلديون دى بوج بعض القوات وقام بحملة عسكرية ضد الأتراك في اقليم ماردين فأبادهم وأسر أميرهم (٢١٩) » .

(٢١٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٢١٧) المعنى : عقد الجبلان ، ج ١٦ م ١ ص ١٣٢ .

(٢١٨) Le Strange : Op. Cit., p. 86.

(٢١٩) Mattieu : Op. Cit., p. 70.

كذلك نستطيع ان نلم بجانب كبير من علاقات الرها بماردين من خلال علاقات الرها بحلب ، لان حكام ماردين الاراتقة محوا نفوذهم الى حلب فترة طويلة كما اثرنا (٥١١ - ٥١٨ هـ / ١١١٧ - ١١٢٤ م) وبعد ذلك اصبحت العلاقات بين اراتقة ماردين فقط - بعد مد ولة الموصل سلطتهم على حلب - وبين الرها .

ففى مهد جوسلين الأول وبالتحديد حوالى ١١٢٠ م (٥٢٥ هـ) حدث صدام بين حكام ماردين وامارة الرها (٢٢٠) . وفى بداية حكم جوسلين الثانى استمرت العلاقات العدائية بين الرها واراتقماردين اذ حدث ١١٣١ م (٥٢٦ هـ) « ان طلب احد الامراء الاراتقة من حكام الدين حاكم ماردين ان يتخلى له عن اقليم شبختان ليحارب الفرنج . فدخل بصورة متتابعة اقليم الرها ونهبه ولكن لحق به حوالى ستمائة فارس لمرجى وقتلوا الف تركى وقبضوا عليه . فاحرقوه على باب الرها . ثم استولى جوسلين على قلعة شبختان ودكها تماما (٢٢١) » .

علاقة الرها باراتقة ديار بكر :

اما عن اراتقة ديار بكر فيقال انهم كانوا قد تحالفوا مع الأرمن فى الرها ضد السيادة الفرنجية فى البداية المبكرة لامارة الرها الصليبية وذلك ١٠٩٨ م (٢٢٢) (٤٩٢ هـ) وهى المؤامرة التى كشف امرها بلدوين البولونى ونكل بالمشتركين فيها او المشتبه فيهم .

ولكن يبدو ان هذا الفرع من الاراتقة تحالف مع امراء الرها فى اواخر عمر امارتهم بحليل ما ذكر من انه « فى خريف ١١٤٤ م هاجم زنكى قرا ارسلان الامير الارتقى لدير بكر ، الذى كان قد تحالف مع جوسلين فصار جوسلين خارج الرها بكل جيشه جنوبا الى الفرات ليحمى حليفه ويقطع بطريقة عملية اتصالات زنكى مع حلب (٢٢٣) » .

Michel : Op. Cit., p. 246. (٢٢٠)

Michel : Ibid., p. 233. (٢٢١)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67, Runciman : (٢٢٢)

Op. Cit., p. 211 عن (Albert).

Runciman : Ibid., V. 2, p. 235. (٢٢٣)

علاقة الرها بآمد :

ولما كانت مدينة آمد تعبر المدينة الرئيسية في ديسار بكر (٢٢٤) ، لذا رأينا ان نورد علاقتها بالرها في هذا المكان من البحث . وقد انقسمت علاقاتها بالرها خاصة في عهد جوسلين الاول الى نوعين : علاقات حربية وعلاقات دينية . اما عن الاولى ففي ١١٢٨ م (٥٢٢ هـ) يشير ميخائيل السرياني الى « أن جوسلين غزا بلاد آمد ونهب الأتراك والأكراد وخرّب القرى حتى أبواب المدينة لأن الأتراك غزوا اقليم الرها بينما كان جوسلين في انطاكية : فلاحقت بهم قوات آمد (٢٢٥) » .

اما في الجانب الديني فيشير ميخائيل ايضا الى انه في ١١٢٩ م (٥٢٣ هـ) « أثير حاكم ماردين ضد البطريرك اثناسيوس Athanasius بسبب حرمانه لبطريرك آخر اسمه اسحاق ومنعه في نفس الوقت من الخروج من آمد . وفي الواقع ان حاكم ماردين أرسل أكثر من مرة يطلب السماح عن اسحاق هذا وطلب من البطريرك العفو عن اسحاق فلم يوافق ابدا ثم حرض الأمير على الا يترك البطريرك يخرج من آمد وقيل له : « ان هذا البطريرك رجل مومن وعن قريب سوف يموت هنا وتأخذ انت ثروته » . ولما بقي البطريرك بآمد — كما لو كان في سجن — أرسل الى جوسلين حاكم الرها يطلب منه ان يتشفع له لدى أمير آمد . وبصورة عاجلة أنبأ جوسلين لأمير آمد هذه الكلمات « اذا لم تطلق سراح البطريرك فسأخرب البلاد » . وهكذا سمح الأمير للبطريرك بالرحيل . فخرج من آمد الى الرها لي شكر جوسلين ، ومن هنا صعد الى دير ماربارسوما (٢٢٦) .

(Mar Bar Gauma)

ولاستكمال علاقات الرها بالاراتنة نشير الى انه في ٥٢٣ هـ (١١٢٨م) « هزم جوسلين الاول علي يد صاحب حصن كيفا (٢٢٧) » . والمرجح انه كان داود بن سقمان الأرمني (٢٢٨) . لأن المعروف ان حصن كيفا

Le Strange : Op. Cit., p. 86.

(٢٢٤)

Michel : Op. Cit., p. 22.

(٢٢٥)

Michel : Ibid., p. 228.

(٢٢٦)

(٢٢٧) العيني : عقد الجمان ، د ١٦ م ١ ص ٢٠ .

(٢٢٨) زامبور : معجم الانساب ، د ٢ ص ٣٤٤ (من ٥٠٢ هـ —

٥٣٩ هـ) .

كان احدى القلاع الارتقية . كان اول من ملكها منهم سقمان الارتقى نفسه اخو ايلغازى وذلك ٤٩١هـ (٢٢٩) (١٠٩٧م) .

والى جانب العلاقات الارتقية والسلجوقية بالرها فقد عثرنا على بعض العلاقات باماكن اخرى تركية ولكن لم يأت ذكرها الا فى سنة واحدة او اثنين ولذا اوردناها فى نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عامة . فمثلا اخرى تركية ولكن لم يأت ذكرها الا فى سنة واحدة . او اثنين ولذا اوردناها فى نهاية الكلام عن العلاقات المسلسلة مع الترك عامة . فمثلا نجد انه كاتب للرها علاقة بالعقيليين فى قلعة جعبر بدأت عذائية ثم تحولت الى علاقة ودية فى عهد جوسلين الاول امير الرها . وربما يرجع ذلك الى الدور الذى لعبه ديبس بن صدقة بينهما . « مفى ٤٩٧ هـ (١١٠٣ م) اغار الفرنج من الرها على الرقة وقلعة جعبر فاستاقوا المواشى واسروا من وقع بايديهم من المسلمين وكانت القلعة والرقة لمسلم بن مالك ابن يدوان بن المظفر بن المسيب سلمها اليه السلطان ملكشاه ٤٧٩هـ (٢٣٠) » .

ويشير اسلمه بن منقذ الى انه فى عهد جوسلين الاول « اغار جوسلين على الرقة والقلعة واخذ كل ما عليها وسبى وساق غنائم كثيرة ونزل مقابل القلعة لمركب نجم الدولة مالك صاحب القلعة زورقا وعبى الفرات الى جوسلين وكان بينهما معرفة قديمة (٢٣١) ، وملك عليه جميل . وظن جوسلين ان فى الزورق رسولا من مالك فجاهد واحد من الافرنج وقال « هذا ملك فى الزورق » فقال « ما هو صحيح » فاعلبر آخر قال « قد نزل ملك من الزورق وهو جاعنى يمضى » . فقام جوسلين والتقاء واكرمه ورد عليه جميع ما كان اخذه من الغنائم والسبى (٢٣٢) » .

(٢٢٩) القرمانى : اخبار الدول ، ص ٢٧٨

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 451.

(٢٣٠) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٢٠ ، ابن الوردى تنبيه

المختصر ، د ٨ ص ١٤ ، زامبور معجم الانساب ، د ٢ ص ٢٠٦ .

(٢٣١) بسبب علاقة ديبس بن صدقة بمالك وتوسط الاخير له عند

جوسلين كما سنرى .

(٢٣٢) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٩٠ .

إمارة الرها الصليبية - م ١٣ ١٩٣

كذلك افسار جوسلين سنة ٥١٤هـ (١١٢٠م) على العريسلان
والتركان النازلين بصفين قريقرية جعبر على الفرات « فغنم من اموالهم
ومواشيهم شيئا كثيرا » (٢٣٣) .

ومن العلاقات التركية الرهوية ما ذكره ميخائيل السريتي في ١١٢٤م
(٥٢٩هـ) « انه عندما توجه جوسلين للصلاة في القدس نهب
الأتراك بقسوة كل الاقليم وخربوا واحرقوا قرية حارم (٢٣٤) .

علاقة الرها ببني داتشمند :

سبق ان راينا انه عند قيام اماره الرها الصليبية كان شرق
الاناضول تحت حكم امير تركي قوى هو الملك غازي ممسكين
بن الداتشمند حاكم سيواس (٢٣٥) .

حقيقة ان ما عثرنا عليه في المصادر والراجع بالنسبة لعلاقة الرها
بالاتراك من بني داتشمند يعتبر بسيطا لكن هذا لا يمنع من الإشارة اليه .

كانت أولى تلك العلاقات وأهمها في المصادر هي علاقة الرها
ببني داتشمند في سيمساط منذ قيام الإمارة - كما سبق أن
اشرنا (٢٣٦) . يلي ذلك أنه عندما أسر الأمير الداتشمندي ، الأمير
بوهيموند كان يمل أيضا أن يأسر الأمير بلدوين البولوني ومما يدل على
ذلك ما ذكره (البرت) على لسان ابن الداتشمند عندما قال : « اني
أمل في الحصول على بلدوين ذاته كما حصلت على بوهيموند في وقت
قصير (٢٣٧) .

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٠٢ ، أبو الفدا : المختصر ،
د ٢ ص ٢٣٤ ، ابن الوردي تكملة المختصر ، د ٢ ص ٢٨ : المعينى : عقد
الجهان ، د ١٥ ص ٧٦٨ ، الطباق الطبى اعلام النبلاء ، د ١
ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

Michel : Op. Cit., p. 253.

(٢٣٤)

(٢٣٥) زابور : معجم الانساب ، د ٢ ص ٢٢٠ حكم من ٤٧٧ هـ
لى ٤٩٥ هـ .

(٢٣٦) انظر ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢٣٧) Alberti Aquensis : Historiae Liber VII., T. 4, p. 525.

وفي ١١٤١م « توفي غازی الدانشمندی (٢٢٨) فلم يكن الاحتفاظ
بوحدة ارثه اذ استقر ابنه ذى النون في قيصرية(٢٣٩) واحد اخوة
المتوفى المسمى يافى سيلان احتل سيواس كما احتل أحد بنى دانشمند
ايضا ملطية وبذلك صارت هناك عندئذ ثلاث امارات لبني
دانشمند هذا الى جانب مسمود السلجوقي في قونية والذى اتحد
مع ذى النون في مواجهة امارة الرها(٢٤٠) » .

علاقة الرها ببني مزيد في الحلة :

وبالنسبة لعلاقة امارة الرها ببني مزيد في الحلة ، فيجدر بنا
أن نعطي نبذة عن الحلة وملكها المعاصرين لامارة الرها الصليبية
ثم موقتها من الامارة . والحلة هي مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت
تسمى الجلمعين (٢٤١) . اختطها الأمير سيف الدولة بن بهاء الدولة
الأسدي الناصري ، صدقه بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد
سنة خمس وتسعين وأربع مئة(٢٤٢) . . وسامعه على ذلك انشغال
سلطين السلاجقة من اولاد ملكشاه ابن الب ارسلان بالخلافات بينهم
خاصة بركياروق ومحمد وسنجر(٢٤٣) وكانت اجمة ياوى اليها السباع
فنزل بها باهله وعساكره وبني بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة
وقد قصدوا التجار فصار افضل بلاد العراق واحسنها في حياة

(٢٣٨) كما ذكر زامبور : معجم الانساب ، د ٢ ص ٢٢٠ هو
ابو المظفر محمد بن ناصر الدين بن كمشتكين (توفي ٥٣٧هـ) .
(٢٣٩) تولى ذو النون عماد الدين بن محمد سنة ٥٣٧هـ في سيواس
زامبور : معجم الانساب د ٢ ص ٢٢٠ .

Cahen : Op. Cit., p. 385.

(٢٤٠)

(٢٤١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، طهران
١٩٦٥ (منشورات مكتبة الأسد رقم ٧ ، ص ٣٣٢ .
(٢٤٢) الذهبى : المعبر ، د ٤ ص ١ ، ٢ ، سبط بن العجمي : كنوز
الذهب ، د ١ ص ٥٢ وهنا نجد زامبور يذكر أن سيف الدولة صدقه
تولى حكم الحلة من ٤٧٩ الى ٥٠١ هـ (زامبور : معجم الانساب ، د ٢
ص ٢٠٧) .

(٢٤٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان (المصدر السابق) ص ٣٣٢ .
ص ٢٤٥ - ٤٣٦ .

سيف الدولة صدقة فلما قتل بغيث على عمارتها (٢٤٤) . وكانت تسمى
أيضا الحطة السيفية (٢٤٥) أو الحلة المزيدية (٢٤٦) . كان صدقه هذا
يلقب بملك العرب (٢٤٧) . وفي ٥٠١ هـ (١١٠٧ م) قتل سيف الدولة
صدقه (٢٤٨) ملك العرب بعده ابنه نور الدولة أبو الاغر (٢٤٩) .

وقد لعب ديبس دورا ايجابيا في تأييد الفرنج ضد المسلمين وكانت
بينه وبين الخلفاء العباسيين في تلك الفترة خلافات شديدة ، ربما هي التي
دفعته الى اتخاذ مثل هذا الموقف وخاصة خلاله مع المسترشد بالله
« اذ خرج ديبس عليه اكثر من مرة (٢٥٠) » . وكان يذهب القرى ويزرع
البلاد (٢٥١) . وفي ٥١٢ هـ (١١١٨ م) طلب ديبس من السلطان محمود
« ان يرده الى الحلة وغيرها مما كان ابوه يتولاه من الاعمال فاجابه الى
ذلك وولاه ما كان ابوه يتولاه من ذلك فمعظم ورع شأنه (٢٥٢) » .

والواقع ان اكثر السنوات التي برز فيها التحالف بين الامير ديبس

(٢٤٤) ياقوت : المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٢٤٥) الذهبى : العبر ، د ٤ ص ٢ .

(٢٤٦) سبط بن العجمى : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥٢ .

(٢٤٧) الذهبى : العبر ، د ١ ص ١ ، ٢ ، ٧٨ ، ابن الجوزى بالمنتظم ،
٩٠ ص ١٣٢ .

(٢٤٨) الذهبى : المصدر السابق ص ١ هنا يذكر ابن الفرات تاريخ
الدول والملوك د ١ مخطوط ص ١٤ (١) انه لما قتل اصف السلطان
محمود ملكته اليه وولاه اصحابه فدخلها الخبط والفساخ ، . . .

(٢٤٩) ابن الجوزى : المنتظم ، د ١ ص ٥٢ الذهبى : العبر د ٤
ص ٧٨ ، سبط بن العجمى : كنوز الذهب د ١ ص ٥٢ ، زامبور : معجم
الانساب ، د ٢ ص ٢٠٧ .

(٢٥٠) الذهبى : العبر ، د ٤ ص ٧٨ سبط بن العجمى : كنوز
الذهب ، د ١ ص ٥٢ .

(٢٥١) ابن الجوزى : المنتظم ، د ١ ص ٥٣ .

(٢٥٢) ابن شلكر الكتبى : ميون التساويخ ميكروفيلم بدار الكتب
هـ ١٣ رقم ١٦٧٢ تاريخ ص ٧٩ .

العربي وبين إمارة الرها هي ١١٢٤ م (٥١٨ هـ) أي في عهد الأمير جوسلين دي كورتساي . اذ يبدو أنه تم تحالف سري بين ديبس وبين الفرنج بعد الصراع الشديد بينه وبين الخليفة المسترشد ، ولذا أراد تراثس بن ايلغازي حاكم حلب ان يأمن جانب ديبس . وكان الملك بلدوين الثاني قد انتقل من سجن بلك بعد وفاته الى حلب (٢٥٣) ، وعندئذ بدأت مفاوضات بين الملك بلدوين وبين تراثس ، استقر الرأي فيها على ان يسلم الملك في مقابل اطلاق سراحه « الاثرب وزرنا (٢٥٤) وكفر طلب والجزر (٢٥٥) وعزاز وثمانين الف دينار والا يكون له علاقة بديبس (٢٥٦) » .

لذا كاتب ديبس توما من أهل حلب وأرسل اليهم بعض الدنانير « وسلمهم تسليمها ، فكشف ذلك رئيسها فضائل بن صاعد بن بديع فاطلع عليه تراثس بن ايلغازي فاخذهم وعذبهم وشق بعضهم ومصادر بعضها وأحرق بعض (٢٥٧) » وبذلك فشلت محاولة ديبس هذه في الاستيلاء على حلب .

Mattieu : Op. Cit., p. 180, Setton : Op. Cit., V. 1, p: 423. (٢٥٣)

(٢٥٤) بليدة من نواحي حلب القريبة (يلقوت الحموى : معجم البلدان ج ١٠ ص ١٣٦) .

(٢٥٥) كورة من كور حلب (يلقوت حموى : معجم البلدان ، ج ٦ ص ١٣٣) .

(٢٥٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٢١

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 452,

هنا يذكر ابن العديم : ان ديبس كان قد وصل منهزما من المسترشد بعد ان كسره وقتل خلقا من عسكره فترك بلاده وحمل ما قدر عليه من العين والمروض على ظهور المطايا ووجد على سالم بن مالك بن بدران الى قلعة دوبر واستجار به فاجاره وغازب المسترشد والسلطان محمود في امره .

(٢٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، الطباخ الحلبى : اعلام النبلاء ج ١ ص ٥٥ .

ثم كان أن تم اطلاق سراح الملك بلدوين الثاني على الشروط المتفق عليها بعد أن دفع من المبلغ المحدد عليه وهو عشرين ألف دينار (٢٥٨) «، وكان القوائم بالمفاوضات بين الملك وثرثاش هو الأمير أبو العساكر سلطان ابن منقذ . وانتقل الملك الى شيزر حتى حضرت رهائن بدله أهمهم ابنته وابن جوسلين وتم اطلاق سراحه يوم الجمعة سابع عشر ، رجب ٥١٨ هـ (٢٥٩) (١١٢٤ م) . ولكن بمجرد أن أصبح الملك حرا تنكر للعهد الذي بينه وبين ثرثاش ورفض التنفيذ قائلا « ان للبطريرك الذي لا يمكن خلاقه سالتني مما بذلت وما الذي استقر ، فحين سمع حديث عزاز وتسليم حصنها مني ابي ، وأمرني بالدفع عنها وقال ان خطيئتك تلزمني ولا اقدر على خلافة (٢٦٠) » هنا بدأت المفاوضات من جديد ولكن لم تنته الى حل .

ومن هنا بدأ يبرز دور ديبس بن صدقة ملك العرب وأمير الحلة ، فاتصل بالفرننج وقدم لهم خدماته في مقابل مساعدته هو الآخر في تحقيق مآربه . وهناك روايتان ، تذكر الاولى أن ديبس « خالط جوسلين وبفدوين وصفاقهم وصافوه بواسطة الأمير مالك بن سالم صاحب جعبر واتفق ديبس والفرننج على قواعد تعاقدوا عليها منها أن تكون حلب ادبيس والأموال والأرواح للفرننج (٢٦١) » . أما الرواية الثانية فتذكر « انه لما ملك الفرنج مدينة صور طمعوا وقويت نفوسهم فاكثروا من الجوع ثم وصل اليهم ديبس ابن صدقة صاحب الحلة فاطمهم طمعا ثانيا لاسيما في حلب وقال ان أهلها شيعة وهم يميلون الى لاجل المذهب ، فمتى راوتني سلموا البلد الى وبذل لهم المساعدة وقال اني اكون ههنا عنكم نائبا ومطيما (٢٦٢) » . ومهما تختلف الروايات فقد تم بالفعل تحالف بينهم وساروا جميعا الى حلب لحصارها .

(٢٥٨) ابن العديم : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

(٢٥٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٢ .

(٢٦٠) المصدر السابق نفس الصفحة، الطباق ، د ١ ص ٤٥٥ — ٤٥٦

(٢٦١) ابن العديم نفس الصفحة ، الطباق ، ص ٤٥٦ .

(٢٦٢) المعنى : عقد الجمان ، د ١٥ م ٤ ص ٨٣٩ ، الغزى : نهر

الذهب ، د ٣ ، ص ٨٦ ، كرد على : خطط الشام ، د ١ ص ٣٠٣ — ٣٠٤

وقد اشترك في هذا الحصار مدينة حلب كل من الملك بلدوين الثاني ملك القدس وجوسلين الأول أمير الرها (٢٦٣) . وديبس ابن صدقة وساطان شاه بن رضوان (٢٦٤) . وكان بصحبة ديبس عيسى بن سالم بن مالك ويغى سيلان بن عبد الجبار صاحب بالس (٢٦٥) ، كما يغيب اليهم متى الرهاوى أيضا سلطان ملطية (٢٦٦) .

وحاصر هؤلاء الحلفاء ، الفرنج والعرب الأتراك والمسلمون ، حلب من كافة الجهات إذ خرج ديبس وجوسلين من تل بلشر وقصدوا ناحية الوداي فأنفذوا الزرع ، ثم رحلوا ونزلوا مع الملك بلدوين على حلب (٢٦٧) . ثم وصل اليهم الملك سلطان شاه بن رضوان . «ونزل بغدوين مقدم الفرنج من الجانب الغربي من حلب في الحلبة ونزل جوسلين على طريق عزاز وما يجاوره يمنة ويسره ، ونزل ديبس وساطان شاه بن رضوان مما يلي جوسلين من الشرق وفي صحبة ديبس عيسى بن

Mattieu : Op. Cit., p.p. 141 - 142.

(٢٦٣)

(٢٦٤) سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ١ ، ص ٥١ ، ابن العديم : الزبدة ، د ٢ ص ٢٢٤ . هنا يشير متى الرهاوى الى ديبس باسم (صدقة — Sadaka, Sale) ابن ديبس ، والواقع أنه ربما خلط بين الأب لابن . وما يرجح ذلك، أن متى نفسه يعرفه بأنه صهر أيلغازي ، وبذلك يكون ديبس وليس صدقة . أما ابن أبيك : كنز الدر ، د ٦ ، ص ٤٩٤ فيشير الى ديبس خطأ بأنه ديبس البرسقي سيف الدولة . والصحيح أن سيف الدولة الذي قصده هو آقسنقر البرسقي وليس ديبس . أما عن سلطان شاه فيذكر متى أنه الابن الأصغر للسلطان تنش ، ولكنه في الحقيقة حفيده وابن رضوان بن تنش .
(Mattieu : Op. Cit., p. 142).

(٢٦٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٤

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 452,

Mattieu : Op. Cit., p. 142,

(٢٦٦)

وهو هنا كما سبق أن اشرنا لها عرب أو طغرل أرسلان بن قلع أرسلان .

(٢٦٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .

مسالم بن مالك . ونزل يقى سيان بن عبد الجبار بن أريق صاحب
بالسن مما يلي دبيس من الشرق (٢٦٨) » .

وبعد أن قاسى أهالى حلب كثيرا من قلة الأرزاق ومن كثرة
الهجمات (٢٦٩) . كما سبق أن شرحنا — التجأوا الى آقسنقر البرسقى
أمير الموصل يتوسلون اليه أن يحضر لنجدتهم (٢٧٠) . ولكن البرسقى
كان مريضا لا يستطيع الحركة لشدة ضعفه ومنع الدخول اليه فوصل
الى دبيس من أخبره بذلك « فغضب البشارة في عسكره وارتفع عنده
التكبر والتهايل ونادى بعض أصحابه قى أهل حلب ، قد مات من ألمات
نصره (٢٧١) » . ولكن البرسقى سرعان ما شفى فتوجه الى حلب فلما
اقترب منها ارسل اليهم يقول « اننى لا أقدر على الوصول اليكم والفرنج
يقاثلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابى وصار أصحابى فيها فاجبوه
الى ذلك (٢٧٢) » . عندئذ وصل الى حلب فرحل الفرنج عنها بدون
أى خسائر (٢٧٣) . وأراد جنده أن يتعقبوهم فرفض ذلك (٢٧٤) .

(٢٦٨) ابن العديم : المصدر السابق من ٢٢٤ الطباق الحلبي :
د ١ ص ٢٥٦ .

Mattieu : Op. Cit., p. 142, (٢٦٩)

سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١

Mattieu : Ibid., p. 142, (٢٧٠)

ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٧

(٢٧١) الطباق الحلبي : أعلام التبلاء ، د ١ ص ٥٨ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٣١٧ ، المعنى : عقد الجمان ،
د ١٥ ص ٨٣٩ .

Mattieu : Op. Cit., p. 142, Grousset : Hist. des Crois (٢٧٣)

(L'Anonyme). V. 2 p. 877 عن

(٢٧٤) هنا يذكر ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣١٧ أن البرسقى
منهم بنفسه وقال « قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة
تركهم حتى يتقرر أمر حلب وتمسك حالها وتكثر ذخايرها ثم حينئذ
لقد صدقهم ونقاتلهم » .

وبعد انسحاب ديبس عن حلب اتجه الى الموصل فخرّبها وخرّب
كل الاقاليم التابعة للبرسقي (٢٧٥) .

والراجح ان ديبس ظل بعد تلك الهزيمة على موقفه العدائي
من الخلافة والمسلمين آملا ان يجد الفرصة مرة أخرى كي يجد في
الفرنج سندا له . والدليل على ذلك ما ذكره ابن العديم ٥٥٢٥ هـ ١١٣٠ م
من « ان ديبس وصل منهزما من المسترشد وخفى خبره فترة ثم ظهر
بعد مدة انه وصل الى قلعة جعبر ، وأودع ابن السلطان عند مالك
صاحبها ، وسار الى جوسلين واستند الى الفرنج فلم ير ما
يعجبه (٢٧٦) » .

وفي ٥٥٢٩ هـ ١١٣٤ م قتل ديبس بن مسدقة وقيل ان السلطان مسعود
هو الذي قتله بعد مقتل المسترشد بثمانية وعشرين يوما (٢٧٧) .
وهكذا استراح المسلمون من هذا الأمير العربي الخائن للقضية الاسلامية
في ذلك الوقت ، والذي لم يكن يعنيه الا المنفعة الشخصية فقط .

ولاستكمال علاقات الرها بالمسلمين عامة يجدر بنا الاشارة الى
علاقة الرها بالقبائل العربية القريبة من دمشق الى جانب علاقتها
ببيروت .

اما سبط بن المجبى : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥١ ، المعنى :
عقد الجمان ، د ٥١ م ٤ ص ٨٣٩ - ٨٤٠ ، فيذكر ان سبط عجم تعقبه
لهم انه « عندما طلب منه أبو الفضل بن الخشاب ان يتعقبهم قائلا :
لوسلت خلفهم لاختناهم بأبرهم فاتهم بخزيمون فقال له : تعلم ان في بلدكم
ما يقوم بكم ويمسكركى لو قدر والعياذ بالله علينا كسرة .
فقال : لا فقال : وما يؤمننا انهم لو كسرونا ودخلنا البلد وتوا علينا
ما نفعا أنفسنا ولكن الله تعالى قد دفع شرهم » .
Mattieu : Op. Cit., p. 142. (٢٧٥)

(٢٧٦) ابن العديم : زبدة الطب ، د ٢ ، ص ٢٤٧ .
(٢٧٧) التاريخ المظفرى : ميكرونيلى حوادث ٥٥٢٩ هـ - ابن الجوزي :
المنتظم ، د ١٠ ص ٥٢ ، ٥٣ ، الذهبى : المعبر ، د ٤ ص ٧٨ . ويذكر
زامبور : معجم الأنساب د ٢ ص ٢٠٨ ان مقتل نور الدولة ديبس كان
في ذى الحجة ٥٥٢٩ هـ .

نفى ٥١٣ هـ ١١١٩ م سار جوسلين في ملثى فارس فكبس طائفة من طى يمرلون بينى خالدا - وهم بطن من عامر بن معصعة من العدنانية ٢٧٨ - فأغار عليهم وغنم أموالهم (٢٧٩) ، وسألهم عن بقية قوسهم من بنى ربيعة فأخبروه أنهم بوادى السلالة بين دمشق وطبرية فأسرع اليهم بقوة مكونة من خمسين فارسا كما سير اليهم قوة أخرى مكونة من مائة وخمسين فارسا وتواعدوا على كبس بنى ربيعة . وعندها علم بنو ربيعة بذلك أرادوا الرحيل ، لكن أميرهم مر بن ربيعة منعهم . وكان عدد بنى ربيعة مائة وخمسين ، فلما وصل المائة وخمسين فارسا الفرنجيا دارت معركة بين الجانبين . « فظهرت من أمير بنى ربيعة شجاعة وحسن تدبير وجودة رأى (٢٨٠) » . فقتل من الفرنج سبعين وأسر اثنا عشر من مقدميهم فبذل كل منهم في فداء نفسه « مالا جزيلا وعدة من الأسرى » أما جوسلين فإنه ضل في الطريق وبلغه خبر الواقعة فأتجه الى طرابلس فجمع جيشا ورحل الى مسقلان فهزمت المسلمون هناك وعاد مغلولاً (٢٨١) .

أما من علاقة الرها ببيروت فما عثرنا عليه في المصادر يتركز في فترة حكم بلدوين دى بويج أمير الرها الثانى .

وفي ذلك الوقت كانت بيروت تابعة للفاطميين في مصر بعد زوال معظم ملكهم في الشام ، ولم يبق لهم السيادة الا على بعض الثغور البحرية التى منها بيروت . نفى ٤٩٥ هـ (١١٠١ م) « وصل قمص

(٢٧٨) القلقشندي : نهية الأرب في معرفة انساب العرب ، ص ٢٤٢ وهم بنو خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن معصعة .

(٢٧٩) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر : د ٥ ص ١٩٨ .

(٢٨٠) المصدرين السابقين نفس الصفحات ، العينى : عقد الجبان ، د ١٥ ص ٧٥٣ ، أبو اللدا : المختصر ، د ٢ ص ٢٣١ ، ابن الوردى : نعمة المختصر : د ٢ ص ٢٥ .

(٢٨١) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٨٩ ، ابن خلدون : العبر : د ٥ ص ١٩٨ .

الرّها مقدّم الفرنج في عسكره الى ثغر بيروت فنزل طامعا في افتتاحه وحاربه وضيقه وطال قتاله عليه ولم يتهيا فيه مراد فرحل عنه (٢٨٢) .

وفي ٥٥٠٣ هـ (١١١٠ م) سار جوسلين صاحب تل بئثر والتابع الاول لبلدوين دى بورج الى بيروت « لمعاونة النازلين عليه من الفرنج ويستجد بهم على عسكر مودود النازلين على الرها وفي شوال من السنة سقطت بيروت في يد الفرنج (٢٨٣) » . وقد ذكر منى الرهاوى « ان جوسلين ساعد في الاسفلاء على الدينة وايدى شجاعة كبيرة في ذلك (٢٨٤) » .

بهذا امكنا اعطاء صورة مفصلة عن علاقة امارّة الرها الصليبية بالقوى الاسلامية بقدر ما استعفتنا به المصادر الاصلية والراجع المختلفة .

ثانيا : علاقاتها بالامارات الصليبية في بلاد الشام :

تقصد هنا بالامارات الصليبية في بلاد الشام ، بيت المقدس وانطاكية وطرابلس . وسنبدا أولا بدراسة علاقات امارّة الرها مع الصليبيين عامة قبل تأسيس الامارات الثلاث ثم نتطوها بالعلاقة مع بيت المقدس بامتيازها كانت أبرز الوحدات الصليبية في الشرق بل كانت تمثل القنطرة العليا بالنسبة لبقية الامارات ثم نتبعها بامارة انطاكية القريبة من امارّة الرها والتي كانت على صلة دائمة بها سواء ودية او عدائية ونتطوها اخيرا بتناول علاقة الرها بامارة طرابلس ، وهي كما سنرى لم تكن كبيرة .

لما عن علاقة الرها بالصليبيين في الدور الاول ، فيلاحظ انه ما كاد يتم قيام امارّة الرها الصليبية ، حتى شارك بلدوين البولونى بنفسه في الحصار الذي فرضه الصليبيون على انطاكية فاشترت المصادر اللاتينية الى انه « غادر الرها بعد شهرين فقط من تبني ثوروس له

(٢٨٢) ابن القلائسى : الذيل ، ص ١٤٠ ، الذهبى : تاريخ الاسلام :

مخطوط رقم ٤٢ تاريخ حوانث (٣٠١ - ٥٥٠٠) ص ٢٧٦ .
Gibb : Op. Cit., p.p. 54-55,

(٢٨٣) ابن العائسى : الذيل ، ص ١٦٧ .

Mattieu : Op. Cit., p. 92.

(٢٨٤) .

الى انطاكية (٢٨٥) . ويؤكد مشاركة بلدوين للسلبيين في تلك المهمة مذكرته المصادر الاسلامية ايضا من انه كان يوجد في انطاكية في ذلك الوقت « الملك بروديل ومنجيل وكندفري والقمص صاحب الرها وبمقد صاحب انطاكية (٢٨٦) » . والواقع اننا لا نعرف من المقصود (بالملك بلدوين هنا) حيث انه لم يكن هناك ملكا للسلبيين عندئذ وكان بلدوين البولوني كما رأينا أميرا للرها فقط كذلك (بيموند او بوهيموند لم يكن قد أصبح (صاحب انطاكية) حتى ذلك الوقت . ولعل المصادر العربية تشير اليهما بحكم ما أصبحا عليه بعد ذلك لبحكم ما كانا عليه فعلا عندئذ وقت حصار انطاكية .

والراجح ان بلدوين لم يلبث ان عاد الى الرها للأهتمام بأمركه الجديدة وحمايتها مما أحاط بها من أخطار فضلا عن الاحتفاظ للسلبيين عامة بركيزة أولى في المشرق الاسلامي . ولكن بلدوين حرص في الوقت نفسه على الا يفقد الارتباط بينه وبين بقية الصليبيين المحاصرين الانطاكية فكان يطلق أخبارهم ويتابع المصائب التي واجهوها وخاصة في الميرة والمون (٢٨٧) . ويقال ان بلدوين أسرع بإرسال الكثير من المون اليهم (٢٨٨) . كما أرسل ايضا « كميات كبيرة من الذهب والفضة والملابس الحريرية والخيول المتنازة ذات القيمة العالية الى أخيه الدوق جودفري وإلى زوبرت فلاندر وروبرت النورماندي وغيرهم من الأمراء (٢٨٩) » . ويبدو ان تلك الهبات كانت كثيرة جدا مما اكسبه حب الجميع (٢٩٠) .

Baldricus Episcopus Dolensis : Historia ... T. 4, p. 81 (٢٨٥)

(٢٨٦) ابن الأثير : الكامل ، ٨٠٤ ص ١٨٧ ، المعينى : عقد الجمان ، ٥٠٣ م ٣

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 237-238. (٢٨٧)

Archer : Op. Cit., p. 63, Cahen : Op. Cit., p. 213. (٢٨٨)

Alberti Aquensis : Historiae Liber IV, T. 4, p. 395, (٢٨٩)

William : Op. Cit., V. 1, p. 238.

هنا يضيف (ميشو) الى قائمة الصليبيين أمراء (شارترس وبلوا Chartres, Blois) ويذكر ان بلدوين نسي عن قصد ان يقدم شيئا من العون لبوهيموند .

(Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 287).

Alberti Aquensis : Op. Cit., p. 395. (٢٩٠)

وفي تلك المرحلة يعطينا وليم الصوري أول صورة للانتقال بين المسلمين بسبب تبليغ المصالح الفردية فنب الخلاف بين رضوان أمير حلب وبين حاكم مدينة عزاز (٢٩١) . واستجد الأخير بجونفري أخى بلدوين الذى طلب من أخيه المشاركة معه بجيشه لنجدة ذلك الصديق المسلم . وكان أن تم ذلك ثم عاد بلدوين الى الرها وجونفري الى انطاكية (٢٩٢) .

ويهمنا انه فى خلال تلك الحملة ، قام بلدوين بدعوة أخيه جونفري لزيارة الرها — كما سبق ان اشرنا — وكان الدافع الاول لجونفري على الموافقة على تلك الدعوة هو « استمرار الوباء بانطاكية بصورة مثيرة واستمرار ارتفاع الموت الجامى بين الناس (٢٩٣) » . وصحب جونفري معه الى الرها حاشيته وعددا كبيرا من الناس المحتاجين ليمدهم بحاجاتهم الضرورية (٢٩٤) ، وهؤلاء حصل بعضهم على اقطاعات بالرها واستقروا فيها (٢٩٥) . فى حين عاد البعض الآخر الى لخوانهم الصليبيين فى انطاكية بعد أن لفدق عليهم بلدوين الكثير من الهبات (٢٩٦) .

ثم كان ان أستولى الصليبيون على بيت المقدس ومن ثم بدأت علاقات مباشرة بين إمارة الرها من ناحية وبيت المقدس الصليبية من ناحية أخرى

ويتطور جزء من هذه العلاقات فى الزيارة التى قام بها بلدوين أمير

William : Op. Cit., V, 1, p. 301. (٢٩١)

William : Ibid., V. 1., p.p. 301.-304.. (٢٩٢)

William : Ibid., V: 1, p. 304. (٢٩٣)

Alberti Aquensis : Historiae Liber V. T. 4, p. 435, (٢٩٤).

William.: Op. Cit., V: 1, p. 304

Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 234. (٢٩٥)

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 301.-305. (٢٩٦)

الرها بوهيموند امير انطاكية لبيت المقدس ١١٠٠م (٢٩٧) ، (٢٩٤ هـ)
ويبدو أن بلدوين وبوهيموند صادقا متاعب جمة خلال رحلتها الى المدينة
المقدسة حتى وصلا سالين (٢٩٨) ، وعندئذ استقبلهم جودفري
وتنكريد واتباعهم بفرحة عظيمة (٢٩٩) . ثم زاروا الامكن المقدسة في
القدس في الوقت الذي كانت المدينة تفوح منها رائحة جيف المسلمين
الذين سقطوا. قتل بحراب الصليبيين عند استيلائهم على بيت
المقدس (٣٠٠) .

هذا الى أن بلدوين امير الرها شارك في اختيار دايمبرت بطريركا
على بيت المقدس (٣٠١) ، وأن كانت المصادر المعاصرة لا تشير الى
أن دايمبرت أعطى تفويضا بحكم امارة الرها لبلدوين اموة بالتفويض
الذي حصل عليه جودفري وبوهيموند (٣٠٢) . وربما يرجع ذلك الى
ما كان هناك من خلافت بين بلدوين ودايمبرت .

وأخيرا غزم كل من بلدوين وبوهيموند على الرحيل والعودة فتم
توذيعةما « في فرح شامل وسعادة واشترك في التوديع رجال الدين
وجهور القادة وجودفري نفسه بل انهم صاحبوهم الى نهر الاردن ،

(٢٩٧) تذكر المصادر اللاتينية المعاصرة ان الرحلة بدأت في نوفمبر
١٠٩٩م وكان الوصول الى بيت المقدس في مارس ١١٠٠م .
Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366.

Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 704.

اما المراجع الانرجية الحديثة فتشير الى ان تلك الزيارة كانت في
ديسمبر ١٠٩٩م .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 281, Zoé : p 177.

والراجع هو ما ذكرته المصادر اللاتينية ، خاصة وأن المؤرخ فولشر كان
مصاحبا لبلدوين في تلك الرحلة .

Fulcherii : Ibid., T. 3, p.p. 365 - 366. (٢٩٨)

Zoé : Op. Cit., p. 178. (٢٩٩)

Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 366. (٣٠٠)

Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. T. 4, p. 512. (٣٠١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 403. (٣٠٢)

وهناك اغتسلوا جميعا في النهر لينتعمشوا اثم افترقوا (٣.٣) . وبيدك
عاد بلدوين الى الرها وعاد بوهيموند الى انطاكية (٣.٤) .

ثم كان ما سبق ان ذكرناه من وفاة جودفري حاكم بيت المقدس ،
وحلول اخيه بلدوين محله ليتوج ملكا على المدينة المقدسة باسم الملك .

ومن الطبيعي ان تكون العلاقات قوية بين مملكة بيت المقدس في عهد
ملكها بلدوين الاول وبين امارة الرها بحكم ما بين بلدوين والرها من
علاقات سابقة ، وتتضح هذه العلاقة عندما اسر امير الرها بلدوين
دى بورج اذ يقال ان جكرمش ارسل الى تنكريد يعرض عليه اطلاق
سراح الامير بلدوين مقابل اطلاق سراح اميرة سلجوقية نبيلة كانت لديه
او ان يدفع مقابل اطلاق سراحها خمسة عشر الف بيزانت (٣.٥) .
هنا اسرع ملك القدس بلدوين الاول بالكتابة الى بوهيموند ان يسلم
الاميرة ولا يفوت فرصة اطلاق سراح بلدوين ، لكن امير انطاكية كان
يفضل ان يظل الامير بلدوين في الحبس (٣.٦) ، وسوف نشاول موقف
انطاكية بالتفصيل من هذا الموضوع عند تناول علاقتها بالرها .

وعندما اطلق سراح بلدوين — كما سبق ان اوضحنا — واحتدم النزاع
بين الرها وانطاكية لم تدخل انطاكية ضمن نطاق النفوذ الاعطاسي
لملك بيت المقدس وانما كانت الرها هي التي تتبعه فقط « لذا احضر
تنكريد امام مجلس البارونات واجبر سريعا على الصلح مع بلدوين دى بورج
وجوسلين دى كورضاى ولم يبق الامر فقط عند حد اعلانه الولاء لملك
القدس ، بل اجبر على الركوع امامه (٣.٧) . ويفضل تدخل الملك

Alberti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, p. 512. (٣.٣)

Alberti Aquensis : Ibid., p. 512, Gesta Tancredi : Op. Cit., (٣.٤)

T. 3, p. 704, William : Op. Cit., V. 1, p. 403.

Alberti : Ibid. Liber IX, T. 4, p. 619. (٣.٥) كانت تلك الاميرة

قد اسرها تنكريد اثناء تتبعه لجكرمش عند حصار الأخير للرها
بعد حران .

(Zoe : Op. Cit., p. 215.)

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 45.

(٣.٦)

Zoé : Op. Cit., p. 241.

(٣.٧)

بلدوين عندئذ تم الصلح بين انطاكية والرها من ناحية وبين طرابلس وانطاكية من ناحية اخرى (٣٠٨) . أما عن الرها « فقد حصل الملك من تنكريد على تنازل بدون مقابل عن كل ما وضع يده عليه من امارة الرها (٣٠٩) » .

وعندما هاجم مودود الرها ١١١٠م (٥٥٤) وهددها الجيش السلجوقي التركي الاسلامي ، خاف بلدوين دى يورج من تكل القوى الاسلامية وفي المشرق ضده وراسرع بالاستنجاد بالملك بلدوين الاول، فأرسل اليه جوسلين دى كورتناى ليطالب منه المساعدة العاجلة (٣١٠) .

وكان الملك بلدوين في ذلك الوقت يحاصر بيروت كما مر بنا . فلم يستطع أن يتوجه الى الرها الا بعد انتهاء حصار بيروت وخاصة وان المدينة كانت عندئذ على وشك السقوط (٣١١) . وبعد أن تم الاستيلاء على بيروت عاد بلدوين وحمله الى بيت المقدس (٣١٢) .

Cahen : Op. Cit., p. 251.

(٣٠٨)

Cahen : Ibid., p. 251.

(٣٠٩)

أما (ستون) فيذكر أن ذلك كان في مقابل ممتلكات أخرى فقد قال « أنه من اعظم منجزات الملك بلدوين الاول أنه جعل تنكريد يتخلى عن ادعائه في الرها وأن يمتريف باعادة بلدوين دى يورج قريب الملك الوها . وفي مقابل ذلك منح الملك بلدوين لتنكريد اقطاع طبرية ، الناصرية وحيفا وأصبح تنكريد تابعا رسميا لبلدوين بسبب تلك الاقطاعات » ■

(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 398)

Mattieu : Op. Cit., p. 91, Grousset : Hist. des Crois., (٣١٠)

V. 1, p. 449, L'Epopée, p. 87, Archer : Op. Cit., p. 147.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451, Archer : Op. (٣١١)

Cit., p. 147,

مسعود عاشور : الحركة ، ج ١ ص ٥٦ — ٥٧ { عن صالح بن يحيى : تاريخ بيروت }

Fulcheril : Op. Cit., T. 3, p. 421, Alberti Aquensis : (٣١٢)

Historiae Liber XI., T. 4, p. 671.

ليعطى الصليبيين فيها فكرة عن خطورة وضع الرها (٣١٣) ، ويطلب منهم المساعدة (٣١٤) .

وبالفعل جمع جميع قواته ولتفهمتها اليها قوات طرابلس وتوجه مع جوسلين الى الرها وبصحبته بعض القوات الأرمنية (٣١٥) . وكان ذلك في بداية يونية (٣١٦) . أو في منتصف مايو (٣١٧) .

والواقع أن الملك بلدوين استطاع أن يجمع جيشا ضخما بلغ مدده حوالي خمسة عشر ألفا (٣١٨) ، ولم يلبث أن انضم تنكريد الى ذلك الحلف الفرنجي (٣١٩) . بعد أن أرسل إليه الملك يدعوهم أن يتصل ببقية الفرنج وصفيية ما بينهم من خلافات (٣٢٠) . ولمل هذا ما دنع بعض المؤرخين الى القول « بأن سنة ١١١٠ م شهدت وحدة صليبية بين إماراتهم في السلم (٣٢١) » .

وكانت فرحة بلدوين دى بورج عظيمة عند رؤية الجيوش الصليبية وعلى رأسها الملك بلدوين وقد أتت لنجدة (٣٢٢) . وقد سبق أن ذكرنا

-
- Mattieu : Op. Cit., p. 92. (٣١٣)
Alberti : Op. Cit., Liber XI, T. 4, p. 671, (٣١٤)
سياتى التفصيل في الملاحق
Mattieu : Op. Cit., p. 92, Zoé : Op. Cit., p. 242, (٣١٥)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 451 من (Albert),
سميد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ٥٧
Cahen : p. 257, Archer : p. 148
Cahen : Ibid., p. 257. (٣١٦)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399. (٣١٧)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 من (Albert), (٣١٨)
L'Epopée, p. 87.
Fulcheri : Op. Cit., T. 3, p. 421, Alberti : Op. Cit., (٣١٩)
Liber XI... T. 4, p. 672, Jean Richard : Op. Cit., p. 42.
Alberti : Ibid., p. 672, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, (٣٢٠)
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 288. (٣٢١)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 452 من (Albert), (٣٢٢)
L'Epopée, p. 87.

أحداث تلك الحملة عند كلامنا من العلاقات بالموصل ، ولكن ما نود الإشارة إليه هنا هو أن ملك بيت المقدس ظل يقود حركة المقاومة الصليبية من الرها حتى جاءته بعض الأخبار بأن الفاطميين انتهزوا فرصة غيابه وهاجبوا ممتلكاته بما جعله يجعل بالعودة إلى القدس (٢٢٣) .

وفي سنة ١١١٢م (٥٠٧ هـ) مر بنا كيف وقّع الخلاف بين بلدوين دى بوج وجوسلين دى كورثاى وطرد الأخير من الرها وتوجه إلى القدس فاقطعه الملك بلدوين الأول طبرية والجليل ليستفيد من خبراته العسكرية في محاربة المسلمين .

وكانت أول تجربة مر بها جوسلين وهو في القدس هي موقعة طبرية (ثالث عشر محرم ٥٠٧ هـ) (٢٢٤) . (١١١٢م) بين الفرنج والمسلمين وهي الموقعة التي ذكر ابن الفرات أن الجيش الفرنجى فيها كان بقيادة ملك بيت المقدس ومع جوسلين فضلا عن أمير أنطاكية روجر (٢٢٥) . وفي تلك الموقعة حلت الهزيمة بالصليبيين « وأسر ملكهم بغدوين وأخذ سلاحه لكنه أفلت من الأسر وفرق من الفرنج خلق كثير في بحيرة طبرية وأخطط الدم بالهاء حتى امتنع الناس من شرب الماء أيام (٢٢٦) » . وتزيد بعض المصادر الإسلامية الأخرى (٢٢٧) . رأى ابن الفرات في أن بلدوين دى بوج لم يشارك في تلك الحركة ، وربما شغلته أمور إمارته وأخطار الترك المتحفرين للانقراض عليها وأخذها ، من المشاركة في ذلك . ويخرج من هذا الرأي أسامة

Zoe : Op. Cit., p. 242, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, (٢٢٣)

سعيد عاشور : الحركة ، د ١ من ٥٨ ، p. 458,

(٢٢٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، د ١ من ٦٧

(١) ، ابن الأثير : الكامل ، د ٨ من ٢٦٦ أما ابن خلدون فيخطئ في ذكر التاريخ حيث يقول أن ذلك كان في منتصف المحرم ٥١٠ هـ .

(٢٢٥) يسميه ابن الفرات المصدر السابق من ٦٧ (١) (سروحال) .

(٢٢٦) ابن الفرات : المصدر السابق ، من ٦٧ (ب) ٦٨ (١) .

(٢٢٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ من ٢٦٦ ، أبو الندا : المختصر ، د ٢

من ٢٦٦ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ من ٢١ .

بن منقذ وحده لينفرد . بالقول بأن حاكم الرها شارك في تلك الحركة (٣٢٨) .
ومن الواضح أن أسامة أخطأ في اعتبار جوسلين حاكم الرها وقتذاك .

ثم تعاقب الأحداث . ومات الملك بلدوين الأول كما مر بنا ١١١٨ م
وتولى مكانه بلدوين دى بورج أمير الرها بفضل موقف جوسلين
دى كورنتاي الذي تولى حكم الرها . ويطلق جروسية على وضع الرها
وملائقتها بيت المقدس في تلك المرحلة فيقول : « كانت إمارة الرها في
أول الأمر مستقلة تباعا عن القدس واتصلت أول مرة بمملكة بيت المقدس
عندما أصبح بلدوين الأول ملكا فاقطع بلدوين دى بورج الرها ، ثم ازداد
ذلك الاتصال قوة عندما اختير بلدوين الثاني (دى بورج) ملكا على
بيت المقدس ، فاقطع الرها لجوسلين (٣٢٩) » .

ثم كان أن توجه ايلغازي لهاجمة الفرنج في زردنا ، فاجتمع الملك
بلدوين مع جوسلين أمير الرها وبعض البازين من أمراء انطاكية
لصدده ، على أنه لم يحدث اشتباك مع المسلمين عندئذ بسبب مرضى
ايلغازي وحمله الى حلب حيث تولى (٣٣٠) .

وعندما وقع جوسلين في أسر ملك الأرتقي ١٣ سبتمبر ١١٢٢ م (٣٣١) .
(٥١٦ هـ) خدت إمارة الرها في وضع قلق مما جعل ملك بيت المقدس
يفضها تحت قيادة حامية بامرة جيوفري الراهب ، حاكم مرمق حتى
يتكشف أمر جوسلين . وهكذا أدت جهود الملك بلدوين ونائبه جيوفري
الراهب الى المحافظة على إمارة الرها ، وقام الملك بعدة اجراءات
ادارية وسياسية وعسكرية ، توجهت بالمعاهدة بينه وبين منسلين بن
عبد الجبار حاكم حلب في ٩ أبريل ١١٢٣ م (٣٣٢) . ومن هذا يبدو أن
الملك بلدوين الثاني تحمل عبئا جسيما في ذلك الوقت بسبب الاوضاع
الصليبية العامة التي نفا فيها الصليبيون ، بعد مقتل روجر حاكم

(٣٢٨) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ١١٤ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 538. (٣٢٩)

William : Op. Cit., V. 1, p. 537. (٣٣٠)

Mihel : Op. Cit., p. 210, William : Ibid., V. 1. p. 540. (٣٣١)

Seton : Op. Cit., V. 1, p. 419. (٣٣٢)

انطاكيا قيل ذلك بثلاثة سنوات ثم اسر جوسلين ، فضلا عن ان مملكة بيت المقدس ذاتها لحاطت بها المخاطر كما بينا من قبل . وحسب الملك بلدوين انه قام بوصايتين في وقت واحد على الرها وانطاكيا (٣٣٣) .

وهكذا حتى كان اسر ملك بيت المقدس نفسه - كما مر بنا - ١١٢٣م . وذكر البعض ان اسره كان اثناء توجهه لهرمس حصار ملك عن قلعة كركر (٣٣٤) . في حين ذكر البعض الآخر انه توجه ضد ملك للانتقام من اسر جوسلين ، فاسر (٣٣٥) . اما وليم الصوري فيذكر ان اسره كان نتيجة لاهمال حراس الملك نفسه اثناء تجوله في بلاد جوسلين للاطمئنان على سير الأمور فيها « فقد تقدم الملك الى ارض امير الرها ، وتمنى ان يقدم بعض العون لاولئك الناس الذين حرما من زعيمهم . وبينما كان يتجول ، يستقصى الاحوال بعناية فائقة . ويشرف بدقة على تحصين القلاع تحصينا طيبا وعلى اعداد الفرسان والمشاة والامدادات الوائرة من الاسلحة والمؤن . . . اذ هاجمه ملك فجأة في غلة حراسة (٣٣٦) » .

وهكذا خلت ثلاث امارات صليبية هي انطاكيا والرها وبيت المقدس من حمايتها المدايين عن بيضتها (٣٣٧) .

وقد راينا كيف بذل الأرمن سواء في داخل خربتات او خارجها أو من اهل الرها نفسها أقصى ما في وسعهم حتى اطلقوا سراح جوسلين ، الذي اخذ على علاقه اطلاق سراح الملك .

كل جوسلين عند وصوله الى الرها « مبتلا بالمصيبة التي عهدهت اليه (٣٣٨) » ، فلم يتمكن من الانتقام في الرها مدة طويلة (٣٣٩)

(٣٣٣) سميد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٥١١ .

(٣٣٤) ابن الأثير : الكامل : د ٨ ص ٣١٣

(L'Anonyme) عن Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 872

(٣٣٥) Mattieu : Op. Cit., p. 133.

(٣٣٦) William : Op. Cit., V. p. 540.

(٣٣٧) حسن خشن : نور الدين والصليبيين ، ص ٢٠ .

(٣٣٨) William : Ibid., p. 544

(٣٣٩) Fulcheri : Op. Cit., ... T. 3, p. 456.

لذلك رُحل إلى انطاكية ولكنه لم يجد فيها القوات الكافية لتحرير الملك فأتجه
وفقا لنصيحة البطريرك برنارد إلى القدس (٣٤٠) . « حيث شرح
البطريرك والأمراء الملكة ظروف الكرسي التي لحقت بالملك وروى كل
التفاصيل الخاصة بالعائلة ورجلهم أن يرسلوا نجدة في الحال لأن
وضع الملك مخوف بالخطر ، لا يسمح بأي تأخير » (٣٤١) .

ونتيجة لتوسلات جوسلين « اجتمع كل اهالي الملكة كرجل واحد
وحملوا صليب الصابوت معهم ، ويدلوا الرجيل في الحال ثم اتهم حملوا
من المدن التي مروا بها على تميزات سما زاد من اعدادهم حتى
وصلوا إلى انطاكية وهناك انضمت اليهم جيوع فبيرة وساروا تحت
قيادة جوسلين إلى تل باثر (٣٤٢) » .

لما عن الملك بلدوين الثاني فقد ظل في حبس بك يحران حتى
توفي بك في موقعة منبج ١١٢٤م (٥١٨هـ) كما مر بنا فنقل الجميع إلى
حلب (٣٤٣) ، التي كان يحكمها آنذاك تيرتاش بن ايلناري . ومع ذلك
لم تتوقف جهود الأمير جوسلين من أجل تخليص الملك من الحبس ، من ذلك
أنه تم ١١٢٤م الاتفاق بينه وبين الملكة زوجة بلدوين الثاني من ناحية
وبين تيرتاش من ناحية أخرى على مبادء الملك مقابل مبلغ كبير من المال ،

William : Op. Cit., V. 1, p. 544, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 592.

William : Ibid, p. 545. (٣٤١)
وهنا يذكر جروسية أن بطريرك القدس في ذلك الوقت
كان Gormond de Picquigny (Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 592)
وكان القثم بالوصاية على القدس هو الكنتابل أبو ستاس جزينية
Cahen : Op. Cit., p. 298.

William : Op. Cit., V. 1, p. 545, Zoé : Op. Cit., p. 298, (٣٤٢)
Cahen : Op. Cit., p. 297, Grousset : Hist. des Crois., V. 1,
p. 592.

Mattjeu : Op. Cit., p. 139. (٣٤٣)

على أن يُقَدِّموا رهائن ابنه الملك وابن جوسلين ، وبمئتا خمسة عشر
شخصا من كبار القوم (٣٤٤) .

وكان أن تم إطلاق سراح الملك بلدوين الثاني بعد أن دفع عشرين
الف دينار (٣٤٥) . ويطلق متى الرهاوى على إطلاق سراح الملك بأن
الفصل فيه يرجع إلى جهود جوسلين (٣٤٦) .

وقد برزت جهود الملك بلدوين الثاني في مساعدة إمارة الرها
بعد إطلاق سراحه فندمنا حاصر البرسقي مزار التابعة للرها
١١٢٥م - ٥١٩هـ وقد أوضح متى الرهاوى ذلك بالتفصيل (٣٤٧) .
وفي ١١٢٦م (٥٢٠هـ) هاجم البرسقي الأتارب فتوجه للاقتناص ملك
بيت المقدس وجوسلين دي كورتناي ثم تم الصلح بينهما ، كما سبق أن
بيننا في علاقة الرها بحلب .

والواقع أن إمارة الرها شاركت بجهودات واسعة في مساعدة
التوسع الفرنجي الذي قلعه ملك القدس ١١٢٦م على حساب المسلمين.
وخلاصة على حساب شبكة دمشق (٣٤٨) .

وفي ١١٢٧م (٥٢١هـ) تدخل ملك بيت المقدس بين كل من جوسلين
الأول وبوهينولد الثاني أمير أنطاكية وأهلي خلافا نشأ بينهما (٣٤٩) ،
كما سترى بعد ذلك . وفي ١١٢٨م (٥٢٢هـ) (٣٥٠) ، توفي طفلكين حاكم
دمشق وخلفه ابنه بوري الذي نكل بالباطنية في دمشق ، لذا خاف
الباطنية في بانباس على أنفسهم وسلبوها للفرنج (٣٥١) . عندئذ تحركت

(٣٤٤) وابن جوسلين هنا هو جوسلين الثاني. Mattieu : Ibid, p. 139.
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 423).

(٣٤٥) ابن الحديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٢٢ .

Mattieu : Op. Cit., p. 140. (٣٤٦)

Mattieu : Ibid., pp. 143 - 144. (٣٤٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 426. (٣٤٨)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651. (٣٤٩)

(٣٥٠) ابن الأثير الباهر : ص ٣٨ .

Cahen : Op. Cit., p. 348. (٣٥١)

في نفوس الفرنج رغبة شديدة لامتلاك دمشق والاقليم المحيطة بها (٣٥٢) .
 وكان ابن أرسل الملك بلدوين الى الغرب يستحثه لارسال حملة صليبية جديدة
 للمساعدة في الاستيلاء على دمشق ، وبالفعل تقدم عدد كبير « من
 الرماح من الرجال النبلاء الى الملكة (٣٥٣) » ، والى جانب هؤلاء
 القادمين شارك كبار ابناء الصليبيين في الشرق في القيام بتلك المهمة
 وعلى راسهم « فولك امير آنجو وبولز Pons امير طرابلس ويوهيوند
 الثاني امير انطاكية وجوسلين الاول امير الرهنا (٣٥٤) » .

وقد وصلت الى الشرق مجموعات من الصليبيين على رأس كل منها
 امير وتقدم الجميع نحو دمشق في ديسمبر ١٢٢٩م (٣٥٥) (٥٢٣ هـ)
 ولكن بات المحاولة بالفشل لسببين اوضحهما ولهم الصوري : الاول
 انشغال كل فريق بالحصول على فنائم لنفسه فقد عمدت الجيوش
 « الى الاحتفاظ بكل فريق بعيدا عن الآخر حتى تستطيع كل جماعة ان
 تطالب شيئاً ما تجده ولا تقتسمه مع الآخرين (٣٥٦) » . وهو
 ما شجع بوري حاكم دمشق (٣٥٧) ، على ان يدبر هجوماً مفاجئاً ضدهم
 وهم متفرقون على هذا النحو (١٥٨) :

والسبب الثاني للهزيمة كان تدخل العناية الالهية لصالح المسلمين
 فقد هبت عاصفة شديدة بمطره مصحوبة بالسيوف علس
 الصليبيين (٣٥٩) .

-
- Gibb : Op. Cit., p. 195. (٣٥٢)
 William : Op. Cit., V. 2, p. 40. (٣٥٣)
 William : Ibid., V. 2, p. 41, Cahen : Op. Cit., p. 348, (٣٥٤)
 Gibb : Op. Cit., p. 195.
 Cahen : Op. Cit., p. 348. (٣٥٥)
 William : Op. Cit., V. 2, p. 41. (٣٥٦)
 (٣٥٧) هنا خطأ ولهم الصوري فاضار اليه بأنه (طغتكين) .
 William : Ibid., V. 2, p. 41. (٣٥٨)
 William : Ibid., p.p. 41-42. (٣٥٩)

ثم حدث في اواخر ايام الملك بلدوين الثاني ان توفى بوهيموند الثاني امير انطاكية ١١٣٠م (٣٦٠) . — كما سنرى — وحاولت زوجته اليس ابنة الملك بلدوين نفسه ان تحرم ابنتها كونستانس من حقها الشرعى في الحكم ولكن بلدوين اسرع الى انطاكية وعهد الى جوسلين الاول بان يحكم انطاكية بوصفه وصيا على كونستانس حتى تتزوج ويصبح زوجها اميرا لانطاكية (٣٦١) . وهذا يشهد على مدى ثقة بلدوين في الامير جوسلين . واخيرا توفى بلدوين الثاني ملك القدس في ٢١ اغسطس ١١٣١م (٣٦٢) ، فحل محله في ١٤ سبتمبر فولك الاتجوى Foulque d'Anjou زوج ابنته ميلزاند التي كان قد تزوجها في ١١٢٩م (٣٦٣) .

والواقع ان عهد الملك بلدوين الثاني يظهر فيه الارتباط الشديد جدا بين الرها وبيت المقدس ، فلم يخل الملك بحمل النجدة اللازمة الى امارة الرها في غالبية الظروف عندما تهدد الامارة باى خطر خارجي يهدد مصالحها ، وبالتالي مصالح الصليبيين عامة ، لانها كما سبق ان ذكرنا الحصن الشرعى الواقى للامارات الصليبية ملبية .

اما عن خليفة بلدوين الثاني على عرش القدس لا مانه لم يستطع في غالبية الاحيان ان يفرض سلطانه على امراء الشمال — نعمى اميرى الرها وانطاكية — ونتج عن ذلك سقوط امارة الرها (٣٦٤) ، كما سنرى .

ولكن مع ذلك فقد حدث ٥٣٤/١١٤٠م ان حلت الهزيمة بالملك فولك امام زنكى وطلب الملك نجدة اميرى الرها وانطاكية فخفا بالعمل لفجته (٣٦٥) . وفي ١١٤٤م (٥٣٩) عندما حاصر زنكى الرها

Michel : Op. Cit., p. 230, G. Schlumberger : (٣٦٠)

Sigillographie de l'Orient Latin, p. 32.

Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (٣٦١)
p. 255, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

G. Schlumberger : Op. Cit., p. 3. (٣٦٢)

G. Schlumberger : Ibid., p.p. 4-5. (٣٦٣)

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317. (٣٦٤)

(٣٦٥) حسن حبشى : نور الدين والصليبيين : ص ٣٠ (عن الاعتبار) .

وارسل جوسلين الثالى يستنجد بمملكة بيت المقدس ارسلت الملكة ميلزاند جيشا بقيادة حاكم نابلس وحاكم طبرية (٣٦٦) . وانتظر جوسلين في تل باشر وصول جيش الملكة لكنه جاء متأخرا جدا (٣٦٧) . وسوف نتناول موقف القدس بالتفصيل عند دراسة ردود الفعل المختلفة لسقوط الرها .

والواقع ان علاقات الرها بالقدس كان يخلب عليها باستمرار الطابع الودى .

اما عن علاقة الرها بأنطاكية : وهى اقرب امارة صليبية الى الرها في الشمال ، فانها اتصفت بالعداء وسوء التفاهم بعكس العلاقة بين الرها والقدس ، التى اتسمت غالبا بطبع الود والتحالف كما رأينا . وقبل ان نتناول علاقات امارتى الرها وأنطاكية ، يجدر بنا الرجوع قليلا الى الخلف للوقوف على جذور تلك العلاقة . فقد افاضت المصادر اللاتينية والارمنية بتوضيح الخلاف الذى قام بين بلدوين البولونى من ناحية وبين تنكريد ابن اخى بوهميوند امير أنطاكية الاول من ناحية اخرى امام طرسوس ثم امام المضيصة سنة ١٠٩٧م (٤٩٠ هـ) عند مجيء الحملة الصليبية الاولى الى الشرق ولكننا سنكتفى بالإشارة الى ذلك بإيجاز لأنه وان كانت خارجة عن نطاق العلاقات بعد تأسيس الامارات ، ولكن كان لها في نفس الوقت تأثيرها بعد ذلك .

اما عن الخلاف امام طرسوس فقد كان ذلك مبكرا في سبتمبر ١٠٩٧م (٣٦٨) . عندما سبق تنكريد بلدوين البولونى في الوصول الى تلك المدينة « مستفيدا من الطرق القصيرة » ، وبذلك كان الاول في الوصول الى قيلقية (٣٦٩) . ثم حضر بلدوين بعده الى نفس المكان لاستقبله تنكريد بحب وكرم (٣٧٠) . لكن عندما رأى بلدوين اعلام تنكريد ترفرف

William : Op. Cit., V. 2, p. 142. (٣٦٦)

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236. (٣٦٧)

Harold Lamb : Op. Cit., p. 126. (٣٦٨)

(٣٦٩) مؤلف مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس من ١٧٩

William : V. 1, p. 178,

William : Ibid., V. 1, p. 180. (٣٧٠)

على المكان تضليق وطلب مقاسمة تنكريد في المدينة فرضا قائلا :
« اننى ارفض كل قسمة منك (٣٧١) » .

وبعد جدل طويل بينهما امر بلدوين على رايه فانسار عليه تنكريد
بتحكيم الاهالى الذين كانوا بالفعل يميلون الى جانب تنكريد (٣٧٢) . لكن
بلدوين مددهم « ان لم ينزلوا علم تنكريد ويرفعوا عليه بدلا منه فسوف
يسلم المدينة وكل الضواحي الجاورة للتدمير (٣٧٣) » . لذا خشي
الاهالى لان جيش بلدوين كان الاكثر عددا (٣٧٤) . فرجع علم بلدوين
مكان علم تنكريد « وضبط تنكريد مشاعره وانسحب خوفا من قيام
قتال بين القوات الفرنجية واتجه الى مدينة إلفنة (٣٧٥) » .

وبعد رحيل تنكريد امر بلدوين اهالى طرسوس بفتح ابواب المدينة
امام جنده ليدخلوها ، مستخدما في ذلك مزيجا من التهديد والانذار ؛
فتفتحوا الابواب وسمحوا لبلدوين وقواته كاملة بالدخول ، وتخلوا له عن
برجين وضموها تحت تصرفه في حين احتفظ الأتراك الذين كانوا لا يزالون
بالمدينة بملكية الابراج الأخرى (٣٧٦) .

وفي نفس تلك الليلة كان بوهيموند قد ارسل قوة من ثلاثمائة نورماندى

(٣٧١) مؤلف مجهول : اممال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٥
Harold Lamb : p. 127, هنا يذكر المؤلف المجهول أن الاهالى

تدخلوا بين الأميرين وطلبوا تعيين تنكريد حاكما لمدينتهم . هنا احتج بلدوين
بقوله «لن تدخل المدينة معا وننوبها وليتم على هراستها من يصيب النصيب
الا ولى وليعطها من يستطيع غزوها . فقال تنكريد « ما أبغض هذا المسلك
الى نفسى وانعدجا عنه اننى لا اريد أن اسلب النصارى ولقد اخترانى
رجل هذه المدينة اميرا عليهم وهم لا يريدون سوى اميرا » .

(٣٧٢) مؤلف مجهول : اممال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٥ .
William : Op. Cit., V. 1, p. 180. (٣٧٣)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300, Zoé : Op. Cit., 137, (٣٧٤)
المؤلف المجهول المصدر السابق نفس الصفحة .

William : Op. Cit., V. 1, p. 181, Zoé : Op. Cit., p. 138. (٣٧٥)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

William : Op. Cit., V. 1, p. 182. (٣٧٦)

لمساعدة تنكريد ، فلما وصلت الى طرسبوس وعلمت ما تم لجيش تنكريد طلبوا من بلدوين السماح لهم بالدخول للبيت فرمض واضطروا للبيت خارج ابنوار المدينة (٣٧٧) . « وفي سكون الليل خرج الاتراك الموجودين بالمدينة خلسة في هدوء تام مصطحبين معهم زوجاتهم وأطفالهم ومبيدهم واماءهم وكل ما يملكون . فقد كانوا لا يستطيعون الشعور بالأطمئنان في ديارهم مع الضيوف الذين وعدوا عليهم (٣٧٨) » . وفي اليوم التالي قام الفرنج فوجدوا المدينة خالية من السكان « فاستغربوا لهرب العدو الصامت (٣٧٩) » . لكنهم اكتشفوا مذبحة أحد لها الاتراك الراحلون في الجيش المسيحي النورماندى الذى رفض بلدوين ادخاله الى المدينة في اليوم السابق (٣٨٠) .

والواقع أن هذا الحادث ألّب على بلدوين الكثير من رجاله البارزين « ونسبوا اليه قتل رؤسائهم » (٣٨١) وكان أن تعرض بلدوين بسبب هذا الحدث للتهجير والتفقد حتى من أتباعه أنفسهم (٣٨٢) بل لقد أفقده الامتياز لدى الكثير من الرؤساء الصليبيين (٣٨٣) ولم يهدأ الحال نوعاً ما الا بعد أن « اقتسم بلدوين أن السبب الوحيد الذى منعه من السماح بدخول الحجاج النورمان الى المدينة ، انه وعد مخلصاً بعدم السماح بدخول أى شخص المدينة حتى يصل الدوق (جودفري) وهكذا هدأ الناس وتم الصلح » (٣٨٤) .

ثم تقدم بلدوين بعد ذلك حتى وصل الى المصبغة التى كان قد سبقه اليها ايضاً تنكريد ، وعندما علم تنكريد باقتراب بلدوين « عزم على

William : Ibid., V. 1, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 138, (٣٧٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٧٨)

William : Ibid., V. 1, p. 183.

(٣٧٩)

{ ٣٨٠ } مؤلف مجهول أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٥

William : Ibid., V. 1, p. 183, Zoé : O. Cit., p. 138 من

(Albert), Setton : Op. Cit., p. 300.

William : Op. Cit., V. 1, p. 183.

(٣٨١)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 300.

(٣٨٢)

Zoé : Op. Cit., p. 138.

(٣٨٣)

William : Op. Cit., V. 1, p. 184.

(٣٨٤)

أن يرد من نفس الزاوية المعسلة الشريرة التي تلقاها (٣٨٥) ٢
لذا انقض تنكريد بنفسه ومعه خمسمائة فارس مدرع على معسكر
بلدوين ونشبت معركة قاسية سقط فيها الكثير وأخذ بعض الأسرى من
كلا الجانبين ، وفي اليوم التالي هذات مشاعر الكراهية وسكن الغضب
وارسلت الرسل لطلب شروط السلم واعيد الأسرى الى كلا الجانبين
وعاد السلم (٣٨٦) .

وبعد ذلك توجه بلدوين الى مرعش وانضم الى الجيش الأصلي
وهناك وبخه أخوه بشدة عما حدث وكذلك فعل بقية الزعماء
الصليبيين (٣٨٧) . وبعد ذلك اتجه تنكريد الى الاسكندرونه فاستولى
عليها (٣٨٨) .

من خلال هذا العرض السريع للعلاقة بين بلدوين وتنكريد قبل تأسيس
الامارات الصليبية . يمكن أن نستشف بعض الرواسب التي اثرت
فيها بعد على علاقتهما ببعض . والواقع أن المصادر المعاصرة كانت عند
عرضها لتلك الأحداث السابقة تقف في صف تنكريد وتمتدح جانبه في حين
اعتبرت سلوك بلدوين نوعا من القسوة وحج الذات .

ثم كان أن قامت إمارة انطاكية كوحدة سياسية مستقلة ، وعندئذ
ظهر موقف الرها منها عندما أسر بوهيموند (٣٨٩) أمير انطاكية ووقع
في قبضة بنى دانشمند كما سبق أن اثرنا . ويهنا هنا أن نتناول
موقف أمير الرها من بنى دانشمند وإلى أى مدى تحرك لنجدة بوهيموند .

Gesta Tancredi in Expeditione hierosolymitana : (٣٨٥)

Auctore Radulfo Cadomensi (R.H.C.), Hist. Occid.,

T. 3, p. 637, William : Op. Cit., V. 1, p. 185.

William : Ibid., V. 1, p. 185, Setton : Op. Cit., V. 1, (٣٨٦)

p. 301, Zoé : Op. Cit., p. 138.

Zoé : Ibid p. 138.

(٣٨٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 301.

(٣٨٨)

(٣٨٩) هو بوهيموند الأول بن روبرت جوسكارد أمير تازنت . كان

بوهيموند أميراً لأنطاكية من ١٠٩٨ م . وتوفي في كلودادى بوجليا

Canossa de Puglia (G. Schlumberger : Op. Cit., p. 31.

هنا يقال أن بلدوين عرف بالحادث « عن طريق بعض الفساريين الذين وصفوا له تلك الكارثة » (٣٩٠) أو أن بوهيموند نفسه هو الذي استنجد ببلدوين (٣٩١) .

وعندما سمع بلدوين بذلك « تعاطف مع الأمير كما لو كان اخا شقيقا له ، وحركته تلك الكارثة بقوة » (٤٩٢) بل قيل انه « حزن على زميله ورفيقه ويكى على ما آل اليه امره (٣٩٣) » لذا تقدم بسرعة لنجده (٣٩٤) . ونزل بلدوين « مع مائة من الرجال المشاه المختارين وأربعين من الفرسان المجهزين الى سهول ملطية لتخليص بوهيموند (٣٩٥) » كما ضم اليه جماعة من رجال انطاكية لمساعدته (٣٩٦) . ولكن بلدوين لم يستطع تقديم أى عون لبوهيموند بعد ان اخذه بنو دانشمند وانسحبوا ، وبعد ان تعقبهم بلدوين ومن معه لمدة ثلاثة أيام بدون جدوى عاد الي ملطية فخضعت له ثم عاد الى الرها . اما اهالى انطاكية فقد تملكهم الغضب الشديد وانصرفوا الى شئونهم (٣٩٧) .

وفي ١١٠٠م (٤٩٤هـ) عندما تقدم بلدوين البولونى الى القدس ليتولى حكمها مكان اخيه جودفرى الذى مات قبل فترة قصيرة، اتجه أولا الى انطاكية

William : Op. Cit., V. 1, p. 411, Secunda Pars : (٣٩٠)
 Historiae... (R.H.C.) Hist. Occid., T. 3, p. 552.
 Fulcherii : Op. Cit... T. 3, p. 368, Gesta Francorum: (٣٩١)
 T. 3, p. 519, Alberti Aquensis : Historiae Liber
 VII ... T. 4, p. 525.

William : Op. Cit., -V. 1, p. 411.. (٣٩٢)
 Secundo Pars : Historiae ... Op. Cit., T. 3, p. 552. (٣٩٣)
 William : Op. Cit., V. 1, p. 411. (٣٩٤)
 Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525 (٣٩٥)
 Gesta Francorum : Op. Cit. ... T. 3, p. 519, Michaud (٣٩٦)
 Op. Cit., V. 1, p. 52.
 Fulcheri : Op. Cit. ... T. 3, p. 368. (٣٩٧)

حيث استقبل استقبالاً حاراً من أهلها . وبعد أن استراح فيها ثلاثة أيام استأنف رحلته إلى بيت المقدس (٣٩٨) .

وقد حدث في يناير ١١٠١م (٣٩٤ هـ) أن خرج بلدوين دى بروج إلى سروج لحمايتها من سقمان الأتقي فحلت به الهزيمة في أول الأمر ، واضطر إلى الفرار إلى الرها ومنها أسرع لطلب المونة من أنطاكية (٣٩٩) وبعد الحصول عليها تقدم إلى سروج .

وفي ١١٠٢م (٤٩٦ هـ) انشركت جيوش الرها وأنطاكية في القيام ببعض الهجمات على المسلمين في شمال الشام فهاجموا « قرية المسلمية (٤٠٠) وقتلوا بعض أهلها وقطموا على عدة مواضع قطع أخفوها (٤٠١) » ثم توجهوا إلى حلب وأقاموا بالبلد عدة أيام وبعد التفاوض مع رضوان أبيرها استقر الحال على أن يدفع لهم مبلغاً من المال وبعض الخيول ويطلقون الأسرى المسلمين الموجودين عندهم (٤٠٢) .

وفي ١١٠٣م — ٤٩٧ هـ أطلق سراح بوهموند بعد أن ساهم بلدوين دى بروج في خديته (٤٠٣) وبعد إطلاق سراحه مباشرة تم التحالف بينه وبين بلدوين دى بروج واتخذ موقفاً هجومياً ضد مسلمي حلب وقرى قريبة على أبيرها (٤٠٤) .

Albefti Aquensis : Historiae Liber VII ... T. 4, (٣٩٨)
p. 527.

Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset : Hist. des Crois. (٣٩٩)
V. 2, p. 870.

(٤٠٠) قرية على طريق حلب تبعد عنها أحد عشر كيلوا متراً
(ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧) .

(٤٠١) ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٢ ص ١٤٧ .

(٤٠٢) ابن العديم : زبدة الحلب هـ ٣ ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(٤٠٣) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, Zoé : Op. Cit., p. 212,
Harold Lamb : p. 240.

Bréhier : Vie et Mort de Byzance, p. 315, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393.

ثم كانت معركة حران ١٠٤٠م (٤٩٧هـ) التي شارك فيها كل من بوهيموند وتنكريد (٤٠٥) ، كما شارك فيها بطريقك انطاكية اللاتيني برنارد دي فالنس (٤٠٦) . وبربنا كيف ادى شك بلدوين في الانطاكيين الى عدم تسليمة ملاتبيح حران من اهلها ، (٤٠٧) ، الى جانب النزاع مع الانطاكيين حول ايها يرفع عليه أولا على المدينة (٤٠٨) ، مما ادى الى هزيمتهم بعد ذلك والواقع انه اذا كان يلهم من كلام ابن الاثير كما مر بنا عند الكلام من موقعة حران - أن الجيش الانطاكي لم يحارب في تلك المعركة اطلاقا (٤٠٩) . فان المصادر اللاتينية تشير الى الاشتراك الفعلي للانطاكيين في تلك المعركة (٤١٠) . أما (كاهن) فيعتبر نجاح الانطاكيين غير كامل في تلك المعركة (٤١١) . والحقيقة انه ربما دبح الى هذا الاختلاف في مدى مشاركة الانطاكيين ، أن العسكر الانطاكي لم يصب بضرر (٤١٢) .

وبعد أسر بلدوين دي جورج وجوسلين ومرار بوهيموند وتنكريد الى الرها اختار الامالى تنكريد وصيا على الرها الذي صد عنها هجوم

-
- Alberti Aquensis Historiae Liber IX... T. 4, p. 615, (٤٠٥)
 Gesta Tancredi : Op. Cit. ... T. 3, p. 710, Matieu : Op. Cit.,
 p. 71,
 ابن العباسي : الذيل ص ١٤٣ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ،
 هـ ٨ في ١ ص ٩ .
- Alberti : Ibid., p. 615, William : Op. Cit., V. 1, (٤٠٦)
 p. 456, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 403 من (Albert),
 Runciman : Op. Cit. V. 2, p. 42.
- Michel : Op. Cit., p. 195. (٤٠٧)
 Matieu : Op. Cit., p. 72, William : Op. Cit., V. 1, (٤٠٨)
 p. 458, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42, Michaud : Op. Cit.,
 V. 2, p. 33.
- (٤٠٩) ابن الاثير : الكلب ، هـ ٨ ٢٢١ - ٢٢٢ .
- Gesta Tancredi : Op. Cit... T. 3, p. 710, Alberti : Op. Cit., (٤١٠)
 Cit., Liber IX... T. 4, p. 615-616.
- Cahen : Op. Cit., p. 238. (٤١١)
 Matieu : Op. Cit., p. 72. (٤١٢)

جكرمش ١١٠٤م — (٥٤٩٧) ثم خضعت الرها لحكم ريتشارد دى سالرن
الذى ازهى الامارة كثيرا بحكمه كما بينا من قبل .

والواقع انه كان من الممكن أن يتم اطلاق سراح بلدوين دى بورج سنة
١١٠٤م بعد العرض الذى قدمه جكرمش بأنه مستعد أن يطلقه فى مقابل
اطلاق تنكريد لاميره سلجوقية كان قد أسرها فى نفس السنة ، أو أن يدفع
لتنكريد خمسة عشر الف بيزانت لاطلاق سراح الاميره (٤١٣) . وبالرغم
من أن ملك بيت المقدس ارسل الى انطاكيه يطلب من بوهموند وتنكريد
الا ينوتا تلك الفرصة لاطلاق سراح بلدوين لكن بوهموند وتنكريد كانا
يحتاجان الى المال بينما عودة بلدوين مسوف تقضى تنكريد بعيدا
عن وصايته على الرها ، ويعود خائى الوفاض . لذا أجابا بأنه
ليس من السياسة أن يظهروا فى صورة التلهفين على الموافقة على العرض
لأن ذلك من شأنه أن يجعل جكرمش يرفع الثمن إذا ترددا ولكن فى
نفس الوقت فانهما رتبا مع الأمير جكرمش الحصول على المبلغ ويبقى
بلدوين فى الأسر (٤١٤) فقد كتبت الرها « مر عظيم جدا وفو أهمية
تجارية كبيرة (٤١٥) » .

وبعد اطلاق سراح بلدوين وجوسلين ، قدم تنكريد لبلدوين مبلغا
كبيرا من المال . ولكنه عرض على الأميرين الرجوع الى الرها « بشرط
أن يكونا تابعين لامارة انطاكية مرفضا (٤١٦) » .

هنا يعود بلدوين الى تل باشر ويطلب مؤازرة جاولى والأتراك
من ناحية وكوغ باسيل الأرمنى من ناحية أخرى (٤١٧) . أما تنكريد

Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 619. (٤١٣)

Alberti : Ibid., p. 619, Runciman : Op. Cit., V. 2, (٤١٤)

p. 45, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389, Cahen : Op. Cit., p. 248.

نص خطاب الأميرين الى الملك مع الملاحق.

Zoé : Op. Cit., p. 215. (٤١٥)

Mattieu : Op. Cit., p. 86. (٤١٦)

Mattieu : Op. Cit., p. 85, Alberti : Op. Cit., Liber X... (٤١٧)

T. 4, p. 649, Cahen : Op. Cit., p. 249, Zoé : Op. Cit.,

p. 239, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 436.

فقد استدعى لمؤازرته رضوان حاكم حلب ، وأمير قلعة جبر(٤١٨) .
وقامت بين الامارين حرب طاحنة « كان جوسلين فيها — على
وجه الخصوص — نشطا ضد تنكريد لأن قلعة كانت تقع في ذلك الجانب
من الفرات وكان بذلك قريبا من اراضي انطاكية(٤١٩) »

ولما كانت هذه الحرب تعتبر نوعا من الانقسام بين الفرنج
وكانت تهدد الوجود الصليبي في شمال الشام لذا تدخل كبار الشخصيات
الصليبية(٤٢٠) ، الى جانب بطريك انطاكية برنارد وتمكنوا من
فض النزاع (٤٢١) . وعادت الرها الى اميرها الشرعي (٤٢٢) .

وما كاد امير الرها يسرّج امارته حتى نشأ خلاف بين جاولي
ورضوان واستجد جاولي ببلدوين ورضوان بتنكريد وبدأ الصراع من جديد
بين الامارتين . والواقع اننا فصلنا ذلك الصراع عند الكلام عن علاقة
الرّها بالموصل ٥٠٢هـ (١١٠٨ م) ولكن ما نود أن نضيف هنا هو
ما ذكره ابن الفرات واكدّه فولشر من أن المعركة بين الرها وانطاكية
كانت حوالى ثلاثة اشبلكات متتالية انتهت بانتصار تنكريد (٤٢٣) .

وهكذا فبعد اطلاق سراح بلدوين دى بورج حدث اصطدامان بين

-
- (٤١٨) Cahen : Op. Cit., p. 249.
كان امير قلعة جبر في ذلك الوقت شمس الدولة سالم بن مالك بن بدران
٤٧٩ — ٥١٩هـ (١٠٨٦ — ١١٢٥) زامبور : معجم الانساب، د ٢ ص ٢٠٦ .
(٤١٩) William : Op. Cit., V. 1, p. 474.
(٤٢٠) Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 410, William : Op. Cit.,
V. 1, p. 475.
(٤٢١) ابن الاثير : الكامل، د ٨ ص ٢٥٣ — ٢٥٤ ابن الفرات : مخطوط،
د ١ ص ٢٣ (١)
Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois.
V. 1, p. 438.
(٤٢٢) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٤ : ابن الفرات مخطوط ،
د ١ ص ٢٣ (١) .
(٤٢٣) Fulcherii : Op. Cit. ... T. 3, p. 410,

==

الرها وانطاكية ؛ الاول اثير بسبب تشدد تنكريد في عدم ارجاع الرها لبلدوين والثاني بسبب استنجد رضوان بتنكريد ضد جاولى وبالتالي استنجد جاولى ببلدوين ضد رضوان .

ولم يمر عام واحد حتى شرع مودود بأمر من السلطان السلجوقي في سياسة الجهاد ضد الفرنج كما مر بنا . وهنا نجد رأيا ينفرد به منى

ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، د ١ ص ٢٥ (ب) — ٢٦ (ب)

وهنا يعطينا ابن الفرات وصفا شيقا لبعض ما حدث فقال ان تنكريد برز اثناء القتال بين الصنيين المتحاربين واستدعى جوسلين وتحادنا والأمير جاولى ينظر اليهما . « ولم يعلم ان هذه عادة القوم وان العدو يجتمع بمدوه ويحافنه ويقرر حاله » فخشي ان يكون الاميران الصليبيان قد اصطالحا ضد مصلحة المسلمين . ولكن لم يصل الطرفان الى شيء من هذا ، وتنادوا بالحرب من جديد . وهنا رأى جوسلين ان الأمير جاولى قد اعتزل من المعسكر فوصل اليه وقال له : « يا مولاي هذا زينا فلا تظن غير هذا فلم يجبه الى قوله وظل على اعتزاله » وعاد جوسلين وتنكريد للاشتباك من جديد وكانت الحملة الاولى من اشد حملاتهم . وفي الحملة الثانية « كان جوسلين لا يقصد الا طنكريد ، وطنكريد مثله فطاعنا وتضاربا بالسيوف وأبلى كل واحد منهما ثم استل كل منهما رحما وطاعنا فسبقت طعنة طنكريد الى جوسلين فقتلته عن ظهر فرسه وحمل صاحب مرعش على طنكريد بطعنة فصرمه ايضا وظن ان جوسلين قد قتل ، وكان صاحب مرعش هو حامل علم جوسلين » . فلما رأى أصحاب جوسلين انه قد سقط على الأرض انهزموا ، لكن جوسلين نهض وسار الى الحصن لممنعته اياه من الدخول وقالت « الى أين ليتنى لم أكن رزقتك » . فقال لها « والله ما انهزمت حتى طعنت طنكريد حق الطعن ونازلته حق المنازلة » فقالت « والله لا اصدقك حتى اتأكد من ذلك من طنكريد نفسه » . وبالفعل ذهبت لتنكريد وسألته هل قاتله ابنها حق قتال ، فقال لها « والله ما انهزم ولكن سقط على الأرض كرها وانهزم عنه اصحابه وقد ضربني في الثلاث حملات وضربته عدة ضربات » وأكد كلام تنكريد جبهة من الفرسان فانصرفت .

الرهاوي عن سبب قدوم تلك الحملة ولو أننا نستبعد الأخذ به ، وهو « ان كلا من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى أراد ان يعلن الحرب ضد تنكريد ، فقد كانت ثلويهما مليئة بالحقق ضده - ربما لهزيمة العام السابق - ففكرا تفكيرا غير لائق بمسيحي وهو الاستنجد بشرف الدولة مودود(٤٢٤) » ثم يعود متى بعد ذلك وينكر « ان الاسير وجد ان بلدوين دى بورج تحاشاه فتوجه ضد الرها وبذلك أسرع بلدوين في ارسال جوسلين دى كورتناى ليستنجد بالملك بلدوين أثناء حصاره لبيروت ضد مودود (٤٢٥) » . وهذا يكفى لضحض النص السابق وتأييد القول بأن الحملة أرسلت أصلا من جانب السلاجقة ضد الفرنج . ويؤيد رأينا هذا ما ذكر من أن تنكريد لم يعبا بانقاذ الرها في بادئ الامر لان بلدوين الثلثى دى بورج اتهمه بتحريك تلك الحملة الاسلامية ضد الرها والتآمر مع المسلمين ضده(٤٢٦) .

والواقع ان جروسيه يعزو ذلك - أى الصاق كل امير التهمة للآخر بتحريك تلك الحملة ، الى ما سبق من تعاون كلا الجانبين مع الترك ضد بعضهما (٤٢٧) . انذاك كانت أولى كلمات بلدوين دى بورج للملك بلدوين عندما حضر لتجديته ، هي شكواه من « تنكريد مدوه المحرك للغزو التركي(٤٢٨) » . وعلى ذلك فقد « كان امير انطاكية على علاقة سيئة مع الرها بسبب تمهدهاته مع المسلمين ضدها(٤٢٩) » لذلك فقد دما الملك بلدوين الاول تنكريد الى أن يتصل ببقية الفرنج واذا كان لديه

Mattieu : Op. Cit., p 91. (٤٢٤)

Mattieu : Ibid., p. 91. (٤٢٥)

Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber XI. T. 4, p. 670. (٤٢٦)
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٦ عن (البرت).

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 449. (٤٢٧)

Alberti : Op. Cit., Liber XI ... T. 4, p. 672, Grousset : (٤٢٨)
Ibid., p. 459.

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289. (٤٢٩)

شكاوى يحضرها (٤٣٠) . وقد تردد تنكريد وقوانه في المشاركة مع الصليبيين ضد تلك الحملة التركية ، ولكنه عاد وأدرك أن عدم تعاونه مع اخوانه الصليبيين في حربهم ضد الأتراك يسيء الى سمعته في المحيط الصليبي بل يعتبر خيانة في حقهم ، لذا سار بقوة تقدر بحوالى ألف وخمسمائة فارس الى الرها ، حيث استقبل من الملك استقبالا وديا (٤٣١) وبعد ذلك سألته عن سبب موقفه العدائى من أمير الرها فأجاب بأن الرها كانت منذ عهد بعيد - أيام الحكم البيزنطى أو انتركى - ضمن نفوذ أنطاكية (٤٣٢) عندئذ رد الملك على تنكريد قائلا : « اذى تنكريد ان ما تطلبه غير صحيح . انك تستند على وضع البلاد زمن السيادة الاسلامية لكن يجب ان تعلم اننا عندما رحلنا من اجل الحرب المقدسة ، كان معروفا ان ما سيدزعه كل منا من المسلمين سيؤول اليه . . لذا قانا باسم كل المسيحية الموجودة هنا احثك على صلح صادق مع بلدوين دى بورج . واذا فضلت التأمر مع الأتراك فلن تستطيع البقاء بيننا وسوف نحاربك بدون شفقه (٤٣٣) » وأمام هذا الشعور العام الذى تلى الخطبة الملكية اضطر تنكريد للخضوع (٤٣٤) وتخلّى عن مشاعر الكره والحسد (٤٣٥) أى أن خضوع تنكريد كان تحت ضغط الظروف المحيطة به في ذلك الوقت - هنا يجب أن نستعيد الى ذاكرتنا ما حدث قبل تأسيس الامارات من صراع بين تنكريد

Alberti : Op. Cit., Liber XI... T. 4, p. 672, Grousset : (٤٣٠)

Hist. des Crois., V. 1, p. 452, Setton : Op. Cit.,
V. 1, p. 399.

Alberti : Ibid., p. 672, Groussier : Ibid., p. 452, (٤٣١)

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٧ عن (Stevenson)

Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 452. (٤٣٢)

هنا يذكر البرت أن تنكريد كان يرغب في الحصول على ضريبة سنوية على الرها .

(Alberti : Op. Cit., p. 672).

Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 453, L'Épopée, p. 88 عن (٤٣٣)

(Albert), Zoé : Op. Cit., p. 242.

Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 453 (٤٣٤)

Archer : Op. Cit., p. 148. (٤٣٥)

وبلديون وكيف رجحت كفة بلديون أيضا - وفي المعركة التي دارت بين المسلمين والصليبيين بعد ذلك نجد رأيين أحدهما يذكر أن تنكريد اضطر للانسحاب إلى سبيسط لأنه علم أن مؤامرة تدبر ضده هو وجماعته (٤٣٦) . والرأي الثاني يشير إلى أنه بمجرد أن اجتمع الجيش الفرنجي للتوجه ضد الأتراك ، بادر الجمع النورماندي بالانسحاب (٤٣٧) .

وفي ١١١١ م (٥٠٥ هـ) كانت حملة مودود الثانية كما رأينا على الرها وهي التي توجهت إلى حلب بعد ذلك وفقا لرغبة رضوان ، حتى أغلق رضوان أبواب البلد في وجه الجيش التركي مدعيا أنه أنهى خلافاته مع تنكريد وعندئذ توجه هذا الجيش إلى أنطاكية وتوقف في شيزر فما كان من تنكريد إلا أن جمع حوله كل الفرنج فلق به الملك بلديون الأول ملك بيت المقدس وبرترام أمير طرابلس وبلديون دي بوج أمير الرها (٤٣٨) . واجتمعوا عند أنطاكية أو فامية (٤٣٩) وتقابل الفريقان بعد ذلك عند شيزر ولكن لم تحدث معركة وانسحب الجانبان كل إلى بلاده (٤٤٠) . هكذا فشلت حملة مودود ١١١١ م في كل خطواتها لأن المسلمين كانوا منتقزين إلى وحدة تنظم صفوفهم في الوقت الذي اتحد فيه الصليبيون جميعا من أطراف العراق وشمال الشام إلى جنوب فلسطين تحت رعاية بلديون الأول ملك بيت المقدس (٤٤١) . تلك الوحدة التي أكد (برويه) وجودها في سنتي ١١١٠ - ١١١١ م بين الصليبيين بفضل جهود الملك بلديون الأول (٤٤٢) .

Mattieu : Op.Cit., p. 93, Grousset : Hist. des Crois., (٤٣٦)

V. 1, p. 45 (Mattieu).

Zoé : Op. Cit., p. 242.

(٤٣٧)

Mattieu : Op.Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, (٤٣٨)

p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(Setton) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٦٥ عن (٤٣٩)

Grousset : d., p. 90.

Mattieu : Op.Cit., p. 97, Setton : Op. Cit., V. 1, (٤٤٠)

p. 400, Grousset : L'Epopée, p. 90.

(Ru man) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٦٥ عن (٤٤١)

J. Pra . . Op. Cit., T. 1, p. 28.

(٤٤٢)

وفي ١٢ ديسمبر ١١١٢م توفي تنكريد أمير أنطاكية (٤٤٣) . فحل محله في حكم إمارة أنطاكية روجر السالرنى ابن ريتشارد (٤٤٤) ؛ الذى تولى ادارة الرها فترة ، اثناء أسر بلدوين دى بورج كوصى عليها من قبل تنكريد .

ويبدو إنه قبل وفاة تنكريد وبالتقريب في الفترة ما بين ١١١٠م - ١١١٢م (٥٠٤ - ٥٠٦ هـ) أيدت الرها جانب أنطاكية ضد بيزنطة مثلها في ذلك مثل القدس التى أيدت هى الأخرى أنطاكية . وقد عثرنا على نص ذكرته (انا كومينا) وشعر الى ان الامبراطور الكسيوس ارسل سفارة للتفاوض مع ملك بيت المقدس ضد تنكريد ودفع له الامبراطور مبلغا من المال في مقابل ذلك فرغض الملك ، لذا اتجهت السفارة الى الأمير جوسلين دى كورتناى الذى كان يزور القدس للعبادة في كنيسة القيامة . فكان جوابه بمثابة جواب الملك (٤٤٥) . والراجع ان تلك السفارة ذهبت الى القدس قبل ان يطرد جوسلين من الرها وان جوسلين في ذلك الوقت كان يمثل التابع الرئيسى لبلدوين دى بورج .

وفي عهد روجر تم ارتباط ودى عن طريق الزواج بين إمارة الرها وإمارة أنطاكية ، فقد تزوج روجر من أخت بلدوين دى بورج نفسه (٤٤٦) . ويبدو أن ذلك الزواج تم قبل ١١١٢م لأن وليم المورى يذكر انه « في ١١١٣م ارسل الأمير بلدوين دى بورج بعض رسله في مهمة خاصة الى روجر بن ريتشارد حاكم أنطاكية ، الذى كان قد تزوج إحدى اخوات الأمير بلدوين (٤٤٧) » .

Grousset : L'Épopée, p. 91. (٤٤٣)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 482, Cahen : (٤٤٤)
Op. Cit., p. 273,

يسميه ابن الأثير (روجيل) ابن الأثير الكلبي ، ح ٨٠ ص ٢٧٢

Anna Comnena : The Alexiad ; p. 367. (٤٤٥)

سياى النص كاملا في الملاحق .

William : Op. Cit., V. 1, p. 498, Zoé : Op. Cit., p. 246, (٤٤٦)

Grousset : L'Épopée, p. 93, Hist. des Crois. V. 1, p. 482.

William : Ibid., V. 1, p. 498. (٤٤٧)

ويصبر عن تلك العلاقات الودية المثينة في ذلك الدور ، ما ذكره جروسية من أنه « عندما أصبح بلدوين دى بورج ملكا ١١١٨م ، استفادت إمارة أنطاكية بكل تأييد الملكة الفرنجية (٤٨) » .

وفي ١١١٥م (٥٠٩ هـ) كانت حملة البرسقى على أنطاكية والتي مر فيها بالرها (٤٩) لم توجه الى أنطاكية وفي نيته تخريب كل الاقليم المحيط بها (٥٠) . وكان أن استنجد الأمير روجر بالملك بلدوين ملك القدس وبيلدوين أمير الرها (٥١) ، هذا الى جانب بونز أمير طرابلس (٥٢) . وكان بلدوين أمير الرها « في الطليعة بفرقتيه العسكرية وحالبا وقع نظره على العدو ، حتى اندفع عليهم غير مروع بأعدادهم العظيمة ، وذلك بهجوم ضار ، هز كل جيشهم وتبعت الكتائب الأخرى مثاله فتغفوا بأنفسهم بروح مشابهة ضد قلب قوات العدو وحاربوها بالسيوف بذا ليد (٥٣) » . ويقال أن لؤلؤ (٥٤) ، أخبر الفرنج بتحركات البرسقى لذا باغته روجر وبعد أن كان متفوقا في البداية اضطر للهرب (٥٥) .

وفي بداية عهد جوسلين دى كورتناى كأمير للرها غزا ايلغازى الاقليم المحيط بأنطاكية وكان بصحبته طفتكين حاكم دمشق ودييس أمير الحلة العربى السابق الذكر . فعندئذ استنجد روجر بالملك بلدوين — أخو زوجته — وبجوسلين أمير الرها وبيونز أمير طرابلس « وتفرغ اليهم بالحاح وعجلة الا يتأخروا فى المجيء لمساعدته فى الهجوم الطلوى (٥٦) » .

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 482. (٤٨)

Mattieu : Op. Cit., p. 114. (٤٩)

Mattieu : Ibid., p. 115. (٥٠)

Galterii Cancellarii Bella Antiochena : II Bellum — (٥١)

Art X. (R.H.C.), Hist. Occid., T. 5, Part 1, p. 188,

William : Op. Cit., V. 1, p. 504, Mattieu : Op. Cit.,

p. 115.

Cahen : Op. Cit., p. 273, Setton : Op. Cit., V. 1, (٥٢)

p. 404.

William : Op. Cit., V. 1, p. 504. (٥٣)

(٥٤) لؤلؤ الخصى الوصى على الب أرسلان بن رضوان حاكم حلب .

Cahen : Op. Cit., p. 274. (٥٥)

William — Op. Cit., V. 1, p. 528. (٥٦)

مخفوا جميعا لنجدته ولكن رغم ذلك كان النصر لابلغازى (٥٧) . ومعنى ذلك انه في عهد جوسلين الاول استمرت العلاقات قويسية بين الرها و انطاكية ، وازدادت هذه العلاقات قوة « عندما تزوج جوسلين دى كورتناى اخت روجر حاكم انطاكية وهى ماريا السالرنية والتي سبق ان فكرنا انه تلقى عزاز مهرا لها (٥٨) . في حين اشار راي آخر انها كانت ابنة روجر نفسه وان ذلك كان حوالى ١١٢٠م (٥٩) .

ثم حدث ١١٢٥م (٥١٩) ان حاصر البرسقى عزاز التابعة للرها فخف اليها الفرنج جميعا لمساعدة جوسلين ضد اعدائه وساهم رجال انطاكية البارزين بدور كبير في المعركة (٦٠) .

والواقع انه بعد ذلك الدور بدأت العلاقات الرهوية الانطاكية تدخل في صراع مكشوف اكثر مما كان بين سنتى ١١٠٨ - ١١١٠م (٥٠٢) - ٥٠٤) . وسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد كاحد العوامل المسببة لسقوط امارة الرها ، لكننا نذكره هنا بحكم تسلسل العلاقات وحتى لا تكون هناك فجوة غير مفسر اليها في علاقات الرها بانطاكية .

ففى خريف ١١٢٦م (٥٢٠) وصل الى انطاكية ابن بوهيموند الاول ، الذى رحل من روما وحكم انطاكية ، وحمل نفس اسم ابيه (٦١) . فكان يحمل اسم بوهيموند الثانى (٦٢) .
تزوج بوهيموند هذا الاميرة (اليس Alix) ابنة بلدوين الثانى ملك القدس (٦٣) ، وفى نفس السنة ٥٢٠ قتل البرسقى (٦٤) .

William : Ibid., p. 528. (٥٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 418. (٥٨)

Cahen : Op. Cit., p. 291. عن (l'Anonyme Syriac) (٥٩)

Mattieu : Op. Cit., p. 143, William : Op. Cit., V. 2, (٦٠)
p. 24.

Michel : Op. Cit., p. 224, Schlumberger : Op. Cit., p. 32. (٦١)

وكان وصول بوهيموند الثانى الى بلاد الشام في (١٨ رمضان ٥٢٠)
ابن شدداد : الاغلاق الخطيرة د ١ ميكروفيلم حوادث ٥٢٠ .

Schlumberger : Op. Cit., p. 32. (٦٢)

وهو ابن بوهيموند الاول وكستانس (Constance)

Schlumberger : Ibid., p. 32, Grousset : Hist. Hist. des (٦٣)

Crois. V. 1, p. 651.

(٦٤) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٢٠ ، الباهر ص ٣١ .

نوفمبر ١١٢٦م (٤٦٥) . وقد أدى ذلك الى قيام فوضى بقلب فانتزها كل من جوسلين الاول وبوهيموند الثانى واسرعا الى حلب آملين اخذ المدينة وسط الفوضى وكان ذلك ١١٢٧م هنا نشب بين الجانبين الرهوى والانطاكى عداء على (٤٦٦) . وهنا يذكر ولیم الصورى « ان لسباب هذا العداء الخليل بين بوهيموند الثانى وجوسلين الاكبر كانت غير معروفة (٤٦٧) » . ولكن من الراجح ان سبب ذلك هو ان جوسلين كان يأمل ان يعلى عرش القدس بمسد الملك بلدوين الثانى ولكن زواج بوهيموند من ابنة الملك بلدوين ضيع عليه تلك الفرصة (٤٦٨) .

واذا كان جوسلين قد انصرف عن حلب بعد ان « صونع بهال (٤٦٩) » فان الصراع انتقل الى انطاكية بعد ذلك ، وقد استعان فيه جوسلين بالأتراك ضد بوهيموند (٤٧٠) . وقد أشار ولیم الصورى الى ذلك بقوله « دعا جوسلين لمساعدته مجموعات من الأتراك واقام اسسا سابقة معيبة لاعتابه وبمساعدههم انتقم من اراضى انطاكية بالنار والسيف واجبروا أهلها - الخدم الحقيقيين للمسيح . على ان ينحوا لنير عبودية غير مستوجب (٤٧١) » . أما ميخائيل السريانى فيذكر ان جوسلين « استولى على كل ثى وجدده في اقليم انطاكية ماعده الرجال (٤٧٢) » . لذا أسرع الملك بلدوين الى انطاكية وعن طريق مؤازرة البطريرك برنارد دى مالفنس ، تم الوفاق بينهما (٤٧٣) . فقد غضب البطريرك واقتل الكنائس واوقف القداسات والصلوات واقف

-
- (٤٦٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٥٣٠ .
 Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651. (٤٦٦)
 William : Op. Cit., V. 2, p. 34. (٤٦٧)
 Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 651. (٤٦٨)
 فقد كان جوسلين يأمل في العرش لقربانه اولا من الملك بلدوين وثانيا بحكم انسابى التي حصلت فكل من بلدوين الاول والثانى ، ارتقى بعد إمارة الرها عرش القدس (سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٣١) .
 (٤٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٢٨ ، الغزى : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٨ .
 Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651. (٤٧٠)
 William : Op. Cit., V. 2, p. 34. (٤٧١)
 Michel : Op. Cit., p. 224. (٤٧٢)
 Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651. (٤٧٣)

الأجراس والجنائزات على الموتى ، لذا أجبروا على عقد الصلح وأعاد
جوسلين كل الغنية (١٧٤) .

ويبدو أن الوضع بين أمارتى الرها وأنطاكية عاد الى هدوئه
النسبي حتى فبراير ١١٢٠م - رمضان ٥٢٤هـ ، عندما قتل بوهيموند
الثانى فى معركة ضد الأمير غازى الدائشبندى (١٧٥) . وعندئذ
حاولت أرملة له اليس السيطرة على الحكم وحرمان طفلتها كونستانس
صاحبة الحق الشرعى فى الحكم من طريق تدبيرها للمكائد (١٧٦) .
فما كان من رجال أنطاكية البارزين الا أن جمعوا مجلسا ثم استنجدوا
بالمالك بلدوين للمساعدة (١٧٧) . ويقال أن اليس وصلت فى تحديها
للأنطاكيين الى درجة الاستجداد بزنى إسماعنتها ، ولكن لسوء حظها
وقع خطاب الاستجداد فى يد والدها وعرف بالمؤامرة (١٧٨) . عندئذ
أسرع الملك بلدوين الى أنطاكية كما اتجه اليها أيضا جوسلين دى كورتناى
أمير الرها (١٧٩) . ولكن اليس منعتهم من الدخول الا أن بعض القادة
المعنيين والدينين حصوا أبوابها وفتحوا أبواب المدينة لهم (١٨٠) .
وعندئذ أصدر الملك بلدوين مرسوما بأن يتولى جوسلين الوصاية على

Michel : Op. Cit., p. 224.

(١٧٤)

Michel : Ibid., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32, (١٧٥)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431,

ابن شداد : الأملق الخطير عند ميكرونيلى حوادث ٥٢٠هـ . (هنا يخطئ
أحد مؤرخى الأرمن فيجعل تاريخ وفاة بوهيموند الثانى هو تاريخ توليته .
فيذكر أن بوهيموند خلف روجر ١١٢٠م فى حكم أنطاكية :

Jacques D. Issaverdens : Hist. de l'Arménie, T. II, p. 316.

(١٧٦) إسحاق مبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٥٧ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

(١٧٧)

Setton : Ibid., V. 1, p. 431, J. Prawer : Op. Cit.,

(١٧٨)

T. 1, p. 317.

Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1 (١٧٩)

p. 255.

هنا يذكر ابن العبرى : أن ذلك كان سنة ١١٢١م. ولكن الراجح
أنه كان ١١٢٠م .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431, Prawer : Op. Cit. T. 1, (١٨٠)

p. 317.

كونستانس ابنه بوهيموند الثالثى فى حكمها لانطاكية والمناطق التابعة لها حتى تتزوج فيصبح زوجها اميرا على انطاكية (٤٨١) .

وفى ١١٣٠م ايضا قامت بين الرها وانطاكية علاقة دينية ذلك ان (حنا مادينا) عندما توجه الى مدينة كيموم ليم اختياره بواسطة مجيئها الدينى ، بطريكا يعقوبيا على انطاكية ، وجد المدينة محاصرة بواسطة سلاجقة الروم - كما سبق الذكر - لذا توجه ذلك البطريك الى تل باشر حيث تمت رسالته تحت رعاية جوسلين الاول فى كنيسة تل باشر اللاتينية فاصبح بطريكا لدير - Dovalr - وبذلك خلف البطريك اليقوبى لانطاكية اتانس وتم ذلك بالتصديق فى ١٧ فبراير ١١٣٠م - بفضل تاييد جوسلين الاول ومساعدته (٤٨٢) .

وفى ١١٣١م - ٥٢٦هـ توفى جوسلين الاول وخلفه فى حكم امارة الرها جوسلين الثانى الذى رغب فى ان يحكم انطاكية بكن ابنه لكن اعالى انطاكية، والبطريك لم يوافقوا على ذلك واحتفظوا بالمدينة لابنه بوهيموند (٤٨٣) .

وفى اغسطس ١١٣١م توفى الملك بلدوين الثانى(٤٨٤) فحاولت اليس تحقيق اطامعها من جديد ولكن مولك ملك بيت المقدس الجديد منعها من ذلك بالقوة واجبرها على الفرار الى اللاتينية ثم تمت خطبة كونستانس لريموند دى بواتيه Raimond de Poitiers الذى كان وقتها فى بلاط هنرى الاول ملك انجلترا(٤٨٥) .

هنا يقال ان اليس استعانت فى محاولتها الاخيرة بجوسلين امير الرها (٤٨٦) . ونحن لا نستبعد هذا الراى وخاصة ان جوسلين الثالثى كان قد تقدم الى انطاكية ١١٣٢م (٥٢٧هـ) لمساعدتها ضد غزو الاتراك لها (٤٨٧) .

ومهما يكن الامر فانه بزواج ريموند دى بواتيه من كونستانس ابنه

Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : V., 1, p. 255. (٤٨١)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 7. (٤٨٢)

Michel : Op. Cit., p. 233. (٤٨٣)

Schlumberger : Op. Cit., p. 3. (٤٨٤)

(٤٨٥) اسحاق عبيد : روبا وبيزنطة من ١٥٧ - ١٥٨ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 433, Prawer : Op. Cit., (٤٨٦)

T. 1. p. 317.

Michel : Op. Cit., p. 234. (٤٨٧)

بوهيموند الثاني أصبح اميرا لانطاكية من ١١٣٦ - ١١٤٩م (٤٨٨)
(٥٣١ - ٥٤٤ هـ) مما قضى على اطباع الطامعين في اماره انطاكية
ومن بينهم جوسلين الثاني نفسه .

وفي ١١٣٧ - ٥٣٢ هـ جدد ظروف في اماره انطاكية استدعت تدخل
الامير جوسلين الثاني . وترجع جذور تلك الاحداث الى ١١٣٥م عندما
توفي قسطنطين ملك ارمينيا الصغرى (٤٨٩) فخلفه على العرش ليو
الاول اخو ثوروس الذي انتزع من البيزنطيين ، المصيصة واذنه
وطرسوس وتقدم منتصرا حتى شواطئ البحر المتوسط . وعندما
تولى ريموند دى بواتيه اسارة انطاكية ١١٣٦م أصبحت حدوده متقاربة
جدا مع حدود ليو الأرمني فكان لابد من الاحتكاك بينهما بحكم كونهما
رئيسين طموحين . وكان أن وقع ليو الأرمني في كمين (٤٩٠) نصبه له
ريموند بالاشتراك مع بلدوين أمير مرمش (٤٩١) وظل ليو أسيرا داخل
احدى القلاع لمدة شهرين حتى تم الاتفاق على اطلاق سراحه مقابل
التنازل عن بعض المدن ودفع مبلغ من المال وأن يقدم ابنه كرهينة
ومن ناحية أخرى وعده ريموند بمساعدته ضد الامبراطور البيزنطي
حنا كومنين (٤٩٢) .

ومع ذلك فانه ما كاد يتم اطلاق سراح ليو حتى حثت بعده وهاجم

-
- Schlumberger : Op. Cit., p. 32. (٤٨٨)
(توفي ريموند ٢٩ يونيه ١١٤٩م)
Tournebize : Ibid., p. 173. (٤٨٩)
Tournebize : Ibid., p. 173.
Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. (٤٩٠)
Cit. p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 316.
ولو أن الأخير يخطئ فيعتبر أن ذلك كان في عهد بوهيموند .
Gregoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Cahen : Op. Cit. (٤٩١)
p. 358.
Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. (٤٩٢)
Cit., p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152,
Jacques D. Issaverdens : Op., Cit., T. II, p. 316, Cahen:
Op. Cit., p. 358.
لما المدن التي وعد ليون بتسليمها هي المصيصة واذنه Sarovanticar
وكان المبلغ حوالي ٦٠٠٠٠ دينار . او Roc de Saravant

ريموند واستولى من جديد على المدن التي كان قد تنازل عنها (٤٩٣) مدعيًا « أنها اغتصبت منه بالخديعة والقوة » (٤٩٤) لذا استنكس الجانبان في حرب أريقنت فيها دماء كثيرة (٤٩٥) رغم تدخل الملك فولك لاصلاح الوقت (٤٩٦) وجاء ذلك العداء كارثة على الأرمن والفرنج جميعًا ، لان المسلمين انتهزوا الفرصة للانقضاض على الجانبين المتحاربين (٤٩٧) هذا الى جانب الاخبار التي بدأت تنذر باقترب الجيوش البيزنطى (٤٩٨) . لذا توسط جوسلين الثانى بين الجانبين في ذلك الوقت ، بحكم أن والده كان متزوجا من اخت الأمير ليو . وأوقف العداءات وأصاح بين الطرفين وتم ذلك ١١٣٧م (٤٩٩) .

في نفس الوقت الذي وصلت فيه اخبار استعدادات الامبراطور لحملته على الشام ١١٣٧م وصلت أنباء أيضا بأن فولك ملك بيت المقدس لقي هزيمة على يد زنكى فأرسل الملك يستنجد بريموند أمير انطاكية . وكان وضع ريموند عندئذ حرجا للغاية من ناحية لم يكن يود أن يبرح امارته في ذلك الوقت حتى لا يتمكن العدو البيزنطى من الاستيلاء عليها . وفي نفس الوقت كان عليه أن يلجأ نداء الملك ، لذا « مهد الى كل من جوسلين الثانى أمير الرها وبلحوين أمير مرسى بمهمة حماية امارته » وأسرع هو ليقدم العون للملك ، ومنعذ أثر زنكى التفاوض مع فولك وبذلك عاد ريموند الى امارته (٥٠٠) .

Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournebizze : Op. Cit., (٤٩٣)
p. 173, Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152.

Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172. (٤٩٤)

Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317. (٤٩٥)

Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Tournebizze : Op. Cit., (٤٩٦) . . .
p. 173, Jacques D. Issaverdens : Op. Cit., T. II, p. 317.

Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172. (٤٩٧)

Cahen : Op. Cit., p. 358. (٤٩٨)

Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan : (٤٩٩)

Op. Cit., p. 173, Cahen : Op. Cit., p. 358.

وينكر كاهين أن ذلك كان في شتاء ١١٣٦م — ١١٣٧ .

(٥٠٠) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٥٩ . ولكن الراجح أن جوسلين لحق بريموند لنجدة الملك هو الآخر عندما وصله استنجد الملك به أيضا . وربما يكون أمر انطاكية ترك لأمير مرسى وحده ويرجع

وقد حدث ١١٢٨م (٥٣٢ هـ) عندما تقدم الامبراطور حضا كومنين الى شيزر للاستيلاء عليها وفقا لما تم عليه الاتفاق بمقتضى الحلف الفرنجى البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفصيل فى موضع آخر من البحث ان تقاسم جوسلين وريموند عن مساعدة الامبراطور فى الاستيلاء على شيزر . ولذا سخط الامبراطور عليها ، وعندما التمس منه حاكم شيزر ان يترك حصارها مقابل مبلغ من المال وافق وانصرف عنها (٥٠١) .

على ان الامبراطور انسحب من شيزر ليطالب بانطاكية ، وعندئذ ارسل جوسلين الى انطاكية عناصر استشارت قضب الجباهير وحقدما . وفى الوقت الذى تظاهر هو بان الجباهير فى انطاكية تتهمه بالخيانة وتطالب بقتله وكان ان نجحت حيلته . وانسحب الامبراطور من المدينة بعد ان أصيب بعض افراد حاشيته (٥٠٢) ويبدو ان جوسلين دبر تلك الخدمة لا بدافع مصلحة أمير انطاكية فحسب بل أيضا خوفا من ان يسيطر الامبراطور البيزنطى على الرها اذا تمت له السيطرة على انطاكية .

وثمة نص يذكره وليم الصورى يشير الى تجديد المهاد ١١٢٨م بين انطاكية والرها اذ يذكر ان جوسلين ارسل فى تلك السنة الى بطريك انطاكية الذى كان موجود فى مقبلة اثر نزاع بينه وبين ريموند حاكم انطاكية (٥٠٣) فظهر جوسلين الثانى الود تجاه البطريك فكاه فى ريموند ودعاه للحضور ومعه بطاقته الى الرها لتأييده ومناصرته . فلبى البطريك الدعوة وحضر الى الرها حيث استقبل باحترام كبير من كل الاساقفة ورحب به الأمير جوسلين ترحيبا لائقا (٥٠٤) .

هذا رأى ابن الفرات الذى ذكر ان جوسلين أسرع فى ذلك الوقت لنجدة الملك (ابن الفرات . تاريخ الدول والملوك د ٣ ص ٩١) (١) .

William : Op. Cit., V. 2, p.p. 95 — 96. (٥٠١)

William : Ibid., V. 2, p. 100, Bréhier : Vie et Mort, p. 325, (٥٠٢)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(٥٠٣) قيل ان سبب ذلك النزاع هو موافقة ريموند على اقرار بطريك بيزنطى فى انطاكية .

(William : Op. Cit., V. 2, p. 117, J. Prawer : Op. Cit.,

T. 1., p. 327).

William : Op. Cit., V. 2, p.p. 116 — 117.

(٥٠٤)

وعندما علم الأمير ريموند بذلك أرسل سفارة الى الرها
تطلب الى البطريك الرجوع الى وظيفته فاستجاب البطريك لذلك (٥٠٥).

وفي ١١٤٤م (٥٣٩) وهى التى سقطت فيها امارة الرها كما سنتناول
ذلك بالتفصيل فيما بعد — كان العداء لا يزال قائما بين الرها وانطاكية
او بالأحرى بين جوسلين الثانى وريموند . ولذا حدث عندما استغاث
جوسلين بريموند لنجدة بوصفه اقرب جيرانه الصليبيين ، اعترف ريموند
باعتذار شتى (٥٠٦) بل قيل أن ريموند لم يستطع أن يخفى سروره
وشماته لما حل بجوسلين (٥٠٧) . ويعلق وليم الصورى على ذلك
بأنه نسي قول (هورس) « عندما يكون منزل جارك يحترق فإن منزلك
يصبح فى خطر (٥٠٨) » . ومن جهة أخرى فإنه يقال أن سبب اعتذار
ريموند فى ذلك الوقت من نجدة الرها كان مرجعه انشغاله بمنازعته
مع الامبراطور البيزنطى الجديد مانويل (٢٠٩) .

والواقع أنه مهما تكن ظروف ريموند فإن الواجب كان يلقى عليه أن
ينجد جوسلين أولا ثم يفكر فى مصالحه الخاصة بعد ذلك لأن ما يهدد
الرها سيهدده هو بالدرجة الثانية . وهذا ما بينه نيرسيس شنورهاالى
فى مرفيته عن سقوط الرها فى يد زنكى حيث يقول مخاطبا انطاكية على
لسان الرها :

اليك حديثى وعتابى
يا شقيقتى الحبيبة انطاكية
ايه ايها القرينة الحبيبة
لم لم تسهرى الى
وانت فى اليسر والسعة ؟
لم لم تمدى الى يد المعونة
بل شمت بى وتركتينى
اقع فى ايدي الكافرين ؟
هلبى وامنى الى نحيبى
وشاطرينى حسرة اضرمت فؤادى

William : Ibid., p. 117.

(٥٠٥)

William : Ibid., V. 2, p. 142.

(٥٠٦)

William : Ibid., V. 2, p. 201, Grousset : L'Epopée, p. 163.

(٥٠٧)

William : Op. Cit., V. 2, p. 201.

(٥٠٨)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 447.

(٥٠٩)

وولولى معى واشجى
وواى قلبى الجريح (٥١٠)

وحى بعد سقوط الرها ومند محاولة جوسلين استرجاعها للبرة
الثانية ١١٤٦م (٥٤١ هـ) رفض ريموند تقديم المساعدة بدمعيا
« أن الحملة تخطيها سوء » (٥١١) ورغم أنه كان واضحا لدى جوسلين
أن زكى سيهاجيه بسرعة ، إلا أنه لم يستطع أن يغفر لريموند رفضه
مساعدته ، لذلك دخل معه فى نزاع علنى (٥١٢) .

وهكذا تطلبت العلاقات بين الرها وأنطاكية بين العداء حينا
والتحالف أحيانا فضلا عن العلاقات الدينية . وإن كان الغالب على تلك
العلاقات هو الطابع العدائى .

أما عن علاقة الرها بالبرة طرابلس : فأتنا لم نعثر على نصوص
كاملة تشير الى تلك العلاقات (لذا استقينا معلوماتنا من بين النصوص
الخاصة بالعلاقة بين الرها وبيت المقدس من ناحية والرها وأنطاكية
من ناحية أخرى ، وذلك فيما عدا المصادر اليسير الذى شاركت فيه
الرها وزميلاتها ، بقية الإشارات الصليبية فى نجدة طرابلس مثل حصار
بشرين (٥١٣) ١١٢٧م (٥٤١ هـ) والغالب أن العلاقة بين إمارتى

Nersés Schnorhali : Op. Cit., p. 231. (٥١٠)

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240. (٥١١)

Runciman : Ibid., V. 2, p. 238. (٥١٢)

(٥١٣) بشرين « بلدة بين حمص والساحل تلتفط به العمامة
(بعيرين) وهو خطأ والصحيح بشرين (ابن الأثير : الباهر - ص ٥٩)
ولذا نجد بعض المصادر والمراجع تكتبها بعيرين والبعض الآخر يكتبها
بشرين .

فمن كتبها بعيرين (ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٧ ،
ابن الفرات : مخطوط ، د ٣ ص ٩٠ ، (ب) ، النويرى : نهاية الأرب ،
مخطوط د ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن الوردي د ٢ ص ٤١ ، الفزى : نهر
الذهب ، د ٣ ص ٨٩ ، العيني : عقد الجمان ، د ١٦ ص ٩٤ ،
أما من كتبها بشرين فهم (ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٢ ،
ابن الأثير : الباهر ص ٥٩ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١
ص ٨٧ ، ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٥٢٥) والغريب أن ابن الأثير
ذكر التسميتين فى كتابيه .

أما المصادر والمراجع الأجنبية فتشير إليها باسم (Montferrand)

=

الرها وطرابلس كانت ذات طابع ودي في إطار تبعية الجانبين لمملكة بيت المقدس وذلك منذ قيام إمارة طرابلس ١٢ يوليو ١١٠٦م (٥١٤) (ذي الحجة ٥٠٢هـ/٥١٥) .

والواقع ان العلاقات بين طرابلس والرها كتبت ودية حتى قبل قيام إمارة طرابلس الصليبية . ففي اوائل سنة ١١٠٠ م (٤٩٣هـ) عندما كان بلدوين البولوني أمير الرها متوجها الى القدس بعد سماعه بخبر وفاة أخيه ، سار كما ذكرنا وسط بلاد المسلمين وتحصل هو ورفاقه الشغلات الكثيرة ولكنه ما كاد يصل الى طرابلس ، التي كان يحكمها عندئذ فخر الملك ابن عمار (٥١٦) . حتى استقبله أمير طرابلس المسلم « بالترحاب وتوطدت الصداقة بينهما وقدم له أمير طرابلس الخبز والتبيز وأخبره أن دقاق حاكم دمشق والقائد جناح الدولة أقاموا له كمينا على الطريق حتى يأخذ حنزه » (٥١٧) .

ويبدو أن موقف ابن عمار هذا إنما يعزى الى سوء العلاقات بينه وبين دقاق صاحب دمشق (٥١٨) .

وكانت اول علاقة للرها بطرابلس بعد أن أصبحت الأخيرة إمارة صليبية هو مشاركة طرابلس في الحملة المتوجهة من بيروت بعد الاستيلاء عليها ١١١٦م (٥٠٤ هـ) الى الرها لنجدة من خطر الأمير مودود وجيشه المحاصر لها . ذلك أن برترام الملك بلدوين ملك القدس (٥٢٠) « الرها » بكل قواته صحبة الملك بلدوين ملك القدس (٥٢٠) . ثم حدث ١١٢٣م (٥١٧ هـ) بعد أسر الملك بلدوين الثاني أن حاربت كل من بيت المقدس والرها وأنطاكية محرومة كلها من رؤسائها

(William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86-87, J. Prawer : Op.

Cit., T. 1, p. 322, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70).

(٥١٤) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٣٧٢ .

(٥١٥) ابن القلائسي : الذيل ، ص ١٦٣ .

(٥١٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، د. ٥ ص ١٧٩ .

Gesta Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 520 (٥١٧)

Zoë : Op. Cit., p. 184. (٥١٨)

(٥١٩) هو برترام أمير تولوز والابن الأصفر لريموند الصنجيل .

(G. Schulmberger : Op. Cit., p. 58).

Alberti Aquensis : Historiae Liber XI... T. 4, p. 671. (٥٢٠)

Grousset : Hist. der Crois., V. 1, p. 451 عن (Albert).

في حين كانت طرابلس تحت حكم الأمير بونز Pons (٥٢١) تتراس تلك الإمارات كما مر بنا (٥٢٢) .

وفي ١١٢٤م (٥١٨هـ) عندما استنجد عيسى أمير منيج بجوسلين ضد ملك الأرقي سار جوسلين إلى بيت المقدس وطرابلس وجميع بلاد الفرنج وحشد ما يزيد على عشرة آلاف فارس وراجل وتقدم إلى منيج (٥٢٣) . واشترك بهم في تلك المعركة .

كذلك حدث ١١٢٥م (٥١٩ هـ) عندما حاصر البرسقي عزاز أن سار لنجدتها ملك بيت المقدس ومعه بقية الأمراء الفرنج ومن بينهم أمير طرابلس بونز بن برترام (٥٢٤) . وكان جيش طرابلس يكون الجناح الأيسر للجيش الصليبي في تلك المعركة (٥٢٥) .

وفي ١١٣٧م شوال ٥٣١هـ (٥٢٦) عندما تعرضت إمارة طرابلس لتهديد زنكي وحصاره أسرعت الرها لتقديم المعونة لشقيقتها الصليبية .

(٥٢١) بونز بن برترام هو أمير طرابلس من ١١١٣ — ١١٣٦م ، تزوج أرملة تنكريد بعد وفاته .

(Schumberger : Op. Cit., p. 58).

Grousset : L'Épopée, p.p. 120 — 121. (٥٢٢)

(٥٢٣) ابن المديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ١ .

Setton : Op. Cit., V. 6, p. 422.

Mattieu : Op. Cit., p. 143. William : Op. Cit., V. 2, p. 24. (٥٢٤)

William : Ibid., V. 2, p. 24. (٥٢٥)

(٥٢٦) تشير غالبية المصادر والمراجع الإسلامية إلى أن ذلك كان

٥٣١ هـ ومنها :

ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٧ ، التويري : نهاية العرب ، مخطوط ، د ٢٥ ورقة ٤٧ : ابن الفرات : مخطوط ، د ٣ ص ٩٠ (ب) ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٤١ ، الغزي : نهر الذهب ، د ٣ ص ٨٩ ، ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٥٢٥ والمعيني : عقد الجمان ، د ١٦ م ١ ص ٩٤ . في حين ينفرد مصدران فقط بأن ذلك كان ٥٣٤ هـ وهما ابن الأثير : الباهر ص ٥٩ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٨٧ . وبذلك يكون ابن الأثير : ذكر الرايين في كتابه والمراجع أن ذلك كان ٥٣١ هـ بمقابلتها بسنة ١١٣٧م التي ذكرتها المصادر والمراجع الأجنبية William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

Cahen : Op. Cit., p. 358, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

وبما أننا سنتناول حصار بارين على يد زنكى بالتفصيل في الجزء الخامس بجهاده الاسلامي قبل امقاطعه للرها فسوف نحاول هنا بقدر الامكان التركيز فقط على دور الرها في تلك المعركة .

فلك ان بارين كانت ذات موقع استراتيجي هام لانها تشره على الطريق الرئيسي لبلاد السلام الاسلامية من حماه الى حمص (٥٢٧) . وكثت عند حصار زنكى لها تلبية لأمير طرابلس ريموند الثاني (٥٢٨) . وموقعها في الجزء الشرقي من الإمارة (٥٢٩) . وقد حدثت عند تعرضها لحصار زنكى ان طلب ريموند المصونة من القدس أولا (٥٣٠) ولكن عندما أدرك الملك تنوق زنكى اضطر للجوء الى حصن بارين نفسه للاحتواء به فاصبحوا شبه مسجونين بعد أن حاصرهم زنكى داخله (٥٣١) وفي تلك الانتاء كان قد قتل في المعركة بينهم وبين زنكى جونفري الاخ الأكبر لجوسلين (٥٣٢) .

وبعد أن استقر الملك بالحصن ومعه مجموعة من النبلاء تشاوروا واتخذوا قرارا بأن يستجدوا بالامير الرها وانطليكية : وببطريك القدس لياتي انجدهم ومعه كل اهالي المملكة (٥٣٣) .

وبالفعل توجه احد الرسل الى الرها متوسلا بالاميرها الذي جمع كل قواته واسرع لنجدة الملك ، وصحبه امير انطليكية في تلك المهمة (٥٣٤) . فضلا عن بطريك القدس (٥٣٥) . وعندما علم زنكى باقتراب تلك الجيوش

-
- J. Prawer : Ibid., T. 1, p.p. 322 — 323. (٥٢٧)
 Cahen : Op. Cit., p. 398, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323, (٥٢٨)
 Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438.
 J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322. (٥٢٩)
 Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 70. (٥٣٠)
 J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323. (٥٣١)
 ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك مخطوط د ٣ ص ٩١ (أ) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٣ ، أبو شامة ، الروضتين د ١ ق ١ ص ٨٧ ، النويري : نهاية الارب مخطوط د ٢٥ ورقة ٤٧ .
 William : Op. Cit., V. 2, p. 86. (٥٣٢)
 William : Ibid., V. 2, p. 87. (٥٣٣)
 ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك : د ٣ ص ٩١ (أ) . (٥٣٤)
 J. Prawer : Op. Cit., p. 323. (٥٣٥)

الصليبية الى جانب احتمال وصول الجيش البيزنطي بعد ان استنجد الصليبيون بالروم (٥٣٦) ، اختار ان يفلّص أعداءه الموجودين داخل القلعة والذين كانت حالتهم قد وصلت الى درجة شديدة من السوء مما دفعهم الى قبول شروط الصلح بسرعة ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد .

وما كاد الملك ورفاقه يفلتون من الحصار ويتوجهون الى عكا حتى علم الملك بمقدم اميرى الرها وانطاكية فقابلهم بتأمر عظيم وشكر جهم وروعتهم (٥٣٧) ، وبعد ذلك انسحب الاميران كل الى بلاده (٥٣٨) .

مكذا كان الود والتحالف هو السمة البارزة في علاقة الرها بطرابلس .
ثالثا : علاقة الرها بالارمن خارجها :

سبق ان اشرنا الى الدور المهم الذى قام به الارمن خارج الرها ١٠٩٧ م (٤٩٠ هـ) في ارشاد بلدوين البولونى ، عبر مسالك قيليقية الوعرة وخاصة جهود بلكراد الارمنى وغيره من الارمن الذين كان لمساعدتهم الاثر الاكبر في تسهيل مهمة بلدوين في تحقيق هدفه بتأسيس امارة صليبية له في الشرق .

والواقع ان علاقة امارة الرها الصليبية بالارمن خارجها كانت أغلبها علاقات ود وتحالف يدخل ضمنها زواج غالبية امراء الرها بآرمينيات — وبعضها عبارة عن توسع من جانب الامارة على حساب الارمن ، ولكن يندر ان نجد علاقة عداة شديدة بين الامارة والارمن خارجها . ولا اقل من تتبع تلك العلاقات وفقا لفترات حكم امراء الرها المختلفين .

لها من اول امراء الرها الصليبية وهو الامير بلدوين البولونى فانه لى يدعم حكمه فى الامارة ويكتسب رضاء الارمن ، وبعد وفاة زوجته الفرنجية بادر بالزواج من الاميرة (اردا) (٥٣٩) الارمينية وكان أبوها

(٥٣٦) ابن الاثين : الباهر ، ص ٦١ ، الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٣ ص ٩١ (١) ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٨٧ التويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، د ٢٥ ورقة ٤٧ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 438 (٥٣٧)

(٥٣٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، د ٣ ، ص ٩١ (ب) .

Fulcherii : Op. Cit., ... T. 3, p. 433. Alberti Aquensis : (٥٣٩)

Op. Cit.,... Liber III... T. 4, p. 361, Setton : Op. Cit., ١

باتفاق المصادر ، أحد لمرء الأرمن قوى النفوذ والثروة في ذلك الوقت حتى أن صداقتها بلغ حوالى ستين ألف بيزانت (٥٤٠) .

ويهمنا من أمر هذا الزواج أن الكتاب الأرمن اعتبروه « تحالفا للمصالح أقر بواسطة التنبؤ ودخل عن طريقه مسيحيو الشرق ضمن نطاق التنظيمات الإقطاعية الصليبية » (٥٤١) في حين أشار إليه بعض الكتاب الأوروبيين المحدثين بأنه « كان زواجا سياسيا (٥٤٢) » . والواقع أننا لا نستطيع أن نقرر أن تلك الزيجة كانت بعيدة كل البعد عن تلك الصورة ، فالواقع أن ثراء والد الزوجة ربما أغرى بلدوين بالحصول على ثروة وافرة مما يدعم المركز المالى لامارته الناشئة .

أما عن علاقة بلدوية البولونى بكوغ باسيل وأخوة باكراد ، فإن كوغ باسيل كان عند قيام إمارة الرها ، يحكم كيسوم وزعبان وقلمة الروم (٥٤٣) ، أما باكراد فقد أعطاه بلدوين حكم مدينة الراوندان بعد الاستيلاء عليها كما مر بنا هنا يشير كل من البرت ووليم الصورى الى العلاقة بين بلدوين وأخيه جوفرى وهذين الأميرين الأرمنيين في نص خلاصته أنه بينما كان جوفرى مقيما بالقرب من تل باشر وراوندان ، بلغته شكوى الناس من الأخوين باكراد وكوغ باسيل وكيف أنهما أثقلا كاهل الأهالى وعلى وجه الخصوص أهل الأديرة بالالتزامات الثقيلة ومن ناحية أخرى فإن هذين الأخوين أرسلوا الى الأمير بوهيموند يستثيرانه ضد أمير الرها . ولذا سخط جوفرى عند سماعه تلك الاتهامات وأرسل ضد كوغ باسيل وباكراد قوة حطمت قلاعهم (٥٤٤) . وهكذا يبدو كيف غدر بلدوين بالأمير باكراد رغم الخدمات الجليلة التى قدمها له الأخير .

كذلك تركز جانب هام من العلاقات بين إمارة الرها الصليبية والأرمن في عهد بلدوين البولونى في علاقته بجبريل أمير ملطية ، وهى

V. 1, p. 372, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 64, =
L'Epopée, p.p. 104, 205.

Alberti : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois. (٥٤٠.)
V. 1, p. 64.

Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 169. (٥٤١)

Grousset : L'Epopée, p. 104. (٥٤٢)

Grousset : L'Empire, p. 386. (Albert) عن (٥٤٣)

Alberti Aquensis : Historiae, Liber V ... T. 4, p. 441. (٥٤٤)

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 304 — 305.

العلاقة التي سبق أن تكلمنا عنها بالتفصيل أثناء الكلام عن عهد بلدوين البولوني في الرها وعند الكلام أيضا عن علاقة الرها بأنطاكية عندما أسر بنو داشمند بوهميوند أمير أنطاكية ١١٠٠م حتى انتهى الأمر بأن أعلن جبريل أمير ملطية ولاءه لبلدوين ودخل تحت طاعته في تلك السنة (٥٤٥) .

والراجع أن جبريل كان قد عرض على بلدوين القدوم إلى ملطية منذ اللحظة الأولى لتأسيس الإمارة بدليل ما ذكره ميخائيل السرياني من أنه « بعد أن وصل الفرنج إلى الرها وحكموها بذل جبريل جهده ليحمل الفرنج يحضروا ويستولوا على ملطية (٥٤٦) » . ويبدو أن انشغال بلدوين بتدعيم إمارته في بادئ الأمر ثم بأخضاع المؤامرة التي قامت ضده في مستهل حكمه هو الذي منعه من تلبية طلب جبريل بسرعة ، لذا لجأ جبريل كما رأينا إلى بوهميوند ، وانتهى الأمر إلى دخول ملطية بالفعل تحت سيطرة الرها .

على أنه ما كاد بلدوين يفادر ملطية عائدا إلى الرها بعد أن ترك بها حامية مكونة من خمسين جنديا حتى عاد بنو داشمند من جهيد لحاصرة ملطية دون جدوى (٥٤٧) .

ثم كان أن شهد عهد بلدوين دي بوج نشاطا واسما في العلاقات بين الرها والأرمن خارجها ، من ذلك أن بلدوين دي بوج لجأ إلى نفس أسلوب بلدوين البولوني لتأكيد مكلفته لدى الأرمن فتزوج من مورفيا ابنة جبريل (٥٤٨) . حكم ملطية كما سبق أن ذكرنا والتي حملت إليه صداقا كبيرا جدا (٥٤٩) ، أشيع خزانة بلدوين . ومع ذلك فإن هذا التحالف لم يحل دون هجوم الأتراك من بني داشمند على ملطية وأخذها ١١٠٣م (٥٥٠) (٥٤٩٧ هـ) ومن أهم الزيجات التي تمت أيضا

Alberti : Op. Cit., Liber VII ... T. 4, p. 525, Gesta (٥٤٥)

Francorum : Op. Cit., T. 3, p. 519, R.H.C. : Hist. Occid.,

T. 1, p. XLII, William : Op. Cit., V. 1, p. 412.

Michel : Op. Cit., p. 187. (٥٤٦)

Alberti Aquensis : Historiae, Liber VII. T. 4, p. 525. (٥٤٧)

Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Cilicienne, (٥٤٨)

p. 93, Cahen : Op. Cit., p. 230, Setton: Op. Cit., V. 1,

p. 392, Zoé : Op. Cit., p. 228, Grousset : Hist. des

Crois., V. 2, p. 868. عن (L'Anonyme).

William : Op. Cit., V. 1, p. 450, Zoé : Op. Cit., p. 228. (٥٤٩)

Zoé : Ibid., p. 210. (٥٥٠)

في عهد بلدوين دى بورج التى ربطت بين اماره الرها من ناحية وبين ارمينيا الصغرى من ناحية اخرى ، زواج اخت بلدوين دى بورج من ليون الاول ملك ارمينيا الصغرى (٥٥١) .

ولم تقف علاقات الرها بالارمن في ذلك العهد على المصاهرات وانما حدث « فيها بين سنتي ١١٠٢ — ١١٠٣ م (٩٦٦ — ٩٦٧ هـ) ان ساعد ثوروس بن قنسطنطين (١١٠٠ — ١١٢٩ م) (٥٥٢) . الصليبيين في رد هجمات البيزنطيين عن الرها وانطاكية (٥٥٣) » . وفي ١١٠٤ م (٩٦٨ هـ) تنازل طاطول الارمنى صاحب مرعش عن مدينته لجوسلين دى كورتناى (٥٥٤) .

وقد مر بنا كيف اسر بلدوين دى بورج حوالى خمس سنوات بعد ذلك وكيف عارضت انطاكية في رد امارته اليه بعد ذلك مما ادى الى الخلاف بينه وبين تكريد ١١٠٨ م (٥٥٢ هـ) بسبب ذلك . بل ان بلدوين اضطر الى اعلان الحرب ضد تكريد وهى الحرب التى استنجد فيها بلدوين بجاولى . كذلك توجه بلدوين في ذلك الوقت الى كوغ باسيل حاكم رعبان وكيسوم بالقرب من بهسنى (٥٥٥) . الذى كان قد

lorga: L'Arménie Cilicienne, p. 94, Zoé: Op. Cit., p. 296 (٥٥١)

هنا يضيف (ايورجا) ان اخت بلدوين اسست بعد زواجهما في ارمينيا ديرا لاتينيا .

Michel : Op. Cit., p. 198.

(٥٥٢)

Pasdermajian : Op. Cit., p. 203.

(٥٥٣)

(٥٥٤) سعيد عاشور : سلطنة الممالك ومملكة ارمينيا ، ص ١٤٣ عن

(Runciman)

ويسميه ميخائيل هنا امير الامراء ويذكر انه باع في نفس الوقت صورة العذراء المقدسة الى ثوروس بن قنسطنطين بن روبان في مقابل مبلغ ضخم من المال ثم رحل الى القسطنطينية .

Michel : Op. Cit., p. 75.

Michel : Op. Cit., p. 187, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 393, (٥٥٥)

Cahen : Op. Cit., p. 250, Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 52.

يسميه (كونسيل) كل من ابن الاثير : الكامل : د ٨ ص ٢٥٣ : ابن

الفرات : مخطوط د ١ ص ٢٣ (١) اما ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ص ٤ .

قيسميه (ابو سيل الارمنى) .

«جبع الجيش الأرمني القوي في قلعته العسكرية الحصينة في الجزء الشرقي من طوروس المواجه للفرات (٥٥٦) » .

وعندما ذهب بلدوين الى كوغ باسيل يلتبس منه المساعدة ضد تنكريد ، استقبله كوغ باسيل استقبالا وديا وأغدق عليه الهدايا (٥٥٧) ، اذ وجد ان مصالحهما تتفق في مواجهة تنكريد الذي طمع في الاستيلاء على قيليقية بأكملها ، بعد ان استولى على مدينة المصيصة فعلا ، ومن ناحية أخرى فقد عانى اهل الرها الكثير من ابن عمه ريتشارد دي سالرنو الذي حكم امارتهم حكما استغلاليا (٥٥٨) . لذلك لم يبخل كوغ باسيل بتقديم معونته الى بلدوين دي بورج ضد تنكريد « فأنجده بألف فارس والف راجل (٥٥٩) » . اما متى الرهاوى فيقدر المعونة التي قدمها كوغ باسيل لبلدوين « بفرقة عسكرية مكونة من ٨٠٠ محارب (٥٦٠) » . وقيل انه ارسل معه كذلك فرقة من المرتزقة تعمل لحساب الامبراطور البيزنطي (٥٦١) .

وربما يتساءل البعض لماذا لم يتجه بلدوين الى جبريل ، والد زوجته ليمده بما يحتاج اليه من نجدة ؟ الراجح ان كوغ باسيل كان اغنى بالقوات البشرية التابعة له ، بينما كان جبريل اغنى بماله .

لذا نجد ان بلدوين لم يفوت فرصة الاستفادة من جبريل بعد عودته امارته اليه ، حتى وصل الامر الى حد ابتزاز امواله كما اشار وليم الصوري (٥٦٢) .

وعندما تعرضت اثرها لتهديد مودود ١١١٠م (٥٠٤ هـ) اسرع اليها الملك بلدوين الاول لتجديتها مع بقية الفرنج كما مر بنا وساهم بمضى الرؤساء الأرمن في مؤازرة امارة الرها وعلى رأسهم كوغ

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 436. من (Mattieu) (٥٥٦)

Grousset : Ibid., p. 436, Cahen : Op. Cit., p. 250. (٥٥٧)

(٥٥٨) سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥١ { عن البرت }

Grousset : Ibid., p. 437,

(٥٥٩) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٣ ، ابن الفرات : مخطوط ،

د ١ ص ٢٣ : (١) ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ١٩١ ، سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٢ عن (Stevenson)

Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 438.

Mattieu : Op. Cit., p. 86.

(٥٦٠)

Mattieu : Ibid., p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 250.

(٥٦١)

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 479 - 481.

(٥٦٢)

باسيل (٥٦٣) . الذى « أصدر أوامره الى قواته الشعبية بالاستعداد والتوجه الى سبيط (٥٦٤) » .

وفى ٥٥٠٦ (٥٦٥) (اكتوبر ١١١٢ م) (٥٦٦) . توفى كوغب باسيل « فحكمت زوجته بعده مرعش وكيسوم ورعبان وتحصنت من الفرنج وكانت امرأة عاقلة فهدرت امر البلاد احسن تدبير (٥٦٧) » . وقد مر بنا كيف حضر البرسقى الرها ١١١٤ م (٥٥٠٨) وعندئذ أرسلت اليه زوجة كوغب باسيل تقول « ان زوجى اوصانى بعد موته ان اخاطب المسلمين وان اجانب الفرنج واتا من الموالين لك فارسل الى من اجتمع به واكون تحت امرك : فقبل ولاءها (٥٦٨) » . ويقال ان السبب فى تقديمها الولاء للبرسقى هو ان زوجها قاسى من عدوان تنكريد ١١١٢ م (٥٦٩) (٥٥٠٦) بل ان تنكريد كان يطمح فى امرته بعد موته هذا الى انه يبدو أن بعض الارمن الذين طردهم بلديون الثانى من الرها ١١١٣ م (٥٥٠٧) نزحوا الى كيسوم حيث حوضوا دغا باسيل - ابن كوغب باسيل المتبنى - (٥٧٠) . على محالفة السلاجقة ضد الصليبيين (٥٧١) .

ويقال أن الفرنج الموجودين فى كيسوم ورعبان ما كانوا يعلمون بذلك حتى غادروها الى انطاكية (٥٧٢) . وقد رأى الفرنج ان ذلك خيانة كبرى فى حق المسيحية فضلا عما فى ذلك التحالف من تهديد مريح للامارات الصليبية فى الشمال (٥٧٣) .

Mattieu : Op. Cit., p. 92, Cahen : Op. Cit., p. 257, (٥٦٣)

سميد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٧ { Setton : Op Cit., V. 1, p. 299

Archer : Op. Cit., p. 148. (Stevenson) عن

Mattieu : Op. Cit., p. 92 (٥٦٤)

(٥٦٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

(٥٦٦) سميد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٧٢ .

(٥٦٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ ، مخطوط ٤ ص ٨٠ (١) .

(٥٦٨) ابن الفرات : المصدر السابق ، د ١ ص ٨٠ (١) .

(٥٦٩) Setton : Op. Cit., V. 1, p. 403.

(٥٧٠) Michel : Op. Cit., p. 198.

كانت زوجة كوغب باسيل قد أرسمته فقط .

(٥٧١) سميد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٧٢ عن (Runciman)

(٥٧٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ٤ ص ٨٠ (ب) .

(٥٧٣) سميد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٧٣ .

لذلك ففى ١١١٥م (٥٥٠٩) شرع بلدوين دى بورج فى الحرب ضد باسيل دغا Vasil - Dgha فحاصر رعبان الحصينة واستمر على ذلك فترة دون الوصول الى نتيجة رغم انه كان يحاصرها من كل الجهات (٥٧٤) . ثم توجه باسيل دغا بعد ذلك الى صاحب ارمينية الصغرى الامير الارمنى ليون بن قنسطنطين بن رويان واخو ثوروس ليتزوج ابنته « مدعا ثوروس باسيل وقبض عليه غدرا وقاده الى الرها (٥٧٥) » .

وفى الرها عذب باسيل بقسوة على يد بلدوين حتى اضطره ليسلم كيسوم ورعبان بل وكل بلاده وذلك ١١١٦م (٥٥١٠) (٥٧٦) .
نذلك اشعار ميخائيل السريانى الى ان بلدوين دى بورج امتلك كيسوم ورعبان فى تلك السنة (٥٧٧) .

وفى نفس ١١١٦م استولى بلدوين على قلعة الروم الى الشرق من سيمساط والى الجنوب من الرها قرب الضفة الغربية للفرات وكانت جزءا ايضا من ممتلكات باسيل دغا (٥٧٨) .

اما عن كركر التى كانت تابعة للامير قنسطنطين الارمنى الذى سبق ان ساعد بلدوين الاول فى الاستيلاء على الرها (٥٧٩) . فنجد ان ميخائيل السريانى يشير الى ان بلدوين دى بورج ضمها لامارة الرها ١١١٦م (٥٨٠) ، فى حين يشير متى الرهاوى ان ذلك حدث ١١١٧م (٥٨١) وان بلدوين دى بورج سجن قنسطنطين فى

Mattieu : Op. Cit., p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275. (٥٧٤)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 493.

Mattieu : Op. Cit., p. 116. (٥٧٥)
Mattieu : Ibid., p. 116, Cahen : Op. Cit., p. 275, Grousset (٥٧٦)
Op. Cit., V. 1, p. 493, L'Empire, p. 387 عن (Matieu).

سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٧٣ عن (متى الرهاوى)
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 408 هنا يضيف متى الرهاوى « ان باسيل دغا لجأ بعد ذلك الى القسطنطينية حيث استقبل بحفاوة كبيرة — هو والقوات التى صحبته — من الامبراطور البيزنطى » .

Michel : Op. Cit., p. 199. (٥٧٧)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154. (٥٧٨)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 494. (٥٧٩)

Michel : Op. Cit., p. 198. (٥٨٠)

Mattieu : Op. Cit., p. 117, Grousset & Hist. des Crois., (٥٨١)
V. 1, p. 494.

حميساط حتى هلك في احد الزلازل الأرضية (٥٨٢) .

وفي ١١١٧م أيضا توجه بلدوين دى بورج ضد أحد الرؤساء الأرمن المشهورين هو أبو الفريب — Abelh'arib — حاكم البيرة (٥٨٣) . وصعبه في حملته هذه أمير سروج . وكانت البيرة ذات موقع استراتيجي في المكان الأول من الأهمية على مجرى الفرات على طريق الرها ميناء (٥٨٤) . وظل بلدوين يحاصر البيرة حوالي سنة كاملة حتى فقد أبو الفريب كل أمل فسلم البيرة . وكل الأقليم إلى بلدوين (٥٨٥) .

وهكذا يكون بلدوين قد استولى بين سنتي ١١١٥م - ١١١٨م على ممتلكات كل من دغا باسيل حاكم كيسوم ووعبان وقلعة الروم وأبو الفريب حاكم البيرة وقسطنطين حاكم كركر ، وذلك عن طريق القوة والضغط حتى أن متى الرهولى يذكر سدى ذلك بقوله « اننا نود أن نحصى الجرائم العديدة للفرنج ، ولكننا لا نجرؤ أو نتجاسر لاننا تحت نفوذهم (٥٨٦) » .

والواقع ان سياسة بلدوين التوسعية عن طريق العنف لم تستمر طويلا ففي ١١١٨م توجه كما مر بنا الى القدس حيث توج ملكا . هنا يعقب او لدنبرج على سياسة بلدوين البولوني ودى بورج مع الأرمن فيقول « أنه بالرغم من صلاتهما فإن سياسة التحالف والامتيازات المتبادلة فرضت على الفرنج بحكم ظروف السامية نفسها (٥٨٧) » .

وهكذا كان عهد بلدوين دى بورج عهدا ظهرت فيه علاقات ابلرة

Mattieu : Op. Cit., p.p. 117-118. Grousset : Op. Cit., (٥٨٢)
p. 494.

Mattieu : Op. Cit., p. 116-117. (٥٨٣)

(Setton) عن (٥٨٤) سميد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ٧٣

Grousset : Hist. des Crois. V. 1, p. 493

هنا يذكر جروسية انه رغم أن البيرة دانت بالطاعة لبلدوين الأول ١٠٩٩م إلا أنه تركها تتمتع بكيانها كإمارة أرمنية . ولكن كانت تعترض بطريقة مكثرة بين الرها وبغداد .

Mattieu : Op. Cit., p. 117. Grousset : Hist. des Crois., (٥٨٥)
V. 1, p. 494.

Grousset : Ibid., V. 1, p. 494 عن (Mattieu) (٥٨٦)

Zoé : Op. Cit., p. 210 (٥٨٧)

الرها بالأرمن خارجيا في ثلاثة أرباط . أما زواج متبادل أو ود وتحالف
أو عداة وتوسع بالقوة من جانب الرها .

وفي عهد جوسلين دي كورثناي تجددت علاقات الزواج من أرمينيات ،
نقد اتخذ جوسلين من أخت ليون الأول ملك أرمينيا الصغرى (٥٨٨) .
(١١٢٩ - ١١٣٦ م) (٥٨٩) . أو أخت ثوروس الأول (٥٦٠) . أو بمعنى
آخر ابنة قنسطنطين (٥٩١) . زوجة له ، لأن ثوروس وليون كانا
وندى قنسطنطين .

ومن أبرز العلاقات بين الأرمن والرها في عهد جوسلين دي كورثناي.
تلك المحلولة البطولية التي ساعد بها الأرمن في إطلاق سراح جوسلين
من سجن خربتيرت كما مر بنا . ذلك أن الأمر لم يقتصر عندئذ على جهود
رعيا جوسلين الأرمن بحسب (٥٩٢) . بل تعداه إلى الأرمن في خربتيرت
سواء في قلعتها أو في البلد نفسها (٥٩٣) . أو في طريق عودته إلى
الرها خاصة جهود أحد الفلاحين الأرمن الذي أسهبت المصادر
المعاصرة في الأثارة بجهوده في هذا المجال (٥٩٤) .

وما أن علم تلك بأمر حرب جوسلين ووقع القلعة - كما مر بنا -

Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152. (٥٨٨)

Michel : Op. Cit., p. 198. (٥٨٩)

Zobé : Op. Cit., p. 296. (٥٩٠)

Iorga : L'Arménie cilicienne, p. 93 عن (Alishan (٥٩١)
Sissouan)

Mattieu : Op. Cit., p. 134, Cahen : Op. Cit., p. 297, (٥٩٢)

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 541 - 542, Grousset : Hist.

des Crois., V. 2, p. 876, عن (L'Anonyme),

Archer : Op. Cit., p. 162.

Matti.u : Op. Cit., p. 134, Michel Op. Cit., p. 211 (٥٩٣)

Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 419

Grousset : L'Empire, p. 300, عن (Foulcher), Archer :
Op. Cit., p. 163.

Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 456 Cahen : Op. Cit., p. 297, (٥٩٤)

Archer : Op. Cit., p. 163, Setton : Op. Cit. V. 1 p.420,

Zoé : Op. Cit., p. 298, Grousset : Hist. des Crois. V. 1,

p. 592, L'Épopée, p. 123 عن (Foulcher)

بيد الملك ورفاقه حتى اسرع اليها واستعاضها (٥٩٥) : ولم يتم ذلك بالطبع في سلام بل راح ضحيته كل الارمن تقريباً الذين وجدهم بك في القلعة (٥٩٦) وحتى الذين ظلوا على قيد الحياة وقموا في قبضته (٥٩٧) .

وقبل أن تنتقل الى عهد جوسلين الثاني نحاول التعرف على علاقة الرها بكركر في عهد جوسلين الأول . فقد كانت زوجة قنسطنطين حاكم المدينة قد ظلت تحكها — بعد أن زج بلدوين دى بورج زوجها في السجن — حتى عهد جوسلين الثاني (٥٩٨) . وعند اسر الملك بلدوين الثاني كان يحكم كركر ١١٢٣م — (٥١٧ هـ) ميخائيل بن قنسطنطين (٥٩٩) . وثمة نص لميخائيل السرياني يوضح علاقة كركر بالمرأة الرها بعد ذلك يقول « في عهد بك خرج ميخائيل الأرمني من قلعة كركر وتنازل عنها . وبعد مقتل بك استولى عليها من جديد الى أن هاجمه بعض الأتراك ؛ ولما لم يكن قادراً على حيازة نفسه فله هرب في الغرات ، ثم تنازل لجوسلين عن كركر . حتى باعها جوسلين بخمسة دينار (٦٠٠) » .

وفي ١١٢٧م تبت في عهد جوسلين الثاني رابطة قوية بين امرأة الرها والارمن في أرمينيا الصغرى . ذلك انه حدث في تلك السنة خلاف بين ريموند الثاني أمير أطلكية من ناحية وبين ليون بك أرمينيا من ناحية أخرى ، وبحكم قرابة الأخير من جوسلين فقد توسط بينهما وأقام الصلح بين الجانبين الذين تحالفا ضد الإمبراطور البيزنطي (٦٠١) .

على أن البيزنطيين احتلوا قيليقية بين سنتي ١١٣٨ - ١١٤٥م —

(٥٩٥) أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ٢٣٧ ، ابن الوردي : ج ٢ ص ٣١
 Mattieu : Op. Cit., p. 134, William : Op. Cit., V. 1. p. 543,
 Setton : Op. Cit., V. 1, p. 420.

Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, Zoé (٥٩٦)
 Op. Cit., p. 298.

William : Op. Cit., V. 1, p. 544. (٥٩٧)

Cahen : Op. Cit., p. 276. (٥٩٨)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2 p. 875 من (L'Anonyme) (٥٩٩)

Michel : Op. Cit., p. 244. (٦٠٠)

وهو يقصد هنا ميخائيل الأرمني ، ميخائيل بن قنسطنطين

Grégoire le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Jacques de Morgan (٦٠١)

Op. Cit., p. 172. Tournèbize : Op. Cit., p. 173. Cahen :

Op. Cit., p. 358.

(٥٣٣ - ٥٤٠ م وكان آخر حاكم لآرمينيا عند الغزو البيزنطي هو ليو الأول (٦٠٢) .

رابعا : علاقة الرها بالدولة البيزنطية :

للتعرف على أهم العلاقات بين إمارة الرها الصليبية والدولة البيزنطية في الفترة التي ندرسها ، ينبغي الرجوع الى الوراء ، الى ٩٤٣م (٨٣١ هـ) عندما حاصر القائد البيزنطي حنا كوركاس الرها (٦٠٣) . والواقع ان هذا الحصار لم يتبعه دخول الرها في حوزة البيزنطيين ، لان ذلك لم يتم الا بعد حوالي قرن من تلك الحيلة (٦٠٤) ولكن اهمية ذلك الحصار ترجع الى ما تبعه من مفاوضات طويلة بين البيزنطيين والخلافة العباسية محورها رغبة البيزنطيين في الحصول على صورة المسيح المقدسة التي كانت موجودة بالرها حتى ذلك الوقت . وقد بينا فيما سبق - عند الحديث عن تلك الصورة - كيف انتهت تلك المفاوضات بموافقة الخليفة المتقي ٣٣١ هـ - ٩٤٣م على التخلي عنها في مقابل اطلاق سراح الاسرى المسلمين الموجودين في القسطنطينية (٦٠٥) . وبالفعل تم نقل تلك الاثر المقدس الى القسطنطينية في ١٥ أغسطس ٩٤٤م وسط احتفال ديني عظيم (٦٠٦) .

forja : L'Arménie Cilicienne : p. 94, Cam. Med. Hist. (٦٠٢)

V. IV, Part 1, p. 785.

Ostrogorsky : Op. Cit., p. 245, Cam. Med. Hist., V. IV, (٦٠٣)

Part 1, p. 785.

Cam. Med. Hist.: Ibid., p. 140. (٦٠٤)

(٦٠٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ص ٢٩٤ ، ابن الساعي : اخبار الخلفاء ، تاريخ تيمور رقم ٩٠٢ مخطوط من ٨٠

Le Strange : Op. Cit., p. 104.

اما ابن العبري فيذكر ان ذلك كان ٩٤٢م (Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. p.p. 162 - 3)

Ostrogorsky : Op. Cit., p. 246, Encyclopaedia of Islam (٦٠٦)

V. 3, Part 2, p. 996, Cam. Med.

Hist.: Ibid, p. 141.

ويضيف المرجع الاخير ان نقل ذلك الاثر كان آخر انتصارات عهد الامبراطور (Romanus Lecapénus)

لانه بعد حوالي اربعة اشهر بالتحديد في ١٦ ديسمبر ٩٤٤م قبض على الامبراطور ووضع في جزيرة Prote حيث توفي في ١٥ يونية ٩٤٨م

Cam. Med. Hist., p. 143.

وفي ١٠٣٠م (٤٢٠ هـ) « كان يحكم الرها أميران عربيان فأرسل أحدهما الى الامبراطور ميخائيل وباع له نصيبه ، فجاءت القوات البيزنطية وتولت السلطة واقاموا اماكن دفاعية قوية هناك وعندما سبغ حاكم حلب بذلك ارسل الى الرها جيشا استولى عليها وهرب المسيحيون الى الكتيمة العظمى حتى حل الشتاء ونزلت الثلوج وعندئذ جعلوا الشتاء ذريعة وتنازلوا عن البلد ورحلوا (٦٠٧) » .

وفي ١٠٣٢ (٤٢٤ هـ) توجه القائد البيزنطي جورج مانيكس الى الرها واستولى عليها محققا بذلك قمة انتصاراته (٦٠٨) . على تلك الحلة استولى البيزنطيون على الاثر المقدس الثاني في الرها وهو خطاب المسيح المشهور الى ابجر ملك الرها السابق الذكر واحتفل في القسطنطينية « احتفالا كبيرا بوصول ذلك الاثر اليها (٦٠٩) » . وبعد ذلك ظلت الرها ضمن الممتلكات البيزنطية حتى تقوم الصليبيين (٦١٠) او على الاصح حتى بداية غزوات الأتراك السلاجقة (٦١١) . « فبينما كانت نيقية على مشارف البسفور بيد الأتراك السلاجقة منذ ١٠٨١م (٤٧٤ هـ) فان مدنا أخرى متطرفة في الشرق مثل انطاكية بالقسام والرها شرقي الفرات — ظلت تابعة للدولة البيزنطية فقامت بها حاكيات بيزنطية وزعماء من الأرمن يمتدحون بالسيادة للقسطنطينية ، وقد استمرت الرها على ذلك الوضع حتى ١٠٨٧م — ٤٨٠ هـ (٦١٢) » .

ويؤكد تبعية الرها لبيزنطة قبيل وصول الصليبيين ما قاله الشاعر

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 192-193. (٦٠٧)

وكان حاكم حلب آنذاك هوشبل الدولة أبو كامل نصر بن صالح بن مرداس الذي حكم من ٤٢٠ : ٤٢٩ هـ (الطبائخ الطبى: اعلام النبلاء، ٢ ص ٣٢٢ ، المبنى : عقد الجمان ، د ١٤ م ٥ ص ٨٢٧ — ٨٢٨) .

Ostrogorsky : Op. Cit., p. 285 (٦٠٨)

لها أبو الفضائل الحموي التاريخ النصوري ص ١٥٠ فيذكر ان الرها سلمت للروم ٤٢٣ هـ ويتفق معه في ذلك ميخائيل السرياني الذي يقول انها دخلت ضمن حوزتهم ١٠٣١م . Michel : Op. Cit., p. 280 . ولكن الراجع ان حملة جورج مانيكس كانت في العام التالي وانها هي التي اكتمت استيلاء البيزنطيين على الرها .

Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 725. (٦٠٩)

Cam. Med. Hist : Ibid., p. 728. (٦١٠)

Setton : Op. Cit., ١٠٩ ص ٣٠٤ . (٦١١) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ .

(٦١٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية : د ١ ص ٩٤ .

الارمني ثيرسيس في قصيدته التي رثى بها الرها اذ تصور الرها تخاطبه
القسطنطينية فتقول .

يا مدينة المعظمة والابهة
يا من شادها الملك قسطنطين
على ابواب آسيا الصغرى
لقد كنت ملكا لك
وجزاء منك يا لم المدائن
وبنيت على أرضى هيكلا
وسميت باسم هيكلك (٦١٣) .

فاذا انتقلنا الى علاقة اسارة الرها الصليبية بعد تأسيسها
بالامبراطورية البيزنطية . نجد ان « تأسيس بلدوين البولونى للامارة
في حشد ذاته يعتبر خروجاً واضحا على الاتفاق الذى أبرمه البيزنطيون (٦١٤) .
ذلك ان الرها كانت اقلييا بيزنطيا وكان يجب ان تعود لبيزنطة . وهكذا
ورغم ان بلدوين كان قد حلف بيمين الولاء للامبراطور الكسيوس الا انه
لم يقيم أى وزن لهذا القسم وكان على استعداد لخرقه متى دعت الظروف
الى ذلك ، لذا رفض بلدوين رد الرها للامبراطور (٦١٥) . وقد ادعى
بلدوين انه وصل الى السلطة عن طريق الارادة الشعبية ممثلة في اهالى
الرها الذين نادوا به اميرا عليهم (٦١٦) . »

(٦١٣) الأبيات من ٧٦ : ٧٨ ، ٨٩ : ٩٠ . ٢٢٩ . Nersès : Op. Cit.,
هنا يفسر المترجم الفرنسى دولوربيه المقصود بالهيكل هنا : كنيسة
(القديسة صوفيا) .

Bréhier : Vie et Mort, p. 313, J. Prætorius : Op. (٦١٤)
Cit., T. 1. p. 209, ١٠٩ . اسحاق عبيد : روما وبيزنطة
Bréhier : Ibid., p. 313. (٦١٥)

سميد عاشور : الحركة ، د ١ ص ١٨٤ عن (Runciman)
جوزيف نسيه : العرب والروم واللاتين ، ص ٢٠٦
عن (Ostrogorsky) هذا الى جانب الفدر الذى عاين به
بلدوين الامير تورس كان لطمة للعامل البيزنطى ، فتورس كان موظفا في
خدمة الامبراطور كما انه كان عضوا في الكنيسة الارثوذكسية البيزنطية
(اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٠٩ - ١١٠) .

J. Prætorius : Op. Cit., p. 209, Setton : Op. Cit. V, 1, (٦١٦)
p. 304. سميد عاشور : الحركة ، د ١ ص ١٨٤ .

ورغم ذلك فإن الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين (Alexius I Comménus) (١٠٨١ - ١١١٨ م / ٤٧٤هـ - ٥١٢هـ) لم يفعل شيئاً ولم يقدم حتى احتجاجاً رسمياً ، بل فضل السكوت في ذلك الوقت حتى تحين فرصة أفضل ، فقد كانت مسألة الرها عندئذ أقل نسبياً من مشكلة انطاكية الأكثر خطورة (٦١٨) .

وإذا كان البيزنطيون قد انزعجوا من قيام الإمارات الصليبية لما نشأ بين الطرفين من عداوة مريرة فاق في قسوته العداوة مع المسلمين ، إلا أنهم اكتفوا في البداية باستعادة جزء من ممتلكاتهم المفقودة في آسيا الصغرى مستغلين ضعف سلاجقة الروم في ذلك الدور (٦١٩) .

ويبدو أن هجمات البيزنطيين أخذت تشتد على الصليبيين حوالى ١١٠٢ - ١١٠٣ م (٤٩٦ - ٤٩٧هـ) فقد سبق أن اشرنا أن ثوروس بن قنسطنطين ساعد الصليبيين في صد هجمات البيزنطيين على الرها وانطاكية (٦٢٠) .

والواقع أن موقف البيزنطيين من الصليبيين وخاصة في الرها وانطاكية برز واضحاً جلياً بعد هزيمة الفرنج في حران ١١٠٤ م (٤٩٧هـ) « فقد كان الإمبراطور يراقب الموقف في قلق في بيزنطة ولم يأسف لسماع إخبار هزيمة الفرنج » (٦٢١) .

وقد سبق أن أوضحنا كيف أن هزيمة الصليبيين في حران أضعفت مركز الصليبيين بالشام وأحيت آمال كل من الإمبراطور الكسيوس والمسلمين (٦٢٢) . ويبدو أن تمسك الإمبراطور الكسيوس كرمنين بحق البيزنطيين في انطاكية جعله يفتح باب المفاوضة من جديد مع الأمير بوهيموند أمير انطاكية . ويبدو أن هذه الخطوة تمت قبل إطلاق سراح بلووين دى بورج سنة ١١٠٨ م بدليل ما اشارت اليه بعض المراجع الفرنجية من « تجدد الاتفاق بين كل من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس وبين بوهيموند سنة ١١٠٨ م بعد هزيمة الأخير في البلقان واثناء

(٦١٧) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 304. (٦١٨)

Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p.p. 52-57. (٦١٩)

H. Pasdermajian : Op. Cit., p. 203. (٦٢٠)

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 44. (٦٢١)

Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 58. (٦٢٢)

وجوده في السجن الإمبراطوري (٦٢٣) « وفي أثناء تلك المفاوضات أدى بوهيوند يمين الولاء من جديد للإمبراطور ، والراجح أنه اتفق معه في مقابل إصراره على أخذ الطلاكية منه أن يحصل في مقابلها على أرض أخرى في الشام وما بين النهرين ويلهم مما ذكرته (أنا كومنينا) (٦٢٤) أن الرها كانت ضمن تلك البلاد التي سيعوض بها الإمبراطور الكسيوس بوهيوند عن إمارته أنطاكية . وربما شجع الإمبراطور على ذلك التعهد خلو إمارة الرها من أميرها في ذلك الوقت . ويلهم من النص الذي ذكرته (أنا) أيضا أن التعهد من جانب الإمبراطور لم يقتصر على بوهيوند فحسب بل امتد إلى ورثة بوهيوند بشرط خضوعهم أيضا للإمبراطور (٦٢٥) .

والحقيقة أننا لم نعثر في أي مصدر آخر على نص يؤيد ما ذكرته (أنا كومنينا) ، ولكن ذلك لا يحول دون صحة تلك الرواية إذ لا يستبعد أن يكون بوهيوند قد أراد فعلا أن يتخلص من حالة عدم الاستقرار مع بيزنطة بسبب تمسكها بحقها في أنطاكية والذي ستمسك به باستمرار بعد ذلك مقابل أفضل الشروط .

وعندما خلف تفكير بوهيوند في حكم أنطاكية يبدو أنه لم ينفذ ما تعهد به بوهيوند للإمبراطور الكسيوس مما أدى إلى تجدد الخلاف بينهما . وبدلنا على ذلك ما حدث عند عودة بلدين دي بوج من الأسر ، إذ رفض تنكيد إعطائه إمارته ، مما تسبب في قيام النزاع بين الجانبين . هذا يشير ابن الفرات إلى أنه بعد أن استنجد بلدين بجاولي كما مر بنا لاجئا الأخير إلى جوسلين صاحب تل باشر « وكان بين جوسلين الفرنجي

(٦٢٢) أثنار جرومسيه إلى ذلك الاتفاق تحت اسم معاهدة Deabolis وذكر أنها كتبت بين الإمبراطور الكسيوس وبوهيوند ١١٠٨م عندما كان الأخير سجيناً لديه .

(Chalandon) من Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 89
أما برويه فقد أثنار إلى ذلك الاتفاق بقوله (كل ما وعد به بوهيوند الإمبراطور الكسيوس عند هزيمته في البلقان سنة ١١٠٨م . (J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325) كذلك أثنار أرنست بلركر : الحروب الصليبية ، ترجمة الميريتي من ٦٣ (القاهرة ١٩٦٠) بأن ذلك كان بعد هزيمة بوهيوند في دورازو .

(٦٢٤) Anna Comnena : Op. Cit., p.p. 355-356.
المسومة الوحيدة هنا أن (أنا) لم تحدد التاريخ الخاص بهذا الاتفاق
(٦٢٥) Anna : Ibid., p. 356.

وطنكريد حروب كثيرة وعداوة . . وكان طنكريد أقوى بأنطاكية وجوسلين
أضعف بقلّة ملكه وماله ، ولما رأى جوسلين أن لا طاقة له بطنكريد
أوصى أن يحفظ البلاد ويحسن الحصون وسار إلى ملك الروم فطرح
نفسه بين يديه وطلب منه المساعدة فأطلق له خمسة عشر ألف ديناراً
وفاذر من عنده (٦٢٦) . وهذا النص نستشف منه : أن أولى الأمر
في الرها لم يكن لديهم علم بما تم بين الإمبراطور وبوهيموند ، فضلاً عن
أن الإمبراطور عندما وجد أن تنكريد غير موافق على ما تعهد
بوهيموند به أراد أن يكسب حكام الرها إلى جانبه ضد تنكريد وبذلك
لم يتأخر في تقديم المساعدة إليهم كمناسبة لتوطيد العلاقات بين الجانبين .

وثبة دليل آخر على عدم تنفيذ تنكريد لأتفاق الكيسوس — بوهيموند
هو أن أنا كومنينا نفسها تعود وتذكر أن سفارة اتجهت من بيزنطة إلى
بيت المقدس لتطلب من الملك بلدوين الأول عقد تحالف مع الإمبراطور ضد
تنكريد في مقابل مبلغ من المال قدمه الإمبراطور ، ولما رفض الملك
ذلك العرض خاطب الرسل جوسلين دي كورتناي — الذي كان
بالقدس عندئذ — في نفس الأمر فرفض هو الآخر (٦٢٧) . ومعنى هذا
أن الرها عندما اتضح لها الهدف الحقيقي للإمبراطور من وراء كسبه
ودها ، وأنه يرمى إلى وضعها إلى جانبه ضد شقيقتها الصليبية رفضت
ذلك بشدة .

وهكذا كان العداء بين الصليبيين والبيزنطيين على أشده حتى أن
الإمبراطور نفسه لم يلبث أن أرسل يحرض سلطان السلاجقة محمد
بن ملكشاه ضد الفرنج ٥٠٤ هـ — (١١١٠ م) وقد أورد كل من ابن القلانسي
وابن الأثير أخبار تلك السفارة (٦٢٨) والتي سبق أن أشرنا إليها
بالتفصيل عند تناول العلاقات بين الرها وسلاجقة فارس في تلك السنة .

وعندما خلف الإمبراطور حثا كومنينا (١١١٨ — ١١٤٣ م) (٦٢٩)
٥١٢ — ٥٣٨ هـ) الإمبراطور الكيسوس الأول كانت أهم آمال الإمبراطور

(٦٢٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ١ مخطوط ، ص ٢٥
(١) ، (ب) .

(٦٢٧) أوردنا النص مع ألاحق Anna Comnena : Op. Cit.,
p. 367.

(٦٢٨) ابن القلانسي : الذيل - ص ١٣٧ ، ابن الأثير : الكامل ، د ٨
ص ٢٦٢ ، سميد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٦٠ — ٦١ عن
(Chalandon)

الجديدة هي « إعادة تأسيس القوة البيزنطية في وادي الفرات وبدا مصمها على التدخل في شئون مملكة بيت المقدس، ووادي الفرات (٦٣٠) » هذا يعني أن إمارة الرها نفسها كانت محط اطماع ذلك الإمبراطور . على أن العلاقات البيزنطية الصليبية دخلت مرحلة جديدة منذ ١١٣٧م - (٥٣١ هـ) ففي تلك السنة توجه الإمبراطور حنا كومنين الى كل من قيليقية والشام لتأكيد حقوق الإمبراطورية في كل من الاقليمين . فلك أنه اعتبر اعطاء إمارة انطاكية لريموند دي بواتيه عن طريق زواجه بكنستانس ابنة بوهيموند الثاني دون الرجوع الى القسطنطينية في ذلك الأمر خرقاً لليمين الذي اقسمه الصليبيون في القسطنطينية لوالده الإمبراطور الكسيوس (٦٣١) . هذا فضلاً عن حقه على إمراء أرمينيا الصغرى في قيليقية لخروجهم عن طاعة الإمبراطورية البيزنطية (٦٣٢) . والواقع ان إمراء انطاكية وقيليقية لم يكونوا يجهلون ذلك الشعور وموقف الإمبراطور البيزنطي من كل من الجاثبين (٦٣٣) .

وقد رأينا ما كان من خلاف بين كل من ليون الأول أمير أرمينيا الصغرى وريموند الثاني أمير انطاكية وكيف تدخل جوسلين الثاني بينهما ١١٣٧م حتى تم الصلح بينهما وعندئذ « تحالف الطرفان ضد الإمبراطور حنا كومنين (٦٣٤) » . وكان ان الحق ليو ثوانه العسكرية بالقوات الانطاكية للقيام بعمل مشترك ضد الإمبراطور البيزنطي (٦٣٥) .

اما الأسباب التي حركت الإمبراطور ضد أرمينيا الصغرى وانطاكية في تلك السنة بالذات فاهمها الخلاف الذي سبق أن اشرنا اليه بين ملك

-
- (٦٢٩) Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204
 اسد رستم : الروم ، ج ٢ ص ٢٩٧ ، هنا يكتبه الكاهن جريجوار
 (Parphyrogénète) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152.
 (٦٣٠) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 66.
 (٦٣١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Bréhier :
 L'Eglise et l'Orient, p. 101.
 (٦٣٢) Grégoire Le Prêtre : Ibid, p. 152.
 (٦٣٣) Jacques de Morgan ; Op. Cit., p. 172, Tournebize : Op. Cit.,
 Cit., p. 174.
 (٦٣٤) Jacques de Morgan : Ibid., p. 172, Tournebize : Ibid
 p. 173-4.
 (٦٣٥) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152. (Cinnamus)

أرمينيا وأمير أنطاكية وبالرغم من عقد الصلح والتحالف بين الطرفين فإن الإمبراطور تقدم إلى قيليقية واستطاع أن يستولى على غالبيتها ويأسر ليون نفسه (٦٣٦) . كذلك عندما اشتد حصار زنكي لبارين ١١٣٧م (٥٣١ هـ) « سار من بالساحل من الفرنج الناجين من المعركة ... إلى بلاد الفرنج والروم يستجدونها » (٦٣٧) . بل قيل إن القساوسة والرهبان هم الذين سارعوا بطلب النجدة من بلاد الروم والفرنج « فحدثت النصرانية وجمعت وقصدوا الشام مع ملك القسطنطينية (٦٣٨) .

ولكن يبدو أن الإمبراطور لم يستطع القيام بأي عمل إيجابي تجاه الصليبيين المحاصرين في بارين بطول ما ذكر من أنه عند رجوع الأمير ريموند الثاني أمير أنطاكية إلى أمارته وجدها محاصرة بواسطة الإمبراطور البيزنطي (٦٣٩) . وعندئذ طالب الإمبراطور ريموند بأن يتخلى له من أنطاكية، وفي النهاية أصبح أهالي أنطاكية أنفسهم حكما بين الطرفين (٦٤٠) ، وتم الاتفاق على أنه في مقابل دخول أنطاكية تحت نفوذ الإمبراطور يساعد الأخير الصليبيين في الاستيلاء على بعض المدن التي ما زالت خاضعة للمسلمين في الشام مثل حلب وحمص وحماه وشيزر وأن تصبح تلك المدن عندئذ تحت تصرف أمير أنطاكية (٦٤١) . وهو ما يعرف بالحلف الفرنجي

Pasdermadjian : Op. Cit., p. 204, Grégoire : Ibid., p. (٦٣٦)
 152. هنا يسمى ابن المديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٢ الإمبراطور
 حنسا (كالياني) أما ليون فيسيه لاون بن رويال .

(٦٣٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦١ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١
 ق ١ ص ٨٧ .

(٦٣٨) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٢٥٨ ، ابن واصل : مفرج
 الكروب ، د ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات مخطوط ، د ٣ ص ٩١ (ب) ،
 النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1. p. 325. (٦٣٩)

Bréhier : L'Eglise et l'Orient, p. 101. (٦٤٠)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Bréhier : Ibid. p. (٦٤١)

101. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit.,

V. 1, p. 439,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147. Jean Richard :

Op. Cit., p. 45,

يوسف الدبس : تاريخ سورية د ٦ ص ٦٤ ، سعيد عاشور : المعركة ،
 د ١ ص ٥٨٤ .

البيزنطى ١١٣٧م والذى سنتناوله بالتفضيل فى الباب القادم . وكل ما يهمنى هنا هو إبراز العلاقات الرهوية البيزنطية من خلال هذا الحلف خاصة منذ ١١٣٨م - (٥٣٢هـ) عندما بدأ يدخل فى دور التنفيذ العملى .

ذلك أن الامبراطور أرسل فى تلك السنة رسله لدعوة الأمير ريموند والأمير جوسلين الثانى وأمراء آخرين للسير معه لحرب المسلمين، وبالفعل جند الأميران القوات من كل مناطق نفوذهما وتبعوا الامبراطور (٦٤٢) . وتقدم الامبراطور ومعه ريموند وجوسلين الثانى الى حلب ولكن بعد قتال شديد لم يستطع الفرنج والبيزنطيون الاستيلاء عليها (٦٤٣) . وكان أن توجه الجيش المسيحى الى شيزر ، وهناك دارت بين المسلمين والصليبيين وحلفائهم البيزنطيين معركة حامية ، تحمل الامبراطور فيها الجزء الأكبر من عبء المعركة فى الجبهة المسيحية ، بينما لم ييذل كل من جوسلين الثانى وريموند جهدا ايجابيا ملحوظا فى الحصار (٦٤٤) . وعندئذ اضطر الامبراطور الى رفع حصاره عن شيزر لاسباب سنتناولها بالتفصيل فيما بعد من بينها الموقف غير الايجابى لأميرى الرها وانطاكية .

ثم انسحب الامبراطور والأميران الصليبيان الى انطاكية ، وهناك طلب الامبراطور من أمير انطاكية أن يسلم قلعة المدينة اليه تنفيذا لوعده (٦٤٥) ، وقال له « انجز وعدك وكن مطيعا واطهر ولائك وأكمل واجبك وسيكون على سمونا الامبراطورى أن ننفذ الالتزامات

William : Op. Cit., V. 2, p. 94. (٦٤٢)

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset: L'Epopée, p. 155, (٦٤٣)

Zoé : Op. Cit., p. 328,

ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٥ ، يوسف الدبس : تاريخ سورية ، د ٦ ص ٦٤ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 95. Bréhier : L'Eglise...p. 102, (٦٤٤)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 361,

Grousset : L'Epopée, p. 156, Zoé : Op. Cit., p. 328,

Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

J. Prawer : Op. زبدة الحلب د ٢ ص ٢٦٨ (٦٤٥)

Cit., T. 1, p. 327.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 362.

Grousset : L'Epopée, p. 157, Zoé : Op. Cit., p. 329.

الباقية علينا (٦٤٦) . وعندئذ تدخل جوسلين الثاني لينقذ الموقف فرد على الإمبراطور قائلا : « سيدى ان كلمات مسوك الإمبراطورى مشحونة بالفصاحة الرائعة وجديرة بكل استحسان ، لاننا نرى انها تستهدف زيادة قوتنا ككل ، ولكن ثمة امر جدير بالاعتبار هو ان طلبك ليس رهينا بموافقة امير انطاكية وحده ، وانما يجب استطلاع آراء نبلائه ورأى ورأى رعاياه المخلصين ولذا يجب اعطائه مهلة للتفكير (٦٤٧) » .
وبالفعل لاقت تلك الاجابة استحسانا من الإمبراطور وترك لهم فترة قصيرة للتفكير فى الامر .

وعندئذ اتصل جوسلين سرا عن طريق بعض اموانه بالناس ليخبرهم بمطالب الإمبراطور ويستثيرهم ويحضهم على التسليح والثورة ولم تلبث ان شبت ثورة فى المدينة وانطلقت الجماهير تسيح فى شوارعها (٦٤٨) . « وعندئذ أسرع جوسلين على نرسه الى القصر كما لو كانت الجماهير تطارده ثم التى بنفسه لاهنا عند اقدام الإمبراطور فتعجب الإمبراطور من دخوله المفاجئ وسأله يعلق لماذا يفعل هذا على عكس قواعد التشرىفات والسلوك . فاجاب الأمير بان الضرورىات تبيح المحظورات . وان الثورة الجماهيرية ارغمته ان يخالف القواعد المسالفة كى يتحاشى خطر الموت على يد الجماهير الغاضبة (٦٤٩) » .

ولم تلبث ان ترامت الى مسامح الإمبراطور صيحات الجماهير « الويل لانطاكية لقد بيعت للروم (٦٥٠) » . وهاجم الثوار أفراد أسرة الإمبراطور ونهبوه وضربوه ووضعوهم السيف فى كل من ابدى اية مقاومة (٦٥١) . مما جعل الإمبراطور يقرر الرحيل عن انطاكية (٦٥٢) .

William : Op. Cit., V. 2, p. 98.

(٦٤٦)

William : Ibid., V. 2 p.p. 98 — 99.

(٦٤٧)

William : Ibid., V. 2, p. 99, Bréhier : Vie et Mort, p. 324, (٦٤٨)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Prewer : Op. Cit., T. 1,

p. 327, Grousset : L'Eppoeé, p. 157.

William : Op. Cit., V. 2, p. 99.

(٦٤٩)

(٦٥٠) الدبس : تاريخ سورية ، ج ٦ ، ص ٦٥ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 100.

(٦٥١)

William : Ibid., V. 2, p. 100, Bréhier : Vie et Mort, p. 325, (٦٥٢)

Setton : Op. Cit., V. 2, p. 440, Cahen : Op. Cit., p. 363,

Prewer : Op. Cit., T. 1, p. 327.

سميد عاشور : الحركة

ج ١ ص ٥٨٩ (عن وليم الصورى) .

وبعد مضي أربع سنوات عاد الامبراطور حنا كومنين للظهور من جديد في شمال الشام كي يطالب بانطاكية مرة أخرى ولكن قبل ان يتوجه اليها بدأ أولا بامارة الرها ، كي يضمن جانب جوسلين الثاني لأنه لم يخف عليه ما دبره جوسلين من حيلة لاجلائه عن انطاكية ١١٣٨ . لذا ظهر الامبراطور فجأة امام تل باشر ١١٤٢م - (٥٣٧هـ) وطلب من جوسلين رهائن مما اثار دهشة الاخير لوصول الامبراطور المفاجيء ولكنه ازاء قوة الامبراطور البيزنطى وجيشه الذى لا يضاهى والذى لا يمكن لاي مملكة ان تصمد امامه بادر بتقديم ابنته (ايزابيلا — Isabella) كرهينة للامبراطور (٦٥٣) . وهكذا فان جوسلين الثانى الذى انتصر على الامبراطور بالخدعة والحيلة منذ أربع سنوات مضت ، وجد نفسه في هذه المرة عاجزا ضعيفا فسلم للامبراطور بعض الرهائن التى اكدت طاعته له (٦٥٤) .

وعند عودة الامبراطور حنا كومنين من انطاكية ١١٤٣م (٥٣٧هـ) توفى بأفنه (٦٥٥) . خلفه ابنه مانويل الاول (١١٤٣ — ١١٨٠م) (٦٥٦) . وفى بداية حكم مانويل سقطت الرها في يد زنكى ١١٤٤م كما سنرى .

والواقع ان الشاعر الأرمنى الكبير نيرسيس عندما رثى الرها عند سقوطها على يد زنكى ، طلب من القسطنطينية على لسان مدينة الرها أيضا ، العونة والثار من المسلمين مما يبين ان بيزنطة لم تنقف موقفا متعاطفا مع الرها في محتتها فهو يقول :

اليك اتوسل : عبثى

قواتك العاتية

واطمنى الأعداء في صميمهم ثاراً وانتقاماً (٦٥٧) .

لكن اذا كانت الخلافات بين البيزنطيين والصليبيين قد ادت في النهاية الى ضياع امارة الرها من ايدى الصليبيين فان ذلك لم يمنع بيزنطة من التفكير مع بقية العالم المسيحى الغربى في استعادة الرها مرة

William : Op. Ci., p. 124, Grousset : His. des Crois., (٦٥٣)

V. 2, p. 146, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 445, Cam. Med.

Hist., V. IV, p. 361 (1936).

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 335. (٦٥٤)

(٦٥٥) أبو الفضائل الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٦٨ .

(٦٥٦) أسد رستم : الروم ، ص ٢٩٧ .

Nersès : Op. Cit., p. 230 (٦٥٧)

أخرى وردھا الى حظيرة الحكم المسيحي . ففي أغسطس ١١٤٦م (٥٤١ هـ) أرسل الامبراطور مانويل خطبا الى البابا (٦٥٨) ، رداً على خطاب كان قد أرسله الى الامبراطور وأخبره فيه ان ملك فرنسا سيتوجه على رأس حملة للانتقام للكثائس المقدسة ولعموض كارثة الرها . فقد ابتهج مانويل لهذا المسمى من أجل صالح المسيحيين ولتحطيم المسلمين . وقد رد بآنة مستعد لتسهيل مرور الجيش الصليبي وتجهيزه بالموئن ولكنه طالب في مقابل ذلك ولاء الصليبيين كما حدث في عهد جده الكسيوس كومنين ورغب في أن يجتهد البابا في تنفيذ ذلك المطلب (٦٥٩) .

ومعنى هذا أن الامبراطور مانويل كانت لديه الرغبة في المساعدة على استعادة الرها ولكن في مقابل الحصول على ولاء الصليبيين له . وربما فضل مانويل ان تعود الرها الى قبضة الصليبيين خير من بقاءها في يد المسلمين . فعند عودتها الى للمسيحيين يصبح من السهل على الامبراطور فرض سلطاته على شمال الشام من جديد ولو بطريقة اسمية .

والحقيقة انه عثر على خطابين للامبراطور مانويل أرسلهما الى البابا ايوجين الثالث (٦٦٠) . بعد سقوط الرها مباشرة ولكننا سنرجع دراسة هذين الخطابين بالتفصيل الى الباب التسلم عند دراسة ردود العمل بالنسبة لسقوط الرها .

(٦٥٨) كان البابا حينئذ هو ايوجين الثالث — Eugène III

١١٤٥ — ١١٥٣م أسد رستم : الروم ، ج ٢ ص ٢١٠ .

V. Grumel : Deux Lettres de Manuel Comnène au pape, (٦٥٩)

Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 144.

V. Grumel : Ibid., p. 148.

(٦٦٠)

الباب الثالث

نهلية إمارة الرها

جهود زنكى في الجهاد وتكوين الجبهة الإسلامية :

ينتسب عماد الدين زنكى الى بنى زنكى الذين يعرفهم ابو المحاسن بانهم « اواسط الدول (١) » عرف أبوه « بالحاجب قسيم الدولة آقسنقر التركى (٢) » . وعندما قتل قسيم الدولة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) لم يخلف من الأولاد الا ولدا واحدا هو عماد الدين الذى كان حينئذ صبيا له من العمر نحو عشر سنين ، فاجتمع عليه ممالك والده واصحابه (٣) . ولما تخلص الأمير كربوقا من سجن حمص بمقتل تاج الدولة تنش صاحب دمشق وحلب ٤٨٩ هـ (١٠٩٦ م) توجه الى حران واجتمع اليه جماعة ومك نصبيين ثم الموصل وماردين وعظم شائته . ثم اخضر ممالك الأمير قسيم الدولة آقسنقر وأمرهم بالحضار الأمير عماد الدين زنكى وقال « هو ابن اخى واتا اولى الناس به فاحضروه عنده فاقطعهم

(١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٢٧٩ فهو يذكر « بنو زكى هم اواسط الدول فان اول من ملك مع الخلفاء وتلقب بالسلطان واللقاب العظيمة بنوبوية ، ثم انشأ بنوبوية بنى سلجوق . وانشأ بنو سلجوق بنى ارتق وآق سنقر جد بنى زنكى هؤلاء . ثم انشأ بنو زنكى (لعنى الملك المعادل نور الدين محمود الشهيد) بنى ايوب سلاطين مصر وغيرها . ثم انشأ بنو ايوب الممالك ودول الترك » .

(٢) الذهبى : المعبر ، ج ٤ ص ١١٢ ، ابن ابيك كثر الدرر ، ج ٦ ص ٤٩٩ ، ابن الفرات : مخطوط ج ١ ص ٧٠ (١) هنا يضيف ابن الفرات ان قسيم الدولة سمي بذلك لانه كان مملوكا للسلطان المعادل عضد الدولة الب أرسلان بن داود ميكايل بن سلجوق ، تربى مع ولده السلطان المعادل جلال الدولة أبى الفتح ملكشاه واستمر في صحبته الى حين كبر وافضاء اليه فجعله من اعيان دولته واكابر امرائه واخص اوليائه واعتمد عليه في اموره كلها وعلت رتبته ومنزلته. الى ان لقب قسيم الدولة : ابن الفرات : ج ١ ص ١٧٠ ، ب .

(٣) ابن الاثير : الباهر ، ص ١٥ ، ابن الفرات : مخطوط ، ج ١ ص ٧٠ (ب) .

الاطباء السنية (٤) . . . وأقام الأمير عماد الدين زنكي في صحبة الأمير كربوقا إلى أن توفي . . . وعندما تولى جكرمش الموصل — وهو أحد ممالك السلطان جلال الدولة ملكشاه — قرب عماد الدين إليه إلى أن توفي ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) ثم ولي بعده الأمير جاولي سقاوا ، فواصل به الأمير عماد الدين . ولما تولى الأمير مودود الموصل من قبل السلطان محمد بن السلطان جلال الدولة ملكشاه صحبة الأمير عماد الدين وحضر معه حروبه إلى أن قتل مودود ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) فعاد عماد الدين إلى الموصل (٥) . فلما أمر السلطان محمد البرسقي بالخروج للجهاد وكتب إلى عساكر الموصل بالخروج معه ، ساروا ومعهم عماد الدين فأبلى في هذه الحرب بلاء حسنا وعادت العساكر تتحدث بما فعله وما ظهر له من الشجاعة (٦) . وفي ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) قطع مدينة واسط وولى شحنة البصرة (٧) . ثم ولى شحنة بغداد ٥٢١ هـ (٨) (١١٢٧ م) ثم ولى الموصل — كما مر بنا — هذا إلى جانب ديار الجزيرة . ومن الموصل سار إلى جزيرة ابن عمر فاستولى عليها ثم ضم إليها أيضا نصيبين وسنجار والخابور وهران ثم حلب وحماه (٩) ، وكلها أماكن كانت بأيدي المسلمين . ثم بدأ بعد ذلك يسترجع ما كان الفرنج قد استولوا عليه

(٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٥ — ١٦ ، ابن الفرات المصدر السابق ص ٧٠ (ب) .

(٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٦ — ١٧ — ١٩ ، ابن الفرات المصدر السابق والصفحة .

(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ص ١٩ — ٢٠ . ويبدو أن أتابك زنكي حارب مع القادة المسلمين ضد الفرنج في الشام في سنتي ٥١٣، ٥١٥ هـ (١١١٩ م ، ١١٢١ م) بدليل ما ذكره ابن أيك أنه في ٥١٣ هـ كسر أتابك الفرنج على جبل السماق كسرة عظيمة (ابن أيك : كنز الدرر ، ٦٨ ص ٤٨٤) وفي ٥١٥ هـ كسر أتابك الفرنج على تل حوري . (نفس المصدر ص ٤٨٨) .

(٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٤ . والشحنة لفظ فارسي معناه : محافظ المدينة ، نائب الملك ، رئيس البوليس . والمقصود هنا من نية الكناية لضبط البلد من جهة السلطان .

(٨) المصدر السابق ص ٢٨ — ٣١ ، الذهبي : المعبر ، ص ٤٨ ص ١١٢ .

(٩) ابن الأثير : الباهر ص ٣٦ — ٣٧ ، الكامل ص ٨ ص ٣٢٥ .

من بلاد وهو ما سنتناوله بالتفصيل . ويلخص الذهبي صفات زنكى في قوله « كان فارسا شجاعا مميون النقيصة ، شديد البأس ، قوى المراس ، عظيم الهيبة ، فيه ظلم وزعارة (١٠) » . وايده الأصمهانى في ذلك بوصفه انه « كان جبارا عسوفيا ، نمرى الخلق أسدى الحق ، لا ينكر العنف ولا يعرف العرف (١١) » .

وقبل الحديث عن جهود زنكى في مواجهة الصليبيين نود ان ننقل تلك الصورة المعبرة عن الموقف بين المسلمين والفرننج عند تولى عماد الدين حكم الموصل فقد قال ابن الاثير : « لما ملك المولى الشهيد البلاد ، كان الفرنج قد اتسعت بلادهم وكثرت اجسادهم وعظمت هيبتهم ، وزادت صولتهم ، وتضامفت سطوتهم ، وعلا شرهم واشتد يطشهم وامتدت الى بلاد الاسلام ايديهم ، وضعف اهلها من كف عاينتهم ، وتلبعت غزواتهم ، وساموا المسلمين سوء العذاب وبكبوهم بالتبار والقتاب ، واستطار في البلاد شرر شرهم ، وعم اهلها شديد حينهم وعظيم قهرهم ، فنجوم سعد المسلمين منكدة ، وسماء عزهم منفطرة ، وشمس اقبالهم مكورة ، ورايات المشركين خلال ديار الاسلام منشورة ، وانصارهم على اهل الايمان منصوره » .

وكانت مملكة الفرنج حينئذ قد امتدت من ناحية ساردين وشبختان الى عريش مصر لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب وحمص ، وحماء ودمشق ، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى آمد ، فلم يبقوا على موحد ولا جاحد . ومن ديار الجزيرة الى نمسيين ورأس العين باستاصلوا ما لاهلها من اثار وعين (١٢) » .

والواقع ان زنكى اختار ان يبدأ بأسلوب المهادنة مع اماره الرها الصليبية بدلا من أسلوب القوة . ففي ٥٢١ هـ (١١٢٧ م) ارسل الاتابك زنكى الى جوسلين امير الرها لمهادنه مدة يسيرة (١٣) ، او بمعنى آخر دخل معه في علاقة ود وصداقة حتى ان زنكى عندما اراد ان يرتبط ببوهيموند امير انطاكية ، استخدم في تلك المفاوضات جوسلين وسيطا (١٤) . وكان غرض زنكى من وراء تلك الهدنة مع اماره

(١٠) الذهبي : المعبر ، ج ٤ ص ١١٢ . (الزعارة هي شراسة الخلق) .

(١١) الأصمهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٦ .

(١٢) ابن الاثير : الباسم ، ص ٣٢ - ٣٣ . (التبار والقتاب اى الهلاك والخسران) .

(١٣) ابن الاثير : الباسم ص ٣٧ ، الكامل ج ٨ ص ٣٢٥ ، ابن خلدون : المعبر ، ج ٥ ص ٢٢٤ .

Mattieu : Op. Cit., p. 148.

(١٤)

الرها هو التفرغ للاستيلاء على ما بقي له من البلاد الشامية والجزرية
واملاح شأنها والفراغ من اقطاع بلادها لجند يختبرهم ويعرف
شجاعتهم (١٥) .

ولما فرغ زنكى من ضم حلب سنة ٥٢٢هـ (١٦) (١١٢٨م) واعمالها
» عاد الى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ، ثم امرهم للفراة
فتجهزوا واعدوا واستعدوا وعاد الى الشام وقصد حلب (١٧) .
وكان ان عزم على الاستيلاء على حصن الانارب ، اذ كان ذلك الحصن
شديد الضرر على اهل حلب فمقد اجتمع فيه عدد كبير من فرسان
الفرنج الشجعان وكان « من المسلمين في نحوهم (١٨) » . وكان من
به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغربية « حتى على
رحا لاهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق (١٩) » .
لذلك سار زنكى الى الحصن ونزل به فلما علم الفرنج بذلك توجهوا
للاقائه في كمال استعدادهم وكان ذلك ٥٢٤هـ (٢٠) ربيع ١١٣٠م .

(١٥) ابن الاثير : الباهر ص ٣٧ ، الكامل ، د ٨ ص ٣٢٥ :
ابن خلدون العبر ، د ٥ ص ٢٢٤ .

(١٦) (ابن الاثير : الباهر ص ٣٨ ، الكامل ، د ٨ ص ٣٢٦)
وينكر (ستون) من جيب ان ذلك كان في يناير ١١٢٨م
(Setton : Op. Cit., V. 1, p. 429.)

(١٧) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٣١ ، ابو الفدا : المختصر
في اخبار البشر ، د ٣ ص ٣ ، العيني : عقد الجمان ، د ١ ص ٢٥ - ٢٦ .
(١٨) ابن الاثير : الباهر ص ٣٩ .

(١٩) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول
والملوك ، مخطوط د ٣ ص ١٣ (ا ، ب) ابو الفدا : المختصر ، د ٣
ص ٣ ، ٤ ، ابن الوردي : تمة المختصر ، د ٢ ص ٣٥ ، النويري : نهاية
الارب ، د ٢٥ ، مخطوط ورقة ٢٥ ، روض المناظر : مخطوط ، احداث ٥١٣هـ
العيني : عقد الجمان ، د ١٦ ص ٢٦ .

(٢٠) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٣١ ، الباهر ص ٣٩ ،
ابن الفرات : المصدر السابق د ٣ ص ١٣ (ا) ، ابو شامة : الروضتين ،
د ١ ق ١ ص ٧٨ ، ابو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ٣ ، ابن الوردي : تمة
المختصر ، د ٢ ص ٣٥ ، ابن قاضي شعبة : الدر الثمين : ميكروفيلم رقم
٢٣٧ (ا) الباب السابع ٥٢٤هـ ، ابن خلدون : العبر د ٥ ص ٢٢٦ ،
العيني : عقد الجمان د ١٦ ص ٢٥ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

وبالرغم من اجماع كل تلك المصادر على ان ذلك كان ٥٢٤هـ ١١٣٠م .
نجد بعض المصادر اشارت الى ان ذلك كان سنة ٥٢٣هـ مثل :

=

والحقيقة ان الفرنج عندما علموا بتقدم زنكى لقتالهم انتسبوا ا فريقين على راي ابن الاثير ، فالبعض هونوا امره والبعض طالبوا باتذ أقصى الاستعدادات للقاتنه (٢١) وبالمثل توجهوا اليه في قوة كبيرة ؛ ذلك فقد اهتموا حينئذ « بجميع الفرسان والأجناد واحضروا من اطراف البلاد وجمعوا الداني والقاصي والطبيع والعامي واقبلوا جموعهم المحشورة وعساكرهم الجرورة ، وأعلامهم المنشورة ومسلية وبنودهم وملوكهم وكنودهم (٢٢) » .

وببدو ان جند زنكى واصحابه تخوفوا من مقابلة ذلك الجمع الأعداء (٢٣) فقد ذكروا له « ان لقاء الفرنج في بلادهم خطر لايدر على أى شيء تكون العاقبة » . ولكنه لم يستجب لهم وقال ان الفرنج متى راونا قد عدنا من بين ايديهم طبعوا وسار في اثرتنا وخربوا بلادنا ولايد من لقاتهم على كل حال (٢٤) . لذ ترك زنكى الحصن وسار للاقاة الفرنج (٢٥) . وعندما التقى الجب نصر الله المسلمين والهزم الفرنج اتبع هزيمة ووقع كثير من فرسه في الأسر (٢٦) .

النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط د ٢٥ ورقة ٢٥ . وروى الناظر مخطوط أحداث ٥٢٣ هـ . في حين ذكر ابن العديم : زبدة الطلب ، د ص ٢٧ ان ذلك كان في صفر ٥٢٣ هـ .

(٢١) ابن الاثير : الباهر ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢٢) ابن الاثير : الباهر ص ٤٠ . أما تفسير كلمة كنودهم فتد حاشية لحقق الباهر ص ٤١ ان كلمة امير الفرنسية Comte مر للعرب الى (كد) ، (كد) ، (قند) .

ton : Op. Cit., V. 1, p. 489.

(٢٣)

(٢٤) ابن الاثير : الكلبل ، د ٨ ، ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخا د ٢ ، ص ١٧ (ب) ، المعنى : مقد الجبان ، د ١٦ م ١ ص ٢٦ .

(٢٥) ابن الاثير : الكلبل ، د ٨ ، ص ٣٣١ ، ابن الفرات : المصدر السابق ، ص ٣ (ب) ، المعنى : المصدر السابق نفس الصفحة

أبو الفدا : المختصر ، د ٢ ص ٤ ، ابن الوردى : تنبيه المختصر ، د ص ٣٥ ، ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ص ٢٢٦ .

(٢٦) ابن الاثير : نفس المصدر والصفحة ، ابن الفرات : تنبيه المصدر والصفحة ، المعنى : نفس المصدر والصفحة ، أبو الفدا الروضتين ، د ١ في ١ ص ٧٨ ، النويرى : نهاية الأرب د ٢٥ مخا و رة ٢٥ ، روى الناظر : مخطوط ، أحداث ٥٢٣ هـ .

وتقدم زنكى الى جنده طالبا منهم « الاخذ في القتل (٢٧) » . قتلا
 لن هذا اول مصافح معناه معهم للثقة من باسنا ما يبقى رعبه في
 قلوبهم فعملوا ذلك (٢٨) ، فلم يسج من المعركة الا من هرب لثناء
 الليل او اخفى بين القتل (٢٩) . ثم عاد زنكى الى الحصن « فاملكه
 منوة (٣٠) » وقتلوا واسروا كل من فيه (٣١) ثم خربه زنكى
 وجعله نكا (٣٢) .

وبعد ذلك توجه زنكى الى حصن حارم (٣٣) . فاربى من فيه
 من الفرنج اليه يطلبون الصلح ويطلبوا له نصف نخل حارم وهاذونه
 فاجابهم الى ذلك (٣٤) . لان عسكره كان قد « كثر فيهم الجراحات

(٢٧) ابن الاثير : الباهر ص ٤١ ، المعنى : عقد الجبلان ، د ١٦ م ١
 مخطوط ٢٦ .

(٢٨) ابن الاثير : الكليل ، د ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات ، مخطوط ،
 د ٢ ص ١٣ (ب) .

(٢٩) ابن الاثير : الباهر ص ٤١ .

(٣٠) المصدر السابق ص ٤٢ ، ابن الاثير : الكليل ، د ٨ ص ٣٣١ ،
 ابن الفرات : مخطوط د ٣ ص ١٣ (ب) ابو شامة : الروضتين ، د ١
 ص ٧٨ ، النويرى : نهاية العرب ، د ٢٥ مخطوط ورقة ٢٥ ، ابن قاضي
 شهية : الدر الثمين في سيرة نور الدين ميكروفيل رقم ٢٢٧ (١) الباب
 السابع ٥٢٤ هـ ، الذهبي : العبر ، د ٤ ص ٥٥ ، ابو الفدا : المختصر ،
 د ٣ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٢٥ ، ابن خلدون : العبر ،
 د ٥ ص ٢٢٦ ، المعنى : عقد الجبلان ، د ١٦ م ١ ص ٢٦ .

النويرى : نهاية العرب ، د ٢٥ ورقة ٢٥ ، المعنى : عقد الجبلان :
 (٣١) ابن الاثير : الكليل ، د ٨ ص ٣٣١ ، الباهر : د ٢ ، ابن الفرات :
 د ٢ ص ١٣ (ب) ، ابو الفدا : د ٣ ص ٣ ، ابن الوردي : د ٢ ص ٢٥ ،
 النويرى : نهاية العرب ، د ٢٥ ورقة ٢٥ ، المعنى : عقد الجبلان :
 د ١٦ م ١ ص ٢٦ .

(٣٢) ابن الاثير : الكليل ، د ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : د ٣ ص ١٣
 (ب) ، النويرى : نهاية العرب ، د ٢٥ ورقة ٢٥ ، روض المناظر ، مخطوط ،
 احداث ٥٢٣ هـ ، ابن قاضي شهية : الدر الثمين ميكروفيل الباب السابع
 ٥٢٤ هـ ، ابو الفدا : د ٣ ص ٢ ، ابن الوردي : د ٢ ص ٢٥ ، ابن خلدون :
 العبر ، د ٥ ص ٢٢٦ ، المعنى : عقد الجبلان ، د ١٦ م ١ ص ٢٦ .
 (٣٣) ذكر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، د ٦ ص ٢٠٥ انها حصن
 حسين وكورة جيلة تبناه اطلكية بن اعمال حلب .

(٣٤) ابن الاثير : الكليل ، د ٨ ص ٣٣١ ، الباهر ص ٤٢ ، ابو شامة :
 الروضتين د ١ ص ٧٨ ، ابن الفرات : د ٣ ص ١٣ (ب) ، المعنى :
 عقد الجبلان ، د ١٦ م ١ ص ٢٦ . Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

والقتل فاراد ان يستريحوا ويرجوا (٣٥) . وعاد زنكى وقد « اشتد لُزُر المسلمين بتلك الاعمال وضعفت قوى الكافرين » ، وعلّموا ان البلاد قد جاءها مالم يكن لهم في حسيبان وصار قسارى هبهم حفظ ما في ايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا في ملك الجميع (٣٦) .

وفي شعبان ٥٣٠هـ أبريل ١١٣٦م سارت جيوش زنكى مع الأمير اسوار نائبه بحلب فقصّدوا بلاد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا أعمال اللاتقية فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا وأسروا ، وكان الأسرى سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامرأة وصبي ومائة ألف رأس من الدواب وخرّبوا اللاتقية وما جاورها ثم توجهوا الى شيزر في منتصف رجب بما معهم من غنائم عظيمة (٣٧) .

وفي ١١٣٧م (٥٣١هـ) اكمل زنكى عملياته العسكرية الاولى بحملته الكبيرة ضد بارين التى كانت تقع في إمارة طرابلس الصليبية (٣٨) . ويقبر وليم الصورى قيام زنكى بتلك الحملة ضد طرابلس بأنه استغل في ذلك الوقت وضع الإمارة الضعيف بعد وفاة بونز وقيام ابنه ريموند الثانى (٣٩) .

ثم سار زنكى على رأس قواته وأغار على حصن بارين في شوال ٥٣١هـ (٤٠) وعنفذ أرسل ريموند أمير طرابلس الى خاله

(٣٥) ابن الأثير : الباهر ص ٤٢ ، أبو شامة : الروشتين ، د ١ ق ١ ص ٧٨ .

(٣٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٣١ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٣ ص ١٣ (ب) .

(٣٧) ابن الأثير : المصدر السابق د ٨ ص ٣٥٣ ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ .

(٣٨) يسمى ابن خلدون في العبر . د ٥ ص ٢٣٢ حصن بارين (حصن بعدوين) وهذا غير صحيح .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 322.

William : Op. Cit., V. 2, p. 85. (٣٩)

(٤٠) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ، ص ٣٥٧ ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٢ ، ابن الوردي : تنبيه المختصر ، د ٢ ص ٨٩ ، الذهبى : العبر ، د ٤ ص ٨٤ ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢٣٢ .

ملك القديس « بتوسلات جسادة وتضرع الى مولك ان يحضر بسرمة لمساعدتهم في وضعهم الذي يدعو الى الشفقة (٤١) » . واستجاب الملك فولك لتلك التوسلات ، مجند قواته من المشاة والفرسان وبسرمة وصل الى طرابلس (٤٢) . وهذا ما اشارت اليه المصادر العربية بقولها « جمع الفرنج مارسهم وراجلهم وساروا في قضيم وقضيضهم وملوكهم . وقباصتهم وكنودهم الى اتابك زنكى لييرحلوه عن بعرين (٤٣) » .

والواقع ان ملك القدس تلقى في ذلك الوقت استنجادين اولهما من طرابلس ضد زنكى والثاني من انطاكية ضد الامبراطور البيزنطى حنا كومنين ولكن بعد استشارة اعوانه قرر نجدة طرابلس اولاً ثم انطاكية بعد ذلك (٤٤) .

وعندما التقى زنكى بالفرنج قرب حصن بارين قلم بينهما صراع شديد صمد فيه الفريقان طويلا (٤٥) لكن زنكى لجأ الى استخدام الحيلة فكن لهم كبنا وضع فيه غالبية جنده ثم التقى بالفرنج بنفسه مع عدد قليل من رفاقه فطمعوا به وتبعوه فوقعوا في الكمين (٤٦) . وانجلت الواقعة عن هزيمة الفرنج (٤٧) . عندئذ اشار البعض على الملك بالانسحاب الى داخل قلعة بلرين ، فاستصوب ذلك الراى بوصفه احسن

William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Grousset : Hist. des Crois. (٤١)
V. 2, p. 70.

William : Ibid V. 2, p. 85. (٤٢)

(٤٣) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٧ — ٣٥٨ ، ابن النرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط د ٣ ص ٩٠ (ب) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٢ — ٧٣ (والقلمصة جمع قبض والقومي تعريب حرف للفظه اللاتينية Comes) وجناتها (الرفيق) لانه كان في بادىء الامر يرافق الملك في حروبه وتنقلاته ولفظة (Comes) اللاتينية هى التى حورت في اللغة الفرنسية الى (Comte) وامعاتت المراجع العربية ان تعريها الى (كد) ، (كد) ، (قند) محقق الباهر ص ٤١ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 85, Cahen : Op. Cit., p. 358, (٤٤)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2., p. 71.

(٤٥) ابو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٤٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٣ مخطوط ص ٩٠ (ب) .

(٤٧) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، النويرى : نهاية الأرب : مخطوط ، د ٢٥ ورقة ٤٧ ، العيني : عقد الجمان ، د ١٦ ص ٩٤ ، William : Op. Cit., V. 2, p. 86.

خطة عندئذ بعد ان قتل كل المشاء أو أسروا (٤٨) . لذلك احتسب
 يحصن بارين (٤٩) في حين أسر أمير طرابلس هو وبعض فرسانه (٥٠) .
 « وقسم المسكر الاسلاني سوادهم واتقاهم وكرامهم (٥١) » . ولم
 يحصل اللاجئين بيرة معهم الى داخل القلعة بل حبسوا فقط أسلحتهم ،
 وقد أدرك زكى هذه الحقيقة ولذا علم على تجديد الحصار لبارين ،
 وكان وانقا انه خلال وقت قصير سيستطيع الاستيلاء على القلعة (٥٢) .
 « فحصرهم وبنع منهم كل شيء حتى الأخبار فكان من به منهم لا يعلم
 شيئا من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته (يقصد زكى)
 على جنوده (٥٣) » .
 وفي نفس الوقت كان الفرنج الذين في الحصن واثنين من حملاته ،
 محتبطين انه لا يمكن لاحد ان ينالهم بمسوء وهم به محتصمون (٥٤) .
 ولكن ذلك لم يمنعهم من الاتفاق على طلب النجدة من القدس والرها
 وانطاكية ويطلق سار ثلاثة رسل الى تلك المناطق لطلب نجدة
 سريعة (٥٥) . ولم يقتصر طلب النجدة على الإمارات الصليبية في بلاد
 الشام فقط بل تمتد الى بلاد الروم وبقية البلاد المسيحية (٥٦) .

William : Ibid., V. 2, p. 86.

(٤٨)

(٤٩) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٨ ، الباهر ، ص ٦٠
 (وهو يذكر ان ذلك كان ٥٢٤هـ) ، التويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة
 ٤٧ ، أبو شامة : الروضتين د ١ في ١ ص ٨٧ ، ابن واصل : مفرج
 الكروب ، د ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٣ ص ٩١ (١) ،
 أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٢ ، ابن الوردي : تبة المختصر د ٢ ص ٤١ ،
 العميني : مقادير الجبل ، د ١٦ ص ٩٤ ،

William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358.

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323.

William : Op. Cit., V. 2, p. 86, Cahen : Op. Cit., p. 358. (٥٠)

(٥١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٢ مخطوط ، ص ٩١ (١) .

William : Op. Cit., V. 2, p.p. 86-87. (٥٢)

(٥٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ،
 د ٣ ، ص ٩١ (١) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٣ .

(٥٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٠ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 87-88. (٥٥)

(٥٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٨ ، ابن واصل : مفرج

لها زكنى فقد استند في تضيقه الحصار على من بالقلمة حتى قلت
 الاقوات والنخائر لدى المحاصرين (٥٧) ، فاضطروا الى اكل خيولهم
 ودوابهم (٥٨) . واخيرا طلب المحاصرون الامان من زكنى على ان
 يسلموا اليه الحصن وينجوا بانفسهم الى بلادهم فلم يجيبهم الي
 ذلك (٥٩) . « وابى الاخذهم قهرا (٦٠) » . ولكن عندما سمع زكنى
 بقترب « ملك الروم واجتماعه بمن بقى من الفرنج (٦١) » . فضلا
 من اقتراب الجيوش التي اتت من الامارات الصليبية الثلاث الاخرى
 لنجدة المحاصرين (٦٢) - وافق زكنى على طلب الامان « وقرر على
 المحاصرين تسليم الحصن وخمسين الف دينار فوافقوا (٦٣) » .

وبمجرد خروج الملك ورفاقه عرفوا بأخبار اقتراب جيوش النجدة.

الكروب ، د ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات : تاريخ السدول والملوك ، د ٣ ،
 ص ٩١ (١) ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن خلدون :
 المعبر ، د ٥ ص ٢٣٢ ، المعنى : عقد الجمان ، د ١٦ م ١ ص ٩٤ .
 (٥٧) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ،
 د ٣ ص ٩١ (١) ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ .
 (٥٨) ابن الأثير : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات :
 المصدر السابق نفس الصفحة ، William : Op. Cit., V. 2, p. 90
 (٥٩) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر
 السابق والصفحة ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ ، ابن واصل :
 مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٣ .
 (٦٠) ابن الأثير : الباهر ص ٦١ ، أبو شامة : الروشتين ،
 د ١ ق ١ ص ٨٧ .

(٦١) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج
 الكروب ، د ١ ص ٧٣ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، د ٣ مخطوط
 ص ٩١ (١) .

William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Cahen : Op. Cit., p. 358, (٦٢)

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 438.

ابن الفرات : المصدر السابق ، د ٣ ص ٩١ (١) .

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : المصدر -
 السابق ، د ٣ ص ٩٣ (ب) ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٤ ،
 أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٣ ، ابن الوردي : تنبيه الختصر ،
 د ٢ ص ٤١ ، ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ص ٢٣٢ ، الغزى : نهر الذهب ،
 د ٣ ص ٨٩ ، المعنى : عقد الجمان ، د ١٦ م ١ ص ٩٤ .

منهم وهى الجيوش التى اختلفت المصادر الاسلامية فى وصلها (٦٤) .
 اما المصادر والمراجع الفرنجية فتتفق على انها جيوش الرها وانطاكية
 وبيت المقدس (٦٥) . هذا الى ان المصادر العربية والافرنجية
 اختلفت من جديد فى موقف اولئك المسيحيين بعد ان اطلق سراحهم
 وبعد ان عرفوا بقرب النجدة منهم . فبعض المصادر الاسلامية
 اكتفى بقوله انهم « ندبوا حيث لم ينفعهم الندم (٦٦) » . والبعض قال
 ان جيوش النجدة عندما قابلتهم « سالتهم عن حالهم فاجابوهم بتسليم
 الحصن ، فلاموهم ووبخوهم وعنفوهم ، وقالوا : مجزمت عن حفظه يوما
 او يومين . نحلفوا لهم اننا لم نعلم بوصولكم ولم يبلغنا عنكم خبر منذ
 حضرنا الى الآن . فلما سميت الاخبار منا ظننا انكم قد اهلتم امرنا
 وقعدتم من نصرنا فحقنا دماعا بتسليم الحصن وافندينا به
 ماوراءه (٦٧) » .

اما وليم الصورى فيقول ان الملك ورفاقه عندما اطلق سراحهم توجهوا
 جنوبا من المرتفعات الى الحقول قرب عكا ، وهناك علم ان اميرى انطاكية
 والرها بالقرب منه ، فقابلهم الملك بتائر عظيم وشكر شعورهم
 الاخرى وعنييتهم المفرطة (٦٨) .

وبعد استيلاء زنكى على حصن بارين سلمه الى شمس الدين لاجين

-
- (٦٤) يذكر ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ (بلغهم اجتماع من
 اجتمع بسببهم) وفي الباهر ص ٦١ يقول (لقيتهم امداد النصرانية)
 ويفكر هذا الراى ايضا ابو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٨٧ ،
 وبعض المصادر تذكر (تحققتوا خروج ملك الروم لنصرتهم) مثل
 ابن الفرات : مخطوط د ٣ ص ٦١ (ب) ، ابن واصل : مفرج الكروب ،
 د ١ ص ٧٤ . اما التويرى : نهاية العرب د ٢٥ . ورقة ٤٧ ، العيني .
 مقد الجبان ، د ١٦ م ١ ص ٩٤ ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢٣٢
 فيقولوا (اجتماع الروم والفرنج) .
 William : Op. Cit., V. 2, p. 91, Setton: Op. Cit., V. 1, (٦٥)
 p. 438.

- (٦٦) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ،
 د ١ ص ٧٤ ، التويرى : نهاية العرب ، د ٢٥ ورقة ٤٧ ، العيني :
 مقد الجبان ، د ١٦ م ١ ص ٩٤ .
 (٦٧) ابن الاثير : الباهر ، ص ٦١ ، ابو شامة : الروضتين ،
 د ١ ق ١ ص ٨٨ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 91.

(٦٨)

علم يزل في يده ويد أولاده الى عهد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى
نسلم الحصن الى الأمير شمس الدين بن المقدم (٦٩) .
والواقع ان استيلاء زنكى على بارين كان من أهم الأعمال التي
احرزها في مواجهة الفرنج بالشام وهو ما عقب عليه بروييه بقوله « كان
الاستيلاء على بارين نصرا اسلاميا ذا أهمية كبيرة » لانه أعاد اراضي
زراعية لمدن حماه وحمص كانت معرضة على الدوام لخطر الهجوم
الفرنجي (٧٠) .

وفي نفس ٥٣١هـ (٧١) (١١٣٧م) استولى زنكى ايضا على المرة
وكفر طاب وكان ذلك « في مدة مقامة على بارين (٧٢) » .
بجماع معظم المصادر الاسلامية ، في حين انفرد ابن ابيك بالقول ان ذلك كان
« بعد فتح بارين (٧٣) » . وقد دفع زنكى الى ان يخطو تلك الخطوة
ان الفرنج الذين بالمرة وكفر طاب كان ضررهم عظيما على المسلمين
لتوسطها البلاد الاسلامية (٧٤) . والواقع ان المصادر الاسلامية
اسهبت في الكلام من عدل زنكى الشديد خاصة مع أهل المرة بعد
استيلائه على مدينتهم من الفرنج . وقد صور عدله هذا بروايتين الاولى

(٦٩) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٣ مخطوط ص ٩١ (ب) .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 323. (٧٠)

(٧١) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول
والملوك ، د ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصل : مغرر الكروب ، د ١ ص ٧٤ ،
روض المناسظر : مخطوط أحداث ٥٣١هـ . في حين يتفرد ابن الاثير :
الباهر ص ٦١ بالقول ان ذلك كان ٥٣٤هـ أما الذهبي : العبر ، د ٤
ص ٧٥ فيقول ان ذلك كان ٥٢٩هـ ، بيتنا يفكر ابن قاضي شهبة : الدر
الثمين في سيرة نور الدين ميكروفيلم الباب السابع ٥٢٨هـ ان ذلك كان
٥٢٨هـ . ولكن المرجح ان استيلاء زنكى عليها كان في ٥٣١هـ .

(٧٢) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مغرر الكروب ،
د ١ ص ٧٤ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٢ ، ابن الوردي : تنبيه
المختصر د ٢ ص ٤١ ، المعينى : عقد الجمان ، د ١٦ ص ١ ، ٩٤ ،
ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢٣٢ ، الفزى : نهر الذهب د ٣ ص ٨٩ .
(٧٣) ابن ابيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٥٢٥ .

(٧٤) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن الفرات : مخطوط ،
د ٣ ص ٩١ (ب) ، ابن واصل : مغرر الكروب د ١ ص ٧٤ .

من ابن الأثير (٧٥) ومن أخذ عنه والثانية لابن واصل (٧٦) ومن أخذ عنه .

وفي ٥٣٢ هـ صيف ١١٢٨ م سار أتابك إلى حمص عرقه وهو من أعمال طرابلس محاصره وفتحه عنوه ونهب ما فيه (٧٧) . وفي المحرم ٥٣٣ هـ - ٢٧ سبتمبر ١١٢٨ م « فتح أتابك بزاعا بالسيف (٧٨) » . كذلك استعاد الأتارب التي كان المسلميون والبيزنطيون قد استولوا عليها ٢١ أبريل ١١٢٨ م (٧٩) . وفي ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م كانت موقعة الزيتون مع أتابك زنكي التي هزم فيها الفرنج هزيمة منكرة عظيمة وقتل منهم مشرين ألف شخص على تل الثعالب (٨٠) وفي نفس السنة أيضا قتل زنكي من أهل العريش ألف رجل كانوا قد اتفقوا مع الفرنج على أن يسلموهم ببلاد المسلمين (٨١) .

وفي ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م أغار عماد الدين زنكي على انطاكية عند جسر الحديد فهزم الفرنج هناك ثم عاد إلى حلب محملا بالغنائم والسبي (٨٢) . وقيل أن الذي قام بذلك هو نائب زنكي في حلب سيف الدين أسوار (٨٣) . وفي ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م وهى السنة التي سبقت فتح الرها على يد زنكي

(٧٥) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٥٨ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٢ ، ابن الوردي : تكملة المختصر ، د ٢ ص ٤١ ، الغزى : نهر الذهب : د ٣ ص ٨٩ ، العيني عقد الجبان ، د ١٦ م ١ ص ٩٤ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٨٣ .

(٧٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٣ ص ٩١ (ب) ، ٩٢ (١) .

(٧٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ٥٧ ،

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(٧٨) ابن العميد : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٩

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

Cahen : Op. Cit., p. 363, Zoé : Op. Cit., p. 329.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Cahen : p. 363, Zoé : p. 329. (٧٩)

(٨٠) ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٥٣١ .

(٨١) المصدر السابق ص ٥٣٢ .

(٨٢) العيني : عقد الجبان ، د ١٦ م ١ مخطوط ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٨٣) ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ص ٥٣٧ ، العيني : المصدر

السابق ص ١٢٣ .

مباشرة استولى زنكى على « جبلين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون
جوسلين (٨٤) » .

تصدع الحلف الفرنجى البيزنطى والصراع بين امارتى الرها وانطاكية :

يبدو من دراسة العلاقة بين الصليبيين والبيزنطيين في عصر الحروب
الصليبية أن العلاقة الطيبة التي كانت تسود بينهما احيانا بدافع العداء
للمسلمين ، كانت لا تلبث أن تتحطم على صخرة المصالح التضاربية مما
ادى في كثير من المراحل الى اثاره الشقاق والخلاف بين الجانبين مما
سهل على المسلمين التغلب عليهم جميعا وخير شاهد على ذلك تمكن
زنكى من اسقاط امارة الرها .

والحقيقة ان موضوع الحلف الفرنجى البيزنطى (٨٥) او كما يسميه
البعض البيزنطى الانطاكى (٨٦) — بحكم خطورة العلاقة بين الدولة
البيزنطية و امارة انطاكية — احتل مكانا مهما بين صفحات المصادر
والمراجع التي تناولت دراسة الثلاثينات والاربعينات من القرن الثامن
عشر للميلاد ، السادس الهجرى ، لذا سنحاول بحثه بشيء من التفصيل
للتعرف على جوانبه المختلفة .

والواقع ان طبيعة الحلف الفرنجى البيزنطى لا يمكن فهمها فهما
واضحا الا في ضوء العلاقات البيزنطية الارمنية من ناحية والعلاقات
البيزنطية الانطاكية من ناحية اخرى . وقد مر بنا كيف كان البيزنطيون
نقمين على الطرفين ، اذ اعتبروا أن امراء آل رومان الارمن سلبيوا
تقليدية منهم واعتصبوا حقوقهم فيها (٨٧) . هذا الى جانب انطاكية
التي كانت محط اطماع البيزنطيين دائما .

ومهما يكن من أمر فلتنا في علاجنا لسقوط امارة الرها نجد انفسنا
مضطرين للموقف والتساؤل عن السبب المباشر لتحرك الامبراطور
جنا كومنين Jean Gommène (١١١٨ — ١١٤٣ م / ٥١٢ —
٥٣٨ هـ) في سنة ٥٣١ هـ ١١٣٧ م ما ادى الى عقد حلف
فرنجى بيزنطى في تلك السنة ؟

(٨٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ ص ٧ .

Grousset : L'Empire, p. 223; Grousset : Hist. des Crois., (٨٥)
V. 2, p. 94.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439. (٨٦)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Grousset : Hist. (٨٧)
des Crois., V. 2, p. 88.

الواقع ان الاجابة على هذا السؤال تختلف في المصادر العربية عنها في المصادر والمراجع الأجنبية . فبينما تشير غالبية المصادر العربية الى أن سبب تحرك الإمبراطور الى الشام ٥٣١ هـ ١١٣٧ م هو استنجد الصليبيين به بسبب حصار زنكي لبارين وأنه في طريقه أخضع « ابن ليون الأرمني » ثم توجه الى أنطاكية (٨٨) . إلا ان ابن القلانسي المعاصر لحلة الإمبراطور هذه يظهر في تاريخه ان الإمبراطور خرج أولا واستولى على بلاد (ابن ليون) في الوقت الذي كان زنكي موجودا بالموصل وأنه عندها قدم وحوصرت بارين كان الإمبراطور لايزال في بلاد ابن ليون (٨٩) . معنى ذلك أن استنجد الصليبيين بالإمبراطور بسبب بارين كان وهو في أرمينيا وأنه لم يعد حلة بسبب بارين بالذات .

أما المصادر والمراجع الأجنبية فتذكر أنه حدث في ١١٣٧ م ان انتهى الخلاف بين ريموند دي بواتييه (٩٠) . وليو الأرمي بوسسطة جوسلين الثاني بينهما وتمهد الجليلان بالانحصاد معا ضد

(٨٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٧٦ ، ابن خلدون الطبر ، ج ٥ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ . تذكر هذه المصادر : « لما مضت القسوس والرهبان الى بلاد الروم واستنذروهم على المسلمين بسبب ميلاد الدين ومطالته ببارين ... فتجهز الروم وساروا الى أنطاكية وهي لهم عنقذ مارسوا بها منتظرين المراكب التي فيها الأتقال والسلاح لها وصلت ساروا الى مدينة نيقية فنزلوها وحاصروها ثم صولحوا على مال يؤدي اليهم . ثم ساروا الى مدينة اذنة والمصيصة وهما لابن ليون الأرمني محصرهما ملك الروم وملكما ... ثم توجه الى الشام فغصم مدينة أنطاكية في ذي القعدة » . وإذا كانت كل المصادر تذكر أن خروج ملك الروم كان في ٥٣١ هـ من العيني : عقد الجبلان ، ج ١ ص ١٦٦ م ١ ص ٩١ (عن تاريخ بيبرس) يذكر أن ذلك كان ٥٣٠ هـ .

(٨٩) ينكر ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ بالتواريخ « في ذي القعدة ٥٣٠ هـ وقيل أول المحرم ٥٣١ هـ خرج بملك الروم من القسطنطينية . وفي شعبان ٥٣١ هـ توجه ميلاد الدين اتيك من الموصل وقطع الفرات ووصل الى حمص . وفي شوال نزل زنكي على الحصن المعروف ببعرين لينزعه من أيدي الفرنج . وفي ذي القعدة نزل بملك الروم على أنطاكية وضابطها وجرى بينه وبين صاحبها مصالحة ثم رحل عائدا الى الدروب ، نافلتح ما بقى في يد ابن ليون الأرمني » .

(٩٠) يسمى ميخائيل السرياني ريموند دي بواتييه (Bedawi) Michel : Op. Cit., p. 245.

أما العيني : عقد الجبلان ، ج ١ ص ١٦٦ م ١ ص ٩١ (عن العظمي) فيسببه بيمند بن بيفس الأرمني () .

البيزنطيين (٩١) . وجاء هذا التحالف الجديد مهددا لمصالح
الامبراطور حنا كومنين الذي كان يرغب حينئذ في اثبات حقوقه في كل من
انطاكية وقيليقية (٩٢) لذا غزا الامبراطور حنا قيليقيّة « وكان محتلا
بالغضب ضد ليون (٩٣) » . واستولى على المصيصة وطرتونس
واذنه بل واخذ ليو نفسه أسيرا الى القسطنطينية مع زوجته وبعض
اولاده (٩٤) .

ومعنى هذا ان الامبراطور كان قد رتب بالفعل لحملته التي شام
بها ضد قيليقيّة وان تلك الحملة كانت مقصودة لذاتها ولم تكن شيئا عابرا
عن الامبراطور أثناء توجيهه الى الشام كما ذكر برييه « ان الامبراطور
أثناء عبوره قيليقيّة بجيشه الكبير استولى على طرسوس ثم ظهر أمام
انطاكية (٩٥) » . وعلى ذلك يكون تقدم الامبراطور حنا الى قيليقيّة ثم
الى انطاكية ١١٣٧م ناتجا من رغبته في الاستيلاء على قيليقيّة بعد ان
علم بالفقرة الأخيرة من الصلح بين الأمير ليو ورويموند الثاني ثم لوفبته
ايضا في القسماس من انطاكية التي شغلت همسا الطاعة منذ فترة
وجيزة بسبب الصلح الأخير ، أما موضوع يارين فقد استجد بعد
خروجه بالفعل .

وفي بداية ذي القعدة ٥٣١هـ ١١٣٧م ظهر الامبراطور حنا كومنين أمام
انطاكية . هنا تكفى المصادر العربية بالقول بأن الامبراطور وأمير

Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172, Tournelbe : (٩١)

Op. Cit., p. 173, Issaverdens : T. II, p. 317, Cahen :

Op. Cit., p. 358 عن (Orderic).

Morgan : Op. Cit., p. 172. (٩٢)

Michel : Op. Cit., p. 245. (٩٣)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, Michel : Op. Cit., (٩٤)

p. 245. Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Archer : Op. Cit.,

p.p. 191-192.

وربما هذا ما اشار اليه ابن العديم بقوله « لما فتح ملك الروم بلاد
لاون بن رويال دخل اليه لاون متطارحا فقال : أنت بين الفرنج والأتراك
لا يصلح لك المقام فسيره الى القسطنطينية » (ابن العديم : الزبدة ،
ج ٢ ص ٢٦٣) .

Bréhier : L'Eglise et L'Orient, p. 101.

(٩٥)

أنطاكية « تصالحا ثم عاد ملك الروم الى بلاد بن ليون (٩٦) »
ليستكل فتحها . والواقع ان تلك الكتب الموجزة في المصادر
العربية هي نفسها التي تشير الى الحلف الفرنجي البيزنطي الذي
نقده ، والذي تناولته المصادر والمراجع الأجنبية بالتفصيل . ذلك انه
حدث في أغسطس (٩٧) م أن ظهر الامبراطور حنا كومنين أمام
أنطاكية وحاصرها وطلب بأخذها (٩٨) وعندئذ أسرع أمير أنطاكية
بإرسال بعض المبعوثين الى ملك بيت المقدس ليستشيريه في الموقف .
وقد رد الملك بأنه لا يمكن اغفال حقوق بيزنطة في أنطاكية (٩٩) .
عندئذ دارت مفاوضات بين الجانبين البيزنطي والأتاكي وهي المفاوضات
التي يذكر (برييه) أن أهالي أنطاكية مثلوا فيها دور الحكم (١٠٠) .
لذا وافق ريموند على اعلان ولائه وتبعيةه للامبراطور (١٠١) وتم الاتفاق

(٩٦) ابن القلاسي : الذيل ، ص ٢٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ،
د ٨ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مخرج الكروب ، د ١ ص ٧٦ ، النويري :
نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٣ ،
ابن السراي : مخطوط ، د ٣ ص ٩٣ (ب) ، ابن خلدون : العبر ، د ٥
ص ٢٢٣ المعنى : عقد الجبلان ، د ١٦ م ١ ص ٩١ من (المطبوع) .
Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336, Prawer : Op. Cit., (٩٧)
T. 1, p. 325,

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153, Michel : Op. Cit., (٩٨)
p. 245.

Bréhier : L'Eglise., p. 101, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439.

Zoé : Op. Cit., p. 327.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 95-96 من (٩٩)
(Ordric Vital). Zoé : Op. Cit., p. 327.

Bréhier : Op. Cit., p. 101. (١٠٠)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 153. حاشية من (١٠١)

(Cinnamus) Bréhier : Op. Cit., p. 101, Ostrogorsky :

Op. Cite., p. 336.

عن (Chalandon) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 97.

هنا يذكر برييه وجروسية أن اعلان ريموند الولاء للامبراطور (كان في
معسكر الامبراطور نفسه) ويؤيدها ابن القلاسي : الذيل ، ص ٢٦٣ ،
الذي يذكر « خرج ريموند صاحب أنطاكية الى ممتلك الروم وهو مخيم
في معسكره بمرج الديباج وقرر معه الهدنة والموادعة وعاد الى أنطاكية » .
ومرج الديباج « هو واد بين الجبال ، بينه وبين المصيصة عشرة أميال »
(ياقوت : معجم البلدان ، د ١٧ ص ١٠١) .

على « أن يساعد الإمبراطور في الاستيلاء على حلب وشمير وحمص وحماه وأن يمنح تلك المدن لريموند كقطاع له يحكمه من قبل الإمبراطور وفي مقابل ذلك يستعيد الإمبراطور انطاكية (١٠٢) » وقد وعد الإمبراطور ببدء الحرب ضد المسلمين ١١٢٨ م لاستعادة تلك البلدان المشار إليها (١٠٣) . ولم يقتصر الحلف أو الاتفاق على النواحي السياسية فقط بل تمدها إلى ناحية دينية مهمة وهي أن الإمبراطور شرط فيه « أن يصبح بطريرك انطاكية من الآن فصاعدا بيزنطي أرثوذكسي (١٠٤) » وقد اتفرد ابن القلائسي بين المصادر العربية بالإشارة إلى هذا الشرط (١٠٥) . والواقع أن ذلك الجانب الديني من الحلف هو الذي جعل جروسية يعقب عليه بقوله « أن ذلك التنازل - من جانب الصليبيين - لم يصبح لسياسيا فقط بل دينيا أيضا . فقد كتبت كل خطوة في الغزو البيزنطي لهذا الإقليم تعتبر تمرا للكنيسة البيزنطية على حساب الكنيسة الأرمنية (١٠٦) » .

وفي ذى الحجة ٥٣١ هـ (١٠٧) - سبتمبر ١١٢٧ م (١٠٨) غادر الإمبراطور انطاكية ولكنى برجع الراية الإمبراطورية عليها (١٠٩) وتوجه إلى « بغراس ومنها إلى بلاد ابن ليون (١١٠) »

Michel : Op. Cit., p. 245, Bréhier : L'Eglise, p. 101, (١٠٢)

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325, Setton : Op. Cit.,

V. 1, p. 439. Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 147;

Jean Richard Op. Cit., p. 45, Zoé : Op. Cit., p. 328.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439. (١٠٣)

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 325. (١٠٤)

(١٠٥) ابن القلائسي : الذيل ، ص ٢٦٢ .

Grousset : Hist. des Crois. V. 2, p. 147. (١٠٦)

(١٠٧) ابن القلائسي : الذيل ، ص ٢٦٢ ، ابن المديم : زبدة الحلب ، ص ٢٦٢ .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439. (١٠٨)

(١٠٩)

Bréhier : L'Eglise... p. 101, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336.

(١١٠) ابن الأثير : الكامل ، ص ٨٨ ، ابن واصل : منرج

الكروب ، ص ١ ، النويري : نهاية الأرب ، ص ٢٥٨ ورقعة ٨ ،

ابن الفرات مخطوط ، ص ٣ ، (ب) ، ابن خلدون : المعبر ، ص ٥

ص ٢٣٣ ، المعيني : عقد الجبلان ، ص ١١٦ ، ص ٩٥ .

والغريب أن هذه المصادر تذكر أن ابن ليون صالح الإمبراطور بالأموال

==

على أسسها العود كما ذكرنا لتنفيذ ما اتفق عليه .

ولكن قبل أن ننتقل إلى الكلام عن التنفيذ العملي لنعمي الحلف الفرنجي البيزنطي نود أن نشير إلى أن بعض المصادر العربية المعاصرة للحلف أشارت إلى أنه كتبت هناك مراسلات بين الإمبراطور زنكي بعد اتهام مقد ذلك الحلف ٣ فقد أئنفذ الإمبراطور رسولاً إلى زنكي في الشامي والمشرقيين في ذي الحجة ٥٢١هـ (١١١) . فرد زنكي على تلك السفارة بسفارة أخرى معها « هدية إلى ملك الروم فهوود وبزاز وصقور (١١٢) » . فسياد إليه رسوله ومعه « رسول من قبل ملك الروم أخيره أنه يحلمر بلاذ لاون (١١٣) » . فبأذا كان يقتصد الإمبراطور من وراء تلك السفارة ؟ هل كان يستهدف التويبه على ماأصت عليه شروط الحلف الفرنجي البيزنطي ، كي يعمد من الحلفاء شكوك زنكي وبلاتالي تهديداته وبذلك تتاح الفرصة لتنفيذ الاتفاق ؟ ربما كان الأمر كذلك وربما استهدف الإمبراطور من وراء ذلك كسب زنكي إلى جانبته حتى إذا شعر بنوايا غير طيبة من جهة المسلمين تجاهه ، ضم زنكي إلى جانبه فيصبح الأخير سنداً له لطمع المسلمين من وراء ظهورهم ، وذلك لتقارب المصاحبة البيزنطية الاسلامية .

ومهما يكن من أمر ، فله بعد أن لمضي الإمبراطور شهور الشتاء في قيليقية تقدم إلى الشام بجيوشه في ربيع ١١٣٨م (١١٤) (٥٢٢هـ) « فقد أراد أن يبرس حقوقه الخامسة بنهذه على

وأنخل في طاعته . ولكن الحقيقة كما ذكرت المصادر الأرمينية نفسها كما بينا أن ليو الأرميني كان قد لمر وأرسل إلى القسطنطينية قبل تقدم الإمبراطور إلى أنطاكية وأنه ربما توجه الإمبراطور إلى بلاد الأرمن في هذا الوقت لاستكمال ملتحها فقط .

(١١١) لين القلاسي : الفيل ، ص ٢٦٢ ، ابن العديم : زبدة الجلب ، ص ٢٦٣ .

(١١٢) ابن العديم : زبدة الجلب ، ص ٢٦٢ ؛ العيني : عقد الجان ، ص ١٦٦ أ (من المظبي) .

(١١٣) ابن العديم : المصدر السابق والمضحة (وقد أشار كاهين إلى تلك السفارات بقوله أنه في شتاء ١١٢٧م تبودلت السفارات بين زنكي وحنا كومنين)

Cahen : Op. Cit., p. 360. William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Prawer : Op. Cit., T. 1, (١١٤)

p. 325.

اتباعه (١١٥) ٤ ، لذا أرسل رسله معهم مرسوم امبراطوري الى كل من امير الرجا و امير انطاكية يدعوها للسير للحرب معه (١١٦) ، ويدلت الخطوة الاولى لتنفيذ الاتفاق الفرنسي الفرنجي البيزنطي في فبراير ١٢٢٨م - الحزم ٥٣٢هـ عندما قبض جاكم انطاكية على كل التجلي والمساكين من حلب كي لا تتسرب اخبار الاستعدادات الصليبية الى زكري (١١٧) .

وعندما اجتمعت الجيوش المتحالفة توجه الجميع للاستيلاء على حلب ولكن تلك الجيوش اضعفت حوالى اسبوعين امام قلعة بزاعة حتى استولت عليها (١١٨) ، في الخامس والعشرين من رجب ٥٣٢هـ (١١٩)

Bréhier : Vie et Mort, p. 324, L'Eglise ... p. 101, (١١٥)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.
William : Op. Cit., V. 2, p. 94, Bréhier : L'Eglise, p. 101. (١١٦)
وهنا يذكر برييه انه دعاهم لحصار شيزر اما في كتبه الثاني فيقول انه دعاهم لحصار حلب (Bréhier : Vie et Mort, p. 324.)
اما ميخائيل البريتاني فيذكر ان الصليبيين ارادوا ان يخدموا الامبراطور فخرج الى قسطنطينية فذهبوا اليه هناك وعملوا اتفاقا جديدا وعاد الامبراطور معهم لحصار حلب .

(Michel : Op. Cit., p. 345.)
(١١٧) ابن القلاسي : النيل ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ ، ابن المصنف : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٤ ، سعيد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٥٨٥ ،
Prawer : Op. Cit., T. 1, p.p. 325, 326,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 439, Grousset : Hist. des Crois.,
V. 2, p. 100.

(١١٨)
Michel : Op. Cit., p. 345, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326.
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 100.
هنا يضيف كل من جروسية وكاهين ان الامبراطور ضمها بعد ذلك الى جوسلين الثاني (Grousset : Ibid., p. 101. Cahen : p. 361)

(١١٩) ابن القلاسي : النيل ، ص ٢٦٥ : ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب د ١ ص ٧٦ ، النوسري : نهاية الارب ، د ٢٥ ورقة ٤٨ ، المعنى : عقيد الجمان د ١٦ ص ٩٨ وتتمصل بعض المصادر ما حدث لاهل بزاعة عندئذ فتقول : « كان حصن بزاعة في يد امرأة فسلموه الى الروم بالامان بعد ان توثقوا منهم بالعهود والايمان فغفروا بهم واسروا من بزاعة حوالى ستة آلاف مسلم »

(حوالي مارس ١٢٨م) والواقع ان الوقت الذي ضاع امام بزاعة لم يكن في مصلحة الجيوش المسيحية « فقد ضل منهم جماعة اظهروا انهم مستأمنه ، وانفروا من حلب بالروم فتحرز الناس وتحفظوا وكثبوا فتلك زنكى بذلك فوصله الخير وهو على حصص (١٢٠) » وكان ذلك الانذار لاهل حلب قبل الاغارة عليهم بيوم واحد (١٢١) مما اتاح لعماد الدين زنكى ان يرسل اليهم في الحال « الأمير سيف الدين سوار والرجال الحلبيين وخمسمائة فارس في اربعة من الأمراء (١٢٢) » . فزود سوار المدينة باللون والسلاح ووزع الدفاع منها بين رجاله وبين اهل المدينة انفسهم (١٢٣) . ثم قدم الروم والمسلمون الى حلب « فقاتلهم اعداء البلد قتالا شديدا فقتل كثير من الروم وبجرح كثير فقتلوا ثلاثا ايام ورحلوا (١٢٤) » . وتوجه الروم الى الأناضول ومكثوا بعد ان هرب اهلها منها وطرحوا النار في خزانها (١٢٥) . ثم وضع الروم

لهم يزيدون . وتصر قاضي بزاعة وجماعة من اهلها تقدر بحوالي اربعمائة نفس واقام الروم بعد ملكها عشرة ايام يطلبون من اخفى وبخنوا على من فعل المظير فهلكوا » ابن القلائسي : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الأثير : الكليل ، د ٨ ص ٣٥٩ ، ابن العميد : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٥ . ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٧ — ٧٨ ، ابن ايبي : كنز الدرر ، د ٦ ص ٥٢٦ ، روض المناظر : مخطوط حوادث ٥٣٢ هـ ، المعنى : عقد الجبلان ، د ١ ص ١٦٦ . ابن التاربخ المنصوري فيذكر ص ١٦٦ — ١٦٧ (ان ذلك كان ٥٣٢ هـ) وهذا خطأ .
(١٢٠) ابن العميد : المصدر السابق د ٢ ص ٢٦٤ — ٢٦٥ .
(١٢١) ابن القلائسي : الذيل ص ٢٦٥ .
(١٢٢) ابن العميد : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٥ .

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 102.

(١٢٣) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٣ مخطوط ص ٩٤ (١) .
(١٢٤) ابن القلائسي : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن العميد : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٥ : فذكر ان ذلك كان (من ٦ شعبان الى ٨ منه) ، ابن الأثير : الكليل ، د ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٨ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٨ ، سبط بن العجبي : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥٢ ، روض المناظر : مخطوط حوادث ٥٣٢ هـ ، الغزي : نهر الذهب ، د ٢ ص ٩٠ ، المعنى : عقد الجبلان ، د ١ ص ١٦٦ .
(١٢٥) ابن القلائسي : الذيل ص ٢٦٥ (وكان ذلك في ٩ شعبان) ، ابن العميد : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٥ ، ابن الأثير : الكليل ، د ٨ ص ٣٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٧٨ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٨

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : Hist. des Crois.

V. 2, p. 103.

ابن ابن خلدون : المعبر د ٥ ص ٢٢٣ فيسمى الأناضول (الأناود)
٢٨٦

أسرى وسبأيا نزاعة بالأتارب ، فتوجه إليهم الأمير سوار من حلب
وخلصهم وأزل بالروم الهزيمة (١٢٦) عندئذ توجه ملك الروم إلى معرة
النعمان فاستولى عليها كما استولى أيضا على كثر طاب (١٢٧)

اتفق الإمبراطور البيزنطي .بعثذ مع الفرنج واجمعوا على التوجه
إلى شيزر ومنزلتها (١٢٨) . والمعروف أن شيزر حصن منيع على
مرحلة من حماه (١٢٩) . كان يحكمها الأمير أبو العساكر سلطان
بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الككائي (١٣٠) . وترجع أهمية تلك
المدينة إلى أنها إحدى المدن التي وعد الإمبراطور بالسامدة في
الاستيلاء عليها في مقابل استعانتة لأنطاكية (١٣١) ، فبسلا من لها
مدينة بيزنطية قيمة ذات موقع عسكري هام (١٣٢) . ولكن الفرنج
هم الذين اتساروا على الإمبراطور بالتوجه إلى شيزر يدموى أنها
ليست لأتارب فلا يهتم بحفظها والذب عنها (١٣٣) . ولكن ذلك لم

(١٢٦) ابن القلائسي : الذيل ص ٢٦٥ ، ابن الأثير : الكلب ، ص ٨
ص ٣٦٠ ، ابن العديم : زبدة الطب ، ص ٢ من ٢٦٥ ، سبط بن العيسى .
كنوز الذهب ، ص ١ من ٥٢ ، ابن واصل : مفرج الكرب ص ١ من ٧٨ ،
النويري : نهاية الأرب ، ص ٢٥ ورقة ٤٨ ، روض الناظر ، بخطوط أحداث
٥٣٢ هـ . التاريخ المنصوري ص ١٦٧ ، الخزري : نهر الذهب ، ص ٢ من ٩٠ ،
ابن خلدون : المعبر ، ص ٥ من ٢٣٣ ، المعين : عقد الجمان ، ص ١٦٦
ص ٩٨ - ٩٩

Grousset : Hist. des Crois., V, 2, p. 103. -

(١٢٧) ابن القلائسي : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن العديم : زبدة الطب ،
ص ٢ من ٢٦٦ (المعرة في الثالث عشر من شعبان وكثر طاب في منتصف
شعبان) . Grousset : Ibid., p. 103, Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٢٨) أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢

Michel : Op. Cit., p. 245, William : Op. Cit., V, 2, p. 94.

(١٢٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ٥٥ ، أبو شامة : الروستين ،
ص ١ ق ٨١ ، ابن قاضي شهبة : الدر الثمين في سيرة نور الدين ،
ميكرونيلم رقم ٢٣٧ (١) الباب السابع ٥٣٢ هـ .

(١٣٠) ابن الأثير : الكلب ، ص ٨ من ٣٦٠ ، ابن واصل : مفرج
الكروب ، ص ١ من ٧٨ ، النويري : نهاية الأرب ، ص ٢٥ ورقة ٤٨ ،
المعين : عقد الجمان ، ص ١٦٦ من ٩٩ .

Grousset : Hist. des Crois., V, 2., p. 104.

(١٣١)

Cahen : Op. Cit., p. 361.

(١٣٢)

(١٣٣) ابن الأثير : الكلب ، ص ٨ من ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ .

يمنع أميرها أبو المسلكر سلطان من الاستجداد بالأميرك عماد الدين
زنكي للذي سارع لتجديده (١٣٤) .

وهكذا نزلت الجيوش المتحالفة على شيزر في شعبان ٥٣٢هـ إبريل
١٣٢٨م (١٣٥) . « في مائة ألف راكب ومائة ألف راجل ومعهم من الكراع
والسلاح ما لا يحصى إلا الله (١٣٦) » . وفي الحبال أسرع زنكي لنجدة
لمارة شيزر ونزل على نهر العاصي بينها وبين حباه (١٣٧) . ولكنه لم
يجازف بالفخول مع المسيحيين في حرب مباغتة يسبب مضايقة
عددهم « لذا كان يركب كل يوم ويسير إلى شيزر هو وعساكره ويقفون
بحيث يرأهم الروم ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم (١٣٨) » .
أما الجيش المسيحي فقد شدد الهجوم على المسلمين في حين كان دور
الامبراطور البيزنطي بلرزا جدا في تلك المعركة يفوق دور جلفائه
الصليبيين . وقد أورد لنا وليم الصوري وصفا كليلًا لجهود الامبراطور
حينئذ (١٣٩) . ويبدو أن أميرى الرها وانطاكية كانا مشغولين باللهو ،

(١٣٤) ابن الأثير : الكليل ، د ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ، النويري :
نهاية الأرب د ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن قاضي شعبة : الدر الثمين - ميكرونيلم
الباب السابع حوادث ٥٤٢هـ ، أبو شعبة : البروضتين ، د ١ ق ١
ص ٨١ ، سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ٥٢ ، أبو الفدا : المختصر ،
د ٣ ص ١٢ ، ابن الوردي : تلة المختصر ، د ٢ ص ٤٢ .
(١٣٥) ابن القلاسي : الفيل ، ص ٢٦٤ ، ابن العديم : زبدة الجلب ،
د ٢ ص ٢٦٦ ، أما سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، د ١ ق ١ ص ١٦٢
فيذكر أن ذلك كان في شوال

Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 104.

(١٣٦) ابن العديم : زبدة الجلب ، د ٢ ص ٢٦٦

Grousset : Ibid., p. 104.

(١٣٧) ابن الأثير : الكليل ، د ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل مخرج الكروب ،
د ١ ص ٧٨ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٨ ، أبو الفدا :
المختصر ، د ٣ ص ١٢ ، ابن الوردي : تلة المختصر ، د ٢ ص ٤٢ ،
سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥٢ ، ابن خلدون : المعبر ،
د ٥ ص ٢٣٣ .

(١٣٨) ابن الأثير : الكليل ، د ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ،
ابن واصل : مخرج الكروب د ١ ص ٧٨ - ٧٩ ، النويري : نهاية الأرب ،
د ٢٥ ورقة ٤٨ ، سبط بن العجمي : كنوز الذهب ، د ١ ص ٥٢ ،
أبو الفدا : د ٣ ص ١٣ ، ابن الوردي : د ٢ ص ٤٢ ، سعيد عاشور
الحركة ، د ١ ص ٥٨٦ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 95.

(١٣٩)

وأكثر من ذلك فيقلته اهتمامها بمواصلة الحرب أثروا على الآخرين
بقتلوا من دورهم الأياحي في الحصار (١٤٠) . وبهذا كان تفكك جهود
الحلفاء عند شيزر من أهم العوامل التي أدت إلى فشلهم في الاستيلاء
عليها . أما الأسباب البتائية التي أدت لرفع الجيوش المسيحية حصارها
عن شيزر (رمضان ٥٣٢هـ - مايو ١١٣٨م) (١٤١) .

أولها الأسلوب الذي اتخذته زنكي في مواجهة أولئك الحلفاء إذ حاول
في البداية أن يشن عليهم حربا نفسية وينخل الخوف في قلوبهم من قوته
وتوة اتباعه فقال لهم « اتكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها
إلى الصحراء حتى نلتقى فإن ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وإن
ظفرتم . استرحتم وأخذتم شيزر وغيرها » والواقع أنه لم يكن له بهم قوة
وأنها كان يرهبهم بهذا القول وأشباهه (١٤٢) . ثم حاول زنكي بعد ذلك ،
الايقاع بالحليين الليزنطى والفرنجنى « فكان زنكى يرسل إلى ملك الروم
يوهيه بن فرنج الشام خائفون منه فلو فارق بكته تظفوا عنه ويرسل
إلى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم : إن ملك بالشام
حسنا واحدا ملك بلادكم جميعا فاستشعر كل من صاحبه (١٤٣) » .

كذلك كان من بين العوامل المشجعة على رمع الحصار عن شيزر
أن زنكي عندما كانت الجيوش المتحالفة محاصرة لبزاعة ، « أرسل
القاضي كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى

William : Ibid., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise, p. 102. (١٤٠)
Cohen : Op. Cit., p. 361.

(١٤١) ابن الأثير: الكامل ، ج ٨ ص ٣٦٠ ، سبط بن الجوزى :
مرآة الزمان ، ج ١ ق ١ ص ١٦٢ ؛

Bréhier : Vie et Mort, p. 324, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

(١٤٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٥ ،
أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ١ ص ٨١ - ٨٢ ، النويرى : نهاية الأرمي ،
ج ٢٥ ورقة ٤٨ ، ابن قاضي شعبة : الدر الثمين ، ميكروفيلم الباب
السابع ٥٣٢هـ ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٨١ ، سعيد عاشور :
الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٨٧ .

(١٤٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ص ٣٦٠ ، الباهر ص ٥٦ ،
أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ١ ص ٨٢ النويرى : نهاية الأرب ،
ج ٢٥ مخطوط ورقة ٤٨ ، ابن قاضي شعبة ، الدر الثمين ، ميكروفيلم
الباب السابع ٥٣٢هـ ، ابن خلدون ، المعبر ، ج ٥ ، ص ٢٣٣

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 326, Grousset : Hist., des
Crois., V. 2, p. 108.

الى السلطان مسعود يستجده ويطلب العساكر (١٤٤) . ولكن القاضي لم يجد ردا من السلطان لذا وضع بعض رماقه في جامع القصر يوم جمعة وامرهم بالثورة اذا طلع الخطيب المنبر وبالفعل صاحوا « واسلاماه ! وادين حصداه ! » فترك الناس الصلاة ، ولعنوا السلطان مما اخاف السلطان وامر بتجهيز حملة للجهاد ورغم عدم وصول تلك الحملة الى شيزر لنجبتها - لانه اثناء اعدادها « وصل كتاب انك زكى من الشام يخبر يرحيل ملك الروم (١٤٥) » - فان سماع خبرها كان كفيلا بارهاب الجيوش المسيحية . ومن بين المواقف التي شجعت على رفع الحصار من شيزر ما بلغهم « ان قرا ارسلان بن داود بن سكرمان بن ارتق عبر الفرات في جموع عظيمة تزيد عن خمسين الف من التركمان وغيرهم ، فاحرقوا آلات الحصار ورحلوا عن شيزر (١٤٦) » .

على أن المصادر والمراجع الأجنبية اقلت مسئولية فشل عملية حصار شيزر على اميرى اطلاقية والرها للذين تركا المعبد الاكبر في المعركة يقع على عاتق الامبراطور بينما انصرفا الى اللهو والمعبث (١٤٧) . « وكان الامبراطور ساخطا عندما وجد مدينة ضميعة استطاعت ان تقاوم جيشه الضخم لمدة طويلة (١٤٨) » . ولكن يبدو ان الامبراطور عندما فقد الامل في تحقيق نصر جبارى على شيزر « فكر في الحصول على نجاح شخصى يسبح له بالانسحاب وهو محتفظ بكرامته (١٤٩) » .

(١٤٤) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مخرج الكروب ، د ١ ص ٧٩ ، ابن خلدون المبر ، د ٥ ص ٢٣٣ .
(١٤٥) ابن الاثير : الكامل ، د ٨ ص ٣٦٠ ، ابن واصل : مخرج الكروب ، د ١ ص ٧٩ - ٨١ ، ابن خلدون : المبر ، د ٥ ص ٢٣٣ ، العيني عقد الجبل : د ١٦٦ ص ١٠٠ .
(١٤٦) ابن القلائس : الذيل ص ٢٦٦ ، ابن المديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٦٨ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 107, Cahen : Op. Cit., p. 361.
(١٤٧)

William : Op. Cit., V. 2, p. 95, Bréhier : L'Eglise ...
p.p. 101 — 102.

Cahen : Op. Cit., p. 361, Grousset : L'Epopée, p. 156,
Hist. des Crois., V. 2, p. 108, Zoé : Op. Cit., p. 323, 331,
Archer : Op. Cit., p. 192, Jean Richard : Op. Cit., p. 45.

William : Op. Cit., V. 2, p. 95. (١٤٨)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110. (١٤٩)

لذلك انتهر الإمبراطور مرسعة ارسل أمير شيزر اليه متوسلا
ان يحفظ مدينته في مقابل دفع مبلغ من المال فوافق الإمبراطور على
هذا العرض (١٥٠) . وربما هذا هو الذي دفع البعض الى القول
« بأن إمارة شيزر كانت تبرة محالة للفرنجة وتارة معادية لهم (١٥١) » .

واخيرا فان ثمة عامل مجل برفع الإمبراطور وبالتالي حلفائه
الحصار عن شيزر وهو ما بلغه من أخبار من مهاجمة السلطان
مسعود سلطان قونية لقيليقية واستيلائه على مدينة اذنه (١٥٢) .
لذلك لم يكد أمير شيزر يدفع المبلغ المتفق عليه للإمبراطور حتى رفع
الحصار عن المدينة (١٥٣) . وعادت جيوش الحلفاء لمشكلة (١٥٤) .
وكان انسحابهم على تلك الصورة من أهم الانتصارات التي احرزها
زنكي في ذلك الوقت ، لذا كافاه السلطان بارسال الخلع اليه (١٥٥) .

وهكذا اخفق التحالف الفرنجي البيزنطي في ١١٣٨م في تنفيذ الخطة
التي تم الاتفاق عليها ١١٣٧م . وكان الكسب الوحيد الذي احرز
الإمبراطور من كل تلك الجولة الطويلة هو ما اخذه من مال من أمير
شيزر العربى في مقابل انسحابه عن مدينته . وبإخفاق الحلفاء في
الاستيلاء على المدن التي سيموض بها أمير انطاكية في مقابل استرجاع
الإمبراطور لانطاكية ، قرر الإمبراطور العودة الى انطاكية وفي نيته
وضع يده عليها بحكم سلطته .

William : Op. Cit., V. 2, p. 96, Cahen : Op. Cit., p. 362, (١٥٠)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 110, Zoé : Op. Cit., p. 329,
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440.

يوسف العيسى : تاريخ سوريا ، د ٦ من ٦٤
هنا يذكر جروسية أن أمير شيزر قدم للإمبراطور بعض الخيول وبعض
الملابس الحريرية الموشاة بالذهب ومنضدة قبية وصليب مرصع
باليقوت الأحمر : والمنضدة والصليب سلبا من الإمبراطور رومان ديوجين
بعد كارثة مفزيكرت .

Zoé : Op. Cit., p. 328. (١٥١)
Michel : Op. Cit., p. 245, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., (١٥٢)
p. 153. عن (Cinnamus), Cahen : Op. Cit., p.p. 361-362.
William : Op. Cit., V. 2, p. 96. (١٥٣)

(١٥٤) تاريخ أبو الهيجاء ، د ١ مخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ حوادث
٥٣٢هـ ، روض الناظر : مخطوط ، أحداث ٥٣٢هـ : التاريخ الظفرى :
مخطوط رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٣٢هـ .
(١٥٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ من ٨٣ .

وعلا تقدم الامبراطور البيزنطى بعد ذلك الى انطاكية ودخلها وسط مظاهر المظنة واستقبله بطريرك ورجال الدين ، بينما احاط جوسلين الثانى وريموند دى بواتيه بالامبراطور يخدمانه (١٥٦) . ويعود أن الامبراطور اراد أن يمارس حقوقه بتشدد وأن يتحاشى أى تصدع متعذر اصلاحه (١٥٧) . وقد اقام الامبراطور فى قصر امير انطاكية « كما لو كان فى قصره الخاص (١٥٨) » . وبعد عدة ايام استدعى امير الرها وامير انطاكية وكل النبلاء للمثول بين يديه ثم خاطب ريموند قائلا انه اضطر للبقاء فى امارته وقتنا طويلا لكى يوسع امارته وذلك وفقا للاتفاق السدى عقد بينهم فى سبتمبر ١١٣٧ م . ولكن ذلك لا يتم فى وقت قصير لذا يجب ان يسمح لقوات الامبراطور بالبقاء فى المدينة او بمعنى اصح يجب ان تسلم قلعة المدينة للامبراطور كي تكون مركزا للعمليات العسكرية ضد المسلمين بدلا من قيليقية البعيدة (١٥٩) .

والواقع ان الامير وبقية النبلاء لم يهتفوا ان يطلب منهم الامبراطور مثل هذا الطلب ولذا فوجئوا به ، ولكن تدخل جوسلين الثانى هو الذى اتخذ الموقف — كما مر بنا — بان طلب من الامبراطور مجلة للتشاور فى الامر ثم ما كان من اتصاله باهلى انطاكية وتحريضهم على الثورة . وعندئذ ازداد شغب الجماهير وتعرضوا بالاذى حتى لامرأة اميرة الامبراطور نفسه (١٦٠) ولذلك خشى الامبراطور هزيمة اشتداد تيار

(١٥٦)

William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Bréhier : L'Eglise, p. 102,
Grousset : L'Epopée, p. 156, Hist. des Crois., V. 2, p. 112,
Cahen : Op. Cit., p. 362, Zoé : Op. Cit., p. 332.

Cohen : Ibid., p. 362.

(١٥٧)

William : Op. Cit., V. 2, p. 97, Grousset : Hist. des Crois., (١٥٨)
V. 2, p. 112.

(١٥٩) (نص خطاب الامبراطور مع اللاحق)

William : Op. Cit., V. 2, p. 98,

Cahen : Op. Cit., p. 362, Grousset : Op. Cit., V. 2,
p.p. 112-113, L'Epopée, p. 157, L'Empire, p. 223,
Bréhier : L'Eglise ... p. 102,

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192.

William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Setton : Op. Cit., V. 1, (١٦٠)
p. 440.

المظاهرات العسكرية ضده لملء الأراء من جديد وأخبرهم انه سحب مطالبه ، ورجاهم تهدئة الجماهير ، وانه قرر الانسحاب في اليوم التالي (١٦١) . لكن ذلك لا يعنى أن اميرى الرما وأنطاكية كانا يجهلان أن الامبراطور أدرك جيدا ما يجئ في صدروهما ، لذا أسرع بتقديم الاعتذارات للامبراطور مما حدث حتى « أن امير أنطاكية أبدى استعدادة للالتزام بشروط المعاهدة حتى اذا تطلب ذلك تحويل المنيبة الى أيدي الامبراطور (١٦٢) » . ولكن الراجح أن امير أنطاكية لم يقدم ذلك العرض السخي للامبراطور الا لعله أن الامبراطور لم يعد يفكر في ذلك الوقت الا في الرحيل بسبب اشتداد ثورة الجماهير ضده ، والواقع أن الامبراطور لم يرغب في ذلك الوقت في استخدام القوة ضد حلفائه الفرنج (١٦٣) لذا أخبرهم « بأن اسباب ملحة تضطره للعودة الى بلاده (١٦٤) » . ويعد أن اماد علاقات الود من جديد مع ريموند دى بواتيه « طلب منه الاحتفاظ بالقلمة وبكل انطاكية وأن يكون تابعها مخلصا للامبراطور (١٦٥) » . ثم انسحب الى قيليقية ومنها الى القسطنطينية (١٦٦) . بعد أن وعد حلفاءه السليبيين بالعودة مرة اخرى ويقوة اكبر لتنفيذ الاتفاق الذي عقد من قبل بينهم (١٦٧) .

ومعنى هذا ان التحالف الفرنجى البيزنطى لم يحقق اغراضه بل كاد المراع العلنى يدب بين طرفيه . وربما ازدادت تلك الفجوة اتساعا بسبب الرسوم الذى أصدره البابا انوسنت الثانى في ٢٨ مارس ١١٢٨م

William : Op. Cit., V. 2, p. 100, Cahen : Op. Cit., p. 362, (١٦١)
 Setton : Op. Cit., V. 1, p. 440, Grousset : L'Épopée, p. 158,
 Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 327.

(١٦٢)

William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.
 Cahen : Ibid p. 363, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, (١٦٣)
 p. 120.

William : Op. Cit., V. 2, p. 102. (١٦٤)
 Grousset : L'Épopée, p. 158. (١٦٥)

William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Bréhier : Vie et Mort, (١٦٦)
 p. 324 - 325, L'Eglise : p. 102, Setton : Op. Cit., V. 1,
 p. 440, Archer : Op. Cit., p. 192, Grousset : Hist. des
 Crois., V. 2, p. 121.

(١٦٧)

William : Op. Cit., V. 2, p. 102, Cahen : Op. Cit., p. 363.

(أواخر ٥٣٢هـ) الذي استنكر فيه وصول الإمبراطور حنا الى قيليقية وما قام به من محاولات ضد الإمارات اللاتينية (١٦٨) . والحقيقة أنه ربما كان الدافع الأكبر الى إصدار البابا لهذا القرار هو ما سبقت الإشارة اليه من الاتفاق بين البيزنطيين والصليبيين على إحلال بطريك بيزنطى محل اللاتينى وهو ما فرضه الإمبراطور فى قيليقية بالأجبار ، لذا سارعت البابوية بالتدخل لحسم هذا الموقف .

وفى ١١٤٢م (٥٣٧هـ) عاد الإمبراطور حنا كومنين الى الشام من جديد ولكن هل كان قدومه فى تلك المرة - وبمعد مرور أربع سنوات على خضبة خلفائه الصليبيين له ١١٣٨م - لكى ينفذ شروط التحالف الذى سبق أن تم بينه وبينهم ١١٣٧م أن هناك أسلبا أخرى دعت الى المعجزة تلك المرة ؟ حقيقة أن أمير أنطاكية كان قد أرسل له خلال تلك السنوات الأربع يستنجد به ضد زكنى ويرجوه الحضور الى إمارته (١٦٩) وفقا للتحالف السابق . لكن الإمبراطور عندما قدم تلك المرة كان مصمما على الاستيلاء على أنطاكية . والدليل على ذلك أنه لم يرسل الى الصليبيين بالشام مقدما يطلب منهم الاستعداد للخروج معه لحرب المسلمين كما حدث ١١٣٨م (٥٣٢هـ) وأتوا وصل نجاة الى الرها « وعسكر بدون سابق انذار أمام تل بشر (١٧٠) » . ويبدو أن الإمبراطور أراد أن يضمن ولاء جوسالين الثانى له فى اتجاهه الجديد ضد أنطاكية لذا طلب من أمير الرها رهائن لضمان ولائه له ولما كان الأخير « غير مستعد كلية وغير قادر على المقاومة » فإنه أرسل ابنته ايزابيلا رهينة (١٧١) « ثم تقدم الإمبراطور بعد ذلك وعسكر بالقرب من أنطاكية .

والحقيقة أن الإمبراطور كان ينوى تكوين إمارة على الحدود لابنه

(١٦٨)
William : Op. Cit., V. 2, p. 101, Bréhier : L'Eglise, p. 102.
Setton : Op. Cit., V. 1, p. 441.

(١٦٩)
William : Op. Cit., V. 2, p.p. 124-125, Bréhier : Op. Cit.,
p. 102, Archer : Op. Cit., p. 192.

William : Op. Cit., V. 2, p.p. 123 - 124 (١٧٠)

William : Ibid., V. 2, p. 124. (١٧١)

ماتويل تشمل على الاناضول وانطاكية وقبرص (١٧٢) . وبذلك تصبح تلك الدولة الجديدة قاعدة عسكرية ضد المسلمين وفي نفس الوقت توفر حماية للدولة البيزنطية ضد الفرنج الذين لم يفوا للدولة البيزنطية ابدا بموهدم (١٧٣) .

ومهما يكن من امر فقد ارسل الامبراطور رسلا الى امير انطاكية تطلب منه تسليم المدينة والقلعة (١٧٤) « حتى يصبح قادرا على اعلان الحرب على المدن الجاورة التي بيد العدو ، من قاعدة ملائمة وقريبة (١٧٥) » . وكان ان وقع امير انطاكية في حرج لانه كما سبق ان ذكرنا كان قد استنجد فعلا بالامبراطور على اساس الاتفاق المتعود بينهما . واخيرا اتفق امير انطاكية مع كبار اعوانه ورجال الدين على رفض طلب الامبراطور مستندين في ذلك على ان ريموند لم يرث الامارة وانما تولاهما بعد زواجه ، وليس لزواجه ايضا حق التصرف فيها بدون الرجوع لرايهم (١٧٦) . والواقع ان تدخل رجال الدين في ذلك الوقت يؤكد رفضهم التام لاقامة هيئة كهنوت من رجال الدين البيزنطيين في انطاكية .

وغضب الامبراطور لعدم تلبية امير انطاكية لطلبه ولكنه لم يكن في امكانه القيام بعمل عسكري ايجابي لتحقيق هدفه في ذلك الوقت لان الشتاء كان قد اتبل بيرده القارس (١٧٧) ، فاكفى البيزنطيون بنهب

Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 224, (١٧٢)
(Kinnamos) اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٣ عن

Cam. Med. Hist. Ibid. p. 224. (١٧٣)
(١٧٤)

William : Op. Cit., V. 2, p. 124, Bréhier : L'Eglise, p. 102,
Archer : Op. Cit., p. 192.

يوسف الدس : تاريخ سوريا ، د ٦ ص ٦٥
William : Op. Cit., V. 2. p. 124. (١٧٥)

(١٧٦)
William : Ibid., V. 2, p. 125, Ostrogorsky ... Op. Cit., p. 336,
Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Archer: Op. Cit., p. 192.

(١٧٧)
William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Archer : Op. Cit., 192

اطراف المدينة (١٧٨) . ثم انتخبوا الى قيليقية على اساس العودة في الربيع لتحقيق مطامعهم في انطاكية (١٧٩) . ذلك ان الامبراطور كان يعلم ان الحقوق البيزنطية في انطاكية لها سفدها التاريخي فضلا عن تأكيد الصليبيين انفسهم لتلك الحقوق عن طريق معاهدات واتفاقيات عام ١٠٩٧م ، ١١٠٨م ، ١١٣٧م (١٨٠) .

ولكى يخفى الامبراطور غرضه الحقيقي تجاه انطاكية في ذلك الوقت ارسل سفارة الى الملك فولك Fulk ملك بيت المقدس يعرض عليه رغبته في التوجه الى القدس لزيارة الامكن المقدسة (١٨١) ، فضلا عن وضع قواته في مواجهة العدو في تلك الاجزاء (١٨٢) . وكان ان عقد الملك مجلسا للتشاور ثم ارسل ردا لبقا الى الامبراطور مع بعض رسله مرحبا بالامبراطور في حجه الى القدس بشرط الا يصطحب معه الا حوالى عشرة آلاف فقط من رجاله لان مملكته لا يمكنها ان تقدم المؤن لعدد اكبر من هذا والا تضرعت لمجاعة (١٨٣) . وقد اغضب هذا الرد الامبراطور ولكنه كظمه وحمل الرسل بعض الهدايا الى الملك (١٨٤) . وفي نفس الوقت ازداد تصميها على اعلان

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

(١٧٨)

الدبر : تاريخ سورية - د ٦ ص ٦٥
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٥٩١ ، اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٦٥ . والرجع الأخير يذكر سببا آخر لواقعة الامبراطور على رغبة انطاكية وهو وفاة ولده الأكبر الكسيوس . عن
(Otto of Freising)

(١٧٩)

William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336.

(١٨٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٥٩١ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Prawer : Op. Cit., T. 1, (١٨١)

p. 336, Bréhier : L'Eglise .. p. 102, Zoé: Op. Cit., p. 330.

William : Op. Cit., V. 2, p. 126.

(١٨٢)

(١٨٣)

William : Ibid., V. 2, p. 126, Bréhier : L'Eglise . p. 102.

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 336, Zoé: Op. Cit., p. 330.

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 87.

(النص الكامل لرد الملك مع الملاحق)

(١٨٤)

William : Op. Cit., V. 2, p. 126, Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 87.

الصراع العلني ضد الصليبيين بعد انتهاء الشتاء لولا وفاته في ٨ أبريل ١١٤٣م (١٨٥) . وعندئذ حاول امير انطاكية أن يستغل تلك الظروف ويستعيد استقلاله ولكي يبرهن على موقفه هذا هاجم الحاميات البيزنطية في قيليقية ، لكن الامبراطور الجديد مانويل حاربه برا وبحرا مما اضطر الامير الصليبي الى الذهاب للقسطنطينية راعلا ، ولاته للامبراطور (١٨٦) .

والحقيقة ان سنة ١١٤٣م — ٥٣٨هـ لم تشهد فقط وفاة الامبراطور حنا كومنين بل توفي فيها ايضا الملك فولك ملك بيت المقدس (١٨٧) .

وكانت خسارة المعسكر المسيحي كبيرة بفقد هاتين الشخصيتين البارزتين في تلك الظروف ، مما جعل تلك السنة تمتاز ببداية النهاية بالنسبة لامارة الرها الصليبية بوجه خاص . ذلك ان اميرها جوسلين الثاني كما سبق أن ذكرنا كان شخصية اضعف بكثير من امراء الامارة السابقين ، ولكن الظروف نفسها خدمته وجعلت زنكي يؤجل اسقاط امارته رغم انها اقرب من بقية الامارات الصليبية الى ممتلكاته سواء في الموصل او في حلب . بل هادفه زنكي حتى تتاح له الفرصة المناسبة ليهاجم تلك الامارة . وكان دخول الرها طريفا في الحف الفرنجي البيزنطي في السنوات الأخيرة من اهم الاسباب التي جعلت زنكي يؤجل تسديد ضريته القوية الى تلك الامارة . لكن عندما تسدع التحالف الفرنجي البيزنطي — على مراحل — كما مر بنا زالت من طريق زنكي تلك العقبة فتشجع على مهاجمة امارة الرها الصليبية وحالفه التوفيق في اسقاطها كما سنرى .

(١٨٥)

William : Op. Cit., V. 2, p. 127, Bréhier : L'Eglise, p. 102,
Prætor : Op. Cit., T. 1, p. 336, Ostrogorsky : Op. Cit., p. 336

(١٨٦)

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 91-92, Grousset : Hist.
des Crois., V. 2, p.p. 173-174.

(١٨٧)

Charles - Joseph Hefele : Hist. des Conciles, T.V., Part 1,
p. 802, Cahen : Op. Cit., p. 368.

وهما يذكران ان ذلك كان في ١٣ نوفمبر ١١٤٣م
لما شليبرجية فذكر ان الملك فولك توفي في ١٣ نوفمبر ١١٤٤م والراجح انه
أخطأ في ذكر السنة .

(Schlumberger : Op. Cit., p. 4)

الصراع بين امارتى الرها وانطاكية :

ذكرنا بعض اطوار هذا الصراع اثناء بحثنا للعلاقة بين الامارتين ولكننا هنا سنركز على مراحل النزاع والخلاف فقط بين الامارتين . لان ذلك سيقربنا عليه تصدع الوحدة الصليبية نفسها في شمال بلاد الشام فاذا اضيف هذا الى التصدع السابق بين تلك الجبهة والجبهة البيزنطية لتصورنا كيف اصبح الطريق مهدا امام زكى لتسديد ضربة الكبرى ضد امارة الرها .

فقد مر بنا كيف بدأت جذور العداء بين امارتى الرها وانطاكية منذ وصول بوهيموند الثانى الى انطاكية ١١٢٦م - ٥٢٠هـ وبزواجه من اليس ابنه الملك بلدوين الثانى ضاعت آمال جوسلين دى كورتناى فى امتلاء عرش بيت المقدس . ثم برزت اولى بوادر العداء العلنى بين الامارتين ١١٢٧م - ٥٢١هـ فى التسابق لاحراز مكاسب على حساب حلب التى كانت تسودها الفوضى آنذاك . ولكن اذا كان الحلبيون قد انهوا ذلك الموقف الشائك بدفع المال للفرنج (١٨٨) ، الا ان الصراع استمر بين الاميرين الصليبيين على ارض امارة انطاكية واستعان فيه جوسلين بالأتراك ضد بوهيموند (١٨٩) وكان ان اغار امير الرها وحلفاؤه على انطاكية ونهبها (١٩٠) . ولما وصل الامر الى تلك الدرجة من الخطورة أسرع الملك بلدوين الثانى الى هناك لينهى ذلك الخلاف « المهدد بالخراب (١٩١) » بحكم رابطة الدم بينه وبين الامارتين فابن عمته هو امير الرها وزوج ابنته امير انطاكية (١٩٢) . وقد عاون الملك فى القضاء على هذا الشقاق بطريك انطاكية برنارد دى مالنس الذى أصدر قرار الحرمان ضد الامارتين كى يعيد الاميرين الى صوابهما (١٩٣) . كما امر باغلاق الكنائس وايقاف كل الطقوس

(١٨٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٣٨ ، الغزى : نهر الذهب ، ج ٢ ص ٨٨ .

(١٨٩) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 651.

(١٩٠) Michel : Op. Cit., p. 224, Cahen : Op. Cit., p. 305.

(١٩١) William : Op. Cit., V. 2, p. 34.

(١٩٢)

(١٩٣) William : Ibid., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428.

(١٩٣)

Cahen : Op. Cit., p. 305.

الدينية فيها (١٩٤) . وصادف عندئذ أن مرض جوسلين مرضاً خطيراً جعله يندم على مسلكه السابق ولذلك قبل الصلح مع بوهيموند . بل أن الأمر وصل إلى ما هو أبعد من ذلك عندما أعلن جوسلين ولاءه لبوهيموند (١٩٥) . وهو ما أكدته متى الرهاوى بقوله « أن بوهيموند استطاع بسلاطته التي لا تقهر أن يخضع لقنوده لمة الفرنج فاعترف أمير الرها جوسلين وابن الصنجيل بميادته (١٩٦) » .

وفي فبراير ١١٣٠م منتصفاً رمضان ٥٢٤هـ توفي بوهيموند الثاني (١٩٧) وحاولت أرملته السيطرة على الحكم — كما مر بنا — وبأن تحرم ابنتها صاحبة الحق الشرعي من الحكم . وعندئذ أسرع بلدوين الثاني من جديد ومعه جوسلين دي كورتناي ليوقفا تصرفها هذا وأصدر والدها — على كره منها — مرسوماً بأن يتولى جوسلين الوصاية على انطاكية حتى تتزوج الأميرة كونستانس فيصبح زوجها أميراً على انطاكية (١٩٨) .

ولكن حدث عندما توفي جوسلين الأول وتولى جوسلين الثاني مكانه أن رفض أهالي انطاكية وبطربركها السماح لأمير الرها الجديد بتولى الحكم في أمارتهم (١٩٩) . وفي ١١٣٦م — ٥٣٠هـ تزوج ريموند دي بواتيه من الأميرة كونستانس وأصبح أميراً لانطاكية (٢٠٠) .

وفي ١١٢٨م (٥٣٢هـ) وبعد هزيمة البيزنطيين والمسلمين أمام شيزر نلح تجديد العداء بين الأمارتين ولو بصورة خفية من خلال السطور التي كتبها وليم الصوري حين يقول أن الأمير جوسلين الثاني

(١٩٤) Michel : Op. Cit., p. 224, Setton : Op. Cit., V. 1. p. 429.

(١٩٥) William : Op. Cit., V. 2, p. 34, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 428, Zoé : Op. Cit., p.p. 283 - 284.

(١٩٦) Mattieu : Op. Cit., p. 147.

(١٩٧) Michel : Op. Cit., p. 230, Schlumberger : Op. Cit., p. 32.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 431.

ابن شداد : الاغلاق الخطيرة ، د ا ميكرونيلىم حوادث ٥٢٠هـ .

(١٩٨) Michel : Op. Cit., p. 230, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 255.

(١٩٩) Michel : Op. Cit., p. 233.

Schlumberger : Op. Cit., p. 32, Tournabize : Op. Cit., p. 173.

حاول أن يوغر صدر الإمبراطور ضد الأمير ريموند الثانى حتى يقلل من منزلة الأخير لدى الإمبراطور (٢٠١) . ولو أننا لا نستبعد أن يكون انفراد وليم الصورى بهذه الراوية راجع الى سوء علاقته بأناء جوسلين الثانى (٢٠٢) . والواقع أن الإماراتين الشماليتين كانتا فى غالبية الأحيان متنازعتين ولكن جهود الملك بلديوين الثانى شجعت باستمرار على توحيد الإماراتين فى إطار المصلحة الصليبية العامة (٢٠٣) ولو بطريق الضغط والإجبار كما تعددت على ذلك الأمثلة من قبل . أما خليفة بلديوين الثانى — الملك فولك — فانه لم يستطع فى غالبية الأحيان بسط نفوذه على أمراء الشمال (٢٠٤) . ولكنه حقق نجاحا فى بعضها . وعندما توفى فولك وتولى ابنه بلديوين الثالث العرش تحت وصاية أمة ميلزاند (٢٠٥) ضعفت الفرصة للسيطرة على إمارتى الشمال لذا زاد العداء بصورة واضحة بين الإماراتين حتى أن أمير الرها — كما رأينا — انتهج لسقوط إمارة الرها ١١٤٤م (٢٠٦) ، وكان ذلك لا يعنيه ولا يضر بمصلحه هو الآخر .

William : Op. Cit., V. 2, p. 97. (٢٠١)

Zoé : Op. Cit., p. 295. (٢٠٢)

(٢٠٣) والحقيقة أن جهود الملك بلديوين الثانى (مارس ١١١٨م — اغسطس ١١١٣م) لم تقتصر فقط على الإماراتين الشماليين بل تميز حكمه بأنه امتدت فيه قوة المسيحيين ودعيت : حتى ولو نطلب ذلك الدخول فى معارك مرعبة مع المسلمين المجاورين والتي وقع الملك فى أحدها أسيرا فى أبريل ١١٢٣م .

(Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 802)

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 317. (٢٠٤)

هنا يعلق (هيفل) على حكم فولك وميلزاند بأنه « كان بداية انحلال أعقاب الصليبيين فى الشرق »

Charles-Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 802.

Schlumberger : Op. Cit., p. 4-5 ; Charles-Hefele : Op. Cit., p. 802 (٢٠٥)

William : Op. Cit., V. 2, p. 201. (٢٠٦)

سقوط الرها في يد عماد الدين زنكى ١١٤٤م (٢٠٧) - ٥٥٣٩ هـ .

(١) الظروف المشجعة لزنى على التقدم الى الرها :

كان استيلاء عماد الدين زنكى على الرها أهم خطواته في جهاده الاسلامى ضد الصليبيين والذي استكمله بعده ابنه نور الدين والحقيقة ان الذى شجع زنكى على القيام بذلك العمل الهام عدة حوافز بعضها يتعلق بعلاقات الرها الخارجية وبعضها يخص الرها في الداخل .

فاذا حاولنا التركيز اولا على الحوافز الخارجية ، نجد اننا قد اثربنا اليها اثناء تناولنا للطف الفرنجى البيزنطى وللصراع بين الرها وانطاكية . مغالبية المصادر والمراجع الاجنبية تضع في المقام الاول ، ذلك الصراع الشديد بين اميرى الرها وانطاكية والذي كان قد وصل الى حد الصدام العلنى ، حتى ان كلا منهما كان يفرح لما يصيب الآخر من كوارث ونكبات (٢٠٨) . ويرتبط بهذا ايضا الحافز الثانى وهو انه بوفاة الملك مولاك ، اصبح نفوذ مملكة القدس ضئيلا جدا على اميرى الرها وانطاكية وخاصة عندما آل الحكم الى بلدوين الثالث تحت وصاية ابيه ميلزاند (٢٠٩) . ففى ذلك الدور اضعف وجود الشخصىة الصليبية القوية التى يمكنها جمع شمل الامراء الصليبيين وقت الخطر . فاذا اضيف الى ذلك تصدع الحلف الفرنجى البيزنطى (٢١٠) - كما مر بنا - والذي ازال بذلك عقبة كبيرة من

(٢٠٧) ينفرد ابن العبرى : كمصدر سريانى والدبس ولوسترانج بالقول ان ذلك كان ١١٤٥م .

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Le Strange : Op. Cit.,
p. 104, يوسف الدبس : تاريخ سورية ، ج ٦ ص ٦٦ ،
ولكن جميع المصادر العربية والانجليزية تؤكد - كما سنرى - ان ذلك كان ١١٤٤م وهو الأرجح .

(٢٠٨)

William : Op. Cit., V. 2, p.p. 140 - 141, Prawer : Op. Cit.,
T. 1, p. 337, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, Setton :
Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : Hist. des Crois.,
V. 2, p.p. 174 - 175.

(٢٠٩)

Charles - Hefele : Op. Cit., T.V. Part 1, p. 802, Iorga :
Brève Hist. des Crois., p. 92, Prawer : Op. Cit.
p. 337, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 174-175
182, L'Empire, p. 224.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 175.

(٢١٠)

طريق زنكي - لا يمكننا التعرف على مدى طليانية زنكي من ناحية تلك القوى الخارجية التي لن تتمكن من المسارعة بتقديم المعون الضروري لامارة الرها اذا حاجبها .

اما اذا انتقلنا الى العوازل الداخلية فاننا نجد ان التركيز على شخصية جوسلين الثاني امير الرها اذذاك وتصرفاته تأتي في المكان الاول . ذلك ان جوسلين الثاني ولد من ام ارمينية ، وكان يفضل مجتمع الأرمن والسريان على مجتمع الفرنج (٢١١) . بل يقال انه كان يشعر بالغيرة بين فرسانه الفرنج (٢١٢) . ثم انه لم يشبه والده جوسلين الاول في شجاعته المطلقة وان احتفظ بقدر محدود منها (٢١٣) ، حيث ان بعض المصادر العربية اشارت اليه بأنه « كان صاحب رأي الفرنج والمقدم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة والمكر (٢١٤) » . في حين قال البعض الآخر عنه انه « هو عاتى الفرنج وشبطنهم والمقدم على رجالهم وفرسانهم (٢١٥) » .

يضاف الي هذا كله ان جوسلين الثاني كانت تنغمسه روح التصميم (٢١٦) وكان يميل الى حياة الراحة والهدوء ولذا تجلّى عن الاقلية في مدينة الرها وفضل عليها تل بالشر لكي يكون « بعيدا عن القلق المتسبب من أعدائه (٢١٧) » . وفي مقبره الجديد مارس

(٢١١)

Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢١٢)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176, L'Épopée, p. 162.

Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢١٣)

(٢١٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٤ ص ٥٦ (١) ، ابن واصل : مغرر الكروب ، د ١ ص ٩٢ ، التويرى نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، المعنى : عقد الجبان ، د ١٦ ص ١٤٩ .

(٢١٥) أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٤ ، تاريخ

ابو الهجاء ، مخطوط د ١ حوادث ٥٣٩ هـ .

Zoé : Op. Cit., p. 337.

(٢١٦)

(٢١٧)

William : Op. Cit., V. 2, p. 140.

حياة مليئة باللهو والترف والفراغ (٢١٨) هذا فضلا عن انه اتحم نفسه في (الأمور الدينية وبغضل في ترشيعات رجال الكنيسة اليمتوبية (٢١٩) . بل انه تحت مستلر الحج نهب دير سانت برسموما Mar Bar Çaumā المقدس لدى اليمتوبة (٢٢٠) مما أوجد بينه وبين المعاقبة فجوة كبيرة .

أما عن المسائل المتعلقة بالدفاع عن الإمارة ومن الذي كان يتولاه . فالعروف ان أهلها كانوا يشتغلون بالتجارة ويجهلون استخدام الأسلحة (٢٢١) . ولما كان عدد سكان الرها من الفرنج بالنسبة للسكان الأصليين أصغر (٢٢٢) لذا اعتقدت الإمارة في الدفاع عن كمالها على المرتزقة ، وكان هذا النظام له خطورته ، خصوصا بالنسبة لإمارة الرها بالذات (٢٢٣) .

فإذا أضفنا الى ذلك ان إمارة الرها كانت أكثر تعرضا لهجمات

William : Ibid., V. 2, p. 140, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 290, (٢١٨)

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 446, Grousset : L'Épopée, p. 163, Archer : Op. Cit., p. 202.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 176. (٢١٩)

Grousset : Ibid., p. 176, L'Épopée, p. 300. (٢٢٠)

William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1 (٢٢١) p. 446.

والرأج ان السريان من أهلها هم الذين كانوا زراعا وتجارا مهرة وغير مفرمين يحمل السلاح استنادا الى ما جاء في المصدر اللاتيني

Haytonus Flos : Historiarum Terre Orientis, (Doc. Arm.),

T. 2, p.p. 270-271.)

William : Op. Cit., V.2, p. 141, Prawer : Op. Cit., T. 1, (٢٢٢) p. 337.

(٢٢٣)

William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit., V. 1, p.446

فقد ذكر ولیم الصوری أن هؤلاء المرتزقة كانوا لا يلقون أجورا وفقا لزمان ونوع الخدمة المقدمة لكن غالبا ما ينتظرون سنة أو أكثر قبل أن يستطيعوا جمع ما يستحقوه وكانت طريقة الدفع للقوات تشمل حتى على الفرسان ، ومن الواضح انها كانت باهظة أكثر في الرها عن أى مكان آخر ، لأن النبلاء من السكان الأرمن والمسيحيين الوطنيين الآخرين ، لم يكونوا قد أخرجوا بواسطة النبلاء الغربيين حتى أنه بدون شك اشتملت المرتزقة في بعض الاوقات على المسلمين .

المسلمين بحكم موقعها وأنها تعرضت تحت الحكم الصليبي لها لتدهور الحياة الاقتصادية فيها بسبب التخريب والهجرة التي أصابت جزءها الشرقي (٢٢٤) ، فأننا نخرج من هذا كله بحصوله عن الأوضاع التي شجعت زنكى على توجيه ضربته القاتلة ضدها .

والواقع أن عباد الدين زنكى وجه جهوده ضد إمارة الرها بالذات في ذلك الدور دون غيرها من الإمارات الصليبية ، للأسباب المشجعة السابقة الذكر فضلا عن أنها كانت الإمارة الصليبية الأقرب الى مركز نشاطه وإلى مقر الخلافة في بغداد . ولا يخفى علينا أن ضررها كان كبيرا على المسلمين إذ امتدت غاراتها حتى بلغت آمد ونصيبين ورأس عين والرقعة وكان حكامها يملكون من قرب ماردين الى الفرات ، عدة حصون مثل سروج والبيرة وسن بن عطير وجملين والموزر (٢٢٥) . هذا فضلا عن مدينة الرها ذاتها التي « كانت من الديار الجزرية غينها ومن البلاد الإسلامية حصنها (٢٢٦) » .

كذلك وجد سبيان مباشران دفعا زنكى الى مهاجمة إمارة الرها ، أولهما أنه حدث ٥٣٨هـ / ١١٤٣م أن كان السلطان مسعود قد استعد لمحاربة زنكى لأنه اعتقد أنه هو الذى يحرض أمراء الأطراف عليه وهو اتهام صحيح لأن زنكى أراد عندئذ أن يشغل السلطان وليتمكن هو من فتح البلاد والتكثيف لنفسه (٢٢٧) . لذلك أرسل زنكى يستعطف السلطان ويستميله وترددت الرسائل بينهما حتى استقر الراى على أن يدفع زنكى للسلطان مائة ألف دينار دفع منها زنكى عشرين ألف دينار . ولكن عندما طلب السلطان من زنكى مثوله بين يديه اعتذر باستغاله بمحاربة

Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 337.

(٢٢٤)

(٢٢٥) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٣ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٤ ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٤ ص ٥٦ (١) ، العيني : عقد الجبان ، د ١٦ ص ١٤١ . وسن ابن عطير وتسمى أيضا السن وهى قلعة بالجزيرة قرب سميسط (ياقوت : معجم البلدان ، د ١١ ص ٢٦٩) .

(٢٢٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٧ .

(٢٢٧) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٦٥ ، الكامل د ٩ ص ٦ .

الفرنجة « فعذرهم وشرط عليه فتح الرها » (٢٢٨) .

وثانيهما أن زنكى سمع بقيام تحالف ارتقى رهوى ، أى بين نخر الدين أبو الحارث قرا ارسلان بن داود (٢٢٩) . الارتقى حاكم حصن كيفا وبين جوسلين الثانى : تنازل فيه الأول للثانى عن إحدى قلاعهم بالقرب من كركر ، على أن يساعده الأخير ضد زنكى (٢٣٠) . وقد أرسل جوسلين بالفعل ١١٤٤م نجدة إلى قرا ارسلان (٢٣١) . لذا أراد زنكى أن يضرب ذلك التحالف . ولكنه كان يعلم جيدا أنه لن يستطيع أن ينزل ضربه بالرها مادام جوسلين وأعدائهم موجودين بها (٢٣٢) . وأنه إذا توجه إليها وحاول الاستيلاء عليها « اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها فيتمرد عليه ملكها لها هي عليه من الحصانة (٢٣٣) » . لذا استخدم زنكى الحيلة والخداع وبدأ يومه ويخفى غرضه الحقيقي ، فبدأ بمهاجمة قرا ارسلان الارتقى في خريف ١١٤٤م (٥٣٩هـ) ، كي يوهم فرنج الرها بأنه مشغول عن التفكير في محاربتهم (٢٣٤) . « فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم ويطلبها وسواها

(٢٢٨) ابن الأثير : الباهر ص ٦٥ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٢ ، الطياخ الحلبي : أعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٩٨ .
(٢٢٩) زامبور : معجم الانساب ، د ٢ ص ٢٤٤ . تولى من ٥٣٩هـ ١١٤٤م .
(٢٣٠)

Michel : Op. Cit., p. 260, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 178 - 179, Cahen : Op. Cit., p. 368, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461.

Michel : Op. Cit., p. 260. (٢٣١)

(٢٣٢) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٧ : أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٤ ، أبو الهجاء : مخطوط د ١ حوادث ٥٣٩هـ ، ابن أبيك : كنز الدرر د ٦ ص ٥٣٩ .

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٤ ص ٥٦ (١) ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ .

(٢٣٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٣ ، ابن الفرات : مخطوط ، د ٤ ص ٥٦ (١) ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ،

Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 368, Grousset .

Hist. des Crois., V. 2, p. 879, Runciman : Op. Cit.,

V. 2, p. 235.

بروم (٢٣٥) « . عتقذ اطمأن جوسلين الثانى من ناحية زنكى وغادر الرها الى بلاده الشامية او الغربية (٢٣٦) اى الى تل باشر غربى الفرات . وفى الحال بلغت زنكى عن طريق اهل حران تحركات امير الرها (٢٣٧) . وانه كان محصورا بمعظم رجاله والبارزين فى حاميته واكثر محاربيه شجاعة (٢٣٨) . فى حين ترك مدينة الرها بدون حامية ومؤن كافية (٢٣٩) . على عكس ما كان يفعل امراء الرها السابقين (٢٤٠) . وعهد جوسلين بالدفاع عن الرها الى المسيحيين الوطنيين تحت توجيه اساقفتهم (٢٤١) ، والى بعض المرتزقة الذين لم يكونوا يتقاضون مرتباتهم الا بصعوبة (٢٤٢) .

(٢٣٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٧ . أبو ثامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٤ .
(٢٣٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٣ . أبو ثامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٥ ، ابن الفرات ، مخطوط د ٤ ص ٥٦ (١) ، تاريخ أبو الهجاء ، د ١ مخطوط حوادث ، ٥٣٩ هـ ،

Grousset : L'Empire, p. 300

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268, Michel : Op. Cit., (٢٣٧) p. 260,

Cahen : Op. Cit., p. 369, Seton : Op. Cit., V. 1, p. 446,

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 179, 879.

وقد اخطأ ميخائيل السرياني هنا فى قوله (ان امير الرها كان قد توجه الى انطاكية آنذاك) أما ابن العميد : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٢٧٩ ، فيذكر ان الذى اخبر زنكى بتحرك جوسلين الثانى كان (جمال الدين أبو المعالى فضل الله بن ماهان رئيس حران) .
(٢٣٨) ابن القلانسي : النيل ، ص ٢٧٩ ،

(البيت ٦٢٨) Nersès : Op. Cit., p. 246, Gibb : Op. Cit., p. 266..

William : Op. Cit., V. 2, p. 141, Zoé : Op. Cit., p. 336, (٢٣٩)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 180, 879, L'Empire p. 300.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177. (٢٤٠.)

Nersès : Op. Cit., p. 259, Cahen : Op. Cit., p. 369, (٢٤١)

Grousset : L'Empire, p. 300, Zoé : Op. Cit., p. 336,

-Archer : Op. Cit., p. 202, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235

(٢٤٢)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 177, Archer : Op. Cit., p. 202.

ب - حصار زنكي للرها واستيلائه عليها :

كتاب زنكي طوائف التركمان ليساعدوه ويؤدوا معه فريضة الجهاد واخبرهم انه لن يقبل أي عذر ، فوصل اليه عدد كبير منهم (٢٤٣) . ثم ارسل زنكي بعض قواته بسرعه الى الرها بقيادة الأمير صلاح الدين الياغيساني كي يباغتوا المدينة حتى يلحق بهم بقواته ، لكن الياغيساني ضل الطريق فوصل متأخرا (٢٤٤) . في الوقت الذي كان عماد الدين زنكي قد وصل الى الرها فعلا وبدا حصاره لها في ٢٨ نوفمبر ١١٤٤م (٢٤٥) .

وكان زنكي اول من حمل على الفرنج (٢٤٦) ، فالتجأ هؤلاء الى داخل المدينة واحتوا بأسوارها الحصينة ، وعندئذ شدد زنكي الحصار عليهم ، وسد في وجه الحاصرين كل سبيل للخروج او الدخول للمدينة للحصول على أي مؤن (٢٤٧) . ووصلت قسوة تشديد الحصار الى درجة « ان الطائر لا يكاد يقرب منها - من الرها - خوفا على نفسه من صوائب سهام منازليها ويقتله المضيقين عليها (٢٤٨) » . وعندما طلب زنكي من أهالي الرها التسليم كي

(٢٤٣) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٧٩

Nersès : Op. Cit., p. 246. (الأبيات ٦٣٠ : ٦٣٤)

ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٧٩
Gibb : Op. Cit., p. 266

هنا يضيف (ميشو) بنظره الواضح في كتابته أن تلك الأعداد الكبيرة سارعت للانضمام الى زنكي طمعا في غنية ثرية
(Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 102)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 879. (٢٤٤)

(٢٤٥)

Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268

Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 2, p. 879.

Bréhier : L'Eglise, p. 103.

(٢٤٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، المعينى : عقد الجمان ، د ١٦ ص ١٤٢ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 141, (٢٤٧)

Nersès : Op. Cit., p. 246 (البيت ٦٣٦)

ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٧٩

(٢٤٨) ابن القلانسي : المصدر السابق والصفحة

Gibb : Op. Cit., p.p. 266 - 267,

لا يهلكوا لأنه لا يوجد لهم أي منفذ للنجاة - رغبوا (٢٤٩) ، لأنهم كانوا يأملون في وصول نجدة اليهم من انطاكية وبيت المقدس (٢٥٠) .

ولكن ماذا كان موقف جوسلين نفسه ؟ الواقع ان كل ما فعله جوسلين في ذلك الوقت كان محاولة جمع قواته بسرعة الى جانب استنجاهه بانطاكية والقدس (٢٥١) . وهنا يعقب وليم الصوري على موقف جوسلين بأنه تحرك بعد فوات الأوان ٩ فبدأ كانه يمد الطقوس الجنائزية للموتى ، لهؤلاء الذين اهل مساعدتهم أثناء المرض والتوصل (٢٥٢) . ومعنى ذلك ان جوسلين لم يتنبه للخطر الذي حدد امارته الا متأخرا ، بعد ان ترك الجزء الشرقي للامارة ونعم بالراحة في جزئها الغربي . والواقع ان جوسلين لم يخف الى الرها بسرعة عندما علم بالهجوم عليها ، وانما اكتفى بالبقاء في تل باشر كي يستطيع منها ان يقطع أي تعزيزات تصل الى زنكي من حلب . ويبدو ان ثقته في تحصينات الرها كانت كبيرة (٢٥٣) . ولكن الاسوار والأبراج لم تقدر الا قليلا لعدم وجود من يدافع عنها (٢٥٤) . حقيقة ان أهالي الرها ورجال الدين فيها هم الذين تولوا الدفاع عنها في تلك الأزمات ، وذلك بقدر ما أسعفتهم طاقاتهم ، فاستبسلوا رجالا ونساء « سواء الأعيان المحترمون او السوقة الذليلون (٢٥٥) » . هذا الى جانب الدور الكبير الذي قام به رجال الدين عندئذ والذي سنتناوله بالتفصيل عند الكلام عن الكنيسة ورجال الدين في الفصل الأخير .

Michel : Op. Cit., p. 260.

(٢٤٩)

(٢٥٠)

Nersès : Op. Cit., p. 252, Michel : Op. Cit., p. 260, Cahen :
p. 370.

(٢٥١)

William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Zoé . Op. Cit., p. 336.

William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٢٥٢)

Runciman : Op. Cit., V. 2, p.p. 235 - 236.

(٢٥٣)

William : Op. Cit., V. 2, p. 142.

(٢٥٤)

Nersès : Op. Cit., p. 251, Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, (٢٥٥)
p. 268,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880, Zoé: Op. Cit.,
p. 336.

لما عن موقف زنكى عندما رأى صمود أهل الرها ودفاعهم المستميت عن مدينتهم (٢٥٦) . فانه امر بتشديد الحصار بدرجة اكبر على المدينة . وعندئذ ظهرت براعة رجاله الخراسانيين والحببيين فبذلوا جهدا كبيرا في حفر الخنادق تحت سور المدينة ووضعوا فيها الموارض الخشبية كى يشعلوا فيها الثيران فيسهل انهيار السور (٢٥٧) . و مرة اخرى طلب زنكى من الحاصرين أن يستسلموا بعد ان غدت المدينة على وشك السقوط ولكنهم اصروا على الرفض ، مؤملين وصول النجدة اليهم ، بل انهم استهزأوا به وتحذوه (٢٥٨) . لذا امر زنكى باشعال النار في الخشب الموجود في الانفاق تحت السور مما ادى الى انهيار جزء منه سمح للمسلمين بالتسلل الى داخل المدينة (٢٥٩) .

(٢٥٦)

Michel : Op. Cit., p. 261, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 181.

(٢٥٧) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٧٩ ،

Michel : Op. Cit., p. 261, William : Op. Cit., V. 2, p. 142. Gibb : Op. Cit., p. 227.

(٢٥٨)

Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 268,

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 184

ابن الاثير : الباهر ، ص ٦٨ - ٦٩

(٢٥٩) ابن القلانسي : الذيل ص ٢٧٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٩٤

Michel : Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., p.p. 142 - 143,

Nersès : Op. Cit., p. 253.

حيث يقول
حين اتبعثت نيران ملبوم
من أعماق الأرض
ولم تبطر من السماء
بل من أجواف الخنادق
واذا بالسور المحصن
ينهار ويتداعى
ويندك من أسسه
لقد فتح الأعداء فيه ثغرة

وقد سارع أهالي الرها الى ذلك الصعد الذي فتح في السور ليحولوا دون دخول المسلمين منه فما كان من بقية الجيش الاسلامي الا ان اعلى الاسوار التي خلت من المدافعين عنها . وهكذا امتلك زنكى البلد عنوة بالسيف (٢٦٠) . ولم يستطع الاهالي حماية انفسهم من سيوف المسلمين ، حتى عندما لجأوا الى قلعة المدينة وجدوا ابوابها مغلقة فمات الكثيرون مخنوقين من شدة الزحام وكان من بينهم الاسقف اللاتيني نفسه (٢٦١) . وسفرجىء الكلام عما أصاب أهالي الرها عندئذ الى حين نعالج طبقات المجتمع في الباب الاخير .

واخيرا سقطت الرها في يد زنكى وقواته في يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م (٢٦٢) . السادس والعشرين من جمادى الآخرة ٥٣٩هـ (٢٦٣) بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوما (٢٦٤) . اما القلعة فقد

(٢٦٠) ابن الاثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، الباهر ص ٦٩ ، ابن القلانسي : النيل ، ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ ، النويري : نهاية الارب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ص ١٩٥ ، روض المناظر : مخطوط ، حواشي ٥٣٩هـ ، أبو الهيجاء ، مخطوط ، د ١ حواشي ٥٣٩هـ .

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., (٢٦١)

p.p. 261 - 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269.

William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Cahen : Op. Cit., p. 370.

١

(٢٦٢)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 157, William : Op. Cit.,

V. 2, p. 144, Tournèze : Op. Cit., p. 163, Gibb. Op.

Cit., p. 267, Zoé : Op. Cit., p. 336.

(٢٦٣) ابن القلانسي : النيل ، ص ٢٧٩ ، الاصفهاني : تاريخ دولة

آل سلجوق ، ص ١٨٦ . اما كل من ابن الجوزي : المنتظم ، د ١٠ ص ١١٢ - الفارقي : ملخص تاريخ ميافارقين ، مخطوط ص ١٧٩ (١) ، أبو الفضائل الحموي : التاريخ المنصوري ص ١٦٩ فيذكروا ان ذلك كان في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة . واما ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٧٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ فيذكران ان ذلك كان في ١٦ جمادى الآخرة . والراح ان ذلك كان في ٢٦ جمادى الآخرة .

(٢٦٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ ، النويري :

نهاية الارب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٧٠ ، الدبس : تاريخ سورية ، د ٦ ص ٦٧ .

سقطت بعد ذلك بيومين (٢٦٥) . حدث كل هذا دون أن يتقدم جيوش صليبي واحد لنجدة الرها . فانطلقت كما بينا من قبل لم تقدم أية معونة ولم يرسل أميرها أية نجدة بل أنه سر لما أصاب الرها (٢٦٦) أما بيت المقدس فرغم إرسال الملكة ميلزاند بعض القوات لنجدة الرها إلا أنها وصلت متأخرة جدا (٢٦٧) .

وهنا يؤكد كل من نيرسيس وابن العبري أن سقوط الرها كان مرجعه الأثم التي ارتكبها أهالي الرها (٢٦٨) . والتي يرجعها نيرسيس إلى اختلاطهم بالفرننج (٢٦٩) . أي بالمسيحيين الغربيين . ولما البعض الآخر فيذكر أن السر في سقوط الرها يرجع إلى تغيب

William : Op. Cit., V. 2, p. 144, Bréhier : L'Eglise, p. 104 (٢٦٥)
Cahen : Op. Cit., p. 370, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 401,
Lammens : La Syrie, V. 1, p. 222.

هنا يذكر الكاهن جريجوار القلعة (بقلمة مانيلاكس (Maniacès) وان الذي ساعد على سقوطها هو نقص الماء بداخلها . .
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158 - 159.

William : Op. Cit., V. 2, p. 142 - 143, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 182, Zoé : Op. Cit., p. 336, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud : Op. Cit. V. 2, p. 104.

William : Op. Cit., V. 2, p. 142, Grousset : Hist. des Crois., (٢٦٧)
V. 2, p. 182, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 236, Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

ويشير نيرسيس إلى ذلك بقوله :

لكن لم يصل أحد
من كانوا ينتظرون
بل أن عباد الصليب
في البلاد كلها
تخالطوا وتخاصموا .
عن مديد المعونة inşa

Nersès : Op. Cit., p. 252. (الأبيات من ٨٠٧ إلى ٨١٢)
Nersès : Ibid. p. 252, 268, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (٢٦٨)
p. 269.

Nersès : Op. Cit., p. 245 (البيتان ٥٩١ — ٥٩٢)

منذ تلك الساعة التي بدأت فيها
لصاهر أهل روما واتقرب البوم

حمايتها عنها (٢٧٠) . والحقيقة أن المجهودات الكبيرة من جانب زنكى وقواته الى جانب ظروف الإمارة الداخلية والخارجية آنذاك تضاعفت لتمكين الجيوش الإسلامية من النصر .

كانت المدينة قد تعرضت للسلب والنهب من جانب قوات زنكى فلما دخلها أعجبه ورأى أن تخريب مثلها لا يجوز « فنودى في المساكين برد ما أخذوه من الرجال والنساء والأطفال الى بيوتهم واعادة ما غنموه من اثاثهم وأمتعتهم فردوا الجميع عن آخره لم يبق منه شيء الا الثاخذ النادر الذى أخذ وفارق من أخذ المعسكر (٢٧١) » . عندئذ عادت الأحوال الى هذونها مرة أخرى ، فترك زنكى بها بعض قواته بقيادة زين الدين على كوجك (٢٧٢) .

ثم كان أن توجه زنكى بعد ذلك الى سروج فاستولى عليها في يناير ١١٤٥م بعد أن هرب من بها من الفرنج (٢٧٣) . وبذلك لم يبق لجوسلين شرقى الفرات سوى البيرة التى توجه اليها زنكى وحاصرها (٢٧٤) . ليستكمل فتح الجزء الشرقى من إمارة الرها .

Michel : Op. Cit., p. 266.

(٢٧٠)

(Mar Jean : فكر ذلك أحد رجال الدين بالرها وهو

Grousset : L'Empire, p. 300.

(٢٧١) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٨ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ ، ابن قاضي شعبة : الدر الثمين ، ميكرو فيلم ، الباب السابع ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، العيني : عقد الجمان ، د ١٦ ص ١٤٢ .

(٢٧٢) ابن الأثير : الكامل : د ٩ ص ٩ ، الباهر ص ٦٩ ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ ، العيني : عقد الجمان ، د ١٦ ص ١٤٢ .
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882.

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 461, Archer : Op. Cit., p. 202.

(٢٧٣) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٨٠ ، Michel : Op. Cit., p. 268, Gibb : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٩ ، الباهر ص ٧٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ ، روض المناظر ، مخطوط أحداث ٥٣٩هـ . Michel : Op. Cit., p. 265, Cahen : Op. Cit., p. 370.

لكن البيرة كانت شديدة التحصين (٢٧٥) . وكان الفرنج الموجودون بداخلها قد زودوها بكميات كبيرة من المؤن الى جانب وضع حاميات هائلة بداخلها (٢٧٦) . ولذا استطاعت قوات البيرة الفرنجية أن تقاوم زنكى وتصد له مدة طويلة (٢٧٧) . ولكن عندما نفذت المؤن والذخائر وكانت المدينة تسقط في يد زنكى وقواته جاءته الأخبار من الموصل بمقتل نالبيه نصير الدين جقر فيها (٢٧٨) . مما اضطره الى الرجوع بسرعة الى الموصل « خوفا من أن يحدث بعده في البلاد فتق يحتاج الى السير اليها » (٢٧٩) . ولما غادر عماد الدين زنكى البيرة خاف الفرنج الموجودون بها من موته اليوم فراسلوا حسام الدين نمرتاش بن ايلغازى صاحب ماردين وسلموها اليه (٢٨٠) .

(٢٧٥) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٠ ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٩٠ ، الباهر ص ٧٠ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٠٣ ، تاريخ أبو الهجاء ، مخطوط د ١ حوادث ٥٣٩ هـ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٦ .

(٢٧٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٩٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٤ ، العيني : عقد الجبان ، د ١٦ م ١ ص ١٤٢ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 191.

عن (Rey : Colonies franques).

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 882, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237.

(٢٧٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ٧٠ ، ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٠ ، ابن العمديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٨٠ — ٢٨١ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، العيني : عقد الجبان ، د ١٦ م ١ ص ١٤٢ (ويذكر الأخير أن جقر قتل في ٨ ذي القعدة ٥٣٩ هـ / مايو ١١٤٥ م) Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : Op. Cit., p. 268,

وهنا يذكر ميخائيل أن زنكى اصطلع مع الفرنج قبل رحيله ولكن الراجح أن ذلك غير صحيح .

(٢٧٩) ابن الأثير : الباهر ص ٧٠ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٠٣ .

(٢٨٠) ابن الأثير : الباهر ص ٧١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٦ ، أبو الفدا : المختصر : د ٣ ص ١٧ . بن الوردي : تمة المختصر ، د ٢ ص ٤٥ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٦ ، روض . طر : مخطوط حوادث ٥٣٩ هـ ، العيني : عقد الجبان : د ١٦ م ١ ص ١٤٢ .

وهكذا دعمت تلك الخطوة التحالف بين مرنج الرها وأرتنة ماردين ،
لتتلبه مصالح الطرفين في مواجهة أهداف زنكى التوسعية (٢٨١) .

وهكذا لم يبق بيد جوسلين الثاني من بقايا امارته سوى تل باشر
وسميساط ومرعش وطلوك وعينتاب وقورس وعزاز والراوندان (٢٨٢) .
ومن الواضح أنه بسقوط الرها سقطت أول لبنة في البناء الصليبي
بالشرق وإذا كانت امارة الرها أول امارة أسسها الصليبيون في الشرق ،
فإن الظروف شاعت أن تكون أول اماره صليبية نهضت أمام ضربات
المسلمين (٢٨٣) .

ردود الفعل المختلفة لاستيلاء زنكى على الرها ١١٤٤م :

١ - رد الفعل من جانب المسلمين :

كان فتح الرها من أهم الأعمال التي جلبت السرور الى نفوس
المسلمين . فقد حمل اليهم أملا جديدا (٢٨٤) . في استقاط
نقبة الصرح الصليبي في الشرق . وإزال عنهم كريبا شديدا (٢٨٥) .
وعبر عنه المؤرخون المسلمون المعاصرون بأنه « طار في الاتفاق ذكره
وطاب بها نشره » (٢٨٦) . كذلك عبر الشاعر الأرمني
(نيرسيس شنور هالي) (٢٨٧) . في قصيدته عن رثاء الرها عن

(٢٨١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ٢ ص ٦٠٩ ، حسن
حيثي : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٨ . ويضيف الأخير أنه مما قتل من
أهمية تلك المخالفات أيها كنت شخصية فردية .

(٢٨٢) سعيد عاشور : الحركة ، د ٢ ص ٦٠٨ .
Grousset Hist. des Crois., V. 2, p. 192.

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p.p. 208 - 209. (٢٨٣)

Runciman Op. Cit., V. 2, p. 238. (٢٨٤)

(٢٨٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ٢١٩ .

(٢٨٦) ابن الأثير : الباهر ص ٦٩ ، أبو قسامة : الروهبتين : د ١
ق ١ ص ٦٩ ، ابن قاضي شهبة : الدر الثمين : ميكروفيلم ، الباب السابع
٥٣٩ هـ .

Nersès : Op. Cit., p. 264. (٢٨٧)

فقد ذكر أن الأئمة المسلمين صعدوا الى المآذن هاتفين :
« يا رسول الله محمد
لقد استرددنا ما كنا قد فقدناه :

ديارك ودارك

فرحة المسلمين بذلك الفتح رغم تحامله عليهم في اجزاء كثيرة من تلك القميدة .

ومن ناحية اخرى فقد رفع ذلك الفتح من مكانه زكى لدى المسلمين ، فمجده الشعراء وطلع عليه الخليفة العباس المقتدى لامر الله العباس ، وزاد في القالبه ، زين الاسلام الملك المنصور ، نصير امير المؤمنين (٢٨٨) .

اناح سقوط اماره الرها الصليبية تاهين طريق المواصلات الاسلاميه بين الموصل وحلب ورفع الحاجز الصليبي الذي كان قائما بين اترك ايران واتراك الاناضول (٢٨٩) .

٢ - رد الفعل من جانب بقية الامارات الصليبية في الشرق :

حمل استيلاء المسلمين على الرها الحزن الشديد والكآبة بين

== من تلك الامة الضاللة .

العابدة لحجارة صماء .

لقد روينا الارض من دماهم

وفقا لتعليقات قرآنك

اليك نزل البشرى

يابكة العظيمة ، موطن محمد

ياقبلة الامانى بكمبتها السوداء .

والقدم الرسومة على صفتها

اننا سنرد اليوم اليك

جميع اولئك المشاركة

عباد الصليب الضالين

وخدام يسوع المسيح » .

هذا الى جانب خطاب زكى نفسه الذى حمل البشرى بالنصر الى الخليفة فى بغداد والذى سيأتى فى الملاحق . (Nersàs : Ibid., p. 267)

(٢٨٨) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك - د ٦ ص ٦٠ (ب) ،

Cahen · Op Gil., p. 371

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 237, Michaud · Op. Cit., V 2,

p.p. 110 - 113 - 114.

Cahen Op Cit., p. 371, Runciman : Op. Cit., V.2, p. 238. (٢٨٩)

الصليبيين جميعا في الشرق (٢٩٠) : اذ دق ناقوس الخطر لبقية الامارات الصليبية ، التي لم تستطع ان تقدم اية مساعدة ايجابية للرعا وقت محتتها (٢٩١) . حتى جيش القدس الذي كان قد ارسل نجدة للرعا ، والذي انضم اليه بعض الفرنج من بقية الامارات ، لم يستطع الوصول الى الرعا . ففي رمضان ٥٣٩هـ مارس ١١٤٥م علم زنكي باجتماع هذا الجيش في تل عدى Tell'Ada شمال انطاكية - فارسل اليهم جيشا كبيرا من التركمان اعلم فيهم الامر والقتل وشتت مجموعهم فرجعوا خاسرين (٢٩٢) .

وعندما لم تجد تلك الوسيلة لانقاذ امارة الرعا بدأت انظار صليبي الشرق تتجه الى الغرب المسيحي من جديد لطلب النجدة (٢٩٣) .

٣ - رد الفعل من جانب المسيحيين الشرقيين :

ولم يقتصر الحزن لفقد الرعا على بقية الامارات الصليبية في الشرق بل تعداه الى جميع الطوائف المسيحية الشرقية خاصة الارمن الذين اعتبروا الاستيلاء على الرعا ضياعا لجزء هام من كياناتهم ، بحكم تبعيتها لهم قبل قدوم الصليبيين ، فضلا عن انها كانت مقرا لجوسلين الثاني وهو صديق حقيقي لهم (٢٩٤) .

وقد ظهر ذلك الحزن في عدة مظاهر . منها تلك البعثة الأرمينية

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 114, Runciman : Op. Cit., (٢٩٠)
V. 2, p. 238.

Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69. (٢٩١)

Michel : Op. Cit., p. 265, Gibb : p. 269, (٢٩٢)

ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٠ حسن حبشي : نور الدين والصليبيين ، ص ٣٩ (عن الذهبي : تاريخ الاسلام) وهنا يشير ميخائيل السرياني ان سبب تفرق الجيوش الصليبية هو خوفهم من المجاعة بعد قطع المسلمين الامدادات عنهم . اما كاهين فيذكر ان الانطاكيين هم الذين اشتبكوا مع قوات زنكي التركمانية ، وربما دفعه الى ذلك الخطأ ان مكان التجمع كان في منطقة قرب انطاكية (Caheñ : Op. Cit., p.p. 370 — 371).

Charles - Hefele : Op Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier: (٢٩٣)
l'Eglise, p. 104.

Iorga : L'Arménie, p. 96. (٢٩٤)

التي توجهت الى روما في نوفمبر ١١٤٥م لطلب النجدة من البابا ايوجين الثالث وعقدت في نفس الوقت صلحا مع الكنيسة الرومانية (٢٩٥) .
كان يصاحب تلك البعثة (هيو) اسقف جبلة ، احد اساقفة امارة انطاكية البارزين ، والذي توجه الى الغرب واثار فكرة حرب صليبية جديدة (٢٩٦) . ومن هذا يبدو انه اذا كان امير انطاكية لم يسرع لنجدة الرها ، فان هذا لم يمنع رجال الدين في امارته من القيام بدور ايجابي تجاه الرها .

ومن بين تلك المظاهر ايضا المرائي الشعرية والنثرية التي كتبها بعض رجال الدين من المسيحيين الشرقيين المعاصرين لسقوط الرها والتي من اهمها قصيدة الرثاء التي كتبها نيرسيس شنوراهالي (٢٩٧) . هذا الى جانب المقالتين التي رثى بهما الرها (ديونيسيوس) - الذي كان لايزال شماسا في ملطية آنذاك . كذلك المقالات الرثائية الثلاث التي كتبها باسيليوس Basilius مطران الرها اليعقوبي (٢٩٨) .
وقد يتضح موقف الأرمن أكثر تجاه تلك الحركة التي قام بها زنكي اذا عرفنا ان بعض المصادر المعاصرة ذكرت أن جماعة من الأرمن بالرها

Bréhier : L'Eglise, p. 104.

(٢٩٥)

Charles-Hefele : Op. Cit., T.V., Part 1, p. 803, Bréhier : (٢٩٦)
L'Eglise, p. 104, روما : « ان اسقف جبلة وصل الى روما وعيناه قد اغرورقت بالدموع يحذر سامعيه من الخطر الحديق بالكنيسة فيما وراء البحار نتيجة لسقوط الرها ، ومبديا رغبتة في عبور جبال الالب ليستمطف ملكي الألمان والفرنسيين لاستنقاذها » .

Nersès : Op. Cit., p.p. 242 - 243.

(٢٩٧)

ففي الأبيات ٤٨٥ — ٤٨٨ ، ٥٣٣ — ٥٣٥ يقول
كنت متربعة على عرش فخم
كملك اعتلى مركبته
او ملكة رائعة الجبال
ولكن جاءت ساعة المحنة
وكل ماأسبغ على من نعمة
زال واندثر

Michel : Op. Cit., p. 267, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. . (٢٩٨)
p. 270

انتهزوا فرصة قلة الحامية الزنكية بالمدينة وارادوا الايقاع بها .
لكن نائب زنكى بها اعلمه بذلك فانى مسرعا وعاقب هؤلاء بالقتل والصلب
والطرد (٢٩٩) .

٤ - رد الفعل من جانب البابوية والغرب المسيحي :

انار استنجاد ممبى الشرق بالبابوية ١١٤٥م فكرة الشروع في
اعداد حملة صليبية ثانية تتوجه لانقاذ الاراضى المقدسة في
الشرق (٣٠٠) . وقد حث على تنفيذ تلك الفكرة ملك فرنسا لويس
السادس ، الذى أعلن في يوم عيد الميلاد ١١٤٥م عن رغبته في انقاذ
الامارات المسيحية في الشرق وبعد ان أصبحت في حال يرثى له بعد
مقوط الرها (٣٠١) . وارسل الملك بالفعل بعثة الى البابا ليوجين
الثالث تحمل ذلك المعنى ، فلاقى الفكرة قبولا كبيرا لديه ، وعاد السفراء
الى فرنسا ومعهم خطاب من البابا يحث فيه الملك الفرنسى وشعبه على
تنفيذ ذلك ، واعدوا اياهم بالعديد من الخدمات الكنسية وفي نفس الوقت
عين البابا مندوبيا عنه في تلك الحملة هو القديس برنارد Saint Bernard
(٣٠٢) .

مقتل عماد الدين زنكى :

على أن الاجل لم يهل زنكى حتى يستكمل فتح بقية امارة الرها ،

(٢٩٩) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ،
ج ٢ ص ٢٨١ : ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ١ مخطوط ص ٦٠
(ب) ، Cahen : Op. Cit., p. 371 ويضيف المصدر والمراجع
الاخيرين اتصال جوسلين بهؤلاء الأرمن .

(٣٠٠) Charles-Hefele : Op. Cit., T. V, Part 1, p. 803, Edward
Maslin : The Middle Ages, p. 485, George Burton
Adames. Medieval and Modern Hist., p. 114,
Pasdermadjian : Op. Cit., p. 207, Archer : Op. Cit.,
p. 204, Encyclopaedia of Islam, V. 3, Part 2, p. 997.

(٣٠١) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 803 - 804.
Augustin Fliche : Hist. du Moyen Age, T. II, p. 542.

هنا يذكر (هيفل) أن رغبة ملك فرنسا هذه نبعت من رغبته في
اصلاح العلاقات بينه وبين البابوية والتي كانت قد ساءت منذ ١١٤٠م .

(٣٠٢) Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p. 804.
من (Labbe : Concilia)

فلم يمر سوى سنة وتسعة اشهر تقريبا على سقوط الرها حتى قتل في اوائل ربيع الآخر ٥٤١هـ ، منتصف سبتمبر ١١٤٦م (٣٠٣) . وذلك اثناء حصاره لقلعه جعبر التي كانت بيد مالك بن سالم بن مائك بن بدر العقيلي (٣٠٤) . وكان زمكى قد أرسل في ذلك الوقت ايضا جيشا للاستيلاء على قلعة فنك من صاحبها الامير حسام الدين الكردي النيسوى (٣٠٥) . ويبدو ان زمكى كان لا يود ترك اية قلعة وسط بلاده في يد قوة لا يطمئن اليها ، مبالغة منه في الحزم والاحتياط (٣٠٦) . لكن بعض مماليكه اغتالوه وهو نائم لأسباب اختلف فيها (٣٠٧) . وبذلك

Michel : Op. Cit., p. 268, Jean Richard : Op. Cit., p. 46. (٣٠٣)

يذكر ان ذلك كان في ١٥ سبتمبر ١١٤٦م . اما جروسية ورنسيان فيذكران ان ذلك كان في ١٤ سبتمبر .

Grousset : L'Empire, p. 224, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.

اما المصادر العربية فبعضها يذكر انه توفي في الخامس من ربيع الآخر ٥٤١هـ واهمها ابن الاثير : الكامل ، د ٩ ص ١٣ ، ابو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٨ والبعض الآخر يذكر ان ذلك كان في السادس ربيع الآخر واهمها ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٨١ . في حين انفرد سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، د ١ ق ١ ص ١٩٠ . بالقول ان ذلك كان في يوم الثلاثاء سابع عشر ربيع الآخر . والراجع ان هذا الراى الأخير غير صحيح .

(٣٠٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٨ ، ابو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٨ ، زامبور : معجم الانساب ، د ٢ ص ٢٠٦ .

(٣٠٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٨ ، ابو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ١٨ . وقلعة فنك حصن مجاور لجزيرة ابن ممر وهو للكراد البشنوية وكان له معهم حوالى ثلثمائة سنة (ابن الاثير : الباهر ص ٧٣) .

(٣٠٦) ابن الاثير : الباهر ، ص ٧٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٨ ، ابو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٠٧ .

(٣٠٧) ابن الاثير : الباهر ، ص ٧٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٨٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ٩٩ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، د ١ ق ١ ص ١٩٠ ، ابو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٠٨ . وقد ذكر ابن العديم ان سبط قتله انه هدد احد خفيه المسمى (يرنقش) في النهار فلما كان الليل قتله . وفكر ايضا ان زمكى بعد ان نام نومه فرأى يرنقش يشرب هو وجهاة من غلمانته فضل شرابه فتوعدهم فاجمعوا على قتله . اما ابو شامة وسبط بن الجوزى فيذكران ان سبط ذلك أنه كان اذا نغم من كبير ارداه واقصاه واستبقى ولده وخصاه . ولذا فيبعد ان خصى جماعة من الغلمان ببحوه وهو نائم .

خسر الاسلام بمقتله شخصيه من أهم الشخصيات الى تزعمت حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في الشرق في النصف الاول من القرن الثاسي عشر للميلاد ، حتى قيل ان المسلمين قتلوا جميعا بقتله (٣٠٨) . وبهذا احدثت وفاته فرحة كبيرة بين الفرنج (٣٠٩) .

وبعد وفاة زنكى انقسمت مملكاته الى قسمين . الشرقى ومقره الموصل تولى الحكم فيه ابنه الأكبر سيف الدين غازى بمساعدة جبال الدين محمد الأصفهاني ، والقسم الغربى ومقره حلب وفد آل الى نور الدين محمود بمساعدة صلاح الدين الأيوبياني (٣١٠) . وتمكن أبناء زنكى من المحافظة على ارث والدهم . ولم يلبث نور الدين ان حمل راية الجهاد ضد الفرنج بعد ابيه ، بل صار أكثر منه شدة في التصدي لهم ، مما جعل فرحة الفرنج بوفاة زنكى لاتدوم طويلا .

ضياع الرها واستعادة نور الدين محمود لها ١١٤٦م — ٥٤١هـ :

لم تكذ اخبار وفاة زنكى تصل الى الفرنج حتى تجدد لديهم الأمل في استعادة الرها من المسلمين . كان جوسلين الثاني لايزال مقيما في تل باشر عندما علم بذلك الخبر فجمع حوله الفرنج وتقدم الى الرها ليسترجعها بعد أن تأكد من معاضدة مسيحي الرها — خاصة الأرمن — له في تلك الخطوة . واذا كانت غالبية المصادر العربية قد اكدت أن جوسلين هو الذى راسل أهل الرها واخذ موافقتهم

(٣٠٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٨٢ .

(٣٠٩) Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 110.

(٣١٠) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ١٣ — ١٤ ، الباهر ص ٨٤ —

٨٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب د ٢ ص ٢٨٥ ، أبو شامة : الروضتين ،

د ١ ق ١ ص ١٠٨ — ١٠٩ . Michel : Op. Cit. p. 268. ويضيف

أبو شامة أن زنكى لم يترك هذين الولدين فقط بل كان له أيضا ولدين وبنتان والوالدين هما قطب الدين مودود وهو أبو الملوك بالموصل ونصرة الدين أمير أميران .

(٣١١) ابن القلائسي : السذيل ، ص ٢٨٨ . ابن الأثير : الكامل ،

د ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ ، ابن واصل : مرجع الكروب ، د ١

ص ١١٠ : سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ١٩١ ، ابن

العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٩٠ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥

ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : المعبر ، د ٥ ص ٢٣٨ .

على مساعدته في القيام بتلك الحركة (٣١١) . فان وليم الصوري ذكر ان اهالي الرها كان لهم التأثير الكبير في دفعه الى ذلك . ذلك انه اوضح ان زنكي كان قد ترك بالرها حامية قليلة العدد ، وكان السكان الموجودون بالدينة آنذاك شديدي الاخلاص للمسيحية . لذا ارسلوا سرا الى جوسلين الثلقى واخبروه انه باستثناء الاتراك القليلين الذين كانوا يحرسون القلعة ، فان مدينتهم بيد الاهالي ، والحواء عليه بشدة ان يجمع القوات ويسرع الى المدينة فيسلمها اليه الاهالي في الحال (٣١٢) .

والراجح ان رغبة جوسلين الثاني الجاحقة في استعادة امارته تضافرت مع التقرير المشجع الذي وصله عن الرها وطبيعة الدفاع منها في ذلك الوقت .

وكان ان تقدم جوسلين الى الرها مصحوبا بما تبقى له من فرسان فضلا عن بعض المشاة ، كما رآقعه بلطون امير كيسوم ومرعش (٣١٣) . وبمجرد وصولهم الى الرها في ٢٧ اكتوبر ١١٤٦م - جمادى الآخرة ٥٤١هـ (٣١٤) . دخلوها فجأة أثناء الليل (٣١٥) . عن طريق تسلق المشاة لأسوارها بمساعدة سكانها الأرمن وبذلك تمكنوا من الاستيلاء على برجين من أبراج المدينة ، ولم يلبث ان فتح هؤلاء المتسللون الابواب لبقية رفاقهم بما فيهم جوسلين وبلطون (٣١٦)

William : Op. Cit., V. 2, p. 158. (٣١٢)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Michel : Op. Cit., (٣١٣)
p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 158, Bar

Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist.

des Crois. p. 200, عن (Michel), p. 884

(L'Anonyme)

Grousset : L'Empire, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, (٣١٤)

p.884 (L'Anonyme) عن ٢٢٨ ابن القلائسي : الذيل ، ص
وهنا اخطأ كل من الكاهن جريجوار وابن العسري في القول بأن
تلك الحركة كانت ١١٤٧م

(Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus

Op. Cit. V. 1, p. 273.)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160. (٣١٥)

Michel :Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. . (٣١٦)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist.

des Crois., V. 2, p.p. 200, 884.

وبمجرد دخولهم المدينة أعمال جوسلين ومن معه السيف في المدينة
بظهور (٣١٧) . فقتل كثيرا من المسلمين وهرب الباقون (٣١٨) ،
الى القلعة واحتبوا بها (٣١٩) .

عندئذ ارسل الأتراك الموجودون بالرها رسلا الى حلب
والموصل (٣٢٠) كما ارسل جوسلين رسلا تخير المسيحيين في كل
مكان بعودته الى الرها وتطلب في نفس الوقت التعزيزات . فكان لظك
الأخبار اثرها الكبير السار بين المسيحيين . وكان سرورهم في تلك
المرّة لا يقل عن حزنهم المميّق الذي أحسوا به عند فقد
الرها ١١٤٤م (٣٢١) .

لكن شاء حسن حظ المسلمين ان اهالى الرها كانوا لا يملكون
الا بعض القوات المحرومة من التموين منذ سنتين (٣٢٢) . هذا بالإضافة
الى أن جوسلين ورفاقه القليلين لم يحضروا معهم أى مهندسين ولا آلات
للحصار (٣٢٣) ، ثم انهم انصرفوا بتهور الى السلب والنهب في أرجاء
المدينة ولم يركزوا جهدهم منذ البداية في الاستيلاء على القلعة (٣٢٤) ،
التي كانت محصنة بعناية ومجهزة تجهيزا جيدا بالمون والأسلحة
والجند (٣٢٥) .

وكان يمكن ان ترجح كفة المسيحيين ولو لفترة قصيرة ، لو أن بقية
الإمارات الصليبية سارعت ودعمت فرحتها وتقذاك بتقديم المساعدة
الجدية للرها . لكن شيئا من هذا لم يحدث ولم يصل للرها أية

William : Op. Cit., V. 2, p. 158. (٣١٧)

(٣١٨) ابن القلانسي : الخيل ، ص ٢٨٨ ، المعينى : عقد الجمان ،
ج ١٦ ص ١٦٠ .

Michel : Op. Cit., p. 270; William : Op. Cit., V. 2, p. 158, (٣١٩)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

Michel : Op. Cit., p. 270. (٣٢٠)

William : Op. Cit., V. 2, p. 158. (٣٢١)

Zoé Op. Cit., p. 339. (٣٢٢)

William : Op Cit., V. 2, p. 158, Michaud : Op .Cit., V. 2, (٣٢٣)
p. 111.

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 884 ع (L'Anonyme) (٣٢٤)

William : Op. Cit., V. 2, p. 158. (٣٢٥)

تعزيزات (٢٢٦) . وعلى ذلك فرغم سيطرته جوسلين على المدينة إلا أن « القلعة امتنعت عليه بمن فيها من المسلمين (٢٢٧) » .

وبمجرد بعثه نور الدين محمود بن زنكي أمير حلب بثلث الأبحار ، تقدم مسرعاً إلى الرها لاستعادتها (٢٢٨) . على رأس قوة مكونة من عشرة آلاف فارس (٢٢٩) . جسدوا في المسير حتى « وقعت الدواب في الطرقات من شدة السير » (٢٣٠) . وعندما وصلت القوات النورية إلى الرها شددت الحصار عليها ، وعندئذ أصبح جوسلين والحنفة القليلة من رجاله الفرنج إلى جانب أهالي الرها محصورين بين نارين (٢٣١) . نور الدين ورجاله من الخارج والأتراك الفين كانوا بالقلعة من الداخل ، سيف في الخارج ورعب في الداخل (٢٣٢) . لهذا فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسي ؟

الحقيقة أن غالبية المصادر العربية تشير إلى أنه عند اقتراب نور الدين بقواته من الرها « هرب جوسلين مائداً إلى بلاده (٢٣٣) » . أي أنه لم يحدث صدام بين الجانبين . إلا ابن القلائسي وهو المصدر

Michel : Op. Cit., p. 270, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, (٢٢٦)
p. 210, Zoé : Op. Cit., p. 339.

(٢٢٧) ابن الأثير : الكامل ، د ١ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ ،
ابن واصل ، فرج الكروب ، د ١ ص ١١١ ، يسط بن الجوزي : مرآة
الزمان ، د ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، ابن المديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٩٠ ،
النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٤ ، أبو شامة : الروضتين ،
فعل جوسلين ورفاقه عندئذ ؟ وكيف واجهوا ذلك الموقف القاسي ؟

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 92, Grousset : L'Emoi-
re, p. 224, Hist. des Crois., V. 2, p. 201, Zoé : Op.
Cit., p. 339.

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273 ، ٢٨٨ ،
ابن القلائسي : الذيل ، د ٢٨٨ ،

(٢٣٠) ابن القلائسي : المصدر السابق ص ٢٨٨ ، أبو شامة :
الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٢٥ ، الميني : عقد الجمان ، د ١ ص ١٦٠ .
William : Op. Cit., V. 2, p. 159, Grousset : Hist. des Crois.,

Crois., V. 2, p.p. 201, 202, 884, Zoé : Op. Cit., p.339,

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 111.

William : Op. Cit. V. 2, p. 159. (٢٣٢)

(٢٣٣) ابن الأثير : الكامل ، د ١ ص ١٤ ، الباهر ، ص ٨٦ ،

=

العربى المعاصر فيذكر أنه عندما قدم نور الدين وشدد حصاره على الرها اضطر جوسلين الى اللجوء الى أحد أبراج المدينة « ومعه عشرين ألف فارس » ، فنقب المسلمون عليهم البرج حتى اسقطوه وافلت جوسلين مع أصحابه (٣٣٤) . هذا في حين ذكر وليم الصورى أن المسيحيين قرروا بالاجماع ترك المدينة مع الخاطرة بالموت اذ كان من الأفضل أن يواجهوا العدو ويشقوا لأنفسهم بالقوة طريقا للنجاة بدلا من أن يصروا على حصار يفنى فيه الجميع اما بالسيف أو بالجماعة ، أو يصبحوا عبيدا للأتراك (٣٣٥) . وبالفعل نفذ ذلك القرار في الثانى أو الثالث من نوفمبر ١١٤٦م (٣٣٦) ، مما جعل إقامة الفرنج في الرها في تلك المرة حوالى خمسة أيام أو ستة (٣٣٧) .

والواقع أن جوسلين كان لايزال موجودا بالرها عند قدوم نور الدين اليها فلما اشتد تضيق نور الدين وقواته على الفرنج قرروا الرحيل عن المدينة خلسة . كذلك قرر اهالى الرها مغادرة المدينة سواء عن رضى أو عن غير رضى لأنهم كانوا متأكدين مما سيحل بهم من تكتيل اذا هم ظلوا مقيمين بالمدينة (٣٣٨) ، بعد أن تفكروا لعهودهم . ولن نتناول هنا بالتفصيل وضع اهل الرها عندئذ لأننا سنفصل الحديث عن الاهالى في الباب القادم .

ابن واصل : ملرج الكروب ، د ١ ص ١١١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٩٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٤ ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢٣٨ .

(٣٣٤) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٢٨٨ ، العيني : عقد الجمان ، د ١٦ ص ١٦٠ يبدو أن العدد المذكور فيه شيء من المبالغة . William : Op. Cit., V. 2, p. 159. (٣٣٥)

(٣٣٦) (L'Anonyme) من 884 p. 2, V. 2, Hist. des Crois., Grousset : يذكر أن ذلك كان يوم السبت ٢ نوفمبر ويذكر نفس المؤلف في كتاب آخر أن ذلك كان في ٣ نوفمبر . (Grousset - L'Empire, p. 224) .

(٣٣٧) يذكر الكاهن جريجوار أن إقامة الفرنج بالرها كان خمسة أيام . (Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160) . أما ابن العبري فيقول أن ذلك كان ستة أيام .

(Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273) . William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Michel : Op. Cit., p. 270, (٣٣٨) Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grégoire Le Prêtre : p. 160, (L'Anonyme) ، من 884 p. 2, V. 2, Hist. des Crois., Grousset : Zoé : Op. Cit., p. 339.

وما أن بدأ جوسلين وفرسانه فضلا عن أهالي الرها يفادرون المدينة أثناء الليل حتى تتبعتهم قوات نور الدين فسقط معظم الفرسان الفرنج وفر الباقون (٣٣٩) . وقتل بلدوين أمير مرعش في ذلك الوقت (٣٤٠) . في حين فر جوسلين الى سبيسط (٣٤١) . بعد أن جرح في رقبته (٣٤٢) .

وهكذا دخل نور الدين الرها فنهبا وسبي أهلها نفر منها الكثير ولم يبق بها الا القليل (٣٤٣) . وبالرغم من أن الرها كانت ضمن ممتلكات سيف الدين غازي أخو نور الدين الا أنه عندما سبقه نور الدين اليها

Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus: Op. Cit., V. 1, (٣٣٩) p. 273.

كانت مغادرة جوسلين للرها في الساعة الثالثة صباح ٣ نوفمبر وسط الظلام بعد أن كون طابور من الهاربين وضع بلدوين حاكم مرعش على مقدمته وكان هو يحمي المؤخرة (L'Anonyme) عن Grousset : Op. Cit., V. 2, p.p. 884-885.

Grégoire : Op. Cit., p. 160. (٣٤٠)

Michel : Op. Cit., p. 271.

William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885

عن (L'Anonyme)

ويذكر جريجوار أنه قتل رغم اقتدائه البطولي ويفضل حزن الأرمن عليه بصورة مسببة

Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, (٣٤١)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Zoé : Op. Cit., p. 339.

Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885, Runciman : Op. Cit., (٣٤٢) V. 2, p. 240.

(٣٤٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ - ٨٧ ، ابن واصل : مغزج الكروب د ١ ص ١١١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٩٠ ، التوبري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٤٥ ، الغزني : نهر الذهب ، د ٣ ص ٩١ . وهنا يصور ميخائيل السرياني خراب الرها في هذه المرة قائلا : أصبحت الرها خالية مسرلة بالسواد غارقة بالدماء ، عفة من جثث أبنائها وبناتها دخلتها الهوام والحيوانات المفترسة الأخرى ، لقتات أثناء الليل بأجساد الرجال الأعزاء الذين قتلوا . ولم يدخل المدينة أحد من الناس الا من كانوا ينشون لاكتشاف ثرواتها . (Michel : Op. Cit., p. 272).

ونكل بين قاموا بالحركة الأخيرة فيها واستعادها للمرة الثانية تركها
سيف الدين له ولم يعارضه فيها (٣٤٤) .

والحقيقة انه مهما تكن تفسيرات اسباب هزيمة الفرنج في الرها في
تلك المرة (٣٤٥) - فان ذلك لا يقلل من شأن ذلك الفتح الثاني للمدينة ،
وهو الفتح الذي يعتبر نهائيا فضلا عن انه يشير الى حركة اسرداد
اسلامية كبرى (٣٤٦) .

ردود الفعل لمبقوط الرها ١١٤٦م - ٥٤١هـ :

كان استيلاء المسلمين على الرها للمرة الثانية ١١٤٦م اكثر ايلاما
بالنسبة للمسيحيين من فتجها الاول ١١٤٤م (٣٤٧) . فقد تأكد بهذا
الفتح استيلاء المسلمين عليها فضلا عما حل بأهلها جميعا تلك المرة من
نكيل شديد بعكس المرة السابقة التي كانت اخف وطأة .

ومع ذلك فان بقية الامارات الصليبية لم نحاول تقديم اية نجدة
سريعة للرها ، حتى انطاكية الشديدة القرب جدا من اماره الرها
رفض اميرها تقديم اية مساعدة ، وبلك مسلحا اثانيا مع ما في ذلك
من خطر عليه . وبالفعل لم تمر سنة على ذلك حتى جرد نور الدين اماره
انطاكية من ارتاح وبذلك كشف الجانب الشمالي الشرقي لتلك الامارة
وهو الجانب الذي اصبح معرضا للخطر من جانب المسلمين (٣٤٨) .

٣٤٤) ابن الأثير : الكامل : د ٩ ص ١٤ ، الباهر ، ص ٨٧ ،
ابن واصل : مخج الكروب ، د ١ ص ١١١ ، سبط بن الجوزي :
مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ١٩٢ ، ابن خلدون : العبر ، د ٥ ص ٢٣٨ ،
٣٤٥) يذكر أولخنبرج أن سبب كارثة الرها في هذه المرة هو تهوور
جوسلبن ونفاذ صبر رعاياه الأرمن الى جانب تهاون وإهمال رؤساء
الامارات الصليبية الأخرى (Zoé : p.p. 339 - 340) أما ميخائيل
فيذكر عن ديونيسيوس الأمدى أن ذلك بسبب آثام أهالي الرها
(Michel : p. 273)

ويشارك ميخائيل في رأيه هذا ولیم الصوري
(William : Op. Cit., V. 2, p. 212)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 208. (٣٤٦)

William : Op. Cit., V. 2, p. 161, Grousset : Op. Cit., V. 2, (٣٤٧)
p. 208.

Grousset : L'Empire, p. 225.

(٣٤٨)

وبرز حزن المعسكر المسيحي على فقدان الرها تلك المرة من خلال بعض قصائد الرثاء التي من أهمها تلك الأثرية التي كتبها ديونيسيوس الأمدي والتي يرجع فيها هزيمة المسيحيين في ذلك الوقت الى انهم عصوا ارشادات السيد المسيح ولم يطيعوه ، وانهم هم سبب ما يصيبهم من خير أو شر ، وان الرب يساعدكم اذا اتبعوا طريقة ، ويكون الشيطان الى جانبهم اذا انحرفوا للشر (٣٤٩) .

كذلك رثى ميخائيل السرياني الرها وأهلها الذين نكل بهم نور الدين وأخذ عنه ذلك الرثاء ابن العبري في تاريخه (٣٥٠) . لكن اذا كان مسيحيو الشرق قد اكتفوا برثاء الرها ، فان اخبار سقوطها في تلك المرة كان له اعمق الاثر في الغرب ، وخاصة في ألمانيا وفرنسا حيث ارتفع صوت ينادى بحملة صليبية (٣٥١) ، بطريقة أكثر جدية وأكثر مرعة .

وقد رأينا انه منذ ١١٤٥م كان قد بدأ الاعداد بالفعل لحملة صليبية ثانية تتوجه للشرق لاسترداد الأماكن المقدسة ، فلما وصلت اخبار ضياع الرها للمرة الثانية وما صاحب ذلك من قتل وطرده للمسيحيين ، بدأ الملك لويس السابع يبادل بعض الرسائل مع الأمراء الذين يقعون بلادهم على الطريق الذي ستمر به تلك الحملة الجديدة . هذا بالإضافة الى جهود القديس برنارد في الهب حماس بقية الغرب للدفاع عن تلك القضية القدسة (٣٥٢) .

Michel : Op. Cit., p.p. 272-274. (Paroles d'extoriation (٣٤٩) qu'écrivit Dionysius d'Amide).

سأنتي مع الملاحق

Michel : Ibid., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1. (٣٥٠) p. 273.

سأنتي مع الملاحق فهو يقول مثلا :
بالحصرة على سحابة الغيظ ، يوم بغير شفقة !
يانليل الموت ونهار الجحيم : يوم التخريب ! الذي
اندفع على الأهالي البؤساء ! » .

Charles-Hefele : Op. Cit., T.V, Part 1, p.p. 808-809, (٣٥١)

Jean Richard : Op. Cit., p. 46.

Charles-Hefele : Op. Cit., p. 809. (l Vacandard . (٣٥٢)

Vie de Saint Bernard).

أما عن موقف الامبراطورية البيزنطية من سقوط الرها في المرنين
فيمكننا ان نستشله من خلال الخطابين اللذين أرسلها الامبراطور
مانويل كومنين الى البابا ايوجين الثالث اغسطس ١١٤٦م ،
مارس ١١٤٧م (٣٥٣) .

وفيهم من الخطاب الاول ان البابا كان قد ارسل الى الامبراطور
البيزنطى مسع رسل ملك فرنسا لويس السابع خطابا يحثه فيه على
المشاركة في تقديم المساعدة لحملة صليبية تثار لسقوط الرها ، عقب
سقوطها اول مرة . ثم ارسل اليه معاتبا على عدم رده عليه . والراجع
ان خطاب البابا الاول لم يصل للامبراطور ووصله الثانى فقط لذا
ففى الخطاب الاول للامبراطور مانويل (اغسطس ١١٤٦م) نجده يشكو
للبابا من انه لم تصله منه اية رسائل وأنه كان مستعدا لتقديم المساعدة
الممكنة . بشرط ان يقدم الصليبيون له ولاءهم كما حدث في عهد جده
الكسيوس كومنين (٣٥٤) .

لكن البابا لم يرد على الامبراطور بسفارة جديدة ولا برسالة ، لذا
اسرع مانويل بالكتابة اليه مرة اخرى في مارس ١١٤٧م اى بعد سقوط
الرها للمرة الثانية ، وكان هذا هو خطابه الثانى الذى ابدى فيه
مانويل تعجبه من عدم رد البابا عليه بل انه عرض عليه اى اقتراح يروق
له حتى ولو كان الاتحاد بين الكنيستين البيزنطية والرومانية (٣٥٥) .

(٣٥٣) لم يظهر اية اشارة عن هذين الخطابين في المصادر التى أرخت
للحروب الصليبية حتى الحديث منها مثل كتاب جروسية وشالندون .
كانت النسخة الاولى للخطابين مكتوبة بماء الذهب ثم ترجمتا الى اللاتينية .
ثم ضاعت الترجمة اللاتينية . نشرت نسخة للخطابين بواسطة
Amaduzzi الى جانب عدة نسخ مخطوطة منه ما نقله Brial
في جامع التواريخ الغالية الى جانب نسخ كل من Theiner, Miklosich,
Pitra (V. Grumel . Deux Lettres de Manuel Comène au Pape,
Revue des Etudes Byzantines, T. III, 1945, p. 143)
(٣٥٤) أما عن محتويات الخطاب الاول فقد ذكرها المصدر السابق
(p. 144)

(٣٥٥)
هنا يعلق (جروميل) على اقتراح الامبراطور بقوله « كان الامبراطور ظن
هنا أن سبب عدم رد البابا عليه هو الانفصال الدينى بين كنيسة روما
وبيزنطة . لكن الحقيقة ان سبب تأخر الرد هو أن البابا شعر أن الامبراطور

والواقع أن امبراطور بيزنطة كان يعرض في ذلك الوقت معونته مشروطة بالشرط التقليدي وهو خضوع الحملة الصليبية الزعومة للامبراطور ، لأنه لم ينس ما حدث من قبل من تنكر الصليبيين لما كانوا قد اتفقوا عليه مع جده . وفي نفس الوقت رغب الامبراطور أن تظل الممتلكات اللاتينية في الشرق بيد الصليبيين لا المسلمين وبذلك تسهل سيطرته عليها .

والحقيقة أن مسيحي الشرق ظلوا يضعون آمالهم الكبار في نجدة تانيهم من جهة الغرب . وحتى بعد قدوم الحملة الصليبية الثانية بقيادة الامبراطور الألماني كونراد Conrad و الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII ، كان جوسلين الثاني يأمل في استعادة الرها كما كان ريموند أمير طرابلس يرغب في استرجاع بارين لذلك أرسل هذان الأميران الى الملك الفرنسي أثناء وجوده في انطاكية بعض الخطابات محملة بالنوسلات هذا الى جانب بعض الهدايا الغالية الثمن (٣٥٦) .

جبران الرها وبقياء الإمارة حتى أسر جوسلين الثاني :

بالرغم من استرداد نور الدين محمود لمدينة الرها في ١١٤٦م - ٥٤١هـ وبعض منقلقاتها ، فإنه لم يهدأ بل كان يسعى دائباً الى استخلاص بقايا تلك الإمارة من يد أميرها الذي أضعفته تلك الضربة الثانية لإمارته . ففي ٥٤٣هـ - ١١٤٨م توجه نور الدين من حلب الى أحد حصون جوسلين للاستيلاء عليه ، وعندئذ لم يجد جوسلين بدا من مسألة نور الدين والمثول بين يديه ، واستغنى من هداياه فرضى عنه وخلع عليه (٣٥٧) . وربما استخدم نور الدين أسلوب المسألة متدنئ ليعيد لضربة أقوى فيها بعد . لكن إمارة الرها لم تسلم في ذلك الوقت من تهديد فرع إسلامي آخر ، ممثلاً في سلاطين قونية أو سلاطين الروم فقد تقدم السلطان مسعود الأول بن قلع أرسلان (٥١٠ - ٥٥١هـ / ١١١٦ - ١١٥٦م) جنوباً الى شمال سوريا منتهازاً فرصة وفاة أمير انطاكية

كما يرغب في الاعتماد على مساعدة الصليبيين في حماية أراضي الامبراطورية أكثر من استعادة الأراضي التي أخذت بواسطة الإنراك . وأنه كان يأمل في الحصول - عن طريق ضربة واحدة - على ما حصل عليه جده بعد أن بذل الكثير من التعب وبعد مرور وقت طويل « .

Zoé : Op. Cit., p. 348.

(٣٥٦)

(٣٥٧) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ج ٤ مخطوط ص ٩١ (ب) .

ربموند ٥٤٤ - ١١٤٩م (٣٥٨) واستولى على مرعش التي كانت بلاقات تدافع عنها في ذلك الوقت (٣٥٩) . بعد وفاة أميرها بلدوين في ١١٤٦م . ثم تقدم السلطان بعد ذلك الى بل باشر وحاصرها رغم أن جوسلين الثاني وزوجته وأطفاله كانوا بداخلها (٣٦٠) .

هنا نجد رأيين مختلفين عن موقف جوسلين عندئذ . أحدهما يذكر أن الملك بلدوين الثالث أرسل نجدة إلى جوسلين من أنطاكية استطاعت أن تحمي عزاز التي كانت مهددة أيضا وقتئذ . ثم ساد السلام بين السلطان وجوسلين ورحل الأول عائدا إلى بلاده بينما توجه الثاني إلى أنطاكية ليشكر الملك على اهتمامه بمسألته (٣٦١) .

والرأي الثاني يذكر أن جوسلين لم يبد أي اهتمام بجمع فرسانه واكتفى بإرسال القوات التي بقيت لديه مع الأمير باسيل أخو (جريجوار الثالث) حاكم كركر ، وأمرهم بحمل المؤن والامدادات للمكان المحاصر ، لكن قوات قرا أرسلان الارتقى باغتتهم وأسرهم جميعا ومن جعلتهم الأمير باسيل ، وقادهم أمام قلعة كركر التي كانت بها زوجة باسيل وأطفاله ، عندئذ تخلى لهم عن المكان في مقابل إطلاقهم للأسرى في أمان وتم اتفاق ودي بين الجانبين . وعندئذ تقدم جوسلين إلى أنطاكية لطلب نجدة لكنه أسر في الطريق (٣٦٢) .

ومهما اختلف الآراء فإن إمارة الرها خسرت جزءا آخر من أراضيها هو مرعش انتقل إلى سلاطين الروم فضلا عن أن تل باشر تعرضت للتهديد ولكنها ظلت بأيدي الفرنج لفترة قصيرة بعد ذلك كما سنرى .

William : Op. Cit., V. 2, p. 200. (٣٥٨)

ويذكر ابن الأثير : الباهر ص ٩٩ أن أمير أنطاكية توفي ٥٤٤هـ أثناء حصار نور الدين لحصن انب (وهو حصن من أعمال عزاز من نواحي حلب) .

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 163. (٣٥٩)

ولكنه يذكر أن ذلك كان ٥٤٣هـ - ١١٤٩م والراجع أنها ٥٤٤هـ لأنه قام بحمله هذه بعد وفاة أمير أنطاكية

William : Op. Cit., V. 2, p. 200.

والراجع أن حصار مسعود لتل باشر كان في ٥٤٥هـ استنادا إلى رأي بن السباد الاصفهاني : تاريخ آل سلجوق ، ص ٢٠٦ .

William : Ibid., V. 2, p. 200. (٣٦١)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p.p. 163 - 164. (٣٦٠)

أسر جوسلين الثاني :

اختلفت المصادر العربية في السنة التي أسر فيها جوسلين كما اختلفت أيضًا في الطريقة التي أسر بها فمن ناحية تاريخ أسره ، نجد فريقًا يذكر أن ذلك حدث ٥٤٥هـ (٣٦٣) . (١١٥٠ م) والبعض يذكر أنه كان ٥٤٦هـ (٣٦٤) . (١١٥١ م) وفريق ثالث يقول ٥٤٤هـ (٣٦٥) (١١٤٩ م) . والراجح أن ذلك كان ٥٤٥هـ (١١٥٠ م) استنادا لرأى ابن القلانسي (٣٦٦) . ذلك أن نور الدين دس لجوسلين بعض التركمان فأسروه لأنه كان « شديد العداوة للملة الإسلامية ، كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يفي بم عهد (٣٦٧) » . هذا بالإضافة إلى أن نور الدين كان قد جمع قواته وقصد محاربة جوسلين فهزم المسلمين وأسر عددا كبيرا منهم من جعلتهم « سلاح دار » نور الدين ، فأخذ جوسلين ومعه سلاح نور الدين وأرسله إلى والد زوجة نور الدين ، السلطان مسعود بن قلع أرسلان قائلا « هذا سلاح زوج ابنتك وسياتيك بعده ما أعظم منه (٣٦٨) » . وهو يقصد بالطبع أنه سيأتيه

(٢٦٣) ابن القلانسي : الذيل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الطب ، ص ٢ ص ٣٠١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، ص ٣٢ (١) ابن قاضي شهاب : الدر الثمين في سيرة نور الدين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٤٥هـ .

(٢٦٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ١٢٣ النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ٢٢٩ ، روض المناظر : مخطوط أحداث ٥٤٦هـ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ .

(٢٦٥) الذهبي : العبر ، د ٤ ص ١٢١ ، ابن أبيك : كنز الدرر ، د ٦ ، ص ٥٥٤ .
(William : Op. Cit., V. 2, p. 201). (٣٦٦)

يوافق هذا التاريخ ٥ مايو ١١٥٠م

(٢٦٧) ابن الأثير : الباهر ص ١٠٢ .

(٣٦٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠١ - ١٠٢ ، الكامل ، د ٩ ص ٢٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب د ١ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢١٩ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، د ٢ ص ٣٠١ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٦ ، روض المناظر ، أحداث ٥٤٦هـ ، أبو الفدا : المختصر د ٣ ص ٢٣ .

بعد ذلك بنور الدين نفسه . فلما علم نور الدين بذلك سمم على الانتقام من جوسلين فأحضر جماعة من التركمان « ويذل لهم الرغائب » ان هم ظفروا بجوسلين وسلموه اليه اما قتيلاً او اسيراً (٣٦٩) .

وفي احد الايام خرج جوسلين في بعض رفاقه اما للصيد (٣٧٠) أو لطلب النجدة من انطاكية ضد السلطان مسعود (٣٧١) . وقيل أيضاً انه قصد انطاكية « مقويا » لاهلها من الفرنج (٣٧٢) وكان التركمان الذين اتفق معهم نور الدين يراقبون تحركاته فأسروه .

هنا تختلف الروايات عن اسره (٣٧٣) لكنها تتفق في انه بعد اسره سيق في أسلاله الى حلب ففضى في السجن سنواته الأخيرة حتى مات (٣٧٤) . وقد فرح المسلمون كثيراً بأسره وحزن المسيحيون حزناً شديداً لذلك (٣٧٥) .

(٣٦٩) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٢٩ ، الباهر ، ص ١٠٢ .
(٣٧٠) ابن الأثير : المصدرين السابقين نفس الصفحات ، ابن العديم : زبدة الحطب ، د ٢ ص ٣٠٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ١٢٣ ، ابن السحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٦ ، روض الناظر ، أحداث ٥٤٦ هـ ، ابن كثير : البداية والنهاية د ١٢ ص ٢٢٩ ، أبو الفدا ، د ٣ ص ٢٣ .
(٣٧١) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164.
(٣٧٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٥ ص ٣٢ (١) .
(٣٧٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، ابن العديم : زبدة الحطب ، د ٢ ص ٣٠٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ١٢٤ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ٢٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٥ ص ٣٢ (ب) ، ابن قاضي شسبية : الدر الثمين ، ميكرو فيلم ، الباب السابع ٥٤٥ هـ ، ابن أيك : كنز الدرر د ٦ ص ٥٥٥ .

William : Op. Cit., V. 2, p. 201.

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 164, William : Ibid., (٣٧٤)

V. 2, p. 201, Bar Hebraeus : V. 1, pp. 276 - 277.

(٣٧٥) ابن التلنسي : الذيل : ص ٣١٠ ، ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٢٩ ، الباهر ص ١٠٢ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ص ٢٣

William : Ibid., V. 2, p. 201. Gibb : Op. Cit, p. 300.

اندثار امارة الرهبا بعد أسر جوسلين :

وبعد أسر جوسلين وضع الفرنج الموجودون في تل باشر ابنه الذي كان لا يزال صغيرا مكانه ، وكان يدعى جوسلين ايضا (٣٧٦) . وبذلك فقدت تل باشر اميرها القوى واصبحت هدفا للمسلمين اكثر من ذي قبل .

ذلك انه حدث بعد أسر جوسلين مباشرة ان تقدم نور الدين بقواته الى عزاز فحاصرها واستولى عليها في ربيع الاول ٥٤٥ هـ ١١٥٠ م بالامان ، رغم ما كانت تتمتع به من حصانة فائقة . وبعد ان رتب بها بن يظلم ابورها رحل عنها الى حلب (٣٧٧) .

ولما رأت زوجة جوسلين ان المسلمين سيفتزعون بقية الامارة قطعة بعد اخرى اختارت ادخالها تحت نفوذ المسيحيين . لذلك تنازلت في نفس ١١٥٠ م عن قلعة الروم الى جرجوار الثالث الكاثوليكيوس ١١١٣ م - ١١٦٦ م ، فاصبحت تلك القلعة مقرا لاتباعه حتى ١٢٩٣ م عندما انتزعها منهم سلاطين المماليك في مصر (٣٧٨) .

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 277. (٣٧٦) --

لذلك أصبحت امة بياتريس وصية عليه واصبحت المتصرفة الحقيقية في شئون بقية الامارة .

(٣٧٧) ابن القلائسي : السليل ، ص ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلبة ، د ٢ ص ٣٠٢ - ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ، ص ٢٢٨ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٨١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، د ٥ ص ١٨ (١) تاريخ أبو الهيجاء ، مخطوط ، د (حوادث ٥٤٥ هـ) العيني : عقد الجمان د ١٦ م ١ ص ٢٠٥ ، Gibb : Op. Cit., p.p. 300-301 (وقد انفرد ابن الفرات بالقول بان ذلك كان ٥٤٤ هـ ولكن الراجح ان التاريخ غير صحيح) .

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 154.

(٣٧٨) هنا يشير مصدر آخر الى ان التنازل عن قلعة الروم كان ١١٤٧ م ولكن هذا التاريخ خطأ لانه قبل أسر جوسلين نفسه .

A. Vacant E. Mangenot, E. Amann : Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Part 2, p. 1902 (Paris 1923).

كذلك عندما علم الامبراطور البيزنطي مانويل الاول بان حالة الرها تبوءت على اليأس ارسل ١١٥٠م - ٥٤٥هـ الى زوجة جوسلين بعض الرسل يحملون لها معونة ضخمة ويعرضون عليها تسليم بقية ممتلكاتها للبيزنطيين في مقابل دخل سنوى لها ولاولادها عندئذ وافقت الاميرة على تلك الشروط (٣٧٩) ، بعد استشارة الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقدس الذى فضل هو ورجال مملكته ان تنتقل تلك المناطق الى حوزة البيزنطيين عن ان تسقط في قبضة المسلمين (٣٨٠) . وهكذا تسلم البيزنطيون بقليا امارة الرها . اما غالبية سكانها ومعهم زوجة جوسلين واولاده فقد صحبهم الملك بلدوين الثالث معه الى بيت المقدس بعد مصاعب جمة لحقت بهم في الطريق (٣٨١) .

على ان انتقل بقليا امارة الرها الى ايدى البيزنطيين شجع نور الدين بصورة اكبر على المضى في طريقه لاستخلاص كافة ارجاء تلك الامارة المحاطة ووضعها تحت سلطة المسلمين . هذا الى ان البيزنطيين الذين عهد اليوم مهمة حماية ذلك الحطام الرهوى كانوا غير راغبين في الحرب ، مما جعل نور الدين يشدد هجماته عليهم حتى اضطرهم الى

William : Op. Cit , V. 2, p. 208, Zoé : Op. Cit., p. 355, (٣٧٩)

Archer : Op. Cit., p.p. 205 - 206, E.R. Hayes : Op. Cit.,
p. 290, Cam. Med. Hist., V. IV, p. 373. (1936).

Zoé : Op. Cit., p. 355. (٣٨٠)

هنا يذكر شالندون ان امارة الرها اخذت تمامها في ١١٥٢م بعد ان نخلت عنها لامبراطور بيزنطة . ولكن الراجح ان ذلك كان ١١٥٠م كما ذكر وليم الصوري ، وانه في ١١٥٢م كانت الفالبية العظمى من اراضى الامارة قد استعادها نور الدين كما سنرى .

(F. Chalandon : Hist. de la Première Crois., p. 295).

William : Op. Cit., V. 2, p.p. 210 - 212, E.R. Hayes : Op. (٣٨١)

Cit., p. 290, Zoé : Op. Cit., p. 355.

اما ارشية فيذكر ان زوجة جوسلين لجأت الى انطاكية في حين يشبر (امورجا) الى انها توجهت الى مرعش . لكن الرايين خاطئين .

Archer : Op. Cit., p. 206,

Iorga : Brève Hist. des Crois., p. 88.

الانسحاب عن تلك الاراضي التي ضحوا من اجلها منذ قليل بالاموال
الكثيرة (٣٨٢) .

ففى ٥٤٦هـ - ١١٥١م استولى نور الدين بالامن على تل بلشر وعهد
بشئونها الى الأمير حسان المنبجى (٣٨٣) . وفى ٥٤٧هـ - ١١٥٢م
حاول الفرنج الوقوف فى وجهه نور الدين فجمعوا قواتهم وتوجهوا اليه
وهو فى دلوک - احدى المدن التى كانت تابعة لجوسلين الثانى -
فدار بين الجانبين قتال شديد قتل واسر فيه كثير من الجانبين ولكن
الغلبة فى النهاية كانت اقوات نور الدين فاستولى عليها (٣٨٤) .

واخيرا استكمل نور الدين بعد ذلك الاستيلاء على بقية حطام
امارة الرها (٣٨٥) . فاستولى على عين تاپ وتل خالدا وقوريس
والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وحصن يسرفوت بجبل بنى
عليم وكفر لاثا وكفر سود ونهر الجوز (٣٨٦) . وكان نور الدين اذا فتح

(٣٨٢) William : Op. Cit , V. 2, p. 212, Zoé : Op. Cit., p. 355.
(٣٨٣) ابن العماد : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٦ ، ابن الفرات :
مخطوط د ٥ ص ٣٧ (ب) ، ابن العميد : بغية الطلب ، مخطوط ،
ص ٣٦٨ ، تاريخ ابو الهيجاء ، د ١ حوادث ٥٤٦هـ . لكن هناك بعض
المصادر ذكرت تواريخ خاطئة لفتح تل بلشر مثل التاريخ المظفرى ، مخطوط .
رقم ٩٦٦ تاريخ حوادث ٥٤٤هـ (ذكر ان ذلك كان ٥٤٤هـ) فى حين ذكر
الطباق الحنفى : اعلام النبلاء ، د ٢ ص ٢٥ ان ذلك كان (٥٤٩ - ٥٥٠هـ) .
(٣٨٤) ابن العميد : زبدة الطلب ، د ٢ ص ٣٠٣ ، ابن الفرات : تاريخ
الدول والملوك ، د ٥ ص ٥٠ (١) ، ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١
ص ١٢٥ ، النویری : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥٦ أما ابن شداد :
الاعلاق الخطيرة ، د ١ ميكروفيلم حوادث ٥٥٥هـ فقد اخطأ فى القول بان
ذلك كان ٥٥٥هـ .

(٣٨٥) Bréhier : Vie et Mort, Op. Cit., p. 329,

ابن كثير : البداية والنهاية د ١٢ ص ٢٢٩ .
(٣٨٦) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ٢٩ ، الناهر ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ،
ابن واصل : مفرج الكروب ، د ١ ص ١٢٤ ، النویری ، نهاية الأرب ،
د ٢٥ ورقة ٥٦ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٨٥ ، أبو الفدا :
المختصر ، د ٣ ص ٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢١٩ ، روض
الناظر ، مخطوط أحداث ٥٤٦هـ .

حصنا لا يرحل عنه حتى يضع فيه حاميات ونخائر تكفيه لمدة عشر سنوات « خوفا من نمرة تتجدد للفرنج على المسلمين فتكون حصونهم مستعدة غير محتاجة الى شيء (٢٨٧) » .

هكذا قضى نور الدين محمود بن زنكى على اماره الرها الصليبية واثبت للفرنج انه اشد اصرارا من ابيه على الجهاد . ويقضائه على تلك الامارة سقط الذرع الواقى الشرقى لبقية الامارات الصليبية فى الشرق وبدأت حركة انفاقة اسلامية كبرى .

(٢٨٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٠٣ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ١٨٥ ، أبو الفدا : المختصر ، د ٣ ، ص ٢٣ .

الباب الرابع

اوضاع امارة الرها الداخلية والحضارية

يتناول هذا الباب :

- (أ) طبقات المجتمع في الإمارة .
- (ب) الحياة الاقتصادية .
- (ج) كنيسة الرها والحياة الدينية .

طبقات المجتمع :

كان غالبية سكان إمارة الرها عند قدوم الصليبيين ممثلين في المسيحيين الشرقيين ، الأرمن والسريان ، أتى جانب قلة من المسلمين كانوا مركزين في مدينة سروج بالذات (١) .

أما الأرمن فكانوا يمثلون الغالبية العظمى من سكان الرها (٢) .
والراجع أن زيادة عددهم بها يرجع إلى الغزو السلجوقي لأرمينيا في القرن الحادي عشر الميلادي إذ لجأ إليها الكثير منهم في ذلك الوقت ومعهم ثرواتهم (٣) .

(١) William : Op. Cit., V. 1,, p. 194,

سميد عاشور : الحركة ، د ١ ص ٣٧
هنا يذكر وليم الصوري أن سروج كانت ممتلئة بالمسلمين إلى درجة
الفضاضة .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٠٤ : النويري : نهاية الأرب ،
د ٢٦ ورقة ٧٧ ،

Lammens : La Syrie, V. 1, p. 255, Grousset : L'Empire,
p. 295.

Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 241, Encyclopaedia
Britannica V. 7, p. 954. (٣)

كان مسيحيو الرها يتكلمون باللهجة السريانية الرهوية وعلى أمصح
اللهجات الآرامية السامية (٤) .

ويقيم إمارة الرها السليبية انضم الى العناصر السكانية السابقة
عنصر جديد هم الصليبيون الغربيون الذين سبق ان بينا كيف بدأوا بأعداد
قليلة كانت قد صحبت بلدوين دى بوايون عند دخوله الرها (٥) ،
ثم ازدادت أعدادهم قبا بعد بمن انضم اليهم من الصليبيين الذين كانوا
قد سئموا من حصارهم لأنطاكية آنذاك ففضلوا الانجاء الى الرها
والاستقرار فيها (٦) . وهناك « أصبح من كان غفيرا منهم يعيش في رخاء
وسعة ومن كان لايملك قرية أصبح سيدا لأحدى المدن (٧) » .

وعلى الرغم من أن عدد الفرنج في إمارة الرها كان أصغر من عددهم

(٤) اغناطيوس افرايم الثاني : مقالة في سورية ، ص ٢٠ — ٢٣ .
وهو يفكر أن من فروع اللغة السامية اللغة الآرامية وهي تشمل لهجات
شتى الفينيقية والتدمرية والرهاوية والفلسطينية والنحوية والنبطية . وقد
كشفت كتابات شتى بالسريانية الرهاوية بعد أن نشرها المستشرق
بونبون في جامع الكتابات السامية (Inscriptions Sémitiques)
ويؤكد اختلاف اللهجة الرهاوية عن اللهجة الفلسطينية «أذكره (بوركيت)
من أن سكان الرها كانوا يتكلمون لغة آرامية قريبة ولكنها ليست مماثلة
لذلك المتكلم بها في فلسطين . (Burkitt : Op. Cit., p. 7).

(٥) Matlieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historiae,
Liber III, T. 4, p. 352, Michaud : Op. Cit., V. 1,
p. 242, Jean Richard : Op. Cit., p. 25, Archer : Op.
Cit., p. 62.

(٦) Alberti Aquensis : Historiae, Liber V., T. 4, p. 435,
Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 234, Michaud:
Op. Cit., V. 1, p. 248, Runciman : Op. Cit., V. 1,
p. 208, Jean Richard : Op. Cit., p. 27, Zoé : Op.
Cit., p. 141.

وكان من بين النبلاء الذين قدموا الى الرها مع عدد كبير من الفرسان
والنساء الأقل مرتبة

“Drogo de Nahella, Reinardus de Tul, Castus de Bedertz”

(Alberti : Op. Cit., Liber V. 1, T. 4, p. 441).

Zoé : Op. Cit., p. 226. عن (Foulcher).

(٧)

في أبة اماره صليبية أخرى (٨) ، إلا أن ذلك لم يحل دون قيام أرستقراطية عسكرية فرنجية في الرها حكمت شعبها المنصرف الى الاشتغال بالتجارة والزراعة (٩) . وكانت السمة البارزة لامارة الرها الصليبية خلال فترة قيامها التي امتدت حوالى نصف قرن تقريبا : انها كانت اماره فرنجية أرمنية (١٠) ، وانها عانت كثيرا من عدم تجانس سكانها (١١) .

التزاوج بين سكان الرها الوطنيين والصليبيين الغربيين :

وقد دعمت الصيغة الأرمنية الفرنجية في اماره الرها عن طريق الزيجات المختلفة بين الجانبين ، وهى الظاهرة التى بدأها بلدوين البولونى ثم سار على نفس المنوال كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى (١٢) .

والواقع أن غالبية الأمراء الصليبيين القادمين الى الشرق كانوا قد اصطحبوا معهم عائلاتهم الى الأرض المقدسة . وإذا مات الأزواج المحاربون في الحرب فإن الشبان العزاب الأصغر سنا ، كانوا يتخفون من ارامل أولئك المحاربين زوجات لهم وانتشرت هذه الظاهرة في الإمارات الصليبية في المشرق فيما عدا الرها التى تزوج أمراؤها الصليبيون من بنات الأمراء الأرمن روبان وثوروس وليون (١٣) . وقيل أن انطلاقية شاركت الرها في تلك الظاهرة الى حد ما فانتشرت الزيجات بين الأمراء الفرنج من ناحية وبين بنات الأمراء الأرمن الاتطاعيين نوى المكاة العالية والشديدى الاحكام بالفرنج في الحياة السياسية والعسكرية من ناحية أخرى (١٤) .

Setton : Op. Cit., V. 1, p. 369, Prawer : Op. Cit., T. 1, (٨)
p. 288.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67. (٩)

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ١٨٧ ،
هنا يذكر أولاد نبرج أن أرستقراطية الرها الفرنجية كانت
Wallonne, Flamande تتكون من الفالون والفلاند
(Zoé : Op. Cit., p. 227). (١٠)

Grousset : L'Empire, p. 316. (١١)
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٤٣٧ .

Grousset : L'Empire, p. 316, Charles Rous : France et (١٢)
Chrétien d'Orient, p.p. 20 — 21.

Zoé : Op. Cit., p. 300. (١٣)

Lammens : La Syrie, V. 1, p. 241. (١٤)

لكن ذلك لايعنى ان الصليبيين اقتصروا في زواجهم على الأرمنيّات فقط بل اتخذوا زوجات سريانيّات أو مسلمات بعد ان تنصروا (١٥) ، والواقع اننا نستبعد فكرة تنصر المسلمات . ونتيجة لزواج الصليبيين من الوطنيات نشأ جيل جديد عرف باسم (الأبراخ Poullains (١٦) . ومن أبرز أمثلة هذا الجيل بالنسبة لإمارة الرها الأمير جوسلين الثانى .

وإذا كانت أواصر المودة قد ازدادت في الرها بين السكان الوطنيين الأرمن وبين الصليبيين عن طريق الزواج ، فإن العلاقات بين الحكام والحكومين لم تكن ودية على طول الخط . ولم يكن الأرمن دائما مظلّمين لحكامهم الغربيين وربما كان هذا هو سبب التقدم البطيء لتلك الإمارة بالنسبة لبقية الإمارات الأخرى (١٧) .

هذه هى لمحة عامة عن أهالى الرها ككل وعلاقتهم بالصليبيين داخل الإمارة . ولكي يسهل علينا التعرف على موقف الأهالى في مراحل تطور الإمارة المختلفة سنحاول دراسة ذلك وفقا لفترات حكم أمراء الرها المختلفين ، حتى نصل في النهاية الى مصير الأهالى الوطنيين بعد انتهاء تلك الإمارة .

والحقيقة ان الأرمن فازوا بتصويب الأسد في تلك الدراسة بوصفهم كانوا الغالبية العظمى من السكان ، ولكن ذلك لا يمنع من التعرض للعناصر السكانية الأخرى في الإمارة بقدر ما أسعفتنا به المصادر والمراجع المختلفة .

أهالى الرها وبلدوين البولونى (١٠٩٨ - ١١٠٠ م) :

رائنا انه منذ اللحظة الأولى لدخول بلدوين البولونى الرها تلقاه الأهالى بفرحة زائدة واستقبلوه استقبالا حارا اشترك فيه كل أفراد الشعب وعلى رأسهم ثيودوروس . وقد اناضت المصادر المعاصرة والمراجع التى

(١٥) هنا يذكر الأب لامانس أن فولشر دى شارنر قال « اننا اصبحنا شرقيين لاننا لم نتخذ زوجات من بلادنا بل تزوجنا إما سريانية أو أرمينية أو مسلمة بعد ان تنصرت »

(Lammens : Ibid., V. 1, p. 242).

(١٦) فيليب حتى : العرب ، ص ٢٢٣ . Lammens : Ibid., p. 241.

(١٧) Prætor : Op.Cit., T. 1, p. 288.

أخذت عنها في وصف ذلك الاستقبال الرائع (١٨) : إذ استقبل كمنفذ ومحرر للأهالي ولأميرهم (١٩) . وربما اختلفت نظرة كلا الطرفين عندئذ فبينما نظر اليه ثوروس كمنفذ له من أعدائه الأتراك المحيطين به ، يبدو أن الأهالي نظروا اليه تلك النظرة أيضا إلى جانب رغبتهم في التحرر من أميرهم الأرمني الذي اتبع مذهب كنيسة القسطنطينية (٢٠) . ولذا لم يبد الأهالي الرها أي اعتراض على دخول السليبيين إلى بلادهم ، ويتضح ذلك أكثر عندما ظهرت نوايا ثوروس في استخدام بلدوين كجندى مرتزق (٢١) . إذ رفض بلدوين ذلك الوضیع وهدد بالانسحاب من الرها (٢٢) . وعندئذ تدخل الأهالي والخوا على حاكمهم بالإسراع لبلدوين بالرحيل (٢٣) . بل قيل أنهم هم الذين أجبروا ثوروس على تبنيه (٢٤) . وبالفعل تم ذلك سواء عن رضى من حاكمهم أو عن غير

-
- (١٨) Mattieu : Op. Cit., p. 36, Alberti Aquensis : Historia Liber III... T. 4, p. 352, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 175, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 303, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 242 Harold Lamb : Op. Cit., p. 148.
- (١٩) J. Praver : Op. Cit., T. 1, p. 208, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 242.
- (٢٠) Zaqé : Op. Cit., p. 139, Runciman : Op. Cit., V. 1, p. 206
- (٢١) Alberti Aquensis : Historiae, Liber III., T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.
- (٢٢) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Grousset : L'Empire, p. 204, L'Épopée, p.p. 56 — 57, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.
- (٢٣) Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Michaud : Op. Cit., V. 1, p. 243.
- (٢٤) William : Op. Cit., V. 1, p. 191, Cahen : Op. Cit., p. 210 Duval : Op. Cit., p. 278, Archer : Op. Cit., p. 61.
- وهنا يذكر (ستون) أنه كان هناك بعض الأرمن الذين كانوا قليلي الارتياح لبنى ثوروس لبلدوين (Seton : Op. Cit., V. 1, p. 303).

رضى (٢٥) ، فابتهج الأهالي واحسوا بالطمأنينة في حماية بلدوين (٢٦) .

وكان أن اتجه أهل الرها بعد ذلك الى باهو ابعد ، فتمجلوا التخلّص من اميرهم الأرمني (٢٧) . للأسباب التي اشرنا اليها من قبل ووضعوا مكانه بلدوين (٢٨) الذي أصبح ونفا لرغبهم أول امير صليبي لأول إمارة صليبية في المشرق .

في بداية حكم بلدوين لإمارة الرها خضع له أهلها وأخلصوا له واقسموا له يمين الوفاء (٢٩) . بل لقد كانوا مستعدين للحرب حتى الموت من أجل سعادته ومجده (٣٠) . لذلك صحبته فرقة عسكرية أرمنية ١٠٩٨م الى انطاكية لمساعدة الصليبيين الحاصرين للمدينة (٣١) كما ساعده الأرمن أيضا في حملته التي توجه بها الى سميساط في بداية حكمه للرها في ١٠٩٨م والتي استطاع عن طريقها أن يرد الى الرها عددا كبيرا من الرهائن الذين كان يلك الدانشمندی قد احتجزهم في قلعة سميساط ، مما زاد من شعبية بلدوين (٣٢) .

وإزدادت أواصر المودة بين بلدوين البولوني وبين الأرمن في الرها قوة بعد زواجه من الأميرة الأرمنية أردا (٣٣) . لكن تلك العلاقات الودية

Alberti : Op. Cit., p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 191 (٢٥)

William : Ibid., V. 1, p. 191 . (٢٦)

Alberti : Op. Cit., p. 353, William, Op. Cit., V. 1, (٢٧)

pp. 193 — 194, Mattieu : Op. Cit., p. 38, Bréhier:

L'Eglise, p. 77, Duval : Op. Cit., p. 278, Michaud :

Op. Cit., V. 1, p. 246.

Alberti : Op. Cit., p. 355, Fulcherii : Op. Cit.,... T. 4, (٢٨)

p. 339, Cahen : Op. Cit., p. 211, Grousset : Hist.

des Crois., V. 1, p. 59.

Alberti : Op. Cit., Liber III. ... T. 4, p. 355. (٢٩)

William : Op. Cit., V. 1, p. 194. (٣٠)

Pasdermadjian : Op. Cit., p. 201. (٣١)

William : Op. Cit., V. 1, p. 194, Runciman : Op. Cit., (٣٢)

V. 1, p. 208 عن (Albert).

Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 433, Alberti : Op. Cit. T. 4, (٣٣)

p. 361, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 372, Grousset :

L'Epopée : p. 104, 205, Hist. des Crois. V. 1. p. 64

مرعان ما انتقلت الى كره وعداء من جانب الاهالى الوطنيين لبلدوين عندما فتح ابواب الأبارة على مصاريعها لرفاقه الصليبيين واعدق عليهم ثروات البلاد (٢٤) . في الوقت الذى نحى الاهالى الاصليين وزعماءهم جانبا واستغنى عن مشورتهم مفضلا عليهم الفرسان الفرنج الذين احتقروهم (٢٥) .

لذا دير الاهالى في الرها مؤامرة في ٩٨٠م للتخلص من بلدوين او لطرده من البلاد (٢٦) . لكن المؤامرة انكشفت لبلدوين عن طريق احد الارمن الذين ظلوا مخلصين للصليبيين (٢٧) . وعندئذ امر بلدوين بانزال اشد العقوبات بالمتآمرين (٢٨) . وهكذا أخف اهالى الرها الارمن والسريان ينظرون الى بلدوين على أنه « طاغية فظ عنيف وجشع » (٢٩) . وندموا لتأييده في حكمه عليهم (٤٠) ، بل أن الارمن الذين قاسوا كثيرا من الاحتقار والاضطهاد الدينى من جانب البيزنطيين ، وجدوا في فرسان

(٢٤) يذكر آرتية بالاضافة الى ذلك ان الكثير من مؤن البلاد وثرواتها نقلت الى المسلمين الملاحمين لانطاكية مما سبب خسفا شديدا على اهالى الرها . (Archer : Op. Cit., p. 68).

Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber V. T. 4, p. 442, (٢٥)
William : Op. Cit., V. 1, p. 305, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 66, L'Empire, p. 205 Runciman .
Op. Cit., V. 1, p. 211, Zoé : Op. Cit., p. 142.

Albert : Op. Cit., p. 442, William : Op. Cit., V. 1, p.p. (٢٦)
305 — 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67,
L'Épopée, p. 58.

(٢٧) ويمسبه البرت هنا انزو (Enxhu أو Enzhu)
Alberti : Op. Cit., p. 442, Grousset : Hist. des Crois.,
V 1, p. 67.

Alberti : Op. Cit., p. 442, William : Op. Cit., V. 1, (٢٨)
p 306, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67,
L'Empire, p p 205, 297, L'Épopée, p. 581, Zoé : Op.
Cit., p. 141.

Zoé . Op. Cit., p. 230. (٢٩)

Alberti . Op. Cit., Liber V, T. 4, p 442, William : Op. (٤٠)
Cit , V 1, p. 305.

الدرنج خصنا لا يقل خشونة عن البيزنطيين (٤١) .

وبهذا اتضحت حقيقة مشاعر بلدوين البولوني لأهالي الرها ، ولم يستطيعوا معارضته بصورة جهرية لشدة بطشه بين قلوبهم بالمؤامرة السابقة ، ولذا كظم الأهالي غيظهم في سكوت ، حتى انتهت فترة إمارة بلدوين على الرها وتوجه : ١١٠٠م الى بيت المقدس ليحتل عرشها . ولكن قبل رحيله اقل كامل أهالي الإمارة بالخرائب المختلفة وابتز كثيرا من أموالهم ليدير بها نفقات سفره الى القدس (٤٢) .

أهالي الرها وبلدوين دي بورج ١١٠٠ - ١١١٨م :

وعندما تولى بلدوين دي بورج حكم الرها عمل على استرضاء الأرمن والتقرب اليهم وتحقيق نوع من التآلف بينهم وبين الصليبيين الغربيين ، كي يعيد الثقة في الحكم الصليبي الى نفوسهم ويحجروا الأثر السيء الذي تركه بلدوين البولوني في نفوسهم (٤٣) . وكان أن نجح في سياسته هذه واستحوذ على مشاعر الأهالي الصاعدة (٤٤) . وذلك بوسيلتين : الأولى زواجه من الأميرة مورفيا الأرمنية (٤٥) ، والثانية تقوية الروابط الودية بينه وبين الكنيسة الأرمنية (٤٦) .

وقد برزت أولى المساعدات الحقيقية التي قدمها أهالي الرها لبلدوين في معركة حران ، إذ شاركه فيها مجموعة كبيرة من القوات الأرمنية (٤٧) . التي قتل معظمها في المعركة (٤٨) ، ورثاهم متى

Grousset : L'Épopée, p.p. 58 — 59. (٤١)

Mattieu : Op. Cit., p. 52, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 381. (٤٢)

سعيد عاشور : احلركة الصليبية ، ج ١ ص ٢٨ . (٤٣)

Zoé : Op. Cit., p. 230. (٤٤)

Michel : Op. Cit., p. 188, Iorga : L'Arménie Cilicienne, (٤٥)

p. 93, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 392, Cahen : Op.

Cit., p. 230, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 438.

Grousset : L'Empire, p. 298, Setton : Op. Cit., V. 1, (٤٦)

p. 292 — 293.

Mattieu : Op. Cit., p. 71, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, (٤٧)

p. 404, V. 2, p. 871, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 389,

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 42.

Mattieu : Op. Cit., p. 73, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, (٤٨)

p. 407. عن (Albert)

الرهاوى فى حزن شديد (٤٩) . على أن أهالى الرها لم يستسلموا للحن بعد هزيمة حران التى أسر فيها بلدوين دى بورج وجوسبلين دى كورتناى كما مر بنا ، وحاول الأهالى انقاذ الوضع الداخلى للرها بسرعة ففعلوا اختيار تنكريد اميرا لهم ووافق هو على طلبهم (٥٠) . ولكن سرعان ما هددت الجيوش التركية بقيادة جكرمىش الرها وعندئذ بذل الأهالى كل ما فى وسعهم لمساعدة تنكريد لردهم عن الإمارة ، فكان لجهود أهالى الرها فى تلك الفترة أثره الفعّال فى رد الأتراك وقى أحرار النصارى (٥١) .

وبانتفاء ذلك الدور من أدوار الخطر التركى دخلت الإمارة فى فترة من أحلك فترات تاريخها ، وهى فترة حكم رينشارد دى سالرنو نائب تنكريد من ١١٠٤م — ١١٠٨م التى قاسى فيها أهالى الرها كثيرا من جراء حكم ذلك الأمير بسبب جشعه ومصادراته لهم (٥٢) . هذا الى جانب اخناتنه العسكرى الذى أودى بحياة الكثير من أهالى الرها خاصة فى مواجهة حملة جكرمىش على الرها (١١٠٥م — ١١٩٦هـ) (٥٣) .

وبالملاق سراح بلدوين دى بورج ١١٠٨م → ٥٠٢هـ نرح أهالى الرها

-
- Mattieu : Op. Cit., p. 73. (٤٩)
 Alberti : Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616, Gesta (٥٠)
 Tancredi : T. 3, p. 712, Willam : Op. Cit., V. 1, p. 459, Bréhier : Vie et Mort, p. 315, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 407, Setton : Op. Cit., p. 389, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 43.
 Alberti : Op. Cit., Liber IX .. T. 4, p.p. 616 — 617, (٥١)
 Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 408, L'Epopée, p. 79, Zoé : Op. Cit., p. 214.
 Michel : Op. Cit., p. 195, Grousset : Hist. des Crois., (٥٢)
 V. 2, p. 872, عن (Anonyme), Cahen : Op. Cit., p. 246, Zoé : Op. Cit., p. 214.
 Mattieu : Op Cit, p. 79, Grousset . Op. Cit., V. 1, (٥٣)
 p.p 437 — 438.

هنا يذكر بنى الرهاوى انه نفذ فى تلك المعركة من أهالى الرها حوالى ٥٠ شخصاً . وأن تلك الكارثة حبلت اليأس الى الرها ، فكل عائلة كانت فى حزن وكل بيت دوى بالنواح والتاوهات ، وكل الريف المحيط بالمدينة سال مالدن .

بعودة أميرهم القديم ويتناصبهم من حكم ريتشارد الليرماتدى وجمعوا الأموال لدفع نفية بلدوين (٥٤) . ثم تطورت الأحداث كما مر بنا وقامت الحرب بين الأمير بلودين دى بورج وحليفه جلولى من ناحية وبين الأمير تنكريد وحليفه رضوان من ناحية أخرى ، وهى الحرب التى انتهت بهزيمة الجانب الرهوى (٥٥) .

وكان لتلك الهزيمة اثر كبير فى تغير سياسة بلدوين دى بورج الودية تجاه الأرمن بالذات . فما ان علم أهالى الرها بأخبار الهزيمة حتى شملهم حزن عميق وتأسفوا على بلدوين الذى ظنوا أنه قد مات . وفى نفس الوقت خافوا من عودة الحكم النورماتدى اليهم ممثلا فى شخص ريتشارد ، الذى حلوا لعنده أسوا الذكريات . لذلك عقدوا اجتماعا فى كنيسة القديس حنا بالرها Saint- Jean حضره رئيس الأساقفة اللاتين بالمدينة وطلب الأهالى بأن يتولى أمر الدفاع عن قلعة المدينة بقية رجال الأسقف اللاتين . اتى جانب أهالى الرها حتى يختاروا حاكما جديدا لهم (٥٦) . وتردد عندئذ انهم فكروا فى تولية كوغ باسيل الأرمنى عليهم (٥٧) .

ولكن حدث فى اليوم التالى للاجتماع أن توجيء الأهالى بخول كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى الرها . وعندما استقصى الأميران أحوال البلاد ، علموا بتلك النوايا الخطيرة التى كان الأهالى قد سهبوا على تنفيذها فاعتبروها نوعا من المحاولات الاجرامية فى حقهم (٥٨) .

وهكذا تحولت سياسة بلدوين دى بورج كلية من الطابع الودى الى أقصى درجات الشدة والقسوة فى معاملة أهالى الرها ، الأمر الذى جعل من الرهوى يظهر حزنه الشديد على من راحوا ضحية تلك الحركة ، الذى يعتقد أنها قامت أصلا بسبب أصفاء الفرنج لبعض الوشائيات الكاذبة (٥٩) .

Zoé : Op. Cit., p. 240. (٥٤)

Mattieu : Op. Cit., p. 87, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 394. (٥٥)

المعنى : عقد الجمان ، د ١٥ م ٣ ص ٦٤٠ — ٦٤١ .

Mattieu : Op. Cit. p.p. 87 — 88. (٥٦)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 442. (٥٧)

Mattieu : Op. Cit., p. 88. (٥٨)

Mattieu : Ibid., p. 88. وما ذكره من الرهوى : (٥٩)

« نهبت منازل الرهويين وسملت أعين كثيرين منهم لم يكن لهم أى فئب على

والحقيقة أنه ينبغي أن نشير هنا إلى أن العقاب السريع الذي أنزله بلدوين بأهالي الرها في ذلك الوقت لم يكن هو الحل الملائم . فماذا كان يفعل الأهالي عندما وجدوا أن أميرهم قد حلت به الهزيمة ولم يعد مما أثار الظن بأنه فقد ؟ اليس معنى ذلك أنهم سيهودون مرة أخرى لحكم ريتشارد القاسي الظالم ؟ مما جعلهم يذكرون في التخلص من الحكم الفرنجي كلية ؟ لكن ربما كانت الأمور قد سارت إلى عكس ما تطورت إليه إذا كان بلدوين دى بورج قد عالج الأمور بنوع من التروي والتعتل .

ومنذ ذلك الوقت أصبح التعاون بين الفرنج وبين الأرمن بالذات ضيقا جدا حيث بدأ الصليبيون في الرها ينظرون إليهم بنوع من الشك والريبة (٦٠) . وبهد أن كانت سياسة بلدوين في حكم الرها تقوم على أساس الربط بين الصليبيين والأرمن ، إذا به يغير سياسته تغييرا تاما فاستبعد الأرمن من حسابه كلية وأعتد في حكومته اعتمادا واضحا على رجاله من الصليبيين الغربيين وحدهم (٦١) .

وإذا كانت سياسة بلدوين تجاه الأرمن ١١٠٨م — ٥٠٢هـ قد انصبت للعنف في معاملتهم ، فإن سياسته مع المسلمين في نفس السنة انصفت بالتسامح تنفيذا للاتفاق الودي الذي كان قد تم بينه وبين جاولي عند إطلاق سراحه (٦٢) . والمعروف أن المسلمين في الرها كانوا متركزين تقريبا في سروج في ذلك الوقت إذ كان بها حوالى ثلثائة مسلم فسمح بلدوين لأصحاب جاولي بتعمير مساجد المدينة (٦٣) ، وخير دليل على تسامح بلدوين مع المسلمين في ذلك الوقت أن رئيس سروج كان مسلما ثم ارتد فسمعه أصحاب جاولي « يقول في الإسلام قولا شنيعا فخرموه وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع » فلما علم بلدوين دى بورج بذلك قال « هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين نفقله (٦٤) » .

الاطلاق ، وعاقب الفرنج مسيحي الرها عقوبات قاسية ، وابتهجوا لرؤية الدم الطاهر الذي سلك » .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443 (٦٠)

(٦١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، د ١ ص ٥٤ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 438. (٦٢)

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ، د ١ ص ٤٠٠ .

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p p. 428 — 439.

(٦٤) ابن الأثير : الكامل ، د ٨ ص ٢٥٤ ، الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء ،

Grousset : Ibid., p. 439. د ١ ص ٤٠٠ .

ونظراً إلى أهالي الرها على ذلك الوضع حتى ١١١٠م (٥٠٤ هـ) عندما بدأ مودود كما رأينا حركة الجهاد الإسلامي ضد الفرنج فكان لحملته الأولى في هذه السنة ضد الفرنج أثرها الكبير على الوضع السكاني في الرها ، وقد مرت بنا دراسة تفصيلية لتلك الحملة في الأجزاء السابقة من بحثنا . لكن ما نود أن نبرزه هنا هو أنه عندما فشلت محاولة مودود في استدراج الفرنج إلى حران ليوقع بهم كما حدث في ١١٠٤م (٤٩٧ هـ) ، ويعد أن امرك الفرنج نواياه عندئذ رجعوا بسرعة إلى الرها وزودوها بالوؤن والحاميات اللازمة (٦٥) ثم عبر الفرنج إلى الضفة الغربية للفرات . عندئذ قرر أهالي الجزء الشرقي من الرها - الأرمن والسريان - الجلاء عن أراضيهم والالتجاء إلى مناطق كيسوم وربعان (٦٦) . خوفاً من بطش الأتراك بهم . وعندما بدأ تنفيذ خطة الجلاء هذه علم مودود وقواته بها وذلك عن طريق اثنين من الفرنج كما يقول متى الرهاوى (٦٧) . وكان أن أسرع مودود إلى الضفة الشرقية للفرات حيث أحدث منبحة كبيرة في الأهالي وأسر الكثيرين منهم خاصة من النساء والأطفال كما غرق البعض الآخر في أعداد هائلة في نهر الفرات ، وهو ما فصلته المصادر الأرمنية واللاتينية (٦٨) . إلى جانب المراجع الأرمنية المختلفة (٦٩) والتي أرجع بعضها تلك الإبادة السكانية إلى أن هجرة السكان في ذلك الوقت تمت في تهور وباعداد ضخمة بينما كان جيش كبير من الأتراك يقوم ببعض المناورات العسكرية في الضواحي القريبة (٧٠) . أما الفرنج الذين كانوا قد سبقوا الأهالي في عبور نهر الفرات ، فقد وقفوا على الضفة

Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 454, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399. (٦٥)

Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 454, L'Épopée, p.p. 88 — 89. (٦٦)

Mattieu : Op. Cit., p. 93. (٦٧)

(منورود وصفا لما لحق بالأهالي مع الملاحق)
Mattieu : Ibid., p.p. 93 — 94. (٦٨)

Fulcherii : Op. Cit., T. 3, p. 421 — 422.

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 455, L'Empire, p. 299, (٦٩)

L'Épopée, p. 89, Cahen : Op. Cit., p. 258, Zoé : Op.

Cit., p. 243, Setton : Op. Cit., V. 1, p. 399, Archer :

Op. Cit., p. 148.

Zoé : Op. Cit., p. 243. (٧٠)

الغريبة للنهر دون أن يستطيعوا منع تلك المذبحة أو تزويد الأهالي بأي نوع من المعونة . وتنفيذا عن غضبهم سكبوا الدموع الحزينة من أجل تلك المناظر التي شاهدهوها عن قرب (٧١) . في حين رجع مودود الى المشرق وصحبته أعداد ضخمة من الأسرى وغنائم لا تحصى (٧٢) .

وهكذا كان من أهم الآثار المترتبة على حملة مودود على الرها ١١١٠م (٥٠٤) أنها أدت الى أحداث خلطة كبيرة في سكان امارة الرها وعلى وجه الخصوص في جزئها الشرقي (٧٣) . كذلك ترتب على تلك الحملة ضعف فرنج الرها واتجاههم نحو العنف والابتزاز والقسوة وبذلك استثاروا كراهية الأهالي الذين رحبوا بهم أصلا للدفاع عنهم (٧٤) .

والواقع ان شعور الكراهية الشديدة من جانب الأرمن للصليبيين منذ التتكيل الذي لحقهم على يد بلدوين دى بورج ١١٠٨م (٧٥) (٥٠٢) الى جانب المجاعة المتسببة عن حملة مودود ١١١٠م (٧٦) (٥٠٤) والتي قاسى منها أهالي الرها - وبخاصة قسمها الشرقي - أدى كل هذا الى تكير بعض الأرمن في الخلاص من النفوذ الفرنجي وفكروا في تسليم الرها للمسلمين وذلك اثناء حملة مودود على الرها ١١١٢م (٥٠٦) . كان أن توجه بعض الأرمن الى مودود وتوسلوا اليه ان يؤمنهم على ارواءهم في مقابل تسليمهم المدينة له فوافق مودودا على تلك الفكرة وتسلم برجا يطل على الناحية الشرقية للمدينة (٧٧) .

Mattieu : Op. Cit., p. 94, Fulcherli : Op. Cit., T. 3, p. 422, (٧١)
Grousset : L'Epopée, p. 89, Hist. des Crois., V. 1, p. 455,
Archer : Op. Cit., p. 148.

Mattieu : Op. Cit., p. 94. (٧٢)

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 289, Grousset : Hist. des (٧٣)
Crois., V. 1, p. 455.

Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 399, 400. (٧٤)

سعيد عاشور : الحركة ، ج ١ ص ٥٥ (٧٥)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 443,

Mattieu : Op. Cit., p. 101. (٧٦)

Mattieu : Ibid., p. 101, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, (٧٧)
p. 473.

ويقال أن بعض السريين اشتركوا في تلك المؤامرة
Grousset : L'Empire, p. 299 من (L'Anonyme)

ولكن اخبار تلك المؤامرة وصلت الي اذان جوسلين الاول فاسرع الى الرها ليلحق بالامير بلدوين . وعندئذ انزل جوسلين بالسامرين اشد الوان العقوبة والتي بالأتراك من اعلى الجدران فهلكوا في الحال . وبهذا لم يتم استيلاء المسلمين على الرها في ذلك الوقت بفضل جهود جوسلين بالذات (٧٨) .

ورغم التنكيل الشديد الذى تعرض له الأرمن ١١١٢م ، فان ذلك لم يثبط عزائمهم ، بل زاد من كرههم للتفوذ الصليبي . لذا انتزعوا فرصة وجود بلدوين في تل بلشر بعد ان انتزعها من جوسلين دى كورتناى ١١١٢م (٥٠٧ هـ) وحاولوا من جديد تسليم الرها للأتراك أثناء حملة بودود على الرها في تلك السنة (٧٩) .

ويؤكد متى الرهاوى انه لم تكن هناك مؤامرة حقيقية بل ان الامر لم يتعد مجرد بعض الاشاعات الكاذبة ابتكرها بعض الفرنج اليبالين للشر ونقلوها للامير بلدوين فصدقها بسرعة (٨٠) . ولكننا نرجح انه كان هناك اتصال حقيقى بين اهالى الرها الأرمن وبين الأتراك بسبب ضجرهم في ذلك الوقت من الفرنج ومن حكمهم التمسنى .

وما كاد بلدوين دى بورج يسمع تلك الاخبار ، حتى امر حاكم سروج بطرد كل اهالى الرها دون أى استثناء (٨١) ، وتم ذلك في ١١ مايو ١١١٢م (٨٢) وقد اورد لنا متى الرهاوى صورة مفصلة لطرد اولئك الاهالى ظهرت فيها مدى قسوة الفرنج في القيام بذلك ، كما عبر عن حسرته الشديدة لاخلاء تلك المدينة التى كانت بمثابة الام لبقية المدن المحيطة بها (٨٣) .

Mattieu : Op. Cit., p. 102. (٧٨)

Mattieu : Ibid., p. 104, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490. (٧٩)

Mattieu : Op. Cit., p.p. 104 — 105. (٨٠)

Mattieu : Ibid., p. 105. (٨١)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 490. (٨٢)

Mattieu : Op. Cit., p. 105. (٨٣)

فقد فكر متى الرهاوى : « ... انه حلت كارثة مريئة بالرها ، لم يعرف الاب ابنه واتكر الابن ابيه ، دوى النواح والتواوهات في كل مكان ، وغمر كل منزل في الحزن والحداداد .. طرد الفرنج الاهالى من منازلهم ، وامروا باحراق هؤلاء الذين اختبأوا في المنازل ، فلم يبق فيها احد الا القليل ، .. »

==

وتلتبس بعض المراجع الحديثة المعبر نقسوة بلدوين آنذاك
يدعوى ان مرجع ذلك كان تكرار تأمر الأرمن بالذهاب مع الأتراك ضد
الفرنح في الرها (٨٤) .

ويلاحظ انه كان يوجد بالرها عندئذ عدد قليل من السريان (٨٥)
الى جانب بعض الأرمن الذين التجأوا الى كنيسة القديس ثيودور واحتشروا
بها ثم انتقلوا الى القلعة تحت حراسة قوية (٨٦) . وعندما رأى بلدوين
دى بروج تعذر القيام بشئون الإمارة بمساعدة هذه المجموعة القليلة من
أهالى الرها فضلا عن رفقه الفرنج اضطر الى استدعاء الأهالى المنفيين
من سبيلسط وتم ذلك في فبراير ١١١٤م (٨٧) (٥٠٧) . ولكن عودة
الأهالى مرة أخرى الى بلادهم لايعنى في نفس الوقت عودة العلاقات
الطبيعية بينهم وبين أميرهم الصليبي الذي اتسارت اليه بعض المراجع
الفرنجية بأنه « مضطهد الأرمن (٨٨) » . هذا فضلا عن سوء العلاقة
بين الأهالى والصليبيين الغربيين الذين اعتبروا « طلبى منافع وتهم في
سبيل الحصول عليها ارهقوا البلد كثيرا بمعاملاتهم القظة (٨٩) » .

أهالى الرها في عهد جوسلين دى كورتناى ١١١٩م - ١١٢١م :

وعندما تولى جوسلين الأول حكم إمارة الرها حاول جاهدا أن يتقرب
من أهله وخاصة العنصر الأرمنى الأكثر عددا ، وذلك ليزيل ذلك الحجز
الذى كان قد فصل بينهم وبين الصليبيين الغربيين في الرها في عهد
بلدوين دى بروج ، ولكى يحو من نفوسهم الأثر السوء الذى تركته قسوته
وشدة بطشه بالأرمن عقب مؤامرتهم ١١١٢م . لذا نجد المؤرخ الأرمنى

فيا للشقاء على شعب أيجر ... » .

وقد تم اجلاء غالبية الأهالى الى سبيلسط

(Mattieu : Op. Cit., p. 105,

Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 491, L'Empire. p. 299).

Setton : Op. Cit., V. 1, p.p. 401 — 402, Grousset : Hist. (٨٤)
des Crois., p. 491.

Grousset : Ibid., V. 1, p. 491.

(٨٥)

Mattieu : Op. Cit., p. 105.

(٨٦)

Grousset : Op. Cit., V. 1, p. 491, L'Empire, p. 299.

(٨٧)

Zoé : Op. Cit., p. 262.

(٨٨)

Mattieu : Op. Cit., p. 106.

(٨٩)

المعاصر متى الرهاوى يؤكد أن ذلك الأمير حرص عند تولية شئونهم على أن يظهر المصلح على أهالي الرها (٩٠) .

وتدعيما لتلك السياسة نجده يحذو حذو الأميرين السابقين للرها فتأخذ لنفسه زوجة أرمنية هي أخت الأمير ليون (٩١) . والحقيقة أن جوسلين اخلص في حبه لرعاياه الأرمن فبادله حبا بحب (٩٢) . وفي نفس الوقت لم يهمل جوسلين المنصر المرياني ، فحرص على أن يقوى رابطته به أيضا (٩٣) .

من أهم المقاسبات التي أبرزت مدى حب رعايا جوسلين الأول له ما حدث عندما علم أهالي الرها بأسره ١٢٢٢م (٥١٦ هـ) — كما بينا من قبل — إذ اتهم لم يفكروا عندئذ في انتهاز فرصة غيابه عن الإمارة ليثوروا ، وإنما اظهروا الحزن الشديد وخضعوا للملك بلدين الثاني منتظرين عودته (٩٤) . ولكن عندما أسر الملك في العام التالي أيضا بدا أهالي الرها — وخاصة المنصر الأرمني — يفكرون في أنجح الوسائل وأسرعها لاتقاذ أميرهم .

وما كاد جوسلين يرسل رسالة الى رعاياه طالبا منهم النجدة (٩٥) حتى سارع عدد منهم الى خربيرت — كما مر بنا — واطلقوا سراح الوجوديين فيها ، ولكن ببجرد خروج جوسلين ومسل بك الأرتقى الى القلعة وانزل عقوبته الشديدة بمن فيها (٩٦) . وكان جزاء الجبوعة

Mattieu : Ibid., p. 128. (٩٠)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152, William : Op. Cit., (٩١)

V. 2, p. 152, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 8. عن

(L'Anonyme), Jacques de Morgan : Op. Cit., p. 172,

Tournebize : Op. Cit., p. 173.

Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois., V. 1, p. 590, (٩٢)

Archer : p. 162.

Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois. V 2, (٩٣)

p. 877. (L'Anonyme).

Zoé : Op. Cit., p. 297. (٩٤)

Zoé : Ibid., p. 297, Cahen : Op. Cit., p. 297, Setton : (٩٥)

Op. Cit., V. 1, p. 419.

Mattieu : Op. Cit., p. 135, Michel : Op. Cit., p. 211, (٩٦)

William : Op. Cit., V. 1, p.p. 543 — 544, Cahen : Op.

الارمنية الغدائية « أن بعضهم قطع أربا والبعض دفنوا أحياء ، وتحول آخرون الى عبيد لرجال تلك الى جانب قلة هربوا أحياء (١٧) » . وهكذا لم يثن بعض العناصر الارمنية في الرها بتقديم أرواحها فداء للأمير جوسلين ، واثبتوا ببطولتهم وبذلهم لذاتهم مدى صلتهم وحبهم لذلك الأمير (١٨) .

أهالي الرها في عهد جوسلين الثاني ١١٣١م — ١١٤٤م وموقف زنكى منهم عند فتح الرها :

وعندما ورث جوسلين الثاني إمارة الرها عن أبيه ورث معها حب أهلها الشديد لوالده (١٩) . كذلك كان جوسلين أكثر أمراء الرها قربا للأرمن لأنه كان ابنا لأرمنية — كما أثرتنا — فلا غرو إذا أسمته بعض المصادر العربية (جوسلين الأرمني) (١٠٠) .

وقد ظل أهالي الرها يتعمون بالهدوء وبحب أميرهم لهم حتى كانت ١١٤٤م — (٥٣٩هـ) عندما تقدم زنكى للاستيلاء على الرها . وكان جوسلين الثاني قد عهد الى أهالي الرها الأرمن والسريران بحماية المدينة في أثناء تواجده في بل باثر ، فدافعوا جميعا عنها بشجاعة رجالا ونساء ، عظماء وفقراء وبذلوا كل ما في وسعهم لحماية أسوار المدينة (١٠١) . وعندما طلب منهم زنكى تسليم المدينة في مقابل المحافظة على أرواحهم رفضوا بشدة (١٠٢) ، مما جعل زنكى يقرر الاستيلاء على المدينة

Cit., p. 297, Zoé : Op. Cit., p. 298, Archer : Op. Cit., p. 163,

ابن المديم : زبدة الطلب ، ج ٢ ص ٢١٣ .

William : Op. Cit., V. 1, p. 544. (٩٧)

Grousset : L'Empire, p. 300. (٩٨)

Zoé : Op. Cit., p. 299. (٩٩)

(١٠٠) ابن المديم : بنية الطلب ، مخطوط ص ٣٦٨ ، ابن الفرات :

تاريخ الدول والملوك ، ج ١ مخطوط ، ص ٥٦ (ب) ، ٦٠ (ب) ، ٩١ (ب) .

Nersès : Op. Cit., p. 251, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (١٠١)

p. 268. Grousset : L'Empire, p. 300, Hist. des Crois..

V. 2, p.p. 179, 180, Zoé : Op. Cit., p. 338.

Michel : Op. Cit., p. 260, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (١٠٢)

p. 268, Nersès : Op. Cit., p.p. 248 — 249.

ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٨ — ٦٩ وسياتي وصف لمصل لاستناته الأهالي في الدفاع في الملاحق ضمن قصيدة رثاء الرها .

بالقوة . وعندما سقط جزء من السور ضاعف الأهالي جهدهم لسد تلك
الثغرة التي فتحت والدفاع عنها (١٠٣) . ولكن استبسالهم لم يمنع عنهم
مصيرهم المحتوم آنذاك .

هنا نجد المصادر العربية تكفي بالقول بأن المسلمين اعملوا في اهل
الرها القتل والأسر والنهب والسلب (١٠٤) . أما المصادر الأرمينية
والسريانية الى جانب المصادر والراجع الأفرنجية ، فقد اشارت الى
انه عندما تحول الأهالي جميعا للدفاع عن الجزء الذي سقط من السور ،
اعلنت القوات الزنكية السور ونزلت الى الديفة وعلت مديحه هائلة في
اهالي الرها ، فصلها لنا غالبية تلك المصادر بصورة مسهبة (١٠٥) .

وكان أن اسرع بقية الأهالي الذين نجوا من تلك الذبحة الى قلعة
المدينة للاحتباء بها ، فمات أكثرهم خنقا من شدة الزحام (١٠٦) .
والواقع انه مهما بالغت المصادر غير العربية في تصوير التكتل الذي لحق
بالأهالي في ذلك الوقت ، فان هذا لم يكن بالشئ الجديد بالنسبة لأهل

(١٠٣) Michel : (التكميل في الملاحق) ، p. 253, Nersès : Ibid.,

Op. Cit., p. 261, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 269.

(١٠٤) ابن الأثير : التكميل ، د ٩ ص ٨ ، الباهر ، ص ٦٩ ، ابن العديم :
زبدة الحلب ، د ٢ ص ٢٧٩ ، أبو شامة : الروضتين ، د ١ ق ١ ص ٩٥
ابن كثير : البداية والنهاية ، د ١٢ ص ٢١٩ ، ابن قاضي شهبة : الدر
الثمين ، الباب السابع ٥٣٩ هـ ، النويري : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة ٥١ .

(١٠٥) Nersès : Op. Cit., p.p. 255 — 6

(مع قصيدة الرثاء في الملاحق)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 158, Michel : Op.

Cit., p.p. 261 — 262, Bar Hebraeus : V. 1, p. 269,

William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Michaud : Op. Cit.

V. 2, p. 105.

(١٠٦) Nersès : Op. Cit., p.p. 257 — 258, Grégoire Le Prêtre :

Op. Cit., p. 158, Michel : Op. Cit., p. 262, William :

Op. Cit., V. 2, p. 143, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1,

p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Michaud : Op. Cit.,

V. 2, p. 105.

وقد ذكر الكاهن جريجوار ان عدد من هلكوا امام القلعة قدر بحوالي ألفي
شخص .

الرها ، الذين ذاقوا الكثير على يد بلدوين دى بورج ورفاقه من الصليبيين
الغربيين في السنوات ١١٠٨ م ، ١١١٢ م ، ١١١٣ م .

وعندما دخل زنكى المدينة آمن أهلها وبنى ما اتهدم منها (١٠٧) ،
وأصدر أوامره لرفاقه بأغباد السيف (١٠٨) . والواقع أن هذا الأمان
لم يشمل كل أهالى الرها بل اقتصر فقط على أهلها الأصليين من الأرمن
والسريان (١٠٩) . أما الفرنج فقد أمر زنكى بقتلهم أينما وجدوا ويسبي
زوجاتهم وأسر أطفالهم (١١٠) .

والحقيقة أن زنكى تسامح بالذات مع العنصر السريانى وشجع
الموجودين منهم بالمدينة بكل جوارحه ولجأ الى الشفقة في معاملتهم (١١١) .
وأعطاهم مزيدا من الامتيازات ، بعكس الأرمن الذين تأسفوا على الحكم
الفرنجى الذى تضامنوا معه بشدة (١١٢) . وبهذا استطاع زنكى عن
طريق عطفه الكبير على السريان الوطنيين ، أن يقيم جبهة مؤيدة له من ذلك
العنصر في مواجهة الغزاة الغربيين ، وهى نفس سياسة مسلاح الدين
فيما بعد (١١٣) .

وهكذا عادت الرها الى ملكايت عليه في اواخر القرن الحادى عشر
مدينة يسكنها الأرمن والسريان تحت حماية الأتراك (١١٤) . وعهد زنكى

(١٠٧) ابن المديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ ، أبو الحاسن : النجوم
الزاهرة ، ج ٥ ص ٢٧٥ .

(١٠٨) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 159, Bar Hebraeus :
Op. Cit., V. 1, p. 269, Cahen : Op. Cit., p. 370, Zoé:
Op. Cit., p. 337.

(١٠٩) Michel : Op. Cit., p. 263, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (١٠٩)
p. 270, Grousset : L'Épopée, p.p. 163 — 164.

(١١٠) Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 159, Michel : Op. Cit., (١١٠)
p. 263, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 270, Archer :
Op. Cit., p. 202, Grousset : L'Épopée : p. 163,
Cahen : Op. Cit., p. 370.

(١١١) Michel : Op. Cit., p.p. 267 — 268, Grousset : Hist. des
Crois., V. 2, p. 189, L'Empire, p. 300.

(١١٢) Grousset : L'Épopée : p. 164, Hist. des Crois., V. 2, p. 198

(١١٣) Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 189

(١١٤) Grousset : Ibid., p. 180.

بالإشراف على شئونها التي زين الدين على كوجك ، الذي عمل الأهالي
معاملة طيبة جدا (١١٥) .

دخول العنصر اليهودي الى الرها ١١٤٦م :

عندما لمس الأرمن في الرها شدة اهتمام زنكي بالعنصر السرياني
ومعاملته الطيبة له لم يرتاحوا لذلك ، فاستغلوا صغر حجم الحامية الزنكية
في المدينة وبدأوا يتآمرون مع الفرنج للتخلص من تلك الحامية ومن النفوذ
الإسلامي ، وليعيدوا النفوذ الفرنجي مرة أخرى . كان ذلك بعد مرور
حوالي سنة ونصف تقريبا على استيلاء زنكي على الرها (مايو
١١٤٦م) (١١٦) .

ولكن زنكي اشتد في التنكيل بهم ، وكانت عقوبته إما القتل أو الصلب
أو التشريد (١١٧) . ثم أحل محلهم حوالي ثلاثمائة أسرة يهودية (١١٨) .
وأصبح لهؤلاء اليهود نفس الحقوق أمام القضاء مثل المسيحيين (١١٩) .
وبذلك دخل الى الرها عنصر جديد ، ولكن دخوله كان موازيا لزوال النفوذ
الصليبي عنها . وربما كان من الممكن أن يسير الأحوال الداخلية في الإمارة
على منوال آخر إذا كان العنصر اليهودي موجودا بها منذ فترة مبكرة أكثر ،
فقد كان اليهود الد أعداء المسيحية عموما (١٢٠) .

نور الدين وأهالي الرها ١١٤٦م (٥٤١هـ) :

وبينما كان السريان وعلى رأسهم البطريرك باسيليوس لا يطلبون شيئا
سوى بقاء النفوذ الإسلامي ، الذي أتاح لهم نوعا من النفوذ المعنوي على

(١١٥) Vasiliev : Op. Cit., V. 2, p. 69, Cahen : Op. Cit., p. 370

(١١٦) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338, Runciman : Op. Cit.,
V. 2, p. 238.

(١١٧) ابن القلانسي : الذيل ، د ٢٨٢ ، ابن العديم زبدة الحطب ، د ٢
ص ٢٨١ ،

Gibb : Op. Cit., p. 270, Grousset : Hist. des Crois.,
V. 2, p. 195.

(١١٨) J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Cahen : Op. Cit.,
p. 371, Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 239.

(١١٩) Lammens : Op. Cit., V. 1, p. 287.

كانت شهادة اليهودي أمام للقضاء مساوية لشهادة المسيحي .
(١٢٠) سعيد عائور : الحركة الصليبية ، د ٢ ص ٦١ .

المعتقد الأخرى تأمر الأرمن في الرها لإعادة النفوذ الفرنجي إليها (١٢١) .
وهنا أضناف أحد المراجع المترجمة عن أصل عبري أن من أسباب تأمر
الأرمن أيضا دخول عدد ضخم من اليهود الى البلاد بواسطة زنكى (١٢٢) .

وقد نتج عن تأمر الأرمن استعادة جوسلين الثاني الرها لفترة
قصيرة ، لم تستمر أسبوعا واحدا ، أعقبها تفكيك نور الدين محمود بن
زنكى بأهالى الرها جميعا . وهنا تكتفى المصادر العربية بالاشارة
الى مصير هؤلاء الأهالى ومدينتهم في عبارة موجزة « نهبت المدينة وسبى
أهلها فخلت منهم ولم يبق الا القليل (١٢٣) » . أما ابن القلائسى المعاصر
فيعطينا نفس المعنى بصورة أخرى بقوله « محق السيف كل من
ظهر به من نصارى الرها واستخلص من كان أسر من المسلمين ونهب
منها الشيء الكثير (١٢٤) » .

أما المصادر السريانية والارمنية والفرنجية وما نقل عنها من مراجع
أجنبية حديثة فتفصل الحديث بأسباب شديدة عما أصاب الأهالى من
تفكيك في ذلك الوقت عندما كانوا في طريقهم للهرب من الرها .

وقد صادفنا رايان عن سبب خروج الأهالى . فميخائل السرياني
ومن نقل عنه يفكر أن الأهالى أجبروا على الجلاء عن مدينتهم بعد أن
أشعل الفرنج النار في منازلهم ومنافعهم (١٢٥) . أما ولیم الصوري
ومن أخذ عنه فيذكر أن هؤلاء الأهالى عندما تيقنوا من فشل محاولة
جوسلين التى شجعوه أصلا في القيام بها ، وعلموا أن كل أمل في المقاومة
قد انتهى وأن كل طريق للنجاة قد أغلق . ثم تآكدوا أنهم سيعاقبون
بالموت في اضطلع اشكاله ، عندئذ فضلوا أن يرحلوا مع زوجاتهم وأطفالهم
وأن يقتسبوا حظا غير اكيد مع أخوانهم في الجيش المسيحي عن أن يموتوا
أو يتحولوا الى العبودية بواسطة المسلمين (١٢٦) .

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 199. (١٢١)

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339. (Traduit de l'hébreu (١٢٢)
par G. Nahon).

(١٢٣) ابن الأثير : الكامل ، د ٩ ص ١٤ ، الباهر ص ٨٦ — ٨٧ ، ابن
العميد : زبدة الطب ، د ٢ ص ٢٩٠ النويرى : نهاية الأرب ، د ٢٥ ورقة
٥٤ ، ابن واصل : مخرج الكروب ، د ١ ص ١١١ ، سبط بن الجوزى :
مرآة الزمان ، د ٨ ق ١ ص ١٩٢ .

(١٢٤) ابن القلائسى : الدليل : ص ٢٨٨ .

Michel : Op. Cit., p. 270, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (١٢٥)
p. 273.

William : Op. Cit., V. 2, p. 160, Grousset : Hist. des (١٢٦)
Crois., V. 2. p. 202.

وهنا نجد في المصدر السرياني وصفاً متصلاً لكيفية رحيل الأهالي بطريقتة مفاجئة غير منظمة قبل أن يشعر بهم المسلمون (١٢٧) . لكن لم تفي لحظات حتى نبه المسلمون إلى حركتهم بسبب الضوضاء العالية التي أحدثها الهاريون . وعندئذ أحاط المسلمون بهم وبدأوا يرمونهم بالسهام فسقط الكثير منهم قتلى (١٢٨) . إلى جانب عدد آخر من الأهالي ماتوا مخنوقين من شدة الزحام لو داستهم الخيول (١٢٩) . وكان للأتراك الموجودين في قلعة المدينة دورهم في التتكيل بالأهالي إذ تتبعوا الذين التجسأوا إلى الكنائس وإلى أماكن أخرى لمقتلهم أو غيبتهم (١٣٠) . وأسر عدد كبير أرسلوا إلى أسواق حلب (١٣١) . أما هؤلاء الذين استطاعوا الخروج من المدينة مع جوسلين الثاني وبلدوين أمير مرعش فقد لحق بهم الأتراك من جديد وأعملوا السيف فيهم فمقتل عدد كبير منهم من بينهم بلدوين نفسه (١٣٢) ، عندئذ فر بعض الفرسان الفرنج بخيولهم في حين لجأ المشاة الباقون إلى قلعة خربة كانت بالقرب منهم وتبعهم بعض الأهالي ، وهؤلاء فقط هم الذين استطاعوا الحفاظ على أرواحهم بالفرار إلى سبيساط عندما عاد الأتراك لنهب الرها مرة أخرى (١٣٣) . وكان جوسلين الثاني نفسه من بين الذين فروا

(١٢٧) (L'Anonyme) عن Grousset : Ibid., p. 884

Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160, (١٢٨)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 885.

Michel : Op. Cit., p. 270, William : Op. Cit., V. 2, p. 160, (١٢٩)

Grousset Op. Cit., V. 2, p. 884 عن (L'Anonyme).

Michel : Op. Cit., p. 270. (١٣٠)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 204, L'Epopée p. 165 (١٣١)

Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 885. (١٣٢)

ويقال أنه في ذلك الوقت عندما تعب المسلمون من القتل « جردوا من بقى من ملابسهم وأحذيتهم وربطوا أيديهم خلف ظهورهم ثم أمروهم رجلاً ونساءً بالجرى مع الخيول فمات عدداً كبيراً منهم تحت أقدام تلك الخيول التي داستهم عندما وقعوا » .

Michel : Op. Cit., p. 271, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 273.

Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161. (١٣٣)

Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 113.

الى سبيساط ولو أنه كان جريحا (١٢٤) . وهكذا دفع الأرمن — ومعهم أهالي الرها جميعا — شئ اخلاصهم الفرنج غالبا (١٣٥) . ولم ينقذهم عندئذ جوسلين ولا رفاقه الذين أسرع من بقى منهم بالفرار طلبا للنجاة .

وهكذا محيت الرها المسيحية في ذلك الوقت (١٣٦) . بعد ان فقدت غالبية أهلها المسيحيين — الأرمن والسريان — الذين قدر ميخائيل السرياني من فقد منهم في فتوح الرها الأول ١١٤٤م : الثاني ١١٤٦م بجوالي سبعة وأربعين ألف نسمة « قتل منهم حوالي ثلاثون ألفا وأسر وتحول للعبودية ستة عشر ألفا ونجا حوالي ألفا (١٣٧) » .

وبذلك أصبحت الرها مكانا خريا (١٣٨) ، بعد تاريخ مزدهر طويل ، لذا استحققت الرثاء (١٣٩) .

لكن اذا كانت الرها قد أصبحت أثرا بعد عين وقضى على غالبية سكان الجزء الشرقي من الإمارة ، فإن سكان تل باشا وما يحيط بها ظلت غالبيتهم موجودين في ذلك الجزء الغربي حتى أسر جوسلين الثاني . وعندما اشترى امبراطور الدولة البيزنطية غالبية ذلك الجزء المتبقى من الإمارة ، قورت زوجة جوسلين واطفاله الى جانب عدد كبير من الأهالي التوجه الى القدس مع الملك بلدوين الثالث (١٤٠) . وكان أن قتل عدد كبير من الأرمن والسريان النفي عن بلادهم عن الشعبية للتفوذ البيزنطي (١٤١) .

وبالفعل خرج مع الملك كل من أرادوا الرحيل ومعهم قطعان حيواناتهم وضروريات معيشتهم . وفي ذلك الحشد كان يرى رجال من أصول

Michel : Op. Cit., p. 271, William : Op. Cit., V. 2, p. 161, (١٣٤)
Bar Hebraeus : V. 1, p. 273, Grousset : Hist. des Crois.,

V. 2, p. 885 (L'Anonyme).

Grousset : L'Empire, p.p. 224, 301. (١٣٥)

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 339, Iorga : Brève Hist. des Crois., p.p. 92 — 93. (١٣٦)

Michel : Op. Cit., p. 272. (١٣٧)

Michel : Ibid, p. 272, Bar Hebraeus : Op. Cit. V. 1, p. 273. (١٣٨)

(١٣٩) سنورد رثاء ميخائيل السرياني وكذلك رثاء ديونيسيوس الأسدي في السلاحي .

William : Op. Cit., V. 2, p. 209. (١٤٠)

Zoé : Op. Cit, p. 355. (١٤١)

عالية ونساء نبيلات مع فتيات من اصول عريقة وأطفال صغار وقد شردوا من وطنهم وتركوا أرض أجدادهم وآبائهم ، في الم عميق (١٤٢) . وهكذا تشتت سكان إمارة الرها ؛ كما تمزقت أرضهم . بعد حياة مليئة بويلات الحروب المتتالية التي تعرضت لها الإمارة ، الى جانب الكوارث التي لحقت بهم بعد كل مؤامرة شهدتها تلك الإمارة الصليبية .

الحياة الاقتصادية :

رغم غنونا على بعض الاشارات البسيطة عن الحياة الاقتصادية للإمارة ، أثناء دراستنا للحياة السياسية بها ، الا ان ذلك القليل يعطينا صورة لا بأس بها توضح ذلك الجانب من بحثنا هذا .

والواقع ان غالبية اهل الرها كانوا زراعا وتجارا الى جانب بعض الرعاء (١٤٣)، حيث كان يوجد بالإمارة بعض المراعى والغابات(١٤٤)، ومن أهم ثروات المراعى الخيول الممتازة (١٤٥) ، ومن أهم اشجار الغابات شجر البلوط (١٤٦) .

الها الصناعة : فلم نعر الا على اشارة واحدة وسط كتابه وليم الصوري تدل على أنه وجدت بالرها صناعة الزيوت والخمور . فقد ذكر ان من بين الاشياء التي ارسلها بلدوين البولونى للصليبيين المحاصرين لانتاكية (الزيت والخمر) من اقليم تل باشر (١٤٧) .

ولما كانت الزراعة والتجارة هما ابرز معالم الحياة الاقتصادية للإمارة لذا سنحاول تركيز كلامنا عليهما .

الزراعة :

كانت إمارة الرها من أهم المناطق الزراعية الغنية في اقليم

William : Op. Cit., V. 2, p. 211. (١٤٢)

Haytonus : Flos Historiarum Terre Orientis : Op. Cit., (١٤٣)
p.p. 270 - 271, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 67.

William : Op. Cit., V. 2, p. 212. (١٤٤)

William : Ibid., V. 1, p. 238. (١٤٥)

فقد ذكر وليم الصوري ان من بين ما ارسله بلدوين البولونى من الرها للصليبيين المحاصرين لانتاكية الخيول الممتازة .

William : Op. Cit., V. 1, p. 497, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 487. (١٤٦)

William : Op. Cit., V. 1, p. 238 (١٤٧)

الجزيرة (١٤٨). الذى اشتهر دائما بخصوبة أرضه ووفرة حاصلاته (١٤٩) ويرجع ذلك الى توافر مياه الرى سواء عن طريق الأنهار أو الينابيع الجوفية والابطار (١٥٠). ومن أهم الحاصلات الزراعية لإمارة الرها الشعير والقمح (١٥١) وقد اشتهرت تل بآثر بقبحها بالذات (١٥٢). كذلك اشتهرت الإمارة بحداثتها الغنية (١٥٣). وكانت الرها بالذات

مشهورة بكرومها الوفيرة (١٥٤)، وورودها الجميلة العطرة (١٥٥). لها

Grousset : Hist. des Crois., V. 1. p. 456, Michaud : (١٤٨)

Op. Cit., V. 1, p. 75.

Nersès : Op. Cit., p. 241 - 242, Fulcheri : Op. Cit., p. 337, (١٤٩)

Alberti : Op. Cit., Liber IV. p. 393, William : Op. Cit.,

V. 2, p. 212.

Mattieu : Op. Cit., p. 48, Nersès : Op. Cit., p. 241. ١٥٠)

يقول نيرسيس على لسان الرها :

انبثقت من أحشائى مياه حية

وكانت مياه البحر تمتد بين أسوارى

ويعلق دولورييه على ذلك بقوله أن الشاعر يرمز بلفظ البحر الى نهر سبوتوس أو ديسان الذى كان يمر بالمدينة . وفى الربيع تتكاثر مياهه لذويان اللؤلؤ على جبال طوروس فتكون بحيرة بين الهضبتين المحيطتين بالمدينة .

Mattieu : Op. Cit., p. 49, William : Op. Cit., V. 1, p. 238. (١٥١)

William : Ibid., V. 1, p. 238, Zoé : Op. Cit., p. 295. (١٥٢)

Nersès : Op. Cit., p. 241, William : Op. Cit., V. 1, p. 193. (١٥٣)

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 219, Cahen : Op. Cit.,

p. 113.

ويضيف المرجع الأخير أن كثرة الحداثق المحيطة بالرها جعلتها تظهر ضاحكة باسمه جدا

Mattieu : Op. Cit., p. 48, Alberti : Op. Cit., Liber III (١٥٤)

T. 4, p. 353, William : Op. Cit., V. 1, p. 193.

وهنا يظهر البرت وفرة تلك الكروم بقوله « أن أهالى الرها كانوا يقدمون لبلك حاكم سيمساق ضرائب بيزنطية من محاصيل وأغراب » ويظهر وليم الصورى نفس المعنى بقوله . « أن ثوروس الأرمنى ظلم الأهالى وكان اذا قاومه أحد أثار الأنراك ضده فيصبح ذلك الشخص التعيس خائفا ليس فقط أن كرومه وحداثته ومحاصيله النامية تقطع وقطعانه تسلب بل كان يخشى على حياته أيضا » .

Nersès : Op. Cit., p. 241.

(١٥٥)

بذكر نيرسيس أن حداثتها كانت مليئة بالنرجس والزعران والورد والبنفسج .

تل باشر فكانت أشهر فواكهها الخوخ والبرقوق (١٥٦) .

على انه كانت للتواحي الطبيعية الخاصة بالفيضانات المدمرة او قلة الأمطار أو البرودة القارسة اثرها على الزراعة في الرها الى جانب الاثر الواضح الذي تركته الحملات العسكرية المتتالية وما ترتب عليها من آثار مدمرة حلت بالأرض الزراعية وما عليها من محاصيل شتى . ومن امثلة ذلك انه حدث في بداية قيام الإمارة تقريبا او على وجه التحديد ١٠٩٩م (٤٩٩٣هـ) ان الأمطار لم تسقط في أى جزء من اجزاء الإمارة مما تسبب عنه جفاف الأرض وتدمير الأشجار والكروم وبالتالي ، سبب الجذب فناء كبيرا بين اهالى الرها (١٥٧) . ويرجع متى الرهاوى تلك المجاعة الى الغضب الالهى الذى انتقم لموت الأمير ثوروس بطريقة غير عادلة ، بعد ان نقض الاهالى اليمين الذى اقسموه على العلييب والانجيل للمحافظة على حياته ، ثم قتلوه (١٥٨) .

وفي العام التالي ١١٠٠م (٤٩٩٤هـ) عاد الرضاء مرة اخرى فنضاعف انتاج القمح والشعير وحملت الأشجار الفواكه ونماضت ينابيع المياه بعيانها ووصل الناس والحيوانات الى درجة الشبع من كل شيء (١٥٩) . واستمرت الاحوال على هذا النوال حتى ١١٠٣م (٤٩٩٧هـ) عندما امسيت البلاد بفيضان مدمر مسحوبا بأمطار شديدة على شكل سيول مزروجة بالبرد ، فدمر جزءا كبيرا من الاراضى وسقط عدد من المنازل ونفقت حيوانات كثيرة (١٦٠) .

وفي ١١١٠م (٥٠٤هـ) عندما قام مودود بحملته على الرها كان للقرار ، الذى اتخذه اولى الامر من الصليبيين ذلك . تاثيره البالغ الخطورة على الناحية الزراعية . فقد قرروا اخلاء الجزء الشرقى من الإمارة الأكثر

Cahen Op. Cit., p. 116.

(١٥٦)

Mattieu : Op. Cit., p. 48.

(١٥٧)

Mattieu : Ibid., p.p. 48 - 49.

(١٥٨)

Mattieu : Ibid., p. 49.

(١٥٩)

Mattieu : Ibid., p.p. 68 - 69.

(١٦٠)

تعرضا للخطر من سكانه الفلاحين (١٦١) . وظنوا ان في تلك الخطوة سلامة اولئك السكان الأرمن والسريان . لكن حدث عكس ما كانوا يظنون . فقد دمر الأتراك السريف باكله (١٦٢) . وانلقوا كل الحقائق المحيطة ببرها (١٦٣) حتى انه ليس من المبالغة القول بأن هذا الاقليم الغنى الخصيب تحول في يوم واحد الى أرض مجدبة خالية من كل شيء (١٦٤) . وبالإضافة الى ذلك فقد قتلت غالبية أولئك السكان الفلاحين في ذلك الجزء بسهولة أثناء محلولتهم عبور نهر الفرات الى الضفة الغربية (١٦٥) - كما اشرنا - وبذلك كان لحمله مودود هذه اثرها الدمر على الناحية الاقتصادية كما كان لها ايضا اثرها البالغ الخطورة على الناحية السكانية .

وفي ١١١٣ م (٥٠٧ هـ) أصيبت اراضي الرها بمجاعة قاسية نتيجة الطقس البارد الذي دمر المحاصيل الزراعية (١٦٦) . هذا الى جانب قلة المشتغلين بالزراعة في ذلك الجانب الشرقي من الامارة بعد مذابح ١١١٠ م ، فضلا عن تخوف بقية الزراع في ذلك الجزء من مزاوله اعمالهم حتى لا يتعرضوا لامتداءات الأتراك المتكررة على هذا الجزء المكشوف المعرض للخطر (١٦٧) .

Mattieu : *Ibid.*, p. 99, Grousset : *L'Empire*, p.p. 298-299, (١٦١)

Hist. des Crois., V. 1, p. 456, Zoé : *Op. Cit.*, p. 243,

Cahen : *Op. Cit.*, p. 258.

J. Prawer : *Op. Cit.*, p. 289, Grousset : *Hist. des Crois.*, (١٦٢)

V. 1, p. 456, Setton : *Op. Cit.*, V. 1, p. 399.

Mattieu : *Op. Cit.*, p. 92.

(١٦٣)

Zoé : *Op. Cit.*, p. 243.

(١٦٤)

Mattieu : *Op. Cit.*, p.p. 93 - 94, Fulcherii : *Op. Cit.*, T. 3 (١٦٥)

p.p. 421 - 422, Grousset : *Hist. des Crois.*, V. 1,

p. 455, *L'Epopée*, p. 89, *L'Empire*, p. 299, Cahen :

Op. Cit., p. 258, Setton : *Op. Cit.*, V. 1, p. 399,

Zoé : *Op. Cit.* p. 243.

William : *Op. Cit.*, V. 1, p. 407.

(١٦٦)

حتى اضطر الناس الى اكل الخبز المصنوع من الشعير والذي

كان يخلط احيانا بثمار البلوط .

William : *Ibid.*, V. 1, p. 407.

(١٦٧)

وبينما كان الجزء الشرقي من الإمارة تحت سيطرة بلدوين دى بورج
يعانى من الجذب والمجاعة كان الجزء الغربى المحمى بنهر الفرات ينعم
برخاء واردة هار فى كاسة النواحي ، والمثل فى تل باشر وضواحيها
تحت نفوذ جوسلين دى كورتشاي (١٦٨) . وقد ترتب على هذا
الوضع الشائك - كما بينا من قبل - قيام الجفوة الكبيرة بين بلدوين
وجوسلين وطرد الاول للأخير من الإمارة واستيلائه على ممتلكاته الغنية
التي أزالته الخطر الاقتصادي الجاثم فى ذلك الوقت .
والراجع ان الأوضاع الزراعية فى شطرى الإمارة ظلت على هذا
النهج فى غالبية الأحيان لأن الجزء الشرقى ظل أكثر تعرضاً باستمرار
للمنزوات التركية الإسلامية . ممثلاً حدث ١١١٩م (٥١٣ هـ) عندما
غزا أيلغازى بن أرتق الرها أن أحرق محاصيلها (١٦٦) . أما حملته
١١٢٠م (٥١٤ هـ) فقد نتج عنها تخریب الريف حول الرها (١٧٠) .

النجارة :

اشتمل جزء كبير من سكان الرها بالنجارة (١٧١) . ذلك ان إمارة
الرها تمتعت بموقع جغرافى جعلها تسيطر على أهم الطرق التى تصل
ما بين النهرين بالساحل (١٧٢) . هذا الى أن مدينة الرها تقع على
أحد الطرق التجارية العظيمة التى تصل جبال أرمينيا شمالاً ببداية
الشام جنوباً (١٧٣) . أما سروج فكانت تقع على طريق القوافل من حران
والرها الى جسر منبج (١٧٤) .

Willam : Ibid., V. 1, p.p. 497-498, Grousset : L'Empire, (١٦٨)

p. 299, Hist. des Crois., V. 1, p. 497, Setton : Op.

Cit., V. 1, p. 402.

Michel : Op. Cit., p. 205, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (١٦٩)
p. 249.

Mattieu : Op. Cit., p. 128. (٧٠)

Willam : Op. Cit., V. 2, p. 141, Setton : Op. Cit. V. 1, (١٧١)
p. 446, Archer : Op. Cit., p. 202.

Edward Maslin Hulme : The Middle Ages, p. 478. (١٧٢)

Burkitt : Op. Cit., p. 7. (١٧٣)

Le Strange : Op. Cit., p. 108. (١٧٤)

وهنا يعطينا (دوسو) بعض الأمثلة للطرق التجارية في تلك الإمارة
منها الطريق من مرعش الى الرها ، والطريق من دلوك عبر صحراء
الشام والذي يمر بحلب ، والطريق من سبيساط الى الرقة على طول
الفرات ، فضلا عن الطرق من قورس الى حلب (١٧٥) .

والواقع ان الاهمية التجارية للرها هي التي جعلت تنكريد يتمك
بها حتى ١١٠٨م (٥٥٠٢) دون المساهمة في اطلاق سراح أميرها بلدين
دى بورد لانه فضل أن يحتفظ لنفسه بإيرادات الاقليم (١٧٦) . ذلك
أن وقوع الرها على مقترق الطرق بين الشام وأتليكية من ناحية
والعراق وفارس من ناحية أخرى جعلها مركز نشاط تجارى واسع .
وكانت عائدات الرها وحدها من الرسوم الخاصة بمرور التجارة تصل
الى أربعين ألف بيزانت ، هذا خلاف المتحصلات الأخرى التي تحصل من
أماكن أخرى مثل سبيساط وتل بلشر وعينتاب (١٧٧) .

كذلك يقال أن من بين العوامل التي دفعت زنكى الى إيقاف المذابح
والتهب في الرها بعد فتحه لها ١١٤٤م هو رغبته في المحافظة على ازدهار
التجارى فيها (١٧٨) .

كنيسة الرها والحياة الدينية فيها :

قبل أن نتناول بالبحث الحياة الدينية لإمارة الرها وبدي تأثيرها
بالحياة السياسية في الإمارة ، يجدر بنا أن نأخذ فكرة عن الطوائف
المسيحية في الرها وأهم الكنائس التي تتبعها كل طائفة . هذا مع
الإشارة الى أهم الكنائس التي شيدت في الرها وما بقى منها حتى
الفترة المملوكية للإمارة .

والواقع ان الرها تعتبر من المراكز الأولى للمسيحية (١٧٩) منذ
أن تلقى أهلها تماليها على يد (آديا) رسول المسيح الى ملكهم

Dussaud : Topographie de la Syrie, p.p. 477-479 (١٧٥)

Zoé : Op. Cit., p. 215. (١٧٦)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 409. (١٧٧)

Grousset : L'Épopée, p. 163. (١٧٨)

(١٧٩) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤

William : Op. Cit., V. 2, p. 158,

أبجر (١٨٠) . ومنذ أواخر النصف الأول من القرن السادس الميلادي ٥٤٢م
أسس الراهب يعقوب البرادعي المذهب اليعقوبي بالرها (١٨١) .
والكنيسة اليعقوبية هي إحدى فروع الكنيسة السريانية الشرقية (١٨٢) .
ويؤمن اليعاقبة بالطبيعة الواحدة للمسيح ويتكلمون العربية (١٨٣) .
وقد ظلت الكنيسة اليعقوبية هي السائدة في الرها الى ان انضمت
اليها الكنيسة الجريجورية الأرمنية (١٨٤) ، التي كان يرأسها
الكاثوليكوس Catholikos (١٨٥) .

Gesta Francorum : Iherusalem Expugnantium . T. 3, (١٨٠)
p. 543, Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit.,
p. 28, Dictionnaire D'Archeologie... T. 4, Part 2, p. 2082.

R. Aubert : Dictionnaire d'Histoire et de Géographie (١٨١)
Ecclesiastique .. T. 14, p.p. 1424-1425.

وهو يضيف هنا أن يعقوب رسم أسقفا مرا بواسطة تيودور بطريرك
الاسكندرية بمساعدة اثنين آخرين من الاساقفة المونوفيزيتيين . وعندئذ
أصبح له السلطة على سوريا وما بين النهرين وآسيا الصغرى لكن يعقوب
لم يستقر في الرها بل قضى حياته في الوعظ في سوريا وما بين النهرين
وقتيبة وكبادوكيا وأسس في كل مكان جاليات مونوفيزيتية .

R. Aubert : Ibid., p. 1425, Grousset : L'Empire, p. 311. (١٨٢)
Grousset : L'Empire, p. 311. (١٨٣)
Grousset : Ibid., p. 311. (١٨٤)
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 151. (١٨٥)

تولى القديس جريجوار كرس البطريركية الأرمنية في القرن الرابع الميلادي
أي في بداية عهد الكنيسة الأرمنية ، ثم تولاها بعده أولاده وأعاقبه من
بعده وكلهم من فرع الأسرة الارسيكية Arsacides

وهنا يذكر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١٦ ص ٣٩٠ « أن قلعة
الروم كانت مقر بطرك الأرمن خليفة المسيح عندهم ويسمونه بالأرمنية
كتاغيكوس » .

كانت اهم الأعياد الأرمنية :

Pâques.	عيد الفصح
Epiphanie.	عيد الفطاس
Transfiguration.	عيد التجلي
Assomption.	عيد صعود العذراء
Exaltation de la Saint Croix.	عيد ارتفاع الصليب المقدس
Pentecote.	عيد الخمسين أو الحصاد
(Mattieu : Op. Cit., p. 100-101, Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 152).	

لكن يبدو أنه رغم أن الرها كان يتولى فيها مطرنة يماقية حتى
١١٩٩م إلا أنهم لم يلبسوا دوراً مهماً في سلم الكهنوت اليمتويين
Hierarchie Jacobite (١٨٦) .

كنائس الرها :

ثم ان الرها اشتهرت بكنائسها التي يزيد عددها على ثمانمائة
كنيسة (١٨٧) . وكانت أشهر تلك الكنائس وأقدمها : الكنيسة القديمة
أو الكلدانية التي بناها (آديا) من المال الذي وضمه الملك أبجر تحت
تصرفه (١٨٨) . وقد ظلت تلك الكنيسة وحيدة بالرها حوالي ثلاثة
قرون تقريباً (١٨٩) ، وأصبحت بعدة تخريصات بسبب الفيضانات
والزلازل مابين بداية القرن الثالث وبداية القرن الثامن الميلادي . ولكن
في كل مرة كان يعاد تجديدها (١٩٠) . وقد وصفت تلك الكنيسة بأنها

(١٨٦) R. Aubert : Op. Cit., T. 14, p. 1428.

وهذا المرجع يعملينا حصراً لأساقفة الرها اليماعية في فترة إمارة
الرها الصليبية وهم :

Basile (Bar Sabhuni).	عزل ١١٠١م
Ignace (Bar Gadhin).	١١٠١ — ١١٢٠م
Athanase.	١١٢٠ — ١١٢٧م
Basile.	١١٢٧ — ١١٦٦م

(١٨٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ ، القرماني : أخبار الدول
وأثر الأول ص ٤٥١

Le Strange : Op. Cit., p. 108, Encyclopaedia Britannica :
V. 7, p. 954, Encyclopaedia of Islam : V. 3, Part. 2,
p. 997.

Duval : Op. Cit., p. 86, E.R. Hayes : Op. Cit., p. 38 . (١٨٨)

(١٨٩) غنى ٣٤٦ شيدت كنيسة القربين

L'Eglise des Confesseurs

(Duval : Op. Cit., p. 17, 188, Dictionnaire D'Archéologie,
T. 4, Part 2, p.p. 2084 - 2090).

Duval : Op. Cit., p. 15-16, Dictionnaire D'Archéologie, (١٩٠)
T. 4, Part 2, p. 2088.

نقد ذكرنا أنه حتى الفيضان العظيم ٢٠١م لم يكن مسيحيو الرها
يملكون سوى كنيسة واحدة تعرف بالكنيسة القديمة خربها ذلك الفيضان

==

« أحدى عجائب الدنيا (١٦١) » . وقيل ان الروم اشاروا اليها بقولهم « ما من بناء بالحجارة ابهى من كنيسة الرها (١٩٢) » . اما ابن حوقل فيصفها بأنها « ليس للنصرانية اعظم ولا ابداع صنعة منها (١٩٣) » .

والى جانب الكنيسة المعظمى بنى بالرها عدد كبير من الكنائس الأخرى كان أهمها في داخل الرها : كنيسة القديس دانيال (١٩٤) . كنيسة القديس بارلاها (١٩٥) ، كنيسة القديس اتيان (١٩٦) ، كنيسة الرسل (١٩٧) ، كنيسة حنا العمودان (١٩٨) ، كنيسة القديس

ثم اصلبها نفس الكارثة في فيضان ٣٠٣م ثم اعيد بناؤها ٣١٣م بواسطة كوانا اسقف الرها وخليفة سعد . وبعد فيضان ٥٢٥م الذى قلب الكنيسة اعيد بناؤها بواسطة جستنيان ببذخ كبير .-وقلبت الكنيسة مرة أخرى نتيجة لهزة ارضية ٦٧٦م ومرة أخرى ٧١٨م .

(١٩١) Duval : Op. Cit., p. 16, Dictionnaire D'Archéologie...
p. 2063,

القدس : احسن التقاسيم ، ص ١٤١ (يفكر انها كانت بازاج ملبسة بالنسيفساء) .

(١٩٧) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٦١ .

(١٩٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢٠٤ .

(١٩٤) Saint Daniel شيدت بواسطة الاسقف Vologèse او
Eulogius ٣٧٦م .

(Duval : Op. Cit., p. 16, Dictionnaire

D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٩٥) كنيسة القديس Barlâhâ شيدت بواسطة ديوجين اسقف
الرها ٤٠٩م

(Dictionnaire D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091).

(١٩٦) Saint Etienne التى كانت من قبل معبدا يهوديا ثم أصبحت

كنيسة بواسطة رابولا اسقف الرها ٤٢١م

(Duval : p. 16, 170,

Diction. D'Archéologie, T. 4, p.p. 2064, 2091)

(١٩٧) L'Eglise des Apôtres شيدت بواسطة Hibha اسقف الرها
٤٣٥م .

(Duval : p. 17, 175. Diction. D'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

(١٩٨) Saint-Jean Baptiste شيدت بواسطة نونوس اسقف
الرها ٤٥٧ - ٤٧١م

(Duval : p.17, 176, Diction. d'Arch., T. 4, p.p. 2064, 2092)

آديا (١٩٩) ، كنيسة القديس كوانا (٢٠٠) ، كنيسة مارى ام المسيح (٢٠١) . هذا الى جانب كنائس اخرى خارج المدينة (٢٠٢) .

وكان من اشهر الكنائس التى بنيت فى الرها فى العصر البيزنطى ثلاث كنائس ابرزها كنيسة سانت صوفيا او القديسة صوفيا (٢٠٣) . ولم تقتصر الكنائس فى إمارة الرها على مدينة الرها فقط بل تعددت فى بقية مدينتها وكان من أهمها كنيسة قورس التى اعتبرت أيضا من عجائب الدنيا (٢٠٤) .

وإذا كانت كنائس الرها قد لاقت رعية فى العصر الأموى (٢٠٥) ،

(١٩٩) Saint Addée. (Duval : p. 17, Diction.: Ibid., p. 2064)

(٢٠٠) Mar Cônâ (Duval : p. 17, Dict. Ibid., p. 2064)

(٢٠١) La Mère de Dieu بنيت مكان المدرسة الفارسية ٨٩م .

(Duval : p. 17, Dict. : Ibid., p. 2064, 2093).

(٢٠٢) خارج المدينة :

Saint - Cosmas.	كنيسة القديس كوسماس
„ Damien.	كنيسة القديس داميان
„ Serge.	كنيسة القديس سيرج
„ Siméon.	كنيسة القديس سيمون

(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

وفى غرب الرها وجنوبها الغربى على الجبل كانت توجد كنيسة القريين وكنيسة الرهبان القديمة

(Duval : p. 17, Diction : Ibid., p. 2064).

(٢٠٣) يفكر نبرسيس ان البيزنطيين لما حكموا الرها بنوا بها هيكلًا على اسم هيكلم ايا صوفيا (Nerses : Op. Cit., p. 229) اما متى الرهاوى فيسميها Saint Sophie

(Mattieu : Op. Cit., p. 81)

اما الكنيستين الأخرتين فهما كنيسة Mar Theodoros, Mère de Dieu وقد بناهما الأسقف مارد يونس (Michel : Op. Cit., p. 280).

(٢٠٤) ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، د ١ ق ١ ص ٣١ .

(٢٠٥) لما هدم جزء من كنيسة الرها بعد زلزال ٦٧٩م أعاد معاوية الأول بناءه .

(Encyclopaedia Britannica, V. 7, p. 954).

اما عبد الملك بن مروان فقد بنى بالرّها كنيسة للتعميد

(Bar Hebraeus : V. 1, p. 105)

إمارة الرها الصليبية - م ٢٤ ٣٦٩

فان أول الخلفاء العباسيين لم يحترم قدسيتها بل اصبحت المدينة نفسها بالتخريب في عهده (٢٠٦) . وعندنا استولى البيزنطيون على الرها ١٠٢١م هرب منها العرب والمسيحيون الموجودون بها بعد ان اشعلوا النار في المنازل والكنائس . لان مسيحي الرها كانوا يفضلون الحكم العربي على الحكم البيزنطي . وظلت المدينة مهجورة حتى حكمها بيزنطى تقى عين عليها المطران دينسيوس فاعاد ازدهارها وبنى بها كنيستين (٢٠٧) .

وبعد استيلاء الصليبيين على بلاد الشام ، انشأوا كرسيتين بطريركيتين لاتينيتين بها هما بطريركية انطاكية وطريركية القدس . وكلاهما يقع انطاكيته عند كراس مطرانية امراء الرها وعدة اسقفيات منها قورس ومرعش (٢٠٨) . وهكذا اصبحت الرها في الفترة الصليبية تضم ثلاثة كنائس هي : الكنيسة اليعقوبية والكنيسة الارمنية وهما شرقيتان والكنيسة اللاتينية الغربية .

ووجدت في الرها في الفترة الصليبية حوالي ثمان كنائس روم بعضها بواسطة الفرنج وخمس ممت ثلاثة منها للشمامسة اللاتينية (٢٠٩) .

Michel : Op. Cit., p. 279. (٢٠٦)
Bar Hebraeus :Op. Cit., V. 1, p. 280. (٢٠٧)
Michel : Op. Cit. p. 181. (٢٠٨)

كثت اهم الكراسى المطرانية التابعة لانطاكية طرسوس والمصيصة والرها ودلوك واقلمية . اما اهم الاسقفيات فكانت طرابلس ، اللاذقية ، جبلة قورس ، مرعش ، وجارم .
Cahen : Op. Cit., p.p. 112 — 113. (٢٠٩)

اهم الكنائس في الرها في الفترة الصليبية هي :

- ١ — كنيسة القديس حنا Saint-Jean وهي كثرائية لاتينية رومت بواسطة الفرنج
- ٢ — كنيسة القديسة صوفيا Saint-Sophie وهي كثرائية بيزنطية .
- ٣ — كنيسة المقربين Confesseurs
- ٤ — كنيسة القديس توما ، ذات شعار لاتينية
- ٥ — كنيسة القديس ايقان ، ذات شعار لاتينية
- ٦ — كنيسة القديس تيودور (وهي التي اختبأ فيها حوالي ثمانين من الارمن امام تشكيل امير سروج ١١١٣م .
(Mattieu : Op. Cit., p. 105

- ٧ — كنيسة الرسل (بطرس وبولس) .
- ٨ — كنيسة الاربعين شهيد .

ولتسهيل دراسة الأحوال الكنسية والدينية في إمارة الرها سنتناولها
وفقاً لفترة حكم الأمراء المسلمين المختلفين لتلك الإمارة لتبين من خلالها
مدى تأثير الحياة الدينية وتطبيقات المسيحية .

ذلك أنه عند وصول بلدوين البولوني إلى الرها خرج رجال الدين
لاستقباله مع حاكم المدينة وبقية الأهالي في صورة مشرفة جداً وترحيب
زائد (٢١٠) . والواقع أن الترحيب البالغ الذي لاقاه اللاتين من الأرمن
بالذات يشير إلى أنه لم يكن هناك فاصل كبير بين الأرمن واللاتين كما كان
الحال بين الأرمن والبيزنطيين (٢١١) . وعلى ذلك فبعد أن استقر بلدوين
في حكم الرها لم يكن هناك أي نوع من الاضطهاد الديني الذي قاسى منه
الأرمن بالذات على يد البيزنطيين ، بل ساد عهد التسامح الديني (٢١٢) .
وهكذا بدأت إمارة الرها السليبية عهدها في سلام مع الأرمن الجريجوريين
والسريان اليعاقبة واليونان الأرثوذكس (٢١٣) .

أما في عهد بلدوين دي بورج ، فكان لرجال الدين اللاتين دورهم البارز
في حركة التوسع الصليبي الرهوي ، كذلك ظهر في ذلك العهد التحالف
الواضح بين الأمير بلدوين والكنيسة الأرمنية ، وعلى عكس ذلك
قام الخلاف في الكنيسة البيزنطية .

ففي بداية ١١٠١م (١٠٩٢ هـ) وعند استيلاء بلدوين دي بورج على
سروج قام الأسقف اللاتيني بندكت أو بابيوس بشور بارز في قيادة الدفاع
الفرنجي في قلعة الديسة (١١٤) ، حتى استطاع بلدوين احضار النجدة
واستولى على القلعة (٢١٥) .

وفي نفس السنة ١١٠١م بدأ الخلاف بين المطران بارمابوني
Bar cabouni وبين البطريرك الذي عينه مار انتاسيوس السليبي ،
فقد طلب البطريرك من المطران رد جميع الكتب المقدسة التي كانت
مرصعة بالذهب والفضة إلى الخزنة البطريركية ، والتي كان أحد
النوار قد استولى عليها . وبالفعل وعد المطران بردها ، ولكن يبدو

- Willam : Op. Cit., V. 1, p. 191. (٢١٠)
Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 55. (٢١١)
Grousset : Ibid, V., 1, p. 67. (٢١٢)
Zœ : Op. Cit., p. 231. (٢١٣)
Mattieu : Op. Cit., p. 53, Cahen : Op. Cit., p. 230, (٢١٤)
Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 870 - (L'Anonyme)
Mattieu : Op. Cit., p. 53, Grousset : Op. Cit., V. 2, p. 870. (٢١٥)

انه بعد حصوله عليها رفض ارجاعها الى البطريرك ، وذكر ان اعلان الرها يمارضون في ردها . وعندئذ لاحتج البطريرك واشترط عليه ايا ارجاعها او اصدار قرار الحرمان ضده (٢١٦) فانقسم اهالى الرها الى قسمين ، الاول ايد البطريرك والثانى عاضد المطران (٢١٧) . وكان ان حاول بلديون دى جورج عقد الصلح بينهما ولكن دون جدوى (٢١٨) . بل ان محاولة مطران ملطية في هذا المجال ائت الى عزل البطريرك له من منصبه (٢١٩) .

ثم فكر مطران الرها في الاستعانة بالبطريرك اللاتينى لأنطاكية برنادى دى فالنس (١١٠١ - ١١٣٥ م) فدعا الأخير البطريرك اثناسيوس امام محكمة في قلعة القديس بطرس في انطاكية . ويقال ان فرنج أنطاكية توسلوا اليه ان يعفو عن سابونى ولكنه رفض رفضا باتا وفضل الاستشهاد على تنفيذ ذلك الطلب . وعندها حاول بعض الفرنج الاعتداء على البطريرك بالضرب تصدى لهم بعض الاساقفة ومنعهم ووبخهم . ثم صمم برنارد دى فالنس على حبس البطريرك حتى يجمع مجمعا دينيا يعقوبنا لمبحث دعوى بارسابونى (٢٢٠) . ولكن عندما علم امير انطاكية روجر بذلك احتج على سلوك البطريرك اللاتينى وقال له « انه ليس لديك اى سلطان عليهم » ثم سمح الامير للبطريرك اليعقوبى بمغادرة انطاكية محملا بالهدايا (٢٢١) .

واذا كان البطريرك اليعقوبى قد توجه بعد ذلك الى آمد واستقر في احد اديرتها ، الا ان ذلك لم يضع نهاية لذلك الموضوع ، لانه اصدر من هناك قرار الحرمان ضد كنيسة الرها اليعقوبية « حتى انه امر بايقاف اجراسها (٢٢٢) » . وعندئذ انتشر الاضطراب الدينى في الرها فثار بعض رجال الدين بعضهم ضد البعض الآخر ووصل الاضطراب

Michel : Op. Cit., p.p. 193-194. (٢١٦)

Michel : Ibid., p. 194. (٢١٧)

Michel : Ibid., p. 197, Grousset : Hist. des Crois., V. 1, (٢١٨)

p. 514, Zoé : Op. Cit., p. 231.

Michel : Op. Cit., p. 197. (٢١٩)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 515. (٢٢٠)

Grousset : Ibid., p. 515. (٢٢١)

Michel : Op. Cit., p. 212. (٢٢٢)

الى حد أن بغض أهالي الرها تصرفوا أطفالهم في كنائس اللاتين (٢٢٣) .
وفي ١١٠٢م حدث اضطراب ديني كبير في بلاد الشام وقيليقية
وامتد الى الرها ، وهو ما صورته متى الرهاوى بصورة مسهبة ، عندما
ذكر أن ذلك الاضطراب قام في البداية بسبب عدم دقة البيزنطيين والفرنج
في تحديد عيد القيامة في تلك السنة (٢٢٤) . وكان أن قامت في ذلك الوقت
مجادلات عديدة بين البيزنطيين والأرمن بسبب ذلك الخلاف . أما الفرنج
فلم يكن لديهم أي اهتمام بناوأة الأرمن في تلك النقطة . وكان أن دخل
أهالي انطاكية وقيليقية والرها في مناقشات لا تنتهي حول ذلك الموضوع
لأن البيزنطيين حاولوا فرض ذلك التقويم على الأرمن . واضطر السريان
في الرها الى الانضمام عن خوف الى جانب البيزنطيين وتخلوا عن
التحالف الذي كانوا قد عقدوه مع الأرمن (٢٢٥) .
وكان البيزنطيون قد وقعوا في نفس الخطأ عندما لم تشمل انوار
كنيسة القبر المقدس ، في تلك المناسبة وتعرض حجاج بيت المقدس
للمذابيح من جانب المسلمين ، وهو ما حدث في عهد الإمبراطور باسيل
حوالي ١٠٠٦م (٣٩٧ هـ) . وعندما تكرر نفس الخطأ في تلك السنة
١١٠٢م ، حذر رجال الدين في الرها الرئيس الأعلى للأرمن
Le Catholikos Grégoire ، ولكنه رد عليهم بخطاب طويل
كتبه بخط يده وحثم فيه على الثبات على العقيدة الأرثوذكسية (٢٢٦) .

Michel : Ibid, p.p. 212-213, Grousset : Hist. des Crois., (٢٢٣)
V. 1, p.p. 515-516.

Mattieu : Op. Cit., p. 62. (٢٢٤)

نقد حدد الفرنج والبيزنطيون عيد الفصح
بيوم السبت الموافق ٥ أبريل ، بينما حدد الأرمن والسريان والعبريون
بيوم الأحد الموافق ٦ أبريل وهو يوم أحد السعف .

Mattieu : Op. Cit., p. 63. (٢٢٥)

Mattieu : Ibid., p.p. 63 — 67. (٢٢٦)

صورة مصغرة للخطاب :

« الى الأصدقاء الحقيقيين للمسيح .. الى القسس ، الى كل العظاء
والى كل المخلصين السلام .

لقد قرأت خطابكم الذي يتفجر بالحب الإلهي . ولقد فهمت تماما
كل ما يحويه من ملاحظات . واننى احثكم وأشجعكم وأعلمكم الصبر .
وسأصحبكم حتى الموت في كل المناسبات ، في كل أنواع التعذيب ، لن

==

وعندما علقوا الخطاب أصبحوا أكثر تهسكا من ذي قبل بالمذهب الأرثوذكس . ويذكر متى الرهاوى أنه حديث في عيد الفصح أن أعضاء أعالى القدس انوار كنيسة القبر المقدس عن طريق التحليل واستخدموا لأغناء تلك الأنوار الالهية نارا سرية . لكن تلك الأضواء انبرت بالضبط في عيد الفصح الأرمني ، كما تساعد كل المسيحيين الموجودين بالقدس . عندئذ اعترى البيزنطيون الخجل للاحتفال بذلك العيد يوم أحد السف (٢٢٧) وفي ١١٠٣م قويت الروابط الودية بين بلدوين دى بورج من ناحية وبين الكنيسة الأرمنية عندما استقبل الأمير ، الرئيس الدينى الأعلى للارمن الجرجوريين ، باسيل الذى قدم الى الرها محموبا بالتباعد من النبلاء والاساقفة والقساوسة ، فتلقاه بلدوين بحفاوة بالغة وقدم له العديد من القرى وغمره بالهدايا وأظهر له ودا كبيرا (٢٢٨) .

وفي العام التالى عندما قلبت معركة حران السابعة الذكر كان لرجال الدين اللاتين دورهم فيها أيضا سواء من الرها أو من بقية الإمارات اللاتينية الأخرى ، إذ شارك في تلك المعركة - برنارد بطريك انطاكية وديلمبرت بطريك القدس الذى كان لاجئا في انطاكية حينئذ - وينفكت رئيس أساقفة الرها اللاتين (٢٢٩) . وقد أسر وينفكت في تلك الواقعة (٢٣٠) . ورغم استنجاهه في أسره بتشكريد فإنه

أبتعد عن وظيفتى ولن انكر واجباتى . وأننى مستعد أن أعطى حلا لكل نقطة في كل ما سأستفسر عنه . أما انتم فلا تنهوا ولا يأسوا ، لأن الله يؤيدنا اذا صبرنا . وسنحارب نحن بقدر استطاعتنا كجنود المسيح الشجعان من أجل الحقيقة . نحن شاهدون على أننا لم نرتكب أى خطأ ولم نفسد أى عقيدة اذا تضامنتم مع مواعظى وعقيدتى فسأكون الضامن لكم أمام السيد المسيح . أما من يرغب في المجد الدينوى بدلا من المجد الالهى ، فسيفزع في صفوف هؤلاء الذين لا يعترفون بالسيد المسيح كاله . وسيطرده من جماعتنا ويحرم من بركتنا . بعكس من يؤمن معنا بالله فسيحصل على السعادة الأبدية ... آمين » .

Mattieu : Ibid., p. 67.

(٢٢٧)

Mattieu : Ibid., p. 70-71, Grousset : L'Empire, p. 298, (٢٢٨)

F. Charles-Roux : France et Chrétiens d'Orient, p. 21.

William : Op. Cit., V. 1, p. 456.

(٢٢٩)

Alberti Aquensis : Op. Cit., Liber IX... T.4,p.615, (٢٣٠)

Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 710, William: Op. Cit.,

V. 1, p. 459.

لم ينجده (٢٣١) . ووضع الأسقف في رعية أحد المسيحيين
الروتين علينا اكتشف شخصيته تحركت في نفسه شفقة الحب وسمح له
بالهرب دون أن يلحقه أي أذى . وعاد بندق إلى الرها حيث قوبل
بالمعدي من مظاهر الفرح والسرور (٢٣٢) .

وحتى نهاية عهد بلدوين دى بورج في الرها لم نمر على أي شيء
يتمثل بالناحية الدنيوية بمد ذلك سوى مذكره متى الزهلاوي عن التخريب
الذي أصاب كنيسة سانت صوفيا ١١٠٥م نتيجة انهيار جدارها
الغربي (٢٣٣) .

والواقع ان المصادر المعاصرة لامارة الرها في تلك الفترة ركزت
غالبية كتاباتها على العلاقات الروحية التركية فضلا عن حركات التوسع
الخارجية من جانب الامارة على حساب الأرمن خارجها .

لما عهد جوسلين الاول نكلن يظل فترة صراع شديد مع جيران
الامارة المحيطين بها كما بينا في باب العلاقات الخارجية ، لذا لم نبرر
النهاية الدينية في الامارة في ذلك الوقت الا من خلال سطور قليلة .

نفي بداية عهد جوسلين يشير ميخائيل السريتي ان بطريرك الرها
توجه الى تل بلشر لقبلته . « فصالحه جوسلين هو وكل الاساقفة
واعاد كل الزخارف واواني الزيت المقدس التي كان قد استولى عليها
اتناء غزبه من الخزائن البطريركية في دير مسار برسوما (٢٣٤) » .
والراجح انه ربما قلم جوسلين باعتدائه هذا على الدير عندما طرد من
الرها بواسطة بلدوين دى بورج ١١١٢م .

وهوالى ١١٢٩م استنجد البطريرك اليمتوبى مار انثاسيوس — السابق
الذكر الذي كان قد رحل الى آمد — بجوسلين لانه أصبح شيئا
سجين هناك في ذلك الوقت . فما كان من جوسلين الا ان ارسل الى أمير

Gesta Tancredi : Op. Cit.,... T. 3, p. 710. (٢٣١)

نقد كل بندق يصبح على تنكريد قائلا : « تنكريد ، تنكريد تم المونة »
Alberti Aquensis' Op. Cit., Liber IX... T. 4, p. 616. (٢٣٢)

Gesta Tancredi : Op. Cit., T. 3, p. 710, Williams: Op. Cit.,

V. 1, p. 459, Grousset: Hist. des Crois., V. 1, p. 406

من (Foucher).

Mattieu : Op. Cit., p. 81.

(٢٣٣)

Michel : Op. Cit., p.p. 259 — 260.

(٢٣٤)

آمد مهذا بتخريب بلاده اذا لم يطلق سراح البطريك . ثم اطلاق
سراحه بالفعل وعاد الى الرها ثم توجه الى دير مار يرسوما حيث
قضى بقية حياته (٢٣٥) .

وكان البطريك بعد عودته الى الرها قد ظل محتفظا بموقفه
من بار سابوني ومصمما على ابقاء قرار الحرمان ضد كنيسة الرها
اليقوبية . لذا تجددت محاولات التوفيق بين الجانبين واشترك في تلك
الوساطات جوسلين الأول عن طريق بعض فرسانه ، لكن دون
جوى (٢٣٦) . والراجح ان البطريك توفى وهو متمسك بموقفه من
الكنيسة اليقوبية ، في حين لم يحاول جوسلين اتحام نفسه بشدة في
النواحي الدينية .

لما جوسلين الثانى فقد اقحم نفسه في الأمور الدينية وتدخل في
شئون الكنيسة اليقوبية فرفض الاعتراف بتعيين اثناسيوس الثامن
وعين هو اسقفا يعقوبيا صديقا له هو بلسيل بارشوماتنا
Basile Bar Shumana (٢٣٧) . بل أكثر من هذا نهب
جوسلين دير سانت يرسوما الذى يقدمه الياقبة (٢٣٨) . والذى
ذاعت معجزاته (٢٣٩) . وقد اعترف جوسلين الثانى في آخر حياته

Michel : Ibid., p. 228.

(٢٣٥)

Grousset : Hist. des Crois., V. 1, p. 516.

(٢٣٦)

Grousset : Ibid., V. 2, p. 176.

(٢٣٧)

Grousset : Ibid., V. 2, p. 176, L'Empire, p. 300.

(٢٣٨)

Bar Hebaeus : Op. Cit., V. 1, p.p. 257 — 258.

(٢٣٩)

ينكر ابن العبرى : هنا احدى معجزات ذلك القديس بقوله « انه في
١١٣٤م وصلت اسراب عظيمة من الجراد الى الرها ، عندئذ احضر
اهالى الرها التابوت الذى وضعت فيه اليد اليمنى للقديس وبوصلها
حدثت المعجزة وتحرك الجراد دون احدثات أى ضرر بالاقليم . ثم استغذ
البيزنطيون المطران الفرنجى هيو ليفتح التابوت حتى يمكن لليد ان تظهر
ولما رفض الرهبان القيام بذلك سخرؤا منهم قائلين ان التابوت ليس به
شئ . فانظر الرهبان لفتح . وعندئذ قصف رعد مفرغ وملاعت
السحاب بالسحب المظلمة وضربت الأرض بأحجار ثقيلة فصلح الناس
جميعا (كيرىاليسون Kuryâlaisson) أى انزل علينا الرحمة
أيها المختار عند الله ، وهرب البيزنطيون واخفوا انفسهم . وعندما توقف
ذلك القصف اجتمع الناس جميعا وصلوا لمدة ثلاثة ايام » .

في سجنه أن ملحد به من مصائب مرجعه الى آثامه بسبب موقفه من ذلك الدير المقدس (٢٤٠) .

رجال الدين والدفاع عن إمارة الرها ١١٤٤م :

وكان لرجال الدين دورهم البارز في الدفاع عن الرها ضد زنكي والقوات الإسلامية ١١٤٤م (٥٣٩ هـ) . فقد تزعم الدفاع في ذلك الوقت رؤساء الطوائف الدينية المختلفة في الرها وعلى رأسهم هيو الثاني الأسقف اللاتيني وباسيل الأسقف اليعقوبي وحنا الأسقف الأرمني (٢٤١) . وإثناء الحصار حاول الأسقف السرياني التوسط لدى الأسقف اللاتيني - باعتباره الممثل الأول لرجال الدين بينهم - لعقد هدنة لمدة ليوم مع زنكي على أمل وصول نجدة اليهم . ولكن يبدو ان الأسقف اللاتيني رفض . ومع ذلك فقد أرسل باسيل خطبا بهذا المعنى الى زنكي الا ان أمره انكشف (٢٤٢) .

من هذا نرى ان السريان كانت لديهم نية المسألة تجاه الأتراك ولاغرو في ذلك فقد كان السريان في ذلك الوقت أكثر عداما للأرمن منهم للأتراك (٢٤٣) .

ثم يستمر سير الأحداث - كما سبق الذكر - وتسقط الرها ، وهنا تشير المصادر العربية الى رجال الدين اشارة موجزة في قولها ان زنكي

Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, p. 276. (٢٤٠)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880 عن (L'Anonyme) (٢٤١)

Cahen : Op. Cit., p. 369, J. Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338,

Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 235.

هنا نجد كل من المصدر السرياني (L'Anonyme) ، بروييه يسمى

الأسقف الأرمني Ananias كذلك يذكر (L'Anonyme) هيو الثاني باسم

Papias أما ميخائيل السرياني فيسميه Bafias

(Michel : Op. Cit. p. 262)

أما نيرسيس فيضيف أسقف رابيع هو الأسقف الأرمني اي البيزنطى للأساقفة الثلاثة السابقين .

(Nersès : Op. Cit., p. 259)

Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p. 880 عن (L'Anonyme) (٢٤٢)

Zoë : Op. Cit., p. 210.

(٢٤٣)

« صد أن إرثك البلد عنوة » (أبايد فحسوسها ورهبانها (٢٤٤) » .

لما المصادر السريانية والأرمينية والمراجع الفرنجية متشير الى
حيدر رجال الدين يشي من التفصيل .

فبالنسبة للأسقف هيو الثاني فإنه مات في تلك المعركة أمام قلعة المدينة
التي قلل أنه أمر بإغلاق أبوابها حتى لا يلجأ إليها أحد ويشارك الجميع في
الدفاع عن المدينة . لكن تكدرس الأهالي بشدة أمام تلك القلعة جعل
الكثيرين منهم يموتون خنقا ومن بينهم ذلك الأسقف الذي يقال أيضا أن
أحد الأتراك ضاع في ذلك الوقت (٢٤٥) . والمراجع أنه سقط من شدة
الزحام فاجهز عليه أحد الأتراك . وهنا يعلق ولهم الصوري على وفاة
الأسقف اللاتيني بقوله : أن بعض رجال الدين اعتبروا أن هيو لقي جزاء
أشحه وتكديسه الثروة الهائلة ، دون أن يقدم بعضها من أجل الدفاع
عن المدينة فجنى بذلك ثمار بخله وهلك تقوده معه (٢٤٦) .

لما الأسقف الأرمني حنا فقد ذكر نيرسيس أنه « نجا من المذبحة
كما نجا يونس من جوف الحوت (٢٤٧) » .

ولما الأسقف السرياني باسيل فقد فصلت المصادر السريانية
الكلام عنه وعن موقف زنكى منه . فقد قيل أنه بعد المعركة وجده
زنكى عارى الجسم فأمر بتدبيره وأحضاره الى خيمته وهناك وبخه على
عدم تسليم المدينة ، والحفاظ على أرواح من قتلوا فرد عليه الأسقف بأن
« هذه هي إرادة الله وأن ذلك النصر جعل اسم زنكى مشهورا بين الملوك
المثاليين ، أما هو فبريء أمام السيد المسيح لأنه لم يخن عهده . وعندئذ
استهج زنكى من كلام الأسقف ورد عليه « أنت تتكلم الصدق أيها الطران

(٢٤٤) أبي الاثير : الباهر ، ص ٦٩ أبو شامة : الروضتين . د ١ ق ١
ص ٦٥ . تاريخ أبو الهجاء ، د ١ حوادث ٥٣٩ هـ ، ابن قاضي شعبة :
الدر الثمين . ميكروغيلم الباب السابع ٥٣٩ هـ .

(٢٤٥) Nersès : Op. Cit., p. 259, Michel : Op. Cit., p. 262,

William : Op. Cit., V. 2, p. 143, Schlumberger : Op. Cit.,
p. 99, rorga : Breve : Hist. des Crois., p. 92, Grousset :

Hist. des Crois., V. 2, p. 881, Zoé : Op. Cit., p. 336.

William : Op. Cit., V. 2, p. 143. (٢٤٦)

Nersès : Op. Cit., p. 260. (٢٤٧)

لأن هؤلاء الذين يحفظون يمينهم يقدرّون من الله ومن الرجال ، وخلاصة هؤلاء الذين يثبتون حتى الموت (٢٤٨) .

وزاد من أعجاب زنكى بالاستشف بالسليل أنه كان يجيد العربية فاحترمه وعهد اليه بإعادة أسكان المدينة مرة أخرى وأوصاه بحسن معاملته وظل هذا الاستشف حتى وفاة زنكى يتمتع بكنة عالية جدا (٢٤٩) . وتمتع ذلك الاستشف ليس فقط بتقدير زنكى ، المسلمين وانما أيضا بتقدير وحب الأهالي الذين أحسن اليهم كثيرا بعد فتح الرها ١١٤٤م (٢٥٠) . والواقع أن ممالك الرها في أواخر ١١٤٤م لم يشارك فيها الرؤساء الدينيين المدينة فحسب بل كان لجميع رجال الدين على اختلاف مراتبهم دورهم البارز فيها أيضا ، حتى مات الكثير منهم في تلك الممالك (٢٥١) . وفي إحدى المقالات التي كتبها أحدهم -- وهو القديس حنا -- وضع البراهين والأدلة لاثبات مسئولية الكرنة على الفرنج لعدم وضعهم حاميات كافية في المدينة التي عهد أهالي البلاد اليهم بالدفاع عنها (٢٥٢) .

كنائس الرها ١١٤٤م :

وعندما بدأ هجوم المسلمين على المدينة ساد التخريب والتدمير كل شيء فيها بما فيه الكنائس التي خرب الكثير منها ونكست جدرانها (٢٥٣) ، ثم أمر زنكى بقصر ذلك التدمير على الكنائس اللاتينية

Michel : Op. Cit., p. 262, Bar Hebraeus : Op. Cit., V. 1, (٢٤٨)
p. 269, Grousset : Hist. des Crois., V. 2, p.p. 188-189.

من (L'Anonyme), Zoé : Op. Cit., p. 337. Michel)

Michel : Op. Cit., p.p. 262-263, Iorga : Brève Hist. des (٢٤٩)
Crois., p. 92, Grousset : Hist. des Crois., V. 2,
p. 189, 195.

Michel : Op. Cit., p.p. 263-264. (٢٥٠).

فقد ساسهم بماله الخاص في شراء حرية الكثير من الأهالي
الذين كانوا قد تحولوا للأسر والعبودية .

Nersès : Op. Cit., p.p. 251-253, Bar Hebraeus : Op. Cit. (٢٥١)
V. 1, p. 269.

Michel : Op. Cit., p.p. 266 -- 267. (٢٥٢)

(٢٥٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ٦٩ ، أبو ثعلبة : الروضتين ، ج ١ ق ١
ص ٩٥ ، تاريخ أبو الهيثم ، ج ١ مخطوط : حواشي ، ص ٣٩ ، ابن قاضي

==

أو تحويلها إلى أيدي المسيحيين الوطنيين (٢٥٤) . أما كنائس الأرمن
والسريان فقد أبقى على الكثير منها وحول البعض الآخر إلى
مساجد (٢٥٥) . ويضيف المصدر السرياني أن زنكى عندما شاهد
روعه الكنائس السريانية أمر بتزويدها بخمسين كبيرين بل ، أنه « حاول
إشفاء قدميه من القفرس الذي كان يعاني منه عن طريق وضعمها في مياه
من بحر أبجر (٢٥٦) » .

رجال الدين في الرها ١١٤٦م :

وبعد ثورة الرها عقب وفاة زنكى أعاد ابنه نور الدين فتحها ،
نقضى على كل أهالي الرها - كما بينا - أما عن رجال الدين فقد
قتل غالبية الأساقفة والرهبان الذين نجوا من مذابح الفتح الأول للمدينة
على يد زنكى سنة ١١٤٤م (٢٥٧) . ولم ينجح منهم سوى بعض رجال
الدين اليعاقبة الذين فروا فوجدوا ملجأ لدى شركائهم في الدين في ماردين
وشبختان . حيث غولموا بكرم (٢٥٨) . أما مصير الأسقف اليعقوبي
باسيل والأسقف الأرمني حنا ، فقد فر الأول إلى سميساط ، أما الثاني
فقد أسر وسير إلى حلب (٢٥٩) .

وعن الكنائس في ذلك الدور فقد تعرض غالبيتها للتدمير مثلما حدث
لبقية منشآت المدينة ، وحتى ما تبقى منها ، فقد هجر وتعرض للسلب
بواسطة جيوش الرها وخاصة أهالي حران (٢٦٠) .

-
- شبهة : الدر الثمين ، ميكروفيلم ، الباب السابع ٥٣٩ هـ .
Nersès : Op. Cit., p.p. 262-263, 265-266,
Michaud : Op. Cit., V. 2, p. 108.
Cahen : Op. Cit., p. 370, Prawer : Op. Cit., T. 1, p. 338. (٢٥٤)
Runciman : Op. Cit., V.2, p. 237, Dictionnaire d'Hist. et (٢٥٥)
de Géographie ecclési. T. 14, p. 1422.
Grousset : Hist. des Crois, V. 2, p. 883. عن (L'Anonyme) (٢٥٦,
Grousset : Ibid., V. 2, p. 885 عن (L'Anonyme) (٢٥٧)
Grousset : Ibid., V. 2, p. 885. (٢٥٨)
Grégoire Le Prêtre : Op. Cit., p. 160, Bar Hebraeus : (٢٥٩)
Op. Cit., V. 1, p. 273, Grousset : Ibid, V. 2, p. 885,
Runciman : Op. Cit., V. 2, p. 240.
Michel : Op. Cit., p. 272. (٢٦٠)

الخاتمة

وبعد فانه يتضح من العرض السابق كيف كانت إمارة الرها من ناحية تأسيسها أولى الإمارات اللاتينية التي قامت في الشرق . وكيف كانت الظروف ملائمة لقيام تلك الإمارة الصليبية دون أن يتحمل مؤسسها الصليبي بلسدوين البولوني مشقة كبيرة ، على عكس الوضع بالنسبة للإمارات الثلاث الأخرى .

وقد اوضحنا في بحثنا كيف بدأت إمارة الرها ارمينية لاتينية ، ولكنها صارت بعد فترة وجيزة إمارة لاتينية صرفة ، بعد ان تخلص أهلها من حاكمها ثوروس الذي كان مكروها منهم -لامور عدة أهمها انه من اتباع كنيسة القسطنطينية .

كذلك اوضحنا في هذا البحث العوامل التي ساعدت هذه الإمارة على البقاء حوالى نصف قرن رغم ما تجشمته من مصاعب جمة ومشقات عديدة . ونلخص هذه العوامل فيما يلي : -

أولاً : كان لأهل الرها الفضل الأول والآخر في الحفاظ على تلك الإمارة . ولعب العنصر الأرمني بالذات دورا بارزا في هذا المجال لما لقيه في غالبية الأحيان من معاملة ودية من أمرائها الصليبيين ، بسبب زواج غالبية أمراء تلك الإمارة من أرمينيات ، اذا استثنينا بعض الظروف التي تعرض فيها العنصر الأرمني للتفكيك من جانب الفرنج خاصة عام ١٠٦٨ م ، ١١٠٨ م ، ١١١٢ م ، ١١١٢ م . واذا كان هذا التفكيك الذي لحق بالأرمن قد تركز بالذات في عهد كل من بلدوين البولوني وبلدوين دى بورج ، فان عهدي جوسلين الأول والثاني لم يشهدا سوى الأخلاص والحب والتفاني من جانب العنصر الأرمني للأمراء الصليبيين . وخبر مثال على ذلك تلك الحركة البطولية التي قام بها الأرمن لاطلاق سراح جوسلين الأول من سجنه في خريف ١١٢٣ م .

كذلك ساهم العنصر الأرمني بمجهود كبير في الحركة التوسعية لتلك الإمارة على حساب جيرانها المخطئين . بل ان أهالى الرها جميعا ضحوا بالكثير من أبنائهم أثناء الصراع بين صليبي الرها وبين المسلمين ، خاصة في معركة حران ١١٠٤ م ثم في ١١١٠ م أثناء حملة مودود على الرها

واخيرا في الدفاع عن الإمارة ضد كل من زنكي وابنه نور الدين ١١٤٤م ،
١١٤٦م .

ثانيا : سياسة التسامح الديني التي اتبعها الأمراء الصليبيون للإمارة
تجاه رعاياهم جميعا بطوائفهم المختلفة من أرمن وسريان كي يجعلوا منهم
سندا كبيرا لهم في مواجهة المسلمين .

ثالثا : الضنى الاقتصادي الكبير للإمارة والذي حياها لكثير من مرة
من أي حصار إسلامي اقتصادي يقام عليها . حتى عندما خرب الجزء
الشرقي من الإمارة في ١١١٠م بسدد أن رحل سكانه الزراعيون ، ظل
الجزء الغربي كفيلا بأن يسد حاجات الأهالي جميعا ، وإن كان ذلك
قد تم وسط بعض الصعوبات .

رابعا : الرابطة القوية التي كانت قائمة بين الإمارة وبين مملكة بيت
القدس الصليبية إذ ظلت الإمارة حتى سقوطها تحدين بالتبعية
الإقطاعية للمملكة (١) . والواقع أن الرابطة بين إمارة الرها
وبين مملكة بيت المقدس كان يدعمها عامل آخر هو أن أول ملكين صليبيين
لبيت المقدس - بلدوين الأول وبلدوين الثاني - كانا قبل ذلك أميرين
للرها تحت اسم بلدوين البولوني وبلدوين دي يورج ، ولذا كانا يشعران
دائما بالحنين إلى تلك الإمارة التي شهدت بداية ظهورها على المسرح
السياسي والعسكري في الشرق ، مما جعلها يبدلان كل ما في وسعهما
لتحقيق الأمن والسلام لتلك الإمارة . وخير دليل على ذلك موقف الملك
بلدوين الثاني من أسر جوسلين دي كورتشاي ١١٢٢م (٥١٦هـ) وتوجه
الملك للانتقام من أسرية ووتوعه هو الآخر في أسر الأربعة ١١٢٢م (٥١٧هـ) .

خامسا : وجود بعض العناصر المتشقة المتنافسة في الجبهة الإسلامية
التي اتاحت بانشقاقها الفرصة لتلك الإمارة كي تصمد حتى في أخرج
فترات نموها . مثال ذلك التأييد الذي وجدته إمارة الرها ١١٠٨م
(٥٠٢هـ) من جانب الأمير جاولي ، في الوقت الذي أيد فيه رضوان
صاحب حلب أمير أنطاكية تنكريد . وكان من الممكن إذا تكللت الجهود

(١) F. Chalandon : Hist. de la première Crois., p. 295.

هنا يذكر (بازدمادجيان) أنه في ١١٠٠م تكونت في سوريا أوروبا أخرى
على غرار أوروبا الكبرى . وقام بها النظام الإقطاعي بشكل أقسى مما
كان موجودا في أي دولة قديمة .

(H. Pasdéradjian : Op. Cit., p. 206).

الإسلامية ضد الأميرين الصليبيين المضاعفين ، لن نقضى على أحدهما ، مثل أمير الرها . كذلك كان من الممكن أن تسقط إمارة الرها ١١٢٢ - ١١٢٣ م . عندما كان أميرها أسيرا هو وملك بيت المقدس نفسه في قبضة بك الأرمني ، لكن الانقسام في صفوف المسلمين والاحتقاد الشخصية لعبت دورها في تضيق تلك الفرصة أيضا ، حتى أن ملك نفسه قتل بيد مسلم ١١٢٤ م .

فإذا أضيفت إلى ذلك العقبات التي اصطدمت بها حركة للجهاد الإسلامي التي بدأها مودود ١١١٠ م ، لاكتل تأثير هذا العامل في إمداد حكم تلك الإمارة فترة من الزمن . ففي الوقت الذي كان مودود قد أحرز قدرا كبيرا من التقدم في صراعه ضد الفرنج عامة وضد الرها خاصة نراه يقتل بيد أحد الباطنية ١١١٣ م (٥٠٧ هـ) . ثم أعقبه في نفس المصير أيضا البرسقي وذلك ٥٢٠ هـ - ١١٢٦ م .

لكن إذا كانت تلك العوامل مجتمعة قد أخرجت بعض الوقت سقوط تلك الإمارة ، بعد أن تجشمت للكثير من المشقات في حماية الجسائب الشر ، للصرح اللاتيني في الشرق ، فإننا أوضحنا في بحثنا العوامل الأخرى التي ضاقت في النهاية للقضاء على تلك الإمارة وأهمها :

١ - تنكك الحلف الفرنجي البيزنطي الذي مثل لفترة من الزمن عائقا مهما أمام جهود زنكي .

٢ - العداء بين إمارتي الرها وإطليكية الذي ترتب عليه انعدام وجود سند صليبي قريب جدا للرها .

٣ - انصراف أمير الرها جوسلين الثاني إلى اللهو والعبث عن الاهتمام بشئون الدفاع اليقظ عن إمارته .

٤ - ظهور الشخصية الإسلامية القوية ، المثلة في مساد الدين زنكي . التي كبدت الصليبيين خسائر جمة في بلاد الشام ، حتى سقطت إمارة للرها على يديه . وكان يمكن أن يمتد الحكم الصليبي لتلك الإمارة فترة أخرى بعد وفاة زنكي غيلة ، لولا أن الظروف خدعت القضية الإسلامية في ذلك الوقت فقام ابنه نور الدين بخمّل راية الجهاد الإسلامي ، وأكمل الجهد الكبير الذي بدأه أبوه وحقق هو الآخر قدرا كبيرا من النجاح في ذلك الجبل . وبذلك محا نور الدين إمارة الرها تماما من الخريطة المسيحية ، وهو الأمر الذي حرك الحملة الصليبية الثانية .

هـ - وعند سقوط الرها كان صليبيو الشام غاية في الضعف لا يرجى من ورائهم أى عمل ايجابى سريع ، اذ كانت القدس تحت حكم ملك ثلث قليل النشاط في حين سيطرت النساء على حكم امارتى انطاكية وطرابلس (٢) .

والواقع ان اهم ما عتيت بابرازه في هذا البحث هو الحقيقة الخاصة بان امارة الرها كانت امارة حرب .. حرب بينها وبين المسلمين من اجل البقاء .. حرب بينها وبين الممتلكات الارمنية خارجها من اجل التوسع .. وحرب حركتها الأخفاد والأطباع الشخصية بينها وبين شقيقتها الصليبية امارة انطاكية . هذا الى جانب مشاركتها لبית القدس في حروبها المختلفة ضد المسلمين ، بحكم تبعيتها الاتطاعية لها .

لهذا كانت حياة الاستقرار والهدوء وما يشتملها من ترف وتقدم حضارى من اهم المظاهر التى افنتقتها تلك الامارة . واذا كانت الامارة قد سيطرت على مجموعة من الطرق التجارية الهامة في ذلك الوقت فلا شك في ان تلك الطرق تعرضت للكثير من الأخطار التى عاصرتها الامارة . وهكذا يبدو الجديد في هذا البحث في أنه يعطى صورة متكاملة لامارة الرها من كافة جوانبها السياسية والحربية ، الداخلية والخارجية ، الاجتماعية والاقتصادية والدينية . بعكس الدراسات العامة التى تركزت فقط على الناحيتين السياسية والحربية ضمن اطار الحروب الصليبية بوجه عام .

هذا فضلا عن اننا استكملنا بعض الحقائق الخاصة بامارة الرها الصليبية ، وصححنا بعض الحقائق التى عالجتها بعض المراجع بطريقة ناقصة او خاطئة ، والقينا أضواء على العلاقات الخارجية لامارة الرها ، سواء العلاقات بين امارة الرها وجيرانها المسلمين او بينها وبين الصليبيين والبيزنطيين والأرمن .

واستعنا في كل ذلك بالمصادر الأصلية التى يتركز جزء كبير منها في الموسوعة الضخمة التى تجمع ما كتبه مؤرخو الحروب الصليبية
Recueil des Historiens des Croisades

William of Tyre هذا بالإضافة الى ما كتبه وليم المورى

الذى اعتدنا على النسخة الانجليزية له المترجمة من اللاتينية .

هذا فضلا عن المصادر البيزنطية واحدا كتاب الالكسياد الذى
كتبته الاميرة (انا كومنين) Anna Comnena : The Alexiad
والمصادر السريانية وعلى رأسها كتاب ميخائيل السريتي
Michel Le Syrien والمصادر الارمنية وعلى رأسها ما كتبه
مضى الرهاوى والكاهن جريجوار والقديس نيرسيس شنور هلى
Mattieu d'Edesse, Grégoire Le Prêtre, Saint Nersès Schnorhali.
صاحب قميدة رثاء الرها التى اوردنا الترجمة العربية لغتطفات منها
ضمن الملاحق مع بضع ملاحق اخرى جديدة .

ولم نغفل فى بحثنا أهمية المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة ،
وهى التى افادتنا كثيرا ببعض النقاط الجديدة مثل مؤلفات ابن القلانسي
وابن الاثير وابن العديم وابن الفرات .

كذلك لا نغفل أهمية الكثير من المراجع الحديثة التى امدتنا ببعض
الآراء الهامة ومنها كتاب بروية المترجم عن العبرية الى الفرنسية والطبوع
بباريس ١٩٦٦م .

J. Prawer : Hist. du Royaume Latin de Jérusalem.

Zoé Oldenbourg : Les Croisades, 1965.

وكتاب اولدنبرج
وكتاب الحركة الصليبية للأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . الذى
استلذت منه كثيرا فى الوصول الى بعض الحقائق التاريخية التى لم استطع
الوصول اليها احيانا فضلا عن نقل بعض الآراء الهامة عنه احيانا اخرى .

تم بحمد الله

الملاحق

ملحق رقم (١)

نص الرسالة الشفوية التي حملها رسل انباع جود فرى الى اخيه بلدوين ، ليخبروه بوفاة اخيه وليدعوه الى حكم القدس بدلا منه . ١١٠٠ م .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber VII. (R.H.C.)
Hist. Occid., T. 4, p. 526.

« جنود حاكم مملكة القدس — جود فرى — يتمنون لك الصحة . باسم المسيح جئنا اليك بناء على قرارهم ونصيحتهم ، كي نخبرك ان اخاك جود فرى حاكم بيت المقدس قد توفى . وبناء على ذلك فهم يدعونك بصورة جماعية ان تحضر بسرعة وتقبل مكان اخيك وتجلس على عرشه ، لانهم اتفقوا على الا يعترفوا بسيد آخر عليهم الا ان يكون اخا او قريبا له ، لحسن معاملته الطيبة لهم . ولذا اقساموا الا يحكم بيت المقدس او يجلس على عرشها اجنبي » .

ملحق رقم (٢)

نص خطاب تنكريد الى بوهيموند ، الذى طلب فيه النجدة ضد الأتراك المهاجمين للرها ١١٠٤م بعد وصايته عليها .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist. Occid., T. 4, p. 617.

« يتبنى تنكريد التوفيق لخاله السيد بوهيموند — حاكم انطاكية العظيم . لقد تراجعت — بأمر الاله — عن الرها ونزعتها بين ايدينا ، وعينتى مدبرا وحاميا للرها ، فى مكان اخينا المخلص بلدوين ، ولكن جكرمش وسقمان اتحدا من حديد مع قواتهما وحاصروا مدينة الرها مجاة ، ليدمروا قلاعها واسوارها ويقتلوا مواطنيها ويخربوا المدينة ، وياخذونى اسيرا مثل بلدوين ويقودونى الى ارض (البرابرة) . لذا فلاننا

معتمدون على ثقة تقديرك ، الذى تكلنه دائماً للمخلصين للمسيح ، قرونا
 أن نحيطك علماً بما يحقق بنسأ من أخطار ورغم علمنا بالمصعاب التى
 تواجهك ، إلا أنه يجيب استدعاء الحلفاء والأصدقاء من انطاكية والأماكن
 الأخرى بسرعة ، لتقديم المعونة لنا ، بعد أن غلبنا على أبرنا وحوصرنا ،
 حتى نقلل من تهديدات الأتراك ونحدد من غرورهم ونطردهم — باسم
 السيد المسيح — ونفك الحصار الذى يتعرض له حالياً . لأنه يجب أن
 تعلم أننا قلّة فى هذه الأرض . . فإذا تفرقنا وأصابنا الأجهاد سنقتل
 ولا نستطيع الوقوف أمام شجاعة الأعداء .

ملحق رقم (٣)

نص رسالة بوهيموند وتنكريد الى الملك بلدوين الأول ردا على طلب
 جكروش رد أسيرة سلجوقية كانت فى انطاكية فى مقابل إطلاق سراح
 بلدوين دى بورج (سنة ١١٠٤م) .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist.,
 Oeccl., T. 4, p. 616.

« نقدم الطاعة الى السيد بلدوين ملك بيت القدس المتعصب
 للمسيحية دون تردد ، وقد قررنا نحن بوهيموند وتنكريد أن نكون عند
 حسن ظنك من أجل إطلاق سراح بلدوين السديقي والطيّب . لقد كان
 أسرّه ومازال مصدر قلق لنا ، لكننا يجب أن نحصل بقدر الامكان على
 أى مبلغ من المال بالقوة مع الأخ بلدوين من أجل رد الأسيرة السلجوقية ،
 لأننا فى حاجة الى المال بشدة لنضع مرتبات الجنود ، نحن المظلّمين
 لكم باستمرار » .

ملحق رقم (٤)

ما قاله الملك بلدوين الأول لاهالى القدس كي يحثهم على مساعدة
 الرها ضد الأتراك ١١١٠م ، بعد انتصاره فى بيروت .

عن : Alberti Aquensis : Historiae Liber IX (R.H.C.), Hist.,
 Oeccl., T. 4, p. 671.

« بفضل الله وسيدنا المسيح تحققت ارادتنا ونحقق انتصارنا . .

لكن الآن ، ابحث عن اراحتكم الطيبة ، انتم جميعا ، كى نقدم المساعدة لامارة الرها ولبلدوين المحاصر فيها ، حتى لا يضطر للانسحاب ، طالما انهم حطناه لنا ، وهم مستعدون لمساعدتنا في كل وقت ، دعونا نساعدهم ولا نتربد في التعاطف مع اخوتنا واصدقائنا » .

ملحق رقم (٥)

العلاقات البيزنطية اللاتينية من خلال مفكرته (انا كومينا) عن بعثة الامبراطور الكسيوس كومنين الى ملك بيت المقدس بلدوين الأول بخصوص تنكريد امير انطاكية .

Anna Comnena : The Alexiad., p. 367. عن :

« عندما وصل بوطوميتس (Butumites) رسول الامبراطور الكسيوس الى المدينة المقدسة كى يتفاوض مع الملك بلدوين ضد تنكريد ، طلب بلدوين من بوطوميتس المال الذى ارسله الامبراطور معه فقال بوطوميتس : « اذا وعدت بانك سوف تساعد الامبراطور ضد تنكريد ، وحافظت بذلك على اليمين الذى حلفته معه عندما مررت ببلاده ، عندئذ سوف اعطيك المال الذى ارسل اليك بدون تأخير » . مع ذلك كان الملك بلدوين شغوفا للحصول على النقود بالرغم من رغبته في مساعدة تنكريد وليس الامبراطور . وعندما لم يحصل على النقود تضايق ، وكل السلالة البربرية مثله ، فهي دائها فاغرة فاها من اجل الحصول على الهدايا والمال ، لكنها لا تميل الا قليلا لتنفيذ الغرض الذى من اجله دفع المال » .

قابل الرسول ايضا الامير جوسلين دى كورتناى في يوم عيد القيامة — حيث كان قد حضر للمعبادة في كنيسة القيامة — وجادله فيما يلائمه (بخصوص موضوع تنكريد) ولكن عندما اكتشف ان الجواب هو نفس انفعال بلدوين غادر بيت المقدس دون ان ينجز شيئا .

ملحق رقم (٦)

نص حديث الامبراطور حنا كومنين الى امير انطاكية والامراء الصليبيين بعد انسحابهم من شيزر ١١٣٨ م .

William of Tyre : A History of Deeds... V. 2, p. 98 عن

« انت تعلم يابنى العزيز ريموند أننا مكثنا في جوارك وقتا طويلا لحبنا لك ، انه يجب أن نوسع امارتك ونبد ممتلكاتك لضرب اعدائنا . ولقد فعلنا ذلك وفقا للاتفاق الذى اتهمناه سابقا من خلال وساطة الرجال الحكماء في امبراطوريتنا . محبوب الله ، وانت ياتابنا المخلصى ، لقد سنحت الان فرصة مناسبة وهذا وقت لانجاز وعدنا بوضع كل الاقليم المجاور تحت حكمك كما تنص بوضوح شروط المعاهدة . ولكنك تعرف جيدا وكل هؤلاء النبلاء الذين يقومون معك في حضرتنا يعرفون ايضا انه لكى ننفذ الالتزامات التى نرتبط بها ليس بالأمر الذى يأخذ وقتا قصيرا . على العكس انه لمن الواضح أن شئونك تتطلب اقامة اطول من جانبى وعلاوة على ذلك انفاقا أكثر . لذلك يجب أن تسلم لمنايفنا قلعة هذه المدينة وفقا لمغزى الاتفاق ، ان ثروتنا توضع هنا في امان . قواتنا ايضا يجب أن يؤذن لها بحرية الدخول الى المدينة . الات الحرب التى نحتاج اليها لحصار حلب لا يمكن الحصول عليها بسرعة من طرسوس او عين زربة او المدن القيليقية الأخرى ولهذه الأغراض فهذه المدينة تقسم تسهيلات حسن من اى مكان آخر – انجز وعملك وكن مطيعا للولاء الذى اظهرته ، اعمل واجبك وسيكون عمل سمونا الامبراطورى أن تنفذ الالتزامات الباقية علينا » .

ملحق رقم (٧)

وصف متى الرهاوى لتفكيك الأمير مودود وقواته بأهالى الرها ١١٠م.

عن Mattieu d'Edesse : (R.H.C.) Doc. Arm., T. 1, p. 93-94

خرج كافة أهالى الرها وأهالى الاقليم المحيط بها ، من مخبئهم ومعهم النساء والأطفال في اثر الجيوش الفرنجية المنسحبة .

وحدث عندئذ ان قام اثنان من الفرنج بعمل مغل بالاصول ، اذ وجهوا الى معسكر مودود وارتدوا عن العقيدة المسيحية ، واخبروه بهروب نوبيهم وانسحابهم . وكان أن اسرع مودود لمطاردة المسيحيين ، فارتاق الدم في كل مكان . من الرها حتى الفرات ، وابلد أهالى المدينة وأهالى الريف سواء . وعندما وصل مودود الى شاطئ الفرات قتل كل رجال البلاد الذين قابلهم وأسر العديد من النساء والأطفال . وكان الفرنج قد توجهوا قبل ذلك الى الشاطئ المقابل للنهر ، فصاروا

كقطعان من النعاج تمر تحت حد السيف ، وأنزل بهم سودود عقوبة الانتقام الالهى بمثل تلك القسوة حتى سال الفرات بفيضانات من الدم . هناك كثيرون غرقوا في مياه النهر ، لان اولئك الذين القوا بانفسهم في الماء واجتهدوا للوصول الى الناطق الآخر من النهر لم يستطيعوا الوصول اليه . اما الذين ركبوا المراكب فقد اكثفت بهم حتى غرق منها خمسة او ستة بسبب امتلائها بهم . وفي ذلك اليوم ايضا تعرض كل اقليم الرها للنهب بعد ان اخلى من السكان . كانت تلك هى الكارثة التى اشار اليها الرسل القدامى في كتبهم عندما كتبوا « يا للشقاء على امة ابجر » .

اما الفرنج الذين وقفوا على الضفة الغربية للنهر ، فقد شاهدوا في حزن تلك المناظر مروعة ، دون ان يستطيعوا ان يحولوا دون حدوثها واكتفوا بسكب الدموع الحزينة .

ملحق رقم (٨)

رثاء ميخائيل السريانى للرها ١١٤٦ م .

عن Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 270-272

« يا سحابة الغضب ، ويوم بدون شفقة ! حلت فيه كارثة الغضب الشديد على الرهويين البؤساء يا ليل الموت وصباح الجحيم ، ويوم الهلاك ! حل باهالى المدينة العظيمة . يا للحررة ايها الاخوه ! من يستطيع ان يروى او يسمع دون دموع ، كيف ان الام والطفل الذى تحمله بين ذراعيها يخترقهما سهم واحد دون ان يجدا من ينقذهما او ينقزع السهم من جسدهما ! وكيف سحقت حوافر الخيل بعد ذلك كل من لحقت بهم في قسوة ! وطوال الليل رشقت اجسامهم بالسهم ، وعند انبلاج الصباح — الذى كان اكثر ظلاما من احلمهم — ضربوا بالسيوف والرمح » .

لقد اهتزت الارض رعبا بسبب المذبحة التى وقعت ، والتى كانت كالنجل على السابل وكالتار فى الخشب . فاستولى السيف على العديد من المسيحيين . واخبطت جثث الاساقفة والشماسة والرهان ، والنساء والفقراء بعضها ببعض .

وهكذا تحولت الرها الى صحراء مليئة بالرعب ، مغطاه بالسواد ،

تفوح فيها رائحة العفن من جنث أبنائها وبناتها ! فأسرعت إليها الهوام والوحوش ، ودخلت المدينة لتقتات أثناء الليل من جنث القتلى .

نعم ، همدت الرها مقرا لأبناء آوى . ولم يعد يدخلها أحد سوى أولئك الذين كانوا يبنشون ليكتشفوا ثرواتها . لها أهالى حران وبقية الأعداء فقد نهبوا الكنائس ومنازل الأميان قائلين مرحى ! مرحى !

ملخص رقم (٩)

اللعطة التى كتبها ديونيسيوس الاسدى بصدد خراب الرها ١١٢٦م ونقلها لنا ميخائيل السريانى .

عن : Chronique de Michel Le Syrien : T. III, F. II, p. 272-273

« كيف يمكن ان نصدق ان السيد المسيح الذى لم يتم فقدان خلقه ، قاد بعض الأعداء ليقوموا بعمليات القتل والامر ... الخ ؟ ماذا قيل ان هؤلاء تغلبوا دون اذن من السيد المسيح ودون مساعدته ، وهو المطلق على كل شيء ، يكون هذا نوع من السباب ، لان المسيح لا يتغلب ولا تتكاسل يديه عنا ، لكن عندما تغلبنا نحن أولا من ارشاداته ، عندئذ سمح بان نهزم بأيدي الأعداء ، حتى نغلب . فنحن السبب فيها يصيبنا من نفع أو ضرر . ماذا اعترفنا بوجوده ، فان الله يسامعنا ، وعلى العكس اذا اتحرفنا نحو الشرور بحريتنا وباختيارنا وقادنا الشيطان الى اتجازها . ان السيد المسيح ترك المسائب تحل بنا بسبب ضلالتنا ، كما حدث لأهل الرها الذين كانت نهايتهم اسوء من البداية ، فحلت بهم كارثة مريعة للمرة الثانية لا يستطيع اللسان تحديد نطاقتها . لكن يجب الا ننسى انما الرجال ان تلك الامور وغيرها من الامور المشابهة قد حلت ليس فقط بسبب معصية هذا الشعب وحده بل ايضا بسبب المعاصى الكثيرة التى ارتكبت في كل الاماكن وفي كل البلاد ففى تلك الفترة السيئة انعد كل شخص عن العدالة وانغمس في الظلم ، ابتعد عن القداسة واسلم للمكر . وتضاعفت المعاصى واصبحت أكثر من شعر الراس . ومع ذلك فان عددا محدودا هم الذين حلت بهم العقوبة .

ايها الاخوة يجب ان نتوب ونرمد ونخشى عاقبة مجورنا ... وهذا يكفى الان » .

ملحق رقم (١٠)

مرثية نيرسيس شنور هالي الأرمني عن سقوط مدينة الرها ١١٤٤م (١) .

Saint Nersès Schnorhali : Ellgie sur la prise d'Edesse,

(R.H.C.), Doc. Arm., T. 1, p. 227 — 268.

نداء لعموم القصارى :

يا عرائس الخدن السماوى (٢)	اية نوحى أيتها الكنائس
المقيوم فى أرجاء العمورة كلها	ايها الاخوة والاخوات الاجباء
يا أمم الأرض وفنائها	يا ايتها المدن والقرى
اليكم أوجه رثائى	يا ابها المؤمنون بالمسيح
	فاسنعموا لعويلى وبكائى

نداء لمدينة القدس :

يا مهد الشريعة والأنبياء	يا قدس ، يا مدينة الله
الذى أشرق على نوره الساطع	يا موطن الله الواحد
	لانى أول من اعترف بمساواة الان للاب
والى بكائى ونحيبى	اصغى الى أيتها الحبيبة
وواسى فؤادى الجريح الكئيب	شاركبى فى أوجاعى وعزيبى

نداء لمدينة روما :

يا موطن العظمه والجلال	وانت يا روما ، يا أم المدائن
الك خطابى وحديثى	يا كرم بطرمن الأعظم
اصغى لصوتى من بعيد .	اصغى لوقف مداوسى وكرسبه
وانضمى الى بالنحيب	الا ايكى معى ونوحى
فانى فى الأغلال فى غياهب السجون	أسرعى ومدى الى يد المعونة
ممن عادائى واستعدنى	هلمى للثار والانتقام

(١) هذه بعض مقتطعات من القصيدة التى اقتصرنا فيها على العفراء الهامة البعيدة عن التطرف والتى ترتبط بموضوع (البحث) . امتتحها المؤلف بقوله (مقالة للأنبا نيرسيس بطريرك الأرمن . وضعها بأسلوب الملحة على طريقة هوميروس ونظمها ليرثى بها الرها الكرى وسقوطها عام خمس مئة وتسعه وثلاثون هجرية فى الثالث والعشرين من شهر ديسمبر ، الساعة الثالثة ، يوم السبت) ويعلق الناشر دولوربيه على هذا التاريخ بأنه يقابل يوم السبت ٢٣ ديسمبر ١١٤٤م الساعة التاسعة صباحا .

(٢) الخدن السماوى هو المسيح .

نداء لمدينة القسطنطينية :

اليك دعائي الملهوف
يا من شادها الملك قسطنطين
لقد اصحت قدسا اخرى
لقد كنت ملكا لك
وبسبب على ارضي هيكل
اليك اتوسل . عبئي
واطعني الاعداء في صميم ثارا وانتقاما

نداء لمدينة الاسكندرية :

ها انى اصرخ تحت ابوابك
لقد اسسك الاسكندر الاعظم
انب كرمى مرقس
وترسوا على عرشك
وكانى بك فى حال يدعو الى الرثاء ملى .
كنا يوما مدعاة للصبد والغيرة وامسنا
الآن مدعاة للاشفاق والحسرة
الشفقة الجليلة
ولذلك فسانى اتوسل اليك ايتها
ان ارش معى الآن وابكى

نداء لمدينة انطاكية :

اليك حديثى وعقبى
يا موطن الرسل ومثلهم
لم لم نهرعى الى
لم لم تهدى الى يد المعونة
هلمى واصفى الى نحيبى
وولولى معى وانتحبى

نداء لمدينة آتى :

اليك ايضا ندائى
ضى نحيبك الى صوت نحيبى
انظري الى ذلى وشقائى
يا مدينة آتى عاصمة المشرق
وعزنى فى محنتى
والى محنتى وعالى

هلمى وافرجى الغم عنى
ويادرى ألى البكاء على والبسى الحداد
وادعى مم الأرض الى الرشاء والنحيب
واقلقها بانينك المفجع
غير التعزية والسلوان
هيا واجمعى مناتك
فليس للقلوب المكومة من دواء

الوها تسرد تاريخها المجيد وتشيد بفناها :

سأذكرها هنا ما أسفه
ثم الولايات التى حلت بى
كنت لما لرهمط من البنين
وأرضعتهم من لبن ثدى
ونشأتهم خير تنشئة
وينبوع لبن سحى
وغلات الأرض بامناقها
انعمشت الأغراس الخضراء
وجلبت على الأهالى الفرح والبهجة
فينبمئ منها نسيم عليل
وتزين الميادين
وتجعلنى كاحدى جنات عدن
منهر موفرة وسخاء
وتفوح منها عطور مسلوية
مع اطواق الورود والبنفسج
بما تدره على من ثمار وأرزاق
لما وجد الى ذلك سبيلا مها سعى
الحارثون وزرعوها
والغلات الكثيرة
نيفرحون ويسهجون
ولو وجد من استطاع
لما وجد لى مثيلا
كنت مبرعة على عرشى النخم
او ملكه رائعه الجبال
وهذب مأهذاب براقه
وكانت الأسوار يحيط بى
على الله تعالى من نعم
منة من أجل ذنوبى وآثامى
وولدت منهم عددا لا يحصى
وريتهم خير نرية
اذ كنت أرضا خصبة معطاء
لقد تراكمت فى الخيرات
وانبتقت من احشائى مياه حية
وروت السلاطين الفجاء
وكانت مياه البحر تمتد بين أسوارى
وتفسلنى وتطهرنى
وتنمى الأعشاب والأزهار البهية
ثم تنساب بين الأشجار الكثيفة
وتتمايد بأغصانها الهيفاء
فتمهرنى بالفرجس والزعفران
كم كانت تربى خصبة غنية
لو شاء أحد حصرها ومعداده
فكأنت تربى اذا حرثها
تجلب الأرزاق الوافرة
أقوت بها أنأتى
بما لديهم من خيرات حبة .
ان يصف موقعى وصفا ملائما
فى مدائن الأرض كلها
كملك اعلى مركبة
تجلت برداء زركش بالفضة والذهب
وازدانت بأهلى الحلل
وحمن مسيع يحمينى

والقلاع الشامخة الرهيبة المقتنة أنبساء والتحصين
كانت كالرؤوس الضخمة على أبدان مقينة صلدة
وكان لاسوارى أسس عميقة وفي أعاليها تسنن كأسنان التيجان .
وكان في مبان فخمة وهيكل رائع شيد في المنطقة الوسطى الغناء
ثم الأسواق والشوارع تمتد بتنسيق وانتظام
والقصور الشامخة التي يعجز لسانى
ولسان أى أنسان عن وصف بهائها وروعها
فإنها كانت تحاكى الديار السماوية وتضاهى المواطن العلوية
ماحرة لا مثيل لها

زوال العظمة والرخاء :

ان هذا المجد وهذا الأزدهار الذى حدثت عنه
وسررت قصته بايجاز كان في عصر غابر
لكنه اضحل الآن بعقة . كنت في خير وسعة
كنت في هناء ورخاء حتى أكبرنى من رأى وعظمى
ومن سمع عنى أعجب بى ولكن جاءت ساعة المحنة
وكل ما أسبغ على من نعمة زال واندثر
وانقلب ما كان حلوا الى مر هلقم وبدلا من التعظيم والتبجيل
لا الى الآن سوى الأشفاق

حال الرها بعد فتح الفرنج لها :

لغد تخرجت من السماء الى الأرض من الأعلى الى الحضيض
موطئت وثقلت ونسيت وصايا ربى
وهجرت شريعته وارنكت الذنوب والأنام
وتدنست بالمكرات منذ تلك الساعة التى بدأت فيها
أصاهر أهل روما واتقرب اليهم

الاتاك زتكى يحاصر الرها :

لما تحقق رنكى من دلى وهوانى زحف نحوى زحف الشعبان
لبلىسى فى كمبى ويرشقنى بسهامه الخفية
اختأ فى الحقول ثم أجهز على على حين عره
فى ساعة لا أنتظرها اذ إنه ما أن تحقق وتيقن
من غياب رجالى وجمائى حتى حاصرنى من كل ناحية

وماجنى بقواته
 ولم ينفكوا يحاربوني
 ولم يزالوا يعيرون تحركهم
 لقد مدججوا بالسلاح واشهروا الحراب
 واستتروا وراء مجنات جلديه
 وراحوا يرشقوني بسهامهم الحاده
 ثم سادوا امامى سورا ونصبوا عليه النجيب
 وامطرونى بوابل من الحجارة
 وجاهدوا واستماتوا
 فنهز رجالى وابطالى
 مقد حمروا كما بحفر الخلود
 ثم نصبوا فيها الأعمدة والاولاد
 واعدوا العدة لحرقها
 ثم هتفوا باهل المعينة قتلين :
 كيلا تموتوا شر ميتة
 والا نفئس المصير «

استماته الروهييين في الدفاع عن حدينتهم :

لكن اولئك الابطال
 حتى ابوا ورفضوا
 الا يخلو الميبدان
 ولا يصغوا لتهديد العدو
 وراوا انه من الأفضل
 من ان ينفكوا بمعدهم
 ويهتفون قاتلين :
 ايها الاخوة من سيوف العدا
 بعثريها رعدة الانذال
 يعلن على جميع امم الأرض
 مازالت آمالنا في الديار السماوية « .
 ولم يزالوا يرددون مثل هذه الاقوال
 ويتبادلون عبارات التوعد والتشجيع
 والابناء يستعدون للقتال
 ما ان سمعوا هذا الوعيد
 وانفسوا وتماهدوا
 ولا ينسحبوا من المعركة
 ولا يفتحوا لهم ابواب المدينة
 ان يموبوا في مواقعهم
 ثم راحوا ينادون بعضهم بعضا
 « ان نخاف ولن نهلع
 ولن ندع سالة الأبطال
 ولنخلفن من بعدنا اسما ايها
 علينا بالشدة ورباطة الحاش
 بعضهم لبعض
 وراح الأب يحث أبنائه
 وعلا نداء المعركة

واقترح الميادين والمنازل
ولا سوقة مذلولين
وعلى رأى واحد مجتمعين
كل واحد يستحث جماعته
وعلى الوقوف وقفة الشجعان في وجه الأعداء
بلا خوف من سيوفهم
فلم يعد بينهم خاصة موقرين
بل كلهم متساوين متحدين
وكان المطرنة والكهنة
على الصمود والنزال
والتي لا تفك إلا بالأجسام

انقطاع أهل الأهالي في وصول المدد والمعونة :

ولم يزالوا يتبادلون
ها هي ذى الحشود المساوية
وينتظرون من يعينهم
ولا ينفكون ليل نهار
لكن لم يصل أحد
بل ان عباد الصليب
تخاذلوا وتقاعدوا
عندئذ دب الجهد والنشيط
لتنفيذ حيلة المنجنيق
وبسبب محاصي الكثيرة
قطعوا على كل سبيل
عبارات التشجيع ويقولون :
آتية لشدة أزرنا ومستدقنا .
ويبثون الأنظار في الطرق والسالك
ينتظرون النجدة
ممن كلقوا ينتظرون
في البلاد كلها
عن مد يد المعونة اليها
في صفوف العدو
على جناح السرعة
والكلى الجسيمة
للمدد والمعونة

انهيار طرف من السور وأحداث أول ثغرة فيه :

ان مؤاذاي الآن ليدهي
اذ اذكر ذلك اليوم الرهيب
ذلك النهار الاسود القاتم
حين انبعثت نيران سدوم (٢١)
ولم تطر من السماء
واذا بالسور الحصن
ويندك من أمسه .
وعقلى وروحي يشطربان
ذلك الصباح الظلم
وظلمته السوداء المكفهرة
من أعماق الأرض
بل من أجواف الخنادق
ينهار ويتداعى

(٢١) سدوم وعمورة مدينتان على البحر الميت كثر فيها الأثم فأمطرهما الله من السماء بالنار والكبريت وهنا يقول (نيرسيس) ان النار لم تطر من السماء كما حدث لسدوم وعمورة بل جاءت من الأرض من الثغرة التي أحدثها المسلمون في قاعدة الأسوار . (عن سدوم وعمورة راجع سفر التكوين ، الأصحاح التاسع عشر) .

صمحة الرهويين الأخيرة :

لكن ابطالنا لم يتراجعوا
مل تعالت صراخاتهم ونداءاتهم
ويشد ازره ببسالة
وصمدوا على خرائب الاسوار
يحرصون بعضهم بعضا على الكفاح
أشهروا الرياح والسيوف
رفعوا راية الصليب بأيديهم
« لا نخافوا أيها الأبناء الأحياء
ناتها أفضل من هذه الحياة » .

الرهويون يردون الهجمة الاولى :

عندئذ احتشعت قوى الاعداء
واندفعوا على ثغرة السور
ما لبثوا ان هرعوا اليهم
وردهم على أعقابهم .

الانحمار الرهويين وسقوط المدينة :

لكن هيهات . وليتني
لكن لا طائل من الصمت
أرزاء وخطوب جسيمة
والحاربون عن صد الهجوم
بقواته الجرارة
قتلا وسبيا وتدميرا
وطوقوها ثم اقتحموها
أبا ضعاف القلوب فخاروا وارتعدوا
والسعس سعوا الى الموت حثيثا
ونجمع نمر قليل من الرجال
لكنهم سرعان ما غلبوا على أمرهم
ولما نكملوه في قتال طويل

يتم ها هنا حديثي
لقد أصابتنا وحلت بنا
اذ عندها عجز الأبطال
هتف القائد الجهنمي (زنكي)
وأمرهم ان يأتوا على كل شيء
فأحرقوا بالمدينة من كل صوب
ولاحقوا الأهليين واحدا واحدا
وأما الأقوياء فازدادوا همة وشدة
وآخرون ماتوا ذعرا وهلما
غير كاف لحماية الأسوار
لما كان قد لحق بهم من أرهاق
كان قد بدأ منذ شهر ونيف

اقتحام الأسوار :

لقد لاحظ العدو ناحية من الأسوار خالية من الحرس

فتسلقوها صاعدين
وما أن شاهد الأهالي ذلك
فاطلقوا أصواتهم صارخين
واقتحم بعضهم الأسوار
حتى استولى عليهم الذعر
واسرعوا الى الهرب .
اهل المدينة يحاولون اللجوء الى القلعة :

ثم ان جمهور الشعب
وهرعوا ممرمين
لكن سيوف العدو فتكت بهم فتكا
الشبان والاطفال
ولم يرحموا شيب الشيوخ
ولا حرمة الكهنة
تراجعوا الواحد تلو الآخر
نحو باب القلعة
فجرت دماؤهم كالسيول :
نبحوا بلا رحمة
ولا براءة الغلمان
ولا جلال الأبرار

هلاك من وصلوا للقلعة :

لكن حراس القلعة القادرين
أقفلوا الأبواب في وجه الأهالي
فحاول الشعب أن يلوذ بالفرار
وتهاوتوا على الأبواب كهلجهم الأخير
ويتسارعون ويتصادقون
وكانت سيوف الأعداء من خلفهم
أكوابا عالية .
واحدئا من كل جنس وسن .
والأمهات يتشبثن بأطفالهن
والأباء يسألون عن بنيهم
والأنساء يسعون مع آبائهم
لكنهم لم يجدوا من معين
ولا هو يشفق على شقيقته
سقط كل واحد في موضعه
أما الذين نجوا فقد هربوا
من موق جثث القتلى
لكن حدود الأعداء
وراح كل منهم على سجيته وهواه
أما من كان وسيما جبيلا
لا سيما من استحسنوهم

الذين كانوا يحمونها
ولم يسمحوا لأحد بالدخول
هربا من حد السيف
وراحوا يتسابقون اليها
لكن الأبواب أقفلت في وجوههم
فتكومت حثتهم على الأبواب
رجالا وساء ، شيوخا واطفالا
كانت اللنات يبيكين في أخضان أمهاتهن
وبلاقين الموت معهم
أعلمهم يحدون وسيلة لتجساتهم
بحثا عن مكان أمين
مالشقيق لا يبالي بشقيقه
لأنه عاجز عن الحراك
بعد ان كتبت أنفاسه وانقطعت
خشية من السيوف الصوارم
وداسوا عليهم ولاذوا بالفرار
لاحقوهم مشهرين السيوف عليهم
يختار فريسه المفضلة
فاتخذوه أميرا
من فتيات وغلمان

اما الطامعون في السن
وكذبوا جثثهم تكديسا
فما كفن احد بكفن
ولا دفن في قبر
لم تسمع في ذلك المائت الرهيب ترانيم كاهن
ولا صلاة ولا دعاء

رؤساء الطوائف المسيحية يموتون مع رعاياهم :

ثم ان رؤساء الطوائف
المقلبي (٤) والارمني
ضحوا جميعا بانفسهم
ولم يهملوا قطيعهم
حتى ان امام الفرنج
واستشهد مع رعيته
فقد نجا ببشيمة الله وفضله . كما نجا يونس (٥) من جوف الحوت

عمال السلب والتهب وتخريب الكنائس :

ولما فرغو من هذه الامور
والذين سفكوا دماءهم بسمولهم
واملاك آبائهم واجدادهم
والحلل الثمينة
واوعية البخور المعطرة
وحلل المذابح
واردية الاحبار
ما يدعوا الى الرشاء والحسرة

ابتهاج الغالبين بالقوز والنصر :

اما ائمتهم
فقد صعدوا الى الابراج العالية
وراحوا بصرخون باصوات عالية
هاتفين قائلين :
المدعوين « علماء »
من حيث تقرر الاجراس
هاتفين قائلين :

(٤) اي الفرنجي .

(٥) هو النبي يونس الذي عرف باسم يونان وجاءت اخباره في نبوءة يونان .

« يا رسول الله محمد »
ديارك ودارك
المنعبدة لحجارة صماء
ونقبا لتعاليم قراآتك
يا مكنه العظيمة ، موطن محمد
والقدم الرسومة على صفحتها
جميع هؤلاء المشارقة
وخدام يسوع المسيح .

لقد استرددنا ملكا قد فقدناه :
من هذه الأمة الضالة
لقد روينا الأرض من دماآهم
اليك نرف البشرى
يا قلة الأمانى يكعبنها السوداء
اتنسا مفرد اليك اليوم
عباد الصليب الضالين

رسالة زنكى التى تحمل بشرى النصر الى الخليفة فى بغداد :

« السلام عليك ، ابشر
وعلى مدينتهم المنيسة
وليس هذه سوى بداية المعارك
ومن أجل الرسول وليك
فناذكرنى اذن يوم الجمعة
كى استطيع ازالة يسوع
وانكل بكل من يدمى

ها انذا قضيت على عباد الصليب
وعراضت اسما لأشعة الشمس
التي ساخوضها من أجل دينك
رسول الله ونبيه
لدى صلاتك فى المسجد
وجميع أتباعه من على وجه الأرض
لن لله ولدا .

سبب سقوط الرها فى يد زنكى من وجهة نظر فيرسيس : (على لسان الرها) :

انه لا بحوله وطوله
تكن من فتح الرها
بل من أجل خطاياى الجمة

ولا ببأس قواته
وأعمل فيها السيف ومباها
ولكثرة ما اقترفته من آثام

مصادر البحث

(١) المصادر العربية المطبوعة :

١ — ابن الأثير الجزرى : (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الملقب بعز الدين :

(١) الكامل فى التاريخ ، د ٨ ، ٩ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

(ب) الباهر فى الدولة الاتابية (بالموصل) تحقيق عبد القادر احمد طليعات ، الطبع والنشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

٢ — اسامة بن مرشد : (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدولة ابو المنذر اسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى : الاعتبار ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة ، ١٩٣٠ .

٣ — ابن ابيك الدوادارى : (٧٣٢ هـ) أبو بكر بن عبد الله : كنز الدرر وجامع الفرر ، د ٦ ، الدرة المضيئة فى اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م .

٤ — ابن الجوزى : (ت ٥٩٧ هـ) أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الاولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، د ٩ ، ١٣٥٩ هـ ، د ١٠ ، ١٣٥٨ هـ .

٥ — الحسينى : أبو الحسن على بن أبى الفوارس ناصر بن على : اخبار الدولة السلجوقية ، لاهور ، ١٩٣٣ .

٦ — ابن حوقل : (عاش فى القرن العاشر) أبو القاسم محمد بن على الوصلى الحوقلى البغدادى : صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، منشورات مكتبة الحياة ببيروت .

٧ — ابن خرداذبة : (ت ٣٠٠ هـ) أبو القاسم عبد الله بن عبد الله : الممالك والممالك ، مكتبة المثنى بغداد ، طبعة أبريل ١٨٨٩ .

٨ — ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ) عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان البتدأ والخير ، د ٥ طبعة ١٢٨٤ هـ .

٩ — الذهبى : (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) شمس الدين أبى عبد الله محمد

بن أحمد بن عثمان : العبر في خبر من غير ، د ٣ الكويت ١٩٦١ ، د ٤ ، ١٩٦٣ .

١٠ - سبط بن الجوزي : (ت ٦٥٤هـ) أبو المظفر يوسف بن قزواغلي التركي : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، د ١ ق ١ ، الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند (١٣٧٠هـ - ١٩٥١م) .

١١ - أبو شامة : (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدس : الروضتين في أخبار الدولتين ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، د ١ القسم الأول ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٢ - ابن الشحنة : (ت ٨٩٠هـ) أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي النقض الحلبي الخنفي : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تحقيق أبو الين البتروني (ت ١٠٤٦م) المطبعة الكاثوليكية : بيروت ١٩٠٩ .

١٣ - ابن شداد : (٦٨٤هـ) عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم : الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، د ١ ق ١ ، دمشق ١٩٥٣ .

١٤ - الأصفهاني : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد : تاريخ دولة آل سلجوق اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني . مطبعة الموسوعات بصر ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م .

١٥ - ابن العبري : (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) جريجوريوس أبي الفرج ابن هرون الطبيب الملقب : تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩٠ ، ١٩٥٨م .

١٦ - ابن العديم : (ت ٦٦٠هـ) كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله : زبدة الطلب من تاريخ حلب ، د ٢ ، نشر وتحقيق مسلمي الدهلان ، (من ٤٥٧هـ إلى ٥٦٩هـ) .

١٧ - الفارقي : (عاش في القرن السادس الهجري) أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق : تاريخ الفارقي ، القسم الأول ، حققه د . بدوي عبد اللطيف ، القاهرة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م .

١٨ - أبو الفدا : (ت ٧٣٢هـ) الملك أيوب عماد الدين اسماعيل أبي الفدا صاحب حياه : المختصر في أخبار البشر ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية د ٢ ، ٣ .

١٩ - أبو الفضائل محمد بن علي الحموي : التاريخ المنعوى ، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، نشره ووضع فهرسه بطرس غزيا زنبويج ، موسكو ١٩٦٠ .

٢٠ - ابن القلانسي : (ت ٥٥٥ هـ) حمزة بن يعلى : فيل تاريخ دمشق ، طبعة بيروت ، مطبعة الابهاء اليسوميين ١٩٠٨ .

٢١ - القرماتى : أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي : أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ .

٢٢ - القلقشندي : (ت ٨٢١ هـ) أبو العباس أحمد : نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، طبعة أولى ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٢٣ - ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي : البداية والنهاية في التاريخ ، د ١٢ ، مطبعة السعادة .

٢٤ - أبو الحاسن : (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو الحاسن يوسف بن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، د ٥ ، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م .

٢٥ - المقدسي المعروف بالبخاري : (ت ٣٧٥ هـ) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي : احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ .

٢٦ - مؤلف مجهول : احوال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨ .

٢٧ - ابن واصل : (ت ٦٩٧ هـ) جمال الدين محمد بن سالم : مفرح الكروب في أخبار بني أيوب ، د ١ (ينتهي بموت نور الدين محمود بن زنكي ٦٥٩ هـ) نشر وتحقيق د. جمال الدين الشيال ، مطبوعات ادارة احياء التراث القديم ١٩٥٣ .

٢٨ - ابن الوردي : (٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس الوردي : المختصر في أخبار البشر ، د ٢ المطبعة الوهبيية بمصر ١٢٨٥ هـ .

٢٩ - ياقوت الحموي : (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت .

٣٠ - يحيى بن سعيد الأنطاكي ، (من رجال القرن الخامس المجري) : تاريخ الذيل ، باريس ١٩٢٤ .

(ب) المخطوطات والميكروفيلم :

- ١ - ابن أبي السدم الحموي : (ت ٦٤٢ هـ) أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن عبد المؤمن بن شهاب الدين : التاريخ المظفرى ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ١٦٦ تاريخ .
- ٢ - ابن دقماق المصرى : (ت ٨٠٩ هـ) صارم الدين إبراهيم بن محمد : نزهة الأنام فى تاريخ الاسلام ميكروفيلم بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية رقم ٨٥١ تاريخ .
- ٣ - الذهبي : تاريخ الاسلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ .
- ٤ - ابن السامى : (ت ٦٧٤ هـ) على بن أنجب المعروف بابن السامى البغدادي : لخسار الخلفاء ، مخطوط رقم ٩٠٢ تاريخ تيمور .
- ٥ - سبط بن العجى الحلبي : (ت ٨٨٤ هـ) موفق الدين أبى ذر أحمد ابن إبراهيم : كنوز الذهب فى تاريخ حلب ، د ١ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٣٧ تاريخ تيمور .
- ٦ - ابن شسكر الكبي : (ت ٧٦٤ هـ / ١٢٦٣ م) محمد بن شسكر بن أحمد بن عبد الرحمن : عيون النواير ، د ١٣ ميكروفيلم بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧٢ تاريخ .
- ٧ - ابن الشحنة : (ت ٨١٥ هـ) أبو الوليد محب الدين محمد بن محمد : روص المناظر فى علم الأوائل والأواخر ، مخطوط بدار الكتب رقم ١٥ تاريخ .
- ٨ - ابن الصديم : (ت ٦٦٠ هـ) : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٦٦ تاريخ .
- ٩ - العيني : (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) بدر الدين محمد محمود بن أحمد بن موسى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، د ١٥ ، ٣ ، ٤ ، ١٦ م ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .
- ١٠ - الفارقي : ملخص تاريخ ميفارقين ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات رقم ١٢٤٩ تاريخ .
- ١١ - ابن الفرات : (ت ٨٠٧ هـ) محمد عبد الرحيم بن على بن أحمد بن محمد ابن عبد العزيز بن محمد : تاريخ الدول والملوك ، الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ : د ٥ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١١٧ تاريخ .

١٢ — ابن قاضي شهبة : (ت ٨٧٤) بدر الدين أبي الفخسر محمد بن أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي دمشقي الشافعي : الدر الثمين في سيرة نور الدين محمود بن زنكي ، ميكروفيلم بمعهد الخطوط رقم ٢٣٧ (١) تاريخ .

١٣ — النويري : (ت ٧٣٢ هـ) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب وفنون الأدب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة د ٢٥ د ٢٦ .

١٤ — أبو الهيجاء : (كان معاصرا لصلاح الدين الأيوبي — ت ٥٨٩ هـ) : تاريخه — القسم الأول ، ميكروفيلم بمعهد الخطوط رقم ٩٤٥ تاريخ .

(ج) المراجع العربية

١ — اسحاق تاوئروس عبید : (الدكتور) : روما وبيزنطة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ .

٢ — أسد رستم : الدكتور : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالفرس ، د ٢ دار الكشوف ، بيروت لبنان ، ١٩٥٦ .

٣ — اغناطيوس انرام الثاني : بطريرك السريان الانطاكي : مقاله في سورية ، طبعة بيروت الطبعة السريانية ١٩٢٦ .

٤ — حسن حبشي : (الدكتور) : نور الدين والصليبيين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٥ — زامبور : المستشرق . معجم الأسلف والامرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، اخرج د . زكي محمد حسن ، د . حسن أحمد محمود ، د . سيدة اسماعيل كاشف ، مطبعة جامعة فؤاد الاول د ١ (١٩٥١) د ٢ (١٩٥٢) .

٦ — الطباخ الحلبي : محمد راغب بن محمود بن هاشم : اعلام الفلاء بتاريخ حلب الشهباء الطبعة الاولى ، د ١ ، ٢ (١٢٤٣ — ١٩٢٣) .

٧ — عاشور : (الدكتور) سعيد عبد الفتاح :

١ — الحركة الصليبية : ، د ١ ، ٢ الطبعة الاولى ١٩٦٣ . الناشر مكتبة الانجلو المصرية .

٢ — سلطنة الممالك ومملكة أرمينية الصغرى ، محاضرة القيت بدار الجمعية السورية للدراسات التاريخية ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٦٨ .

٨ — عمر كمال توفيق : (الدكتور) : مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي ١٩٦٦ .

٩ — الغزى : كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البابي الحلبي : نهر الذهب في تاريخ حلب ، د ٣ ، الطبعة المارونية بحلب ١٣٤٥ هـ — ١٩٢٦ م .

١٠ — محمد كرد علي : خطط الشام — د ١ ، ٢ ، مطبعة الترقى بدمشق ١٣٤٣ هـ ، ١٩٢٥ م .

١١ — يوسف الياس الدبس : تاريخ سورية الدنيوى والدينى د ٢ م ٣ — (١٨٩٨ م) د ٦ (١٩٠٢ م) ، الطبعة العمومية المارونية في بيروت .

١٢ — الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة : بقلم أحد رهبان دير السيدة بزموس في برية اثنا مقاريوس ، الجزء الاول الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية ببولاق القاهرة ١٨٨٣ م .

د — المصادر والمراجع الأجنبية :

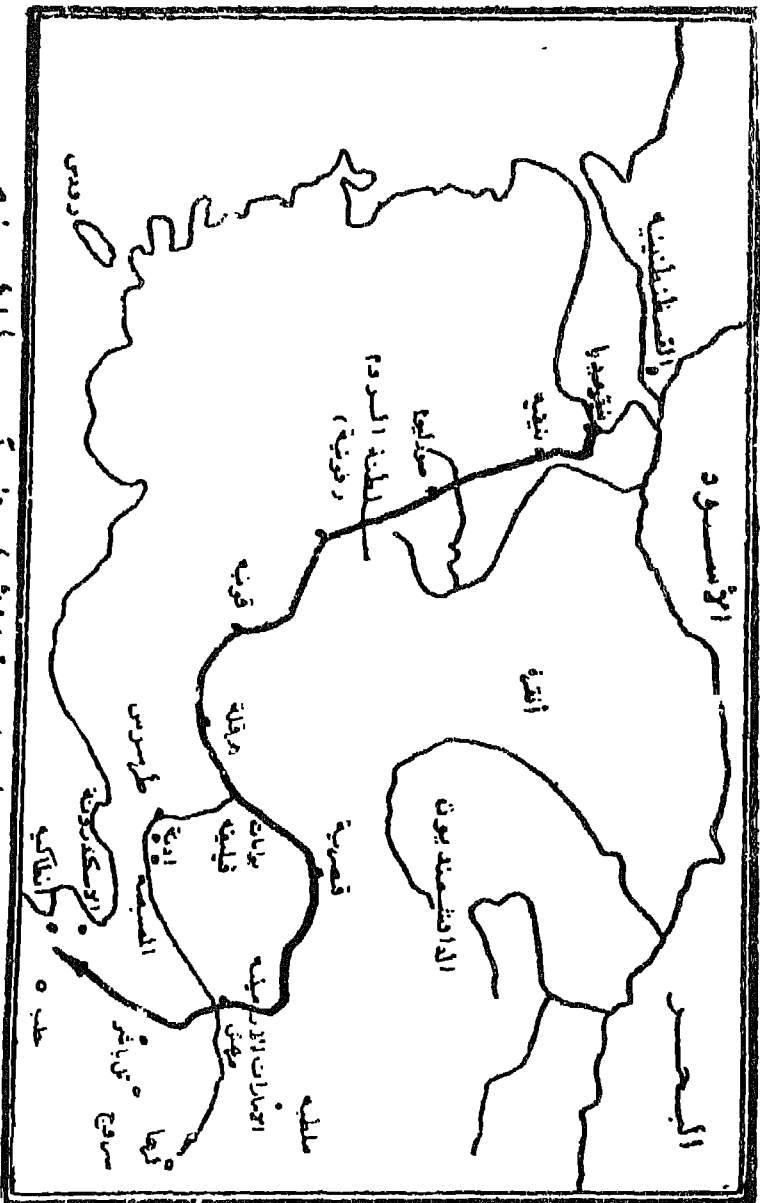
1. — Adams, (G.B.) :
Medieval and Modern history, New York 1905.
2. — Anna Comnena :
The Alexiad, Translated by Elizabeth, A.S. Dawas,
London, 1967.
3. — Archer (T.A.), Kingsford (C.L.) :
The Crusades, London, 1919.
4. — Aubert (R.) :
Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastiques, T. 14, Paris 1960.
5. — Bar Hebraeus :
The Chronography of Gregory Abul Faraj, V. 1,
English translation, London, 1932.

6. — Bréhier (L.) :
 1. L'Eglise et l'Orient au Moyen Age, les Croisades, Paris, 1921.
 2. Vie et Mort de Byzance, Paris, 1948.
7. — Burkitt (F.C.) :
Early Eastern Christianity, London : 1904.
8. — Cahen (C.) :
La Syrie du Nord à L'époque des Croisades et la principauté Franque D'Antioche, Paris, 1940.
9. — Cambridge Anc. Hist., V. XI - XII, Cambridge 1939
10. — Cambridge Med. Hist., V. IV, Cambridge 1936, V. IV Part 1, Cambridge 1966.
11. — Chalandon (F.) :
 1. Histoire de la première Croisade, Paris 1925.
 2. Essai sur le Règne d'Alexis 1er Comnène.
(1081 — 1118), Paris, 1900.
12. — Chronique de Michel le Syriens : éditée et traduite en Français par J.B. Chabot, T. III, Fascicule II, Paris 1906.
13. — Defrémery (M.) :
Histoire des Seljoukides, Journal Asiatique, Avril, Mai, 1848.
14. — Der Nersessian (S.) :
Armenia and the Byzantine Empire, Cambridge, 1947.
15. — Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie, T. 4, Part 2, Paris, 1921.
16. — Dussaud (R.) :
Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale, Paris, 1927.

17. — Duval (R.) :
Histoire Politique, Religieuse et Littéraire d'Edesse
jusqu'à la première Croisade, Paris.
18. — Fliche (A.) :
Histoire du Moyen Age, T. II, L'Europe Occidentale de
888 à 1125, Paris 1930.
19. — Gibb (H.A.R.) :
The Damascus Chronicle of the Crusades, London,
1932.
20. — Grousset (R.) :
 1. Histoire des Croisades et du Royaume Franc de
Jérusalem, V. 1, Paris, 1934, V. 2, Paris, 1935.
 2. L'Epopée des Croisades, Paris, 1939.
 3. Histoire de l'Arménie, Paris, 1947.
 4. L'Empire du Levant, Paris, 1949.
21. — Grumel (V.) :
Au Seuil de la IIème Croisade, Deux Lettres de Manuel
Comnène au Pape, Revue des Etudes Byzantines, T.III,
1945, Institut Français d'Etudes Byzantines, Bucarest,
1946.
22. — Hayes (E.R.) :
L'Ecole d'Edesse, Les Presses Modernes, Paris, 1930.
23. — Hefele (C.J.) :
Histoire des Conciles, T. II, Partie 2. (Paris 1908)
T.V. 1er Partie (Paris, 1912).
24. — Hulme (E.M.) :
The Middle Ages, New York, 1938.
25. — Iorga (N.) :
 1. Brève Histoire des Croisades, Paris, 1924.
 2. Brève Histoire de la Petite Arménie, Paris, 1930.
26. — Issaverdens (R.P.J.) :
Histoire de l'Arménie, T. II, Venise, 1888.

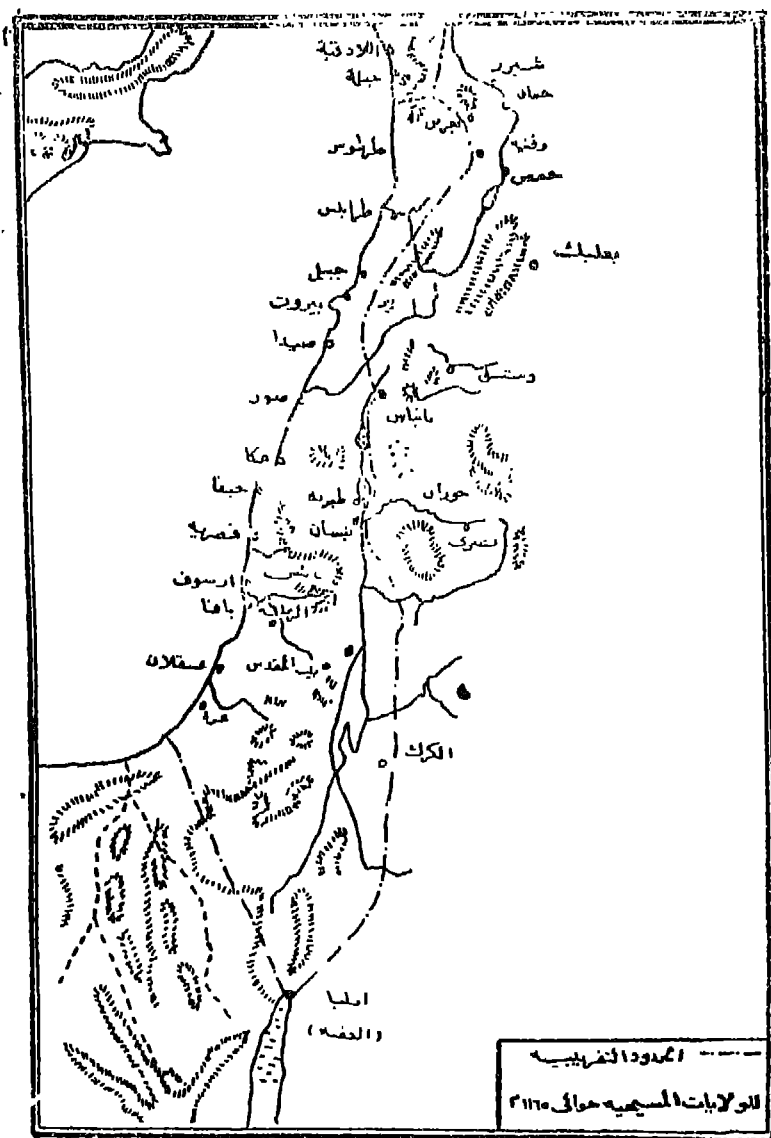
27. — Janin (R.P.) :
Les *eglises* séparées d'Orient Paris, 1930.
28. — Jedn (H.) :
Brève Histoire des Conciles, traduit par A. Vidick ;
Belgium, 1960.
29. — Lamb (H.) : The Crusades, London, 1934.
30. — Lammens (H.): La Syrie, V. 1, Beyrouth, 1921.
31. — Le Strange (G.) :
The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1930.
32. — Michaud (M.) :
Histoire des Croisades, V. 1, 2.
33. — Morgan (J.) :
Histoire du Peuple Arménien, Paris, 1918.
34. — Nansen (F.) :
L'Arménie et le Proche Orient, Paris, 1928.
35. — Oldenbourg (Z.) :
Les Croisades, Editions Gallimard, 1965.
36. — Ostrogorsky (G.) :
History of the Byzantine State, Oxford, 1956.
37. — Pasdermadjian (H.) :
Histoire de l'Arménie, Paris, 1964.
38. — Prawer (J.) :
Histoire du Royaume Latin de Jérusalem, Traduit de
l'hébreu par G. Nahon, T. 1, Paris, 1969.
39. — Recueil des Historiens des Croisades :
1. Documents Arméniens, T. 1, 2.
2. Historiens Occidentaux, T. 1, 3, 4, 5.

40. — Richard (J.) : Le Royaume Latin de Jérusalem, Paris 1953.
41. — Roux (F.C.) :
France et Chrétiens d'Orient, Paris; 1939.
42. — Runciman (S.) :
A History of the Crusades, Cambridge, V. 1, 1954,
V. 2, 1952.
43. — Schulmberger (G.) :
1. Recits de Byzance et des Croisades, Paris, 1922.
2. Sigillographie de l'Orient Latin, Librairie
Orientaliste, Paul Geuthner, 1943.
44. — Setton (K.M.) :
A History of the Crusades, University of Pennsylvania
Press, V. 1, Edited by Marshall W. Baldwin, 1955.
45. — Tixeront (L.J.) :
Les Origines de l'Eglise d'Edesse et la Légende
d'Abgar, Journal Asiatique, T. XII, Paris, 1888.
Novembre — Décembre.
46. — Tournebize :
Histoire Politique et Religieuse de l'Arménie, Paris,
1900.
47. — Vacant (A.), Mangenot (E.), Amann (E.) :
Dictionnaire de Théologie Catholique, T. 1, Partie 2,
Paris, 1923.
48. — Vasiliev (A.A.) :
History of the Byzantine Empire, V. 2, Madison, 1929.
49. — William of Tyre.
A History of Deeds Done Beyond the Sea, V. 1, 2
Translated and Annotated by Emily Atwater Babcock
and A.C. Krey, New York, 1943.



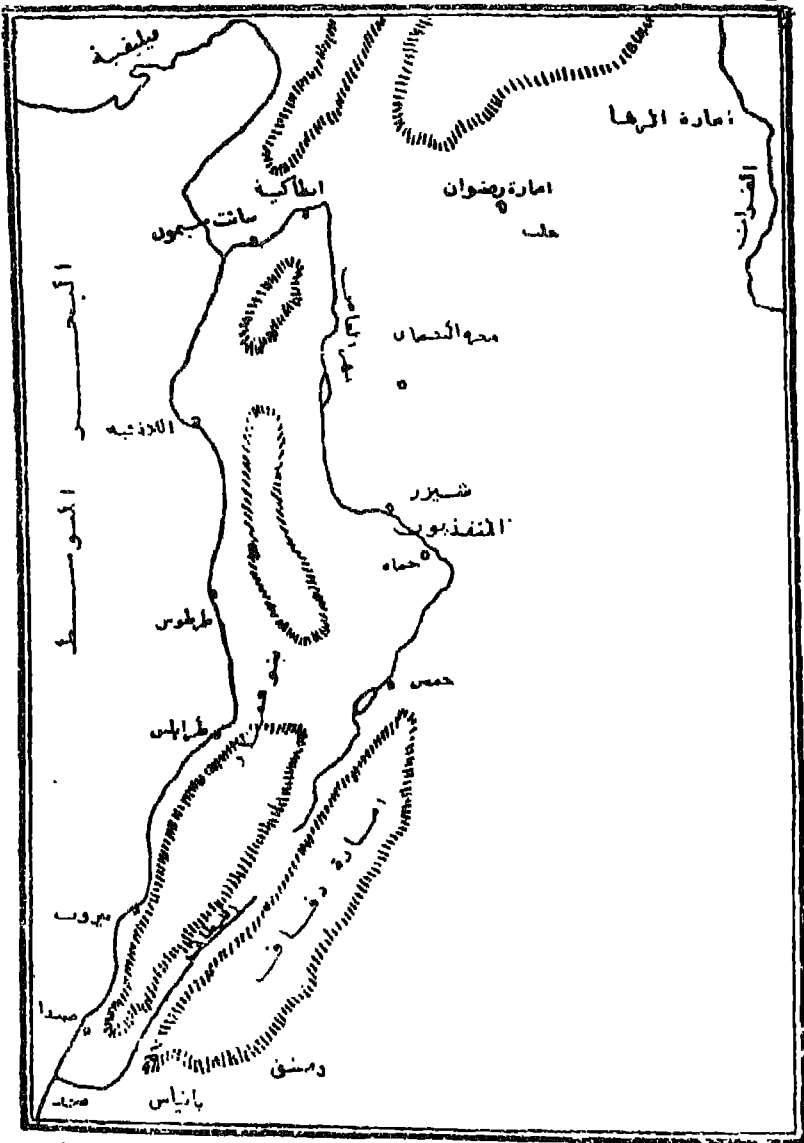
مسيرة الحملة الصليبية الأولى في آسيا الصغرى

عن: J. PRAWER: HISTOIRE DU ROYAUME LATIN DE JERUSALEM, T.1, P 206



خريطة لجنوب سورية في القرن الثاني عشر الميلادي

S.RUNCIMAN: A HISTORY OF THE : عن
CRUSADES, V.2, P. 145

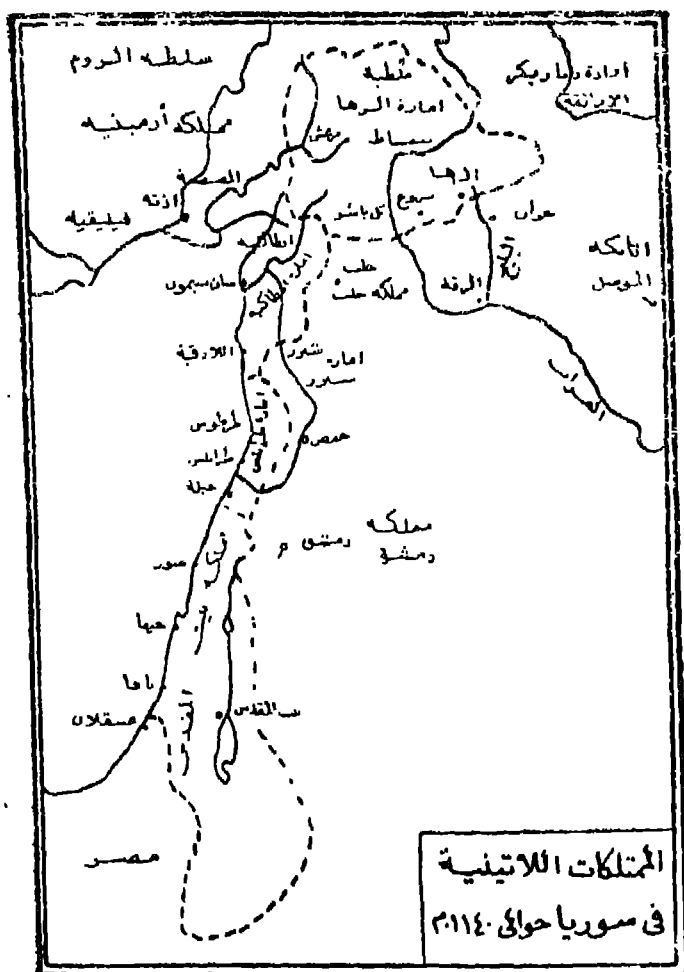


الإمارات الإسلامية في سورية عند قيام إمارة الرها

J. PRAWER: HISTOIRE DU ROYAUME LATIN

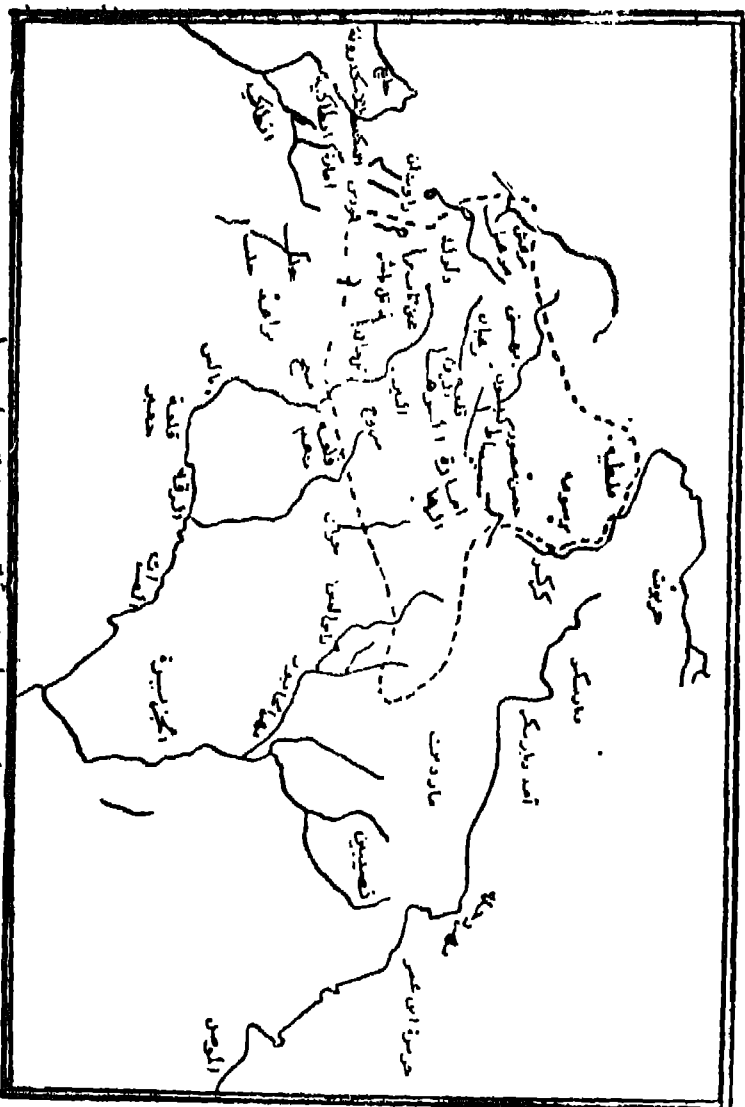
DE JÉRUSALEM, T.1. P. 211

عن:

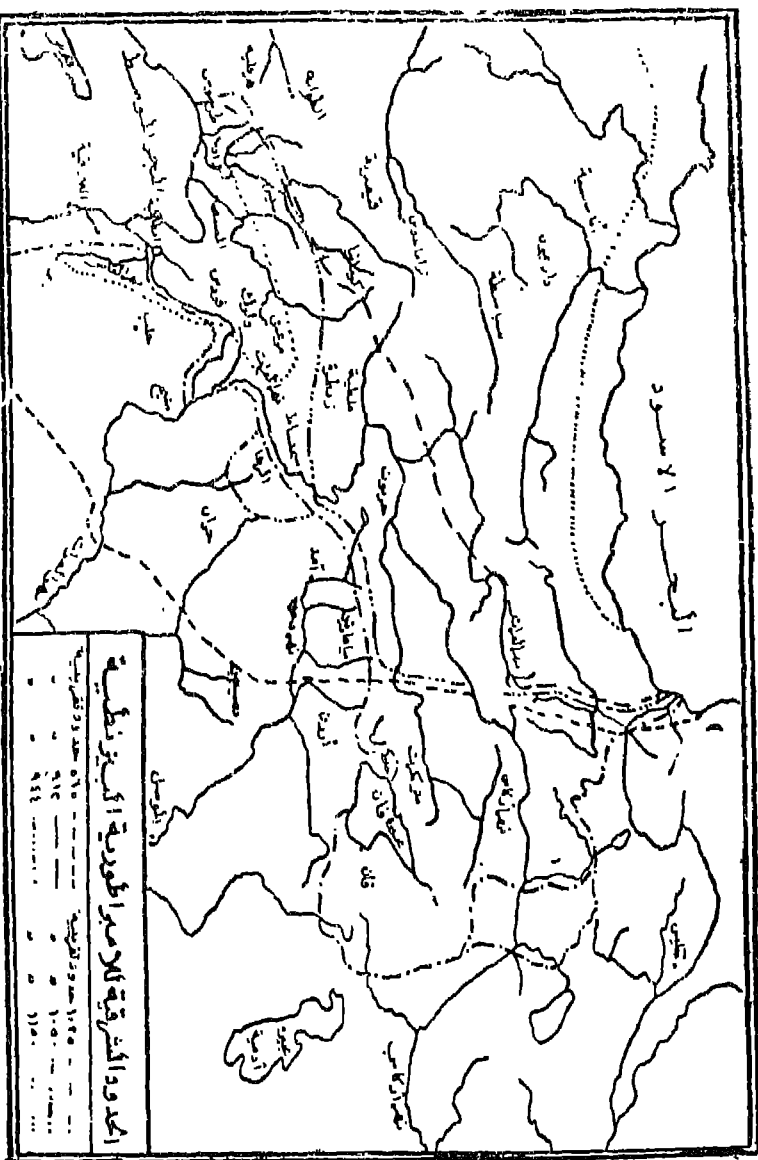


ZOE OLDENBOURG : LES CROISADES
P. 247

عن ١



للملوك الكروها في أقصى رتسا عها
 R.GROUSSET: L'EMPIRE DU LEVANT, PP: 200-201
 من



الموضوع	فهرس	الصفحة
تقديم	٧
مقدمة	٩
دراسة تحليلية لمصادر البحث	١٣
تمهيد	٢٣
تفسير اسم الرها	٢٣
تاريخ المدينة القديم	٢٨
مكانة الرها في ظل المسيحية	٢٩
دخول الرها في حوزة المسلمين	٣٥
دخولها تحت نفوذ البيزنطيين	٣٦
أهمية موقع الرها	٣٩
علاقة الرها بالأرمن	٤٠
وصول الصليبيين وعلاقتهم بالأرمن	٥١
انفصال بلدوين البولوني عن بقية الجيش الصليبي واتجاهه الى		
الرها	٥٢

الباب الأول

قيام أمانة الرها الصليبية وأحوالها الداخلية

حكم بلدوين البولوني منفردا للرها	٧١
بلدوين وحكم بيت المقدس	٨٨
امارة بلدوين دى بروج على الرها	٩٧

الموضوع	الصفحة
وضاع المسلمين فى الشرق قبيل موقعه حران	٩٩
الرها تحت حكم تنكريد	١٠٩
العلاقة بين بلدوين دى بوج وجوسلين	١١٦
أمارة جوسلين دى كورتناى على الرها	٢٢١
أسر جوسلين	١٢٥
جوسلين الثانى	١٢٣
الباب الثانى	
علاقة امارة الرها الصليبية بجيرانها	١٣٥
أولا : علاقتها بالقوى الاسلامية المحيطة بها	١٣٥
علاقة الرها بسلاجقة فارس	١٣٦
بسلاجقة قونية	١٦٥
بطلب وضواحيها	١٦٨
بأراتقة ماردين	١٩٠
بأراتقة ديار بكر	١٩١
بأمد	١٩٢
ببنى داتشمند	١٩٤
ببنى مزيد فى الحلة	١٩٥
ثانيا : علاقتها بالامارات الصليبية فى بلاد الشام	١٠٣
علاقة الرها بالصليبيين فى الدور الأول	١٠٣

الموضوع	الصفحة
علاقة الرها ببيت المقدس	١٩٩
بأنطاكية	٢١١
بطرابلس	٢٣٤
ثالثا: علاقة الرها بالأرمن خارجها	٢٤٤
رابعا: علاقة الرها بالدولة البيزنطية	٢٥٤
الباب الثالث	
نهاية امارة الرها	٢٦٦
جهود زنكى فى الجهاد وتكوين الجبهة الاسلامية	٢٦٦
تصدع الحلف الفرنجى البيزنطى والصراع بين امارتى الرها وانطاكية	٢٧٩
سقوط الرها فى يد عماد الدين زنكى ١١٤٤ م	٣٠١
ردود الفعل المختلفة لاستيلاء زنكى على الرها ١١٤٤ م	٣١٤
مقتل عماد الدين زنكى	٣١٨
ضياع الرها واستعادة نور الدين محمود لها ١١٤٦ م	٣٢٠
جيران الرها وبقايا الامارة حتى أسر جوسلين الثانى	٣٢٩
سر جوسلين الثانى	٣٣١
اندثار امارة الرها بعد أسر جوسلين	٣٣٣
الباب الرابع	
أوضاع أمارة الرها الداخلية والحضارية	٣٣٧

الصفحة	الموضوع
٣٣٧	(أ) طبقات المجتمع
٣٣٧	(ب) الحياة الاقتصادية.....
٣٦٥	(ج) كنيسة الرها والحياة الدينية فيها
٣٨١	الخاتمة
٣٨٦	الملاحق
٤٠٢	مصادر البحث
٤١٢	خرائط

صدر فى هذه السلسلة

- ١- مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢،
١٩٩٤.
- ٢- على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.
- ٣- ثورة يوتيو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.
- ٤- التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.
- ٥- شعارات أوروبا على الشواطئ المصرية
فى العصور الوسطى،
د . عليّة عبد السميع الجزيرى، ١٩٨٧.
- ٦- هؤلاء الرجال من مصر جا،
لمعى المطيعى، ١٩٨٧.
- ٧- صلاح الدين الأيوبي،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.
- ٨- رؤية الجبروتى لأزمة الحياة الفكرية،
د . على دركات، ١٩٨٧.
- ٩- صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧.
- ١٠- توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،
حمود فوزى، ١٩٨٧.
- ١١- مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.
- ١٢- هدى شعراوي وعصر التنوير،
د . نبيل راغب، ١٩٨٨.
- ١٣- أكلوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية
تاريخية،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٨، ط ٢،
١٩٩٤.
- ١٤- مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى
إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.
- ١٥- المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د . على حسنى الخريوطى، ١٩٨٨.
- ١٦- فصول من تاريخ حركة الإصلاح
الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور
الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٢)،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.
- ١٧- القضاء الشرعى فى مصر فى العصر
العثمانى،
د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨.
- ١٨- الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د . على السيد محمود، ١٩٨٨.
- ١٩- مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.
- ٢٠- دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩:
المراسلات السرية بين سعد زغلول
وعبد الرحمن فهمى،
د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨.
- ٢١- التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى،
جا،
د . توفيق الطريل، ١٩٨٨.

- ٢٢- نظرات في تاريخ مصر، جمال بدوي، ١٩٨٨
- ٢٣- التصوف في مصر إبان العصر العثماني ج٢، إمام التصوف في مصر: الشعراي، د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.
- ٢٤- الصحافة الوطنية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦)، د. نجوى كامل، ١٩٨٩.
- ٢٥- المجتمع الإسلامي والغرب، تأليف: هاملتون جب وهارولد بروين، ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩.
- ٢٦- تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة، د. سعيد إسماعيل علي، ١٩٨٩.
- ٢٧- فتح العرب لمصر ج١، تأليف: ألفريد ج. بيلر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
- ٢٨- فتح العرب لمصر ج٢، تأليف: ألفريد ج. بيلر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.
- ٢٩- مصر في عهد الإخشيديين، د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩.
- ٣٠- الموفلون في مصر في عهد محمد علي، د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٨٠.
- ٣١- خمسون شخصية مصرية وشخصية، شكرى القاسنى، ١٩٨٩.
- ٣٢- هؤلاء الرجال من مصر ج٢، لمعى المصطفى، ١٩٨٩.
- ٣٣- مصر وقضايا الجنوب الأفريقي: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية، - . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩.
- ٣٤- تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢، د. يوانا لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠.
- ٣٥- أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة . عبدالحميد توفيق ركي، ١٩٩٠
- ٣٦- المجتمع الإسلامي والغرب ج٢، تأليف: هاملتون بروين، ترجمة: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٩٠.
- ٣٧- الشيخ على يوسف وجريدة المزيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، تأليف: د. سليمان صالح، ١٩٩٠
- ٣٨- فصول من تاريخ مصر الاقتصادية والاجتماعي في العصر العثماني، د. عبد الرحمن عبد الرحمن عبد الرحيم، ١٩٩٠.
- ٣٩- قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧)، د. حميل عبيد، ١٩٩٠.
- ٤٠- الأسلحة الماسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨، د. عبدالمعز الدسوقي الحميى، ١٩٩٠
- ٤١- محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية، د. رعت السعيد، ١٩٩١.
- ٤٢- تكوين مصر عبر العصور، محمد شفيق عربال، ط٢، ١٩٩٠.
- ٤٣- رحلة في عقول مصرية، إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠
- ٤٤- الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر، في العصر العثماني، د. محمد عفيفي، ١٩٩١.
- ٤٥- الحروب الصليبية ج١، تأليف: وليم الصوري، ترجمة وتقديم: د. حشيش، ١٩٩١.
- ٤٦- تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية - (١٩٢٩: ١٩٥٧)، ترجمة: د. عبد الرؤوف أحمد عمر، ١٩٩١.

- ٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث،
د. لميعة محمد سالم، ١٩٩١.
- ٤٨ - الفلاح المصري بين العصر القبطي
والعصر الإسلامي،
د. ريبة عملا، ١٩٩١.
- ٤٩ - العلاقات المصرية الإسرائيلية
(١٩٤٨-١٩٧٩)،
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
(١٩٤٤-١٩٦٦)،
د. سهير اسكندر، ١٩٩٣.
- ٥١ - تاريخ المدارس في مصر الإسلامية،
(أبحاث الدورة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار
بالمجلس الأعلى للثقافة، في إبريل ١٩٩١)،
أعدها للنشر: د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٢ - مصر في كتابات الرحالة والقناصل
الفرنسيين في القرن الثامن عشر،
د. إلهام محمد علي دعنى، ١٩٩٢.
- ٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة
المماليك الجراكسة،
د. محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢.
- ٥٤ - الأقباط في مصر في العصر العثماني،
د. محمد عفيفي، ١٩٩٢.
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢،
تأليف: وليم الصوري ترجمة وتعليق: د.
حسن حبشي، ١٩٩٢.
- ٥٦ - المجتمع الريفي في عصر محمد علي:
دراسة عن إقليم المتوفية،
د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٩٢.
- ٥٧ - مصر الإسلامية وأهل الذمة،
د. سيده إسمايل كاشف، ١٩٩٢.
- ٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة،
د. إبراهيم عبدالله المسلمي، ١٩٩٣.
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر، من
التنمير إلى التأميم (١٩٥٧-١٩٦١)،
د. عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣.
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحميد توفيق زكي، ١٩٩٣.
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث،
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٣،
لمعى المطيعي، ١٩٩٣.
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ
مصر الإسلامية،
تأليف: د. سيده إسمايل كاشف، جمال الدين
سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر:
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٤ - مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة
والافتراء: دراسة وثائقية،
د. محمد نعمان جلال، ١٩٩٣.
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية
(١٨٩٧-١٩١٧)،
د. سهام نصار، ١٩٩٣.
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي،
د. نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣.
- ٦٧ - مساعي السلام العربية الإسرائيلية:
الأصول التاريخية،
(أبحاث الدورة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار
بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم
التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، في
إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر: د. عبدالعظيم
رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٨ - الحروب الصليبية ج ٣،
تأليف: وليم الصوري
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي، ١٩٩٣.
- ٦٩ - نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية
(١٨٨٦-١٩٥١)،
د. محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤.

- ٧٠ - أهل الذمة فى الإسلام،
تأليف: أ. س. نرتون
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤.
- ٧١ - مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤-١٩٤٦)،
إعداد: تريفور ليفانر، ترجمة: د. عبد الرؤوف
أحمد عمرو، ١٩٩٤.
- ٧٢ - رؤية الرحالة العاملين للأحوال المالية والاقتصادية
فى العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧هـ)،
د. أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤.
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤.
- ٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية، ج ١، فى
العصر الفرعونى،
د. سمير يحيى العمال، ١٩٩٤.
- ٧٥ - أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى
الأول،
د. سلام شافعى محمود، ١٩٩٥.
- ٧٦ - دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى
(زمن الاحتلال البريطانى)،
د. سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥.
- ٧٧ - الحروب الصليبية ج ٤،
تأليف: وليم الصبرى، ترجمة وتعليق: د.
حسن حبشى، ١٩٩٤.
- ٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥.
- ٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى
القرن التاسع عشر،
تأليف: فريد دى يونس، ترجمة: عبد الحميد
فهى الجمال، ١٩٩٥.
- ٨٠ - قناة السويس والتنافس الاستعماري
الأوروبى (١٨٨٢-١٩١٤)،
د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.
- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية من
هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،
د. رمزى ميخائيل، ١٩٩٥.
- ٨٢ - مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى
إلى قيام الدولة الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤.
- ٨٣ - مذكراتى فى نصف قرن ج ١،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤.
- ٨٤ - مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ - القسم
الأول،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥.
- ٨٥ - تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية
(١٩٣٤ - ١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلى، ١٩٩٥.
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية
الاقتصادية (١٨٤٠ - ١٩١٤)،
د. أحمد الشربى، ١٩٩٥.
- ٨٧ - مذكرات اللورد كليرن، ج ٢، (١٩٣٤ -
١٩٤٦)،
إعداد: تريفور ليفانر، ترجمة وتحقيق: د.
عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٥.
- ٨٨ - التذوق الموسيقى وتاريخ الموسقى
المصرية،
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٥.
- ٨٩ - تاريخ الموانئ المصرية فى العصر
العثمانى،
د. عبد الحميد حامد سليمان، ١٩٩٥.
- ٩٠ - معاملة غير المسلمين فى الدولة
الإسلامية،
د. نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٦.
- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبد الحميد همى
الجمال، ١٩٩٦.
- ٩٢ - الصحافة الوليدية والقضايا الوطنية
(١٩١٩ - ١٩٣٦)،
ج ٢، د. نحرى كامل، ١٩٩٦.

١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢ ،

د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ - رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره

د. علي بركات

١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين في مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢)

د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ - السلطة السياسية في مصر وقضية الديمقراطية ١٨٠٥ - ١٩٨٧ .

د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن) .

د. سليمان صالح

١٠٧ - الأصولية الإسلامية .

تأليف: دليب هيرز، ترجمة: عبدالحميد مهمي الجمال .

١٠٨ - مصر للمصريين ج ٤ .

سليم النقاش

١٠٩ - مصر للمصريين ج ٥ .

سليم النقاش

١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ج ١ .

د. البيومي إسماعيل الشربيني .

١١١ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ج ٢ .

د. البيومي إسماعيل الشربيني .

١١٢ - إسماعيل باشا صدقي

د. محمد محمد الحوادي .

١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان (في عصر الحكم المصري)

د. عز الدين إسماعيل .

١١٤ - دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي تأليف أحمد رشدي صالح

٩٣ - قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ - ١٩٥٨) ،

د. نبيه بيومي عبدالله، ١٩٩٦ .

٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،

د. سهير إسكندر، ١٩٩٦ .

٩٥ - مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة) ،

إعداد: أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ - عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠) ،

تأليف: مالكولم كبير، ترجمة د. عبدالرزوق أحمد عمرو .

٩٧ - العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر، د. إيمان محمد عبد المنعم عامر .

٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية ،

د. محمد سيد محمد .

٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليوناني - الروماني) ج ٢ ،

د. سمير يحيى للجمال

١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور:

تاريخ مصر القديمة ،

أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار،

أ. د. محمد إبراهيم بكر، أ. د. إبراهيم نصحي،

أ. د. فاروق القاسبي ، أعدما للنشر: أ. د.

عبدالعظيم رمضان

١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،

اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير ، اللواء/

عبدالمجيد كفاقي ،

اللواء/ سعد عبدالغنيط، السفير/ جمال منصور

١٣٠ - تاريخ لقصائد الفنانين في مصر -
(١٩٨٧-١٩٩٧)

سمير فريد.

١٣١ - الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م

ترجمة/ د. عبدالرؤف أحمد عمر

١٣٢ - دار المندوب السامي في مصر ج١

د. ماجدة محمد محمود.

١٣٣ - دار المندوب السامي في مصر ج٢

د. ماجدة محمد محمود

١٣٤ - الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط

عثماني للدارندلي

بقلم/ عرت حس أفندي الدارندلي

ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى

١٣٥ - اليهود في مصر المملوكية

(في ضوء وثائق الحيزة)

(١٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م) د. محاسن

محمد الوقاد

١٣٦ - أوراق يوسف صديق

تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان

١٣٧ - نثار التوال في مصر في العصر المملوكي

د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٣٨ - الإخوان المسلمون وجلدور التطرف العبيى

والإرهاب في مصر

السيد يوسف

١٣٩ - موسوعة العناء المصري في القرن العشرين

بقلم محمد قابيل

١٤٠ - سياسة مصر في البحر الأحمر في الصف الأول

من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ - ١٢٦٥هـ.

١٨١١ - ١٨٤٨م

طارق عبد العاطى غليم بيومى

١٤١ - وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك

لطى أحمد بصار

١٤٢ - مذكراتي في نصف قرن ج٣

أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

١١٥ - مذكراتي في نصف قرن -

أحمد شفيق باشا.

١١٦ - أديب اسحق (عاشق الحرية)

علاء الدين وحيد

١١٧ - تاريخ القساء في مصر العثمانية

(١٥١٧ - ١٧٩٨)

عبد الرزاق إبراهيم عيسى

١١٨ - النظم المالية في مصر والشام

د. البيومى اسماعيل الشربيني

١١٩ - النقابات في مصر الرومانية

حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ - يوميات من التاريخ المصري الحديث

لويس جرجس

١٢١ - الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ - ١٩٥٤)

د. محمد عبد الحميد الحناوى

١٢٢ - مصر للمصريين ج٦

سليم خليل النقاش

١٢٣ - السيد أحمد البدوي

د. سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ - العلاقات المصرية الباكستانية في

نصف قرن

د. محمد نعمان جلال

١٢٥ - مصر للمصريين ج٧

سليم خليل النقاش

١٢٦ - مصر للمصريين ج٨

سليم خليل النقاش

١٢٧ - مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ -

١٩٥٨)،

- إبراهيم محمد محمد اندراهم .

١٢٨ - معارك صحفية،

نقلم/ جمال ندوى.

١٢٩ - الدين العام (وآثره في تطور الدين المصري)

(١٨٧٦-١٩٤٣)

د. يحيى محمد محمود

- ١٤٣ - دبلوماسية البطالة في القرنين الثاني والأول ق م
د. مغيرة محمد المهنري
- ١٤٤ - كثراف مصر الأفريقية في عهد الخديوي اسماعيل
د. عبدالمعطي حلاف
- ١٤٥ - النظام الإداري والاقتصادي في مصر في عهد دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م)
د. مغيرة محمد المهنري
- ١٤٦ - المرأة في مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
- ١٤٧ - حسن البنا متى كيف ولماذا؟
د. رفعت السيد
- ١٤٨ - القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزي
ترجمة / نسيم مجلى
- ١٤٩ - العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطى
- ١٥٠ - تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الحمال
- ١٥١ - حمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة السيد يوسف
- ١٥٢ - الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
د. محاسن محمد الوقاد
- ١٥٣ - الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. علية عبد السميع الجندوري
- ١٥٤ - هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجندوري
- ١٥٥ - عصر محمد علي ولهضة مصر في القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ - ١٨٨٣ م)
د. عبد الحميد التطريق
- ١٥٦ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية الجزء الثالث
في العصر الإسلامي
د. سمير يحيى الجمال
- ١٥٧ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية الجزء الرابع
في العصر الإسلامي والحديث
د. سمير يحيى الجمال
- ١٥٨ - نائب السلطنة المملوكية في مصر (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
د. محمد عبد الخفى الأشقر
- ١٥٩ - حرب الورد (١٩٣٦ - ١٩٥٢)
الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش
- ١٦٠ - حزب الورد (١٩٣٦ - ١٩٥٢)
الجزء الثاني
د. محمد فريد حشيش
- ١٦١ - السيف والنار في السودان
تأليف / سلاطين ناشا
- ١٦٢ - السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ - ١٩٥٣ م)
د. تمام همام تمام
- ١٦٣ - مصر والحملة الفرنسية
المستشار/ محمد سعيد العشماوى
- ١٦٤ - الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بحامعة القاهرة ٢٠٠٢ . ٢١ ديسمبر ١٩٩٧ .
- إعداد / د. عبدالعظيم رمضان
- ١٦٥ - التعليم والتغير الاجتماعي في مصر (في القرن التاسع عشر)
سامى سليمان محمد السهم
- ١٦٦ - مذكرات معتقل سياسى (صفحة من تاريخ

أراء حروب الشرق الأوسط
لواء دكتور/ صلاح سالم
١٧٨ - العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى
في القرن الثامن عشر
د. سحر على حنفي
١٧٩ - دور الحماية العثمانية في تاريخ مصر
(١٥٦٤ - ١٦٠٩ م)
د. عفاف مسعد السيد العدد
١٨٠ - الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة
السويس
بقلم / د. عبدالعليم رمضان
١٨١ - الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد
ح-١)
ترجمة وتحقق وتعانيق / أ. د. حس حنفي
١٨٢ - الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد
ح-٢)
ترجمة وتحقق وتعانيق / أ. د. حس حنفي
١٨٣ - شاهد على العصر
مذكرات محمد لطفي حمزة
١٨٤ - الموفية في القرن الثامن عشر
ياسر عبد المنعم محارب
١٨٥ - تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري
١٨٢٠ - ١٨٨٥ م
د. أحمد أحمد سيد أحمد
١٨٦ - العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام
والتصوف
د. أحمد صبحي منصور

مصر)
السيد يوسف
١٦٧ - الحركة العلمية والأدبية في القضاة منذ الفتح
العربي إلى نهاية الدولة الأخشيديّة
د. صفى على محمد عبدالله
١٦٨ - مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات
سرى عبد الغنى
١٦٩ - مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى
نهاية عصر الفاطميين (٢١١ - ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ -
١١٧١ م)
د. صفى على محمد عبد الله
١٧٠ - القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
محدثي عبد الرشيد بحر
١٧١ - تاريخ الحالية الأزمنية في مصر
القرن التاسع عشر
تأليف / محمد رعت
١٧٢ - تاريخ أهل الامة في مصر الإسلامية
(من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)
الجزء الأول
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٣ - تاريخ أهل الامة في مصر الإسلامية
(من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)
الجزء الثاني
تأليف / فاطمة مصطفى عامر
١٧٤ - مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع
ق م
د. أحمد عبد الحليم درار
١٧٥ - محمد توفيق بسيم بابا ودوره في الحياة
السياسية
عادل إبراهيم الطويل
١٧٦ - الملاحه البلية في مصر العثمانية
١٥١٧ - ١٧٩٨ م
د. عبدالحميد حامد سليمان
١٧٧ - سياسة مصر العسكرية

الشعبية المصرية
د. فتحي الصنفاري
١٩٥ - مجتمع أفريقيا في عصر
الولاة
د. نريمان عبدالكريم أحمد
١٩٦ - تاريخ تطور الري في
مصر (١٨٨٢ - ١٩١٤ م)
عبدالعظيم محمد سعودى
١٩٧ - القدس الخالدة
د. عبدالحميد زايد
١٩٨ - العلاقات السياسية بين
الدولة الأيوبية
والامبراطورية الرومانية
المقدسة زمن الحروب
الصليبية
د. عادل عبدالحافظ حمزة
١٩٩ - المعبد في الدولة الحديثة
في مصر الفرعونية
(تنظيمه الإدارى ودوره
السياسى)
د. بهاء الدين إبراهيم محمود
٢٠٠ - تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر
العصور (أعمال الندوة التى
أقامتها لجنة التاريخ
والآثار بالمجلس الأعلى
للثقافة بالاشتراك مع كلية
الآداب جامعة الإسكندرية
فى يومى ٢٢ ، ٢٣ ابريل
١٩٩٨ م) .
اعداد/ د. عبدالعظيم رمضان

١٨٧ - نيابة حلب فى عصر
سلاطين المماليك (١٢٥٠
- ١٥١٧ م / ٦٤٨ - ٩٢٣
هـ) ج١
د. عادل عبد الحافظ حمزة
١٨٨ - نيابة حلب فى عصر سلاطين
المماليك (١٢٥٠ -
١٥١٧ م / ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ)
ج٢
د. عادل عبدالحافظ حمزة .
١٨٩ - يهود مصر منذ عصر
الفرعونية حتى عام ٢٠٠٠ م
عرفة عبده على
١٩٠ - العلاقات السياسية بين
مصر والعراق (١٩٥١ -
١٩٦٣ م)
د. عبدالحميد عبدالجليل أحمد
شلبى
١٩١ - اليهود فى مصر العثمانية
حتى أوائل القرن التاسع
عشر ج١
د. محسن على شومان
١٩٢ - اليهود فى مصر العثمانية
حتى أوائل القرن التاسع
عشر ج٢
د. محسن على شومان .
١٩٣ - الامام محمد عبده بين
المنهج الدينى الاجتماعى
د. عبدالله شحاته
١٩٤ - تاريخ الآلات الموسيقية

- ٢٠١ - إمارة الحج في مصر
العثمانية (٩٢٣ - ١٢١٣ هـ
/ ١٥١٧ - ١٧٩٨ م)
سميرة فهمي على عمر
٢٠٢ - المندوبيون الساميون في
مصر
د. ماجدة محمد حمود
٢٠٣ - الصراع الدولي على عدن
والدور المصري
فتحى أبو طالب
٢٠٤ - العلاقات الاقتصادية بين
مصر وبريطانيا (١٩٣٥ -
١٩٤٥ م)
مرفت صبحى غالى
٢٠٥ - تاريخ الغربية وأعمالها
في العصر الاسلامى (٢١ -
٥٦٧ هـ / ٦٤٢ - ١١٧١ م)
السيد محمد أحمد عطا
٢٠٦ - مصر للمصريين ج٩
سليم خليل النقاش
٢٠٧ - الظاهر بيبرس
د. سعيد عبدالفتاح عاشور
٢٠٨ - الدور المصرى والعربى
فى حرب تحرير الكويت
ج١
لواء/ د. كمال أحمد عامر
٢٠٩ - الدور المصرى والعربى
فى حرب تحرير الكويت
ج٢
لواء/ د. كمال أحمد عامر
- ٢١٠ - قبرس والحروب الصليبية
د. سعيد عبدالفتاح عاشور
٢١١ - إمارة الرها الصليبية
د. عليّة عبدالسميع الجنزورى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٧٤٧٨ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7632 - X

يتناول هذا الكتاب تاريخ إمارة الرها في عصر الحروب الصليبية، وهي أولى الإمارات التي أسسها الصليبيون في العالم العربي في عام ١٠٩٨، فكان ذلك بداية مرحلة جديدة في تاريخ تلك المنطقة، حتى سقطت هذه الإمارة في عام ١١٤٤م.

فبحكم وقوع تلك الإمارة على الطريق الرئيسي بين الموصل وحلب، وهما أكبر قوتين إسلاميتين في شمال العراق والشام، فإنها لعبت دوراً مهماً في الحروب الصليبية



0334437

مطابع الهيئة المصرية

٦٢٥ قرشا